الأندلس من الكامل في التاريخ

لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

الكتاب: الأندلس من الكامل في التاريخ
لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
جمعه وحقق نصوصه: الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش
الطبعة الأولى: ٢٠١٥
تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة . نشر . توزيع
دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠- ٠٠٩٦٣
Email: akramaleshi@gmail.com
Fecebook:Dar Tamoz

الأندلس من الكامل في التاريخ

لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

جمعه وحقق نصوصه

الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

ابن الأثير

هو أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري[١] ، ولد بالجزيرة سنة ٥٥٥هـ ونشأ بها ، ثم سار إلى الموصل[٢] مع والده وأخويه[٣] وسكن الموصل وسمع بها من

١) قال السمعاني: (هذه النسبة إلى الجزيرة وهي إلى عدة بلاد من ديار بكر، واسم خاص لبلدة واحدة يقال لها جزيرة ابن عمر، وعدة بلاد منها الموصل وسنجار وحران والرقة ورأس العين وآمد وميافارقين، وهي بلاد بين الدجلة والفرات، وإنما قيل لها الجزيرة لهذا) ، الأنساب، ٢٦٩/٢.

٢) الموصل وهي إحدى مدن الجزيرة الفراتية، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمّى الموصل، وهي مدينة قديمة الأسّ على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى، وفي وسط مدينة الموصل قبر جرجيس النبي(ع)، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٤ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ٢٢٣/٥.

٣) لابن الأثير أخوين اشتهرا أيضاً بالعلم والتأليف، أولهم مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد يعرف أيضاً بابن الأثير، وكان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث، وله العديد من المؤلفات منها: كتاب البديع في النحو نحو الأربعين، و كتاب الباهر في الفروق في النحو أيضاً، وكتاب تهذيب فصول ابن الدهان، وكتاب الإنصاف في تفسير القرآن، وكتاب الشافي، وكتاب غريب الحديث على حروف المعجم، وكتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول عمله على حروف المعجم، وشرح غريب الأحاديث، ورسائل في الحساب مجدولات، وكتاب ديوان رسائله، وكتاب البنين والبنات والآباء والأمهات والأذواء والذوات، وكتاب المختار في مناقب الأخيار، وغيرها، وكانت وفاته سنة ٦٠٦هـ، ينظر: ياقوت، معجم الأدباء، ٢٢٦٨/٥- ٢٢٧١ ؛ القفطي، أنباه الرواة، ٢٥٧/٣- ٢٥٩ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٤١/٤- ١٤٣ ؛ الذهبي، سير، ٤٥/١٦- ٤٧؛ والثاني ضياء الدين أبو الفتح ابن الأثير، وهو الآخر اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيراً من الأحاديث النبوية وطرفاً من النحو واللغة وعلم البيان وشيئاً كثيراً من الأشعار، وله العديد من المؤلفات منها: كتاب المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر، ومجموع من الرسائل، وتوفي في بغداد سنة ٦٣٧هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٨٩/٥- ٣٩٦ ؛ الذهبي، سير، ٣٢٣/١٦.

أبي الفضل عبد الله أحمد الخطيب الطوسي[١] وغيره ، زار بغداد مراراً وسمع بها من الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي[٢] وأبي أحمد عبد الوهاب ابن علي الصوفي[٣] وغيرهما ، ثم رحل إلى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ، ثم عاد إلى الموصل ولزم بيته منقطعاً على النظر في العلم والتصنيف ، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها ، وتوفي فيها سنة ٦٣٠هـ.

كان ابن الأثير إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم[٤].

أما أهم مؤلفاته فهي:

١- آداب السياسة

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة

٣- الباهر في الدولة الأتابيكية

٤- تحفة العجائب وطرفة الغرائب في التاريخ

٥- الجامع الكبير في علم البيان

٦- الكامل في التاريخ

---

١) هو أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الخطيب الطُّوسي من أهل الموصل ، سمع من ابن البَطر، وغيره ، روى عنه ابن باطيش، وأبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الشافعي، وغيرهما ، وكانت وفاته سنة ٥٧٨هـ، ينظر: السخاوي، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ٤٧٨/٥.

٢) هو أبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفراتي الضرير، أحد فقهاء الشافعية، توفي سن ٥٩٣هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٠/٢٩ ؛ السبكي، طبقات الشافية، ٣٣٨/٧- ٣٣٩.

٣) هو أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله بن سكينة الصوفي، من محدثي بغداد ، توفي سنة ٦٠٧هـ، ينظر: الذهبي، المختصر المحتاج اليه، ١٥/ ٢٦٣ ؛ عبد الغني البغدادي، تكملة الاكمال، ١٨٣/٣.

٤) ينظر ترجمته: القفطي، أنباه الرواة، ٨٤/٤ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٤٨/٣- ٣٥٠ ؛ الذهبي، سير، ٣٥٣/٢٢- ٣٥٥ ؛ تاريخ الإسلام، ٩٢٥/١٣ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٨٦/٢٢- ٨٧ ؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٢٩٩/٨- ٣٠٠ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٥٦/٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٢/١٣ ؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٨٠/٢- ٨١ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٤١/٧- ٢٤٢ ؛ البغدادي، هدية العارفين، ٧٠٦/١ ؛ فانديك، اكتفاء القنوع، ص٧٢- ٧٣.

٧- كتاب الجهاد
٨- اللباب في تهذيب الأنساب[١]

كتاب الكامل في التاريخ وأخبار الأندلس

يعد ابن الأثير من المؤرخين البارزين في القرن السابع الهجري ، وكتابه الكامل في التاريخ موسوعة تاريخية شاملة لأحداث العالم الإسلامي حتى أيامه ، ذكر في مقدمته سبب تأليفه الكتاب قائلاً: (...لم أزل محبّاً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، مؤثراً للاطلاع على الجليّ من حوادثها وخافيها ، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها ، فلمّا تأمّلتها رأيتها متباينةً في تحصيل الغرض ، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض ، فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات ، و مختصر قد أخلّ بكثير ممّا هو آت ، ومع ذلك فقد ترك كلّهم العظيم من الحادثات ، والمشهور من الكائنات)[٢] ، كما عابَ على التواريخ السابقة بأن كلاً منهم قد أرّخ لناحيته فقال: (والشرقيّ منهم قد أخلّ بذكر أخبار الغرب ، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق ؛ فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخاً متصلاً إلى وقته يحتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددّة مع ما فيها من الإخلال والإملال)[٣] ، ثم قال: (فلمّا رأيتُ الأمر كذلك شرعتُ في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ، ليكون تذكرةً لي أراجعه خوف النسيان ، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أوّل الزمان ، متتابعةً يتلو بعضها بعضاً إلى وقتنا هذا)[٤] ، ومن هنا جاء اهتمامه بتاريخ المغرب والأندلس ، وقد كان وفيّاً بما قطعه على نفسه ، فضمن كتابه معلومات مهمة شملت حقبة طويلة من تاريخ الأندلس امتدت حتى عصره ، ومن هنا جاءت

---

١) ينظر: البغدادي، هدية العارفين، ٧٠٦/١ ؛ فانديك، اكتفاع القنوع، ص٧٣.
٢) الكامل في التاريخ، ٥/١- ٦ (الطبعة الأولى الصادرة عن دار الكتب العلمية، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي، بيروت، ١٩٨٧م).
٣) الكامل في التاريخ، ٦/١.
٤) المصدر نفسه، ٦/١.

فكرة هذا الكتاب ، إذ أن أخبار الأندلس موزعة بين ثنايا الكتاب وحسب تسلسل الحوادث ، وهو المنهج الذي اتبعه ابن الأثير ، مما جعل تلك الأخبار متوارية بين الكم الهائل من الأحداث والروايات التي ضمّها الكتاب ولا سيما أخبار العراق والمشرق ، ومما ساهم في ذلك أيضاً أن قسماً كبيراً من تلك الأحداث لم يضع لها ابن الأثير عناوين مستقلة بل أدرجها تحت عنوان عام أسماه(ذكر عدة حوادث).

وقد جرت أولى محاولات جمع المادة الخاصة عند ابن الأثير من قبل تقي الدين الدوري ، فعمل على جمع حوادث وأخبار الأندلس عند كل من ابن الأثير وابن خلكان ، وجهده في ذلك لطيف ومهم ، إلا أنه لم يعمل على تحقيق تلك النصوص عن طريق مقارنتها بالروايات الأندلسية والمغربية فضلاً عن أن بعض الأحداث الموجوده قد سقطت من كتابه[1] ، مما دفعنا الى القيام بهذا العمل.

مصادر ابن الأثير عن التاريخ الأندلسي

لم يذكر ابن الأثير في مقدمة كتابه أي مصدر صراحة سوى الطبري(ت ٣١٠هـ) ثم أجمل الإشارة إلى المصادر الأخرى ، قال: (فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبريّ إذ هو الكتاب المعوّل عند الكافة عليه... فلمّا فرغتُ منه وأخذتُ غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ، ووضعتُ كلّ شيء منها موضعه... على أني لم أنقل إلاّ من التواريخ المذكورة ، والكتب المشهورة ، ممّن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه ، وصحّة ما دوّنوه ، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي)[2].

وعند ذكره لأحداث الأندلس لم يشر صراحة إلا إلى مصدر واحد وهو ابن أبي الفياض ، وذلك في معرض حديثه عن محاولة بني عباد في إشبيلية اكتساب الشرعية في الحكم عن طريق اظهار شخص قالوا هو هشام المؤيد ، إذ قال ابن الأثير(...ثم في

---

١) الدوري، التاريخ الأندلسي عند ابن الأثير وابن خلكان دراسة ونصوص، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٩٠م.

٢) الكامل في التاريخ، ١/٦- ٧.

سنة إحدى وثلاثين التقى عسكر ابن عباد وعليهم ابنه إسماعيل مع باديس بن حبوس ، وعسكر إدريس العلوي ، على ما ذكرناه عند أخبار العلويين فيما تقدم ، إلا أنهم اقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل إسماعيل ، ثم مات بعده أبوه القاضي أبو القاسم سنة ثلاث وثلاثين ، وولي بعده ابنه أبو عمرو عباد بن محمد ، ولقب بالمعتضد بالله ، فضبط ما ولي ، وأظهر موت المؤيد. هذا قول ابن أبي الفياض...)[1].

وابن أبي الفياض ذكره ابن بشكوال بقوله: أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد ابن أبي الفياض ، أصله من أستجة وسكن المرية ، سمع بأستجة من يوسف بن عمروس ، وبالمرية من أبي عمّ الطلمنكي ، وأبي عمر بن عفيف ، والمهلب بن أبي صفرة وغيرهم. وله تأليف في الخبر والتاريخ. وتوفي سنة٤٥٩هـ بعد أن بلغ الثمانين من عمره[2] ، وأشار بعض المؤرخين إلى أن له تاريخ يسمى العبر أخذوا عنه[3] ، والكتاب ضائع ولم يبق منه الآن إلا قطعة صغيرة [4]وبعض نقولات المؤرخين عنه ، وهو يضم مقدمة جغرافية عن الأندلس ثم نبذة عن تاريخها القديم ثم دخول المسلمين إلى الأندلس حتى أيامه ، ويحوي بين طياته فضلاً عن الأحداث التاريخية العديد من الأمور الثقافية المتعلقة بالمجتمع الأندلسي[5] ، والراجح أن ابن الأثير كان قد اطلع على الكتاب وأخذ عنه ما يتعلق بأحداث الأندلس.

لم يذكر ابن الأثير المصادر الأندلسية الأخرى التي اعتمدها ولكنه كان ينوه إليها بين الحين والآخر دون التصريح باسمها ، فمثلاً عندما تكلم عن فتح الأندلس نقل

---

١) ينظر أحداث سنة ٤٠٧هـ(ذكر تفرق ممالك الأندلس).

٢) الصلة، ص٦٣.

٣) ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢١٧/١، ١٠/٢ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٤٥/٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩/١، ١٢٨/٢، ١٢٩ ؛ المقري، ١٠/٢، ١٨٢.

٤) قام الدكتور عبد الواحد ذنون طه بتحقيقها ونشرها مع دراسة مستفيضة عن ابن أبي الفياض، ينظر: دراسات في التاريخ الأندلسي، ص١٢٥- ١٥٤.

٥) طه، دراسات في التاريخ الأندلس، ص١٣٢- ١٣٤؛ نشأة التدوين التاريخي في الأندلس، ص٤٨- ٤٩.

أولاً عن تاريخ الطبري إلا أنه اسْتَقَلّ معلوماته إذ قال: (هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الأندلس ، وبمثل ذلك الإقليم العظيم والفتح المبين لا يُقتصر فيه على هذا القدر ، وأنا أذكر فتحها على وجه أتم من هذا إنْ شاء الله تعالى ، من تصانيف أهلها ، إذ هم أعلم ببلادهم)[1] ،وعندما أورد خبر فتح طليطلة سنة٩٣هـ عن الطبري قال: (قلت: لم يزد على هذا ، وقد ذكرت في سنة اثنتين وتسعين من فتح الأندلس ودخول موسى بن نصير إلى طارق ما فيه كفاية فلا حاجة إلى إعادته ؛ إلا أن أبا جعفر قد ذكر أن موسى هو الذي سيّر طارقاً وهو بالأندلس ففتح مدينة طليطلة ، والذي ذكره أهل الأندلس في تواريخهم ما تقدم ذكره)[2] ، وذكر في خبر وفاة الخليفة الناصر لدين الله سنة ٣٥٠هـ قائلاً: (ويقول أهل الأندلس أنه أول خليفة ولي بعد جده...)[3] ، كما أشار إلى اعتماده على مصادر أخرى غير كتاب ابن أبي الفياض بقوله: (هذا قول ابن أبي الفياض في المؤيد ، وقال غيره أن المؤيد لم يظهر خبره...)[4].

ومن خلال مراجعة النصوص الأندلسية عند ابن الأثير ومقارنتها مع ما ورد في المصادر الأندلسية التي سبقته يمكن القول: إن من بين مصادره كتاب المقتبس في أخبار أهل الأندلس لابن حيان(ت ٤٦٧هـ) ، فمثلاً عن أخبار أسبانيا قبل الإسلام وعدد ملوكهم وأسمائهم تكاد تتطابق مادته مع ما ذكره ابن حيان ، فقد نقل المقري قول ابن حيان عن ذلك بقوله: (قال ابن حيّان في المقتبس: ذكر رواة العجم أن الخضر عليه السلام وقف بإشبان المذكور وهو يحرث الأرض بفدن له أيام حراثته ، فقال له: ياإشبان ، إنّك لذو شان ، وسوف يحظيك زمانٌ ، ويعليك سلطانٌ ، فإذا أنت غلبت على إيليا فارفق بذرية الأنبياء...)[5] ، أما ابن الأثير فقال: (وكان هذا إشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الأرض فقال له: يا إشبان سوف تحظى وتملك وتعلو ،

---

١) ينظر أحداث سنة ٩٢هـ والتعليق عليها.

٢) المصدر نفسه.

٣) المصدر نفسه، ٣٥٠هـ.

٤) المصدر نفسه، ٤٠٧هـ (ذكر تفرق ممالك الأندلس).

٥) نفح الطيب، ١/١٣٧- ١٣٨.

فإذا ملكت إيلياء فارفق بذرية الأنبياء...)[١] ، كما تتطابق روايته عن ثورة العرب في إشبيلية سنة١٥٦هـ على عبد الرحمن الداخل ومَيل الأخير بعدها إلى استخدام العبيد ، مع رواية ابن حيان التي نقلها المقري عنه[٢] ، وعن أحداث ماردة والثورة التي قامت فيها للمدة من سنة٢١٣ هـ إلى سنة٢٢٥هـ ذكر ابن الأثير تفاصيل مهمة عن تلك الثورة لم نجدها إلا عند ابن حيان في المقتبس[٣]مما يُرجح نقلها عنه ، وفي أحداث سنة٢٣٥هـ أورد خبرين لم نعثر عليهما إلا عند ابن حيان في المقتبس وهما: موت ردمير بن أذفونس والشاعر أبو السول[٤] ، وفي سنة ٢٦٦هـ ذكر بناء الأمير محمد بن عبد الرحمن اسطولاً لغزو جليقية من البحر إلا أن السفن غرق معظمها ، وقد جاءت الرواية عند كل من ابن حيان وابن الأثير متشابهتين مما يرجح نقل الأخير عنه[٥] ، كما ذكر ابن الأثير تفاصيل مهمة عن مقتل الخليفة الأموي سليمان المستعين على يد علي بن حمود وقد ذكر الرواية نفسها ابن بسام نقلاً عن ابن حيان ، وعلى الرغم من اختصار ابن بسام الرواية ، إلا أنه من الراجح أن يكون ابن الأثير قد أخذها مباشرة عن ابن حيان[٦].

ويبدو أن ابن الأثير قد اطلع أيضاً على كتاب أخبار مجموعة لمؤلف مجهول (ت القرن الرابع الهجري) ، ففي سنة ٢٠٠هـ ذكر خبر خروج البربر في مدينة مورور[٧] ولم نجد هذا الخبر عند ابن حيان فضلاً عن المصادر الأندلسية الأخرى التي بين أيدينا ، وجاءت روايته مشابهة لرواية صاحب كتاب أخبار مجموعة ، وهو ما يرجح احتمال أخذها عنه.

---

١) ينظر أحداث سنة٩٢هـ والتعليق عليها.

٢) ينظر: ابن الأثير، أحداث سنة١٥٦هـ؛ المقري، نفح الطيب، ٣/٣١٣.

٣) ينظر أحداث تلك السنوات والتعليق عليها.

٤) ينظر: ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٦، ٨٥.

٥) ينظر أحداث سنة ٢٦٦هـ والتعليق عليها.

٦) م.ن، ٤٠٧هـ والتعليق عليها.

٧) م.ن، ٣٠٠هـ والتعليق عليها.

ومن المصادر الأندلسية الأخرى التي يمكننا أن نُرجح أن ابن الأثير أخذ عنها لتشابه الروايات بينهما ، كتاب جذوة المقتبس للحميدي(ت٤٨٨هـ) ، ويمكننا أن ندلل على ذلك بأكثر من موضع ، ففي ترجمته لمحمد بن أبي عامر تكاد تتطابق روايته مع ما ذكره الحميدي في الجذوة[1] ، كذلك ما ذكر عن أسر محمد بن أبي عامر غرسيه ملك البشكنس وموافقة ذلك قصيدة امتدح فيها الشاعر صاعد بن الحسن الربعي للمنصور ، فقد جاءت هذه القصة عند كل من الحميدي والضبي وذكرها ابن الأثير بنفس التفاصيل تحت عنوان(ذكر حادثة غريبة بالأندلس)[2] ، وكذلك عن وفاة ابن أبي عامر فذهبت بعض المصادر الأندلسية إلى أنه توفي سنة٣٩٢هـ فيما ذهبت أخرى إلى أنه توفي سنة٣٩٣هـ ، فطابقت روايته هنا رواية الحميدي[3] ، فلعله كان قد اطلع عليها.

ولعل من المصادر التي اطلع عليها كتاب أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق(ت: القرن السادس الهجري) ، فقد تطابقت اثنتين من روايات ابن الأثير بشأن الدولة الموحدية مع ما ذكره البيذق ولم نجدها في غيره من المصادر المتوفرة لدينا ، أولها أن ابن الأثير أشار إلى الحرب بين المرابطين والموحدين وقال: (وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر ، وهو جبل عال مشرف ، وتاشفين في الوطأة ، وكان يخرج من الطائفتين قوم يترامون ويتطاردون ، ولم يكن بينهما لقاء ، ويسمى عام النواظر) وقد ذكر ذلك البيذق إلا أنه جعلها في سنة

---

١) ينظر أحداث سنة ٣٦٦هـ والتعليق عليها حيث أجمل ابن الأثير الكلام عن الدولة العامرية.

٢) ينظر أحداث سنة ٣٨٥هـ والتعليق عليها ؛ وينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢١١-٢١٤؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٩٥- ٢٩٩.

٣) ينظر أحداث سنة ٣٩٣هـ؛ ذكرت معظم المصادر الأندلسية إلى أن وفاة المنصور كانت سنة ٣٩٢هـ، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٧٣/١؛ ابن سعيد المغرب، ٢٠١/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ٩٣/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٣٥ ؛ فيما ذكرت مصادر أخرى إلى أن وفاته كانت سنة ٣٩٣هـ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٧٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١١٠ ؛ المراكشي، المعجب، ص٣٧؛ النويري، نهاية الإرب، ٤٠٥/٢٣؛ المقري، نفح الطيب، ٤٠٢/١ ؛ فضلاً عن ابن الأثير.

٥٣٦هـ[١] ، كما تطابقت روايتيهما بشأن فتح الموحدين لمدينة فاس[٢].

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه لا يمكن البت في مسألة اعتماد ابن الأثير على المصادر أعلاه لأنه لم يشر إليها صراحة ، فضلاً عن أن العديد الكتب عن التاريخ الأندلسي قد ضاعت أو ضاع معظمها مثل كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب السلمي(ت ٢٣٨هـ)وكتاب أخبار ملوك الأندلس لأحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت٣٤٤هـ)وكتاب تاريخ إفريقية والأندلس لعريب بن سعد القرطبي(ت ٣٧٠هـ)وكتاب العبر لابن أبي فياض(ت ٤٥٩هـ)الآنف الذكر ومؤلفات حيان بن خلف بن حسين بن حيان(ت٤٦٩هـ) ، وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا أن معظم الروايات في المصادر أعلاه تتشابه لاعتماد المتأخرين منهم على السابقين لهم ، ما يجعل اعتماد أسلوب مقارنة الروايات المتشابهة غير دقيق مع ضياع العديد منها ، وهو ما دفعنا إلى الترجيح فقط ، وهذا الأمر أيضاً جعلنا نرجح أن ابن الأثير أخذ رواية أندلسية من مصدر مشرقي ، وهي عن دور أمية بن إسحاق المرواني في معركة الخندق سنة٣٢٧هـ إذ لم يشر إلى ذلك ابن حيان والمصادر الأندلسية الأخرى التي بين أيدينا قبل ابن الأثير ، والراجح أن مصدرها هو المسعودي الذي أشار إلى دور أمية بن إسحاق وتحالفه مع ملك الجلالقة[٣].

أهمية معلومات ابن الأثير الأندلسية

على الرغم من غلبة الطابع المشرقي على روايات وأخبار كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ، إلا أنه غطى حقبة زمنية مهمة من التاريخ الأندلسي امتدت من البواكير الأولى للفتح والتي أرجع بداياتها(حسب كلامه)إلى سنة٢٧هـ[٤] حتى سنة ٥٩٥هـ التي ذكر فيها وفاة يعقوب المنصور الموحدي وولاية ابنه محمد الناصر الذي

---

١) ينظر أحداث سنة ٥١٤هـ والتعليق عليها حيث ذكر ابن الأثير روايات ابتداء الدولة الموحدية.

٢) المصدر نفسه، ٥١٤هـ والتعليق عليها.

٣) المصدر نفسه، ٣٢٧هـ والتعليق عليها.

٤) المصدر نفسه، ٢٧هـ والتعليق عليها.

أرسل جيشاً من العرب وسيّره إلى الأندلس احتياطاً من الفرنج[1] ، وهو آخر خبر ذكره عن الأندلس.

وتأتي أهمية معلوماته بالدرجة الأولى من طول المدة التي غطتها وضياع كتابات العديد من المؤلفات التي تسنا لابن الأثير النقل عنها ، مما يجعله المصدر الوحيد تقريباً التي وصلت إلينا عن طريقه ، وخلال جردنا لتلك الروايات التي يكاد ابن الأثير ينفرد بها عن سابقيه من المصادر سواءً الأندلسية منها أم غيرها ، وأحياناً بالتفاصيل ، وأخرى بشكل كامل ، نذكر منها على سبيل التدليل:

١- إنه حفظ لنا قائمة طويلة من أسماء ملوك الأندلس القديم ابتداءً من الأفارقة ثم الرومان ثم القوط وحتى الفتح الإسلامي[2] لم نجدها عند غيره من المصادر قبله ، ولعله استقاها من المصادر الأندلسية التي ضاع أغلب معلوماتها عن تلك الحقبة مثل الرازي وابن أبي الفياض وابن حيان والتي نرى صداها في المصادر المتأخرة مثل ابن عذاري والمقري.

٢- تميز ابن الأثير بالإشارة إلى ثورة رزق بن النعمان الغساني على عبد الرحمن الدخل سنة١٤٣هـ ، ولم نجد ذكر لهذه الثورة في المصادر التي بين أيدينا إلا إشارة مقتضبة في كتاب أخبار مجموعة[3].

٣-لم ترد عند ابن القوطية ومؤلف مجهول وابن عذاري أن العلاء بن مغيث قدم من إفريقية إلى الأندلس وقام بالثورة على عبد الرحمن وهو ما ذهب إليه ابن الأثير ، وإنما أشاروا إلى أن العلاء كان من سكان باجة في غرب الأندلس وكانت له رياسة هناك[4] ، وقد تابع ابن خلدون ابن الأثير في هذه الرواية[5].

٤- عن ثورة سعيد اليحصبي على الأمير عبد الرحمن الداخل سنة١٤٨هـ ، أورد

---

١) ينظر أحداث سنة ٥٩٥هـ.

٢) المصدر نفسه، ٩٢هـ.

٣) المصدر نفسه، ١٤٣هـ والتعليق عليها.

٤) تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٤ ؛ أخبار مجموعة، ص٩٣ ؛ البيان المغرب، ٥١/٢

٥) ينظر أحداث سنة ١٤٦هـ والتعليق عليها.

ابن الأثير تفاصيل مهمة لم نجدها في كتاب أخبار مجموعة لمؤلف مجهول والبيان المغرب لابن عذاري اللذان ذكرا الرواية أيضاً[1].

٥- تميز ابن الأثير بالإشارة إلى ثورة عبد الله بن خراشة الأسدي على الأمير عبد الرحمن الداخل بكورة جيّان سنة ١٤٨هـ[2].

٦- تميز ابن الأثير بالإشارة إلى ثورة غياث بن المسير الأسدي على الأمير عبد الرحمن الداخل سنة١٥٠ هـ ، ولم تشر إلى ذلك المصادر الأندلسية التي بين أيدينا[3].

٧- عن عصيان أهل إشبيلية على الأمير عبد الرحمن الداخل سنة١٥٦هـ ، أورد ابن الأثير تفاصيل أكثر مما جاء في المصادر الأندلسية الأخرى التي أشارت إليها[4].

٨- أورد خبر سخط عبد الرحمن الداخل على مولاه بدر سنة ١٥٦هـ ، وقد ذكر تفاصيل ذلك الخبر المقري نقلاً عن صاحب كتاب المسهب عبد الله بن إبراهيم الحجاري الذي ابتدأه من فتح الأندلس حتى أيامه(كان حياً سنة ٥٣٠هـ)[5] ولعل ابن الأثير نقلها عنه.

٩- في سنة ١٥٧هـ بخصوص هجوم شالمان على الأندلس واتصاله بسليمان الأعرابي والحسين الأنصاري ، انفرد ابن الأثير من بين المصادر الأخرى بالقول إلى أن ابنا سليمان الأعرابي مطروح وعيشون هما اللذان استنقذا أباهما من أيدي شارلمان[6].

شارلمان[6].

١٠- أورد تفاصيل عن ثورة عبد الرحمن الصقلبي سنة١٦١هـ ، لم نجدها في

---

١) ينظر أحداث سنة ١٤٨ هـ والتعليق عليها.

٢) م.ن، ١٤٨هـ والتعليق عليها.

٣) م.ن، ١٥٠هـ والعليق عليها.

٤) م.ن، ١٥٦هـ والتعليق عليها.

٥) ابن سعيد ،المغرب، ٣٥/٢- ٣٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٢٩/٢ ؛ ينظر أحداث سنة ١٥٦ هـ (ذكر عدة حوادث).

٦) ينظر أحداث سنة ١٥٧هـ والتعليق عليها.

المصادر الأندلسية التي بين أيدينا[1].

١١- أشار إلى ثورة رجل من البربر يدعى عباس البربري على الأمير عبد الرحمن سنة ١٦٢هـ ، لم نجد له ذكر في المصادر التي بين أيدينا قبل ابن الأثير[2].

١٢- أشار في سنة١٦٣هـ إلى عزم الأمير عبد الرحمن غزو العباسيين ثم ترك ذلك بسبب ثورة الأنصاري بسرقسطة[3].

١٣- ذكر حدوث فتنة بين بربر بلنسية وبربر شنت برية وحروب بين الفريقين في سنة ١٦٤هـ ولم نعثر على ذلك في المصادر الأندلسية التي بين أيدينا قبله[4].

١٤- ذكر غزوة لجيش الإمارة إلى ألبة والقلاع سنة ١٧٦هـ وسنة١٧٩هـ ولم نجد ذلك في المصادر الأندلسية التي بين أيدينا[5].

١٥- أشار إلى مخالفة شخص يدعى حزم بن وهب للأمير الحكم في باجة سنة ١٩١هـ ، وقد ذكر ابن حيان ذلك بشكل مختصر ولم يشر إليها ابن عذاري[6].

١٦- أشار خروج رجل يعرف بالولد في باجة سنة ٢٠٣هـ فسيّر إليه الأمير الحكم من قيّده ، وقد ذكر ابن حيان الحادثة بشكل مختلف[7].

١٧-جمع ابن الأثير أحداث ماردة للسنوات من٢١٣هـ-٢٢٥هـ ، فيما ذكر ابن حيان أخبارها بصورة متفرقة ، واختصر ابن القوطية أحداث تلك السنوات بإشارة عابرة إلى ثورة محمود بن عبد الجبار وأخته جميلة ، وكذلك صاحب أخبار مجموعة ، فيما اختصرها أيضاً ابن عذاري[8].

---

١) ينظر أحداث سنة ١٦١هـ والتعليق عليها.

٢) م.ن، ١٦٢هـ والتعليق عليها.

٣) م.ن، ١٦٣هـ والتعليق عليها.

٤) م.ن، ١٦٤هـ والتعليق عليها.

٥) م.ن، ١٧٦هـ وسنة ١٧٩هـ والتعليق عليها.

٦) م.ن، ١٩١هـ والتعليق عليها.

٧) م.ن، ٢٠٣هـ والتعليق عليها.

٨) م.ن، ٢١٣هـ والتعليق عليها.

١٨- لم تذكر المصادر التي بين أيدينا أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم غزا باجة سنة ٢١٤هـ ، وهو ما أشار إليه ابن الأثير[١].

١٩- أورد خبر قيام فتنة بطليطلة سنة ٢١٩هـ وأسماها بملحمة العراس ، ولم نجد ذلك في المصادر التي بين أيدينا[٢].

٢٠- ذكر في حوادث سنة٢٣٥هـ خبرين أحدهما قيام ثورة بتاكرنا ، والآخر إرسال الأمير عبد الرحمن بن الحكم ابنه المنذر على رأس جيش إلى ألبة ، ولم نجد ذلك في المصادر التي بين أيدينا[٣].

٢١- في سنة ٢٣٦هـ ذكر خبر غزوة قام بها المسلمون إلى برشلونة ، ولم نجد ذلك عند ابن حيان وابن عذاري[٤].

٢٢- أشار إلى أن عامل طرسونة غزا بنبلونة سنة ٢٤٥هـ ، ولم يشر إلى ذلك ابن حيان وابن عذاري[٥].

٢٣- ذكر غزوة للمسلمين إلى برشلونة سنة ٢٤٧هـ ، ولم نجد ذلك عند ابن حيان وابن عذاري وذكرها المقري بشكل مختصر[٦].

٢٤- رواية ابن الأثير عن ثورة أهل طليطلة سنة ٢٥٩هـ و ٢٦٠هـ فيها تفاصيل مهمة وأكملت رواية ابن حيان التي فيها اضطراب بسبب ما أصاب النسخة من خرم ، أما ابن عذاري فقد اختصر الروايتين[٧].

٢٥- لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى عصيان أهل تاكرنا على الأمير محمد ابن عبد الرحمن سنة ٢٦١هـ وانفرد بها ابن الأثير[٨].

---

١) ينظر أحداث سنة ٢١٤هـ.

٢) م.ن، ٢١٩هـ.

٣) م.ن، ٢٣٥هـ.

٤) م.ن، ٢٣٦هـ.

٥) م.ن، ٢٤٥هـ.

٦) م.ن، ٢٤٧هـ والتعليق عليها.

٧) م.ن، ٢٥٩هـ و٢٦٠هـ.

٨) م.ن، ٢٦١هـ والتعليق عليها.

٢٦- أشار إلى حرب وقعت بين إسماعيل بن موسى صاحب لاردة وملك برشلونة سنة ٢٧٠هـ وهزيمة الأخير ، ولم يذكر ابن عذاري هذا الخبر ، كما أن العذري الذي تحدث عن إسماعيل بن موسى وحروبه وصراعه مع المخالفين له ومع حكومة قرطبة لم يشر إلى ذلك[١].

٢٧- أشار ابن الأثير في أحداث سنة ٢٧٢هـ إلى إرسال الأمير محمد بن عبد الرحمن جيشاً لمحاربة ابن حفصون ، ولم تشر المصادر التي بين أيدينا قبل الأثير إلى ذلك[٢].

٢٨- مما يلاحظ على ابن الأثير أن أخباره عن الخليفة الناصر لدين الله(٣٠٠-٣٥٠هـ)قليلة إذا ما قورنت بسابقتها وطول المدة التي قضاها الناصر في الحكم ، ويبدو من بعض كلامه عنه أن فيه غمز له ، فهو عندما تحدث عن ثورة أهل طليطلة سنة ٣١٥هـ قال: (وفيها ظفر عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله الناصر لدين الله الأمويُّ ، صاحب الأندلس ، بأهل طُليطُلة وكان قد حصرها مدّة لخلاف كان عليه فيها ، فلّما ظفر بهم أخرب كثيراً من عماراتها وشعّثها ، وكانت حينئذ دار إسلام)[٣] ، فضلاً عن أن أخباره عن الناصر غير دقيقة ، فثورة أهل طليطلة هذه التي غمز فيها الناصر كانت سنة ٣١٨هـ[٤] ، كما جعل مقتل القاضي ابن الجحاف سنة ٣٢٥هـ ، فيما اتفقت معظم المصادر الأندلسية على أنه قتل في معركة الخندق سنة ٣٢٧هـ[٥] ،وربما تأثر ابن الأثير في موقفه هذا بموقف ابن حزم الأندلسي السلبي من الناصر الذي وصفه

---

١) ينظر أحداث سنة ٢٧٠هـ والتعليق عليها.

٢) م.ن، ٢٧٢هـ.

٣) م.ن، ٣١٥هـ.

٤) ينظر: ابن حيان(الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)ص٢٨٠- ٢٨٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٠٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ١٨١.

٥) ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٩٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦٧؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ١٧٨/٦ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٤٠ ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

بأنه كان مجاهراً للمعاصي متهاوناً بالدماء[١].

٢٩- ومن الغريب أن ابن الأثير لم يتحدث عن غزوات محمد بن أبي عامر العديدة ، وقد أشار هو إلى أن ابن أبي عامر كانت له اثنتين وخمسين ما بين صائفة وشاتية ، في الوقت الذي أشار إلى أحداث أقل شأناً منها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، ولعله لم يحصل على معلومات وافية عنها.

٣٠- ذكر في أحداث سنة ٣٧٣هـ غزوة أولاد زيري بن مناد الصنهاجي إلى جليقية لمفردهم وهزيمتهم النصارى هناك ، فعظمت مكانتهم عند ابن أبي عامر وقرّبهم ، ولم نجد ذلك في المصادر التي بين أيدينا قبل ابن الأثير[٢].

٣١- في أحداث الفتنة التي وقعت بالأندلس من سنة ٣٩٩ه حتى سنة ٤٢٢هـ ، أورد ابن الأثير تفاصيل مهمة لم نجدها أحياناً في المصادر التي سبقته ، ولا غنى للباحث في التاريخ الأندلسي عنها ، وقد انفرد في بعضها ، منها مثلاً عند حديثه عن ولاية القاسم بن حمود ذكر تقربه إلى العامريين وأعطاهم الولايات ، وهو ما لم تشر إليه المصادر الأندلسية التي بين أيدينا[٣].

٣٢- رواية ابن الأثير عن ابتداء أمر المرابطين اختلفت عن بقية الروايات التي بين أيدينا ، إذ قال: إن الزعيم الجدالي الذي ذهب إلى الحج وطلب عند عودته من الفقيه أبي عمران الفاسي أن يرسل معه مًن يعلم قومه الإسلام اسمه جوهر ، وهو عند المصادر الأخرى يحيى بن إبراهيم الجدالي ، وورد اسم جوهر في المصادر الأخرى أنه فقيه جدالي أنكر على عبد الله بن ياسين أمور فثار ضده...[٤].

٣٣- خبر ابن الأثير عن قتل المعتمد بن عباد للوفد الذي أرسله الفونسو السادس سنة٤٧٨ه فيه تفاصيل لم نجدها عند غيره من المصادر الأخرى قبله[٥].

---

١) رسائل ابن حزم، ٧٦/٢.

٢) ينظر أحداث سنة ٣٧٣هـ.

٣) جمع ابن الأثير تلك الأحداث في سنة ٤٠٧هـ.

٤) ينظر أحداث سنة ٤٤٨هـ والتعليق عليها.

٥) م.ن، ٢٧٨هـ والتعليق عليها.

٣٤- جعل ابن الأثير استيلاء يوسف بن تاشفين على غرناطة في جوازه الثاني بعد رجوعه من حصن لييط ، فيما ذهبت المصادر الأندلسية الأخرى إلى أن ابن تاشفين استولى على غرناطة عند جوازه الثالث سنة ٤٨٣هـ[١].

٣٥- أشار إلى أنه في سنة ٤٨٥هـ هاجم اذفونش(الفونسو السادس)جيّان فهزمه المرابطون ولم ينج إلا أذفونش في نفر يسير ، ولم نجد ذلك في المصادر التي بين أيدينا[٢].

٣٦- ذكر قصة طريفة حدثت لزينب النفزاوية زوجة يوسف بن تاشفين ، لم نعثر عليها في المصادر التي بين أيدينا[٣].

٣٧- كان ابن الأثير متحاملاً على يوسف بن تاشفين بسبب ما فعله بالمعتمد بن عباد إذ قال: (ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد ، وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب ، فلا جرم سلط الله عليه في عقابه من أربى في الأخذ عليه وزاد)[٤].

٣٨- عن ثورة أهل قرطبة على المرابطين سنة ٥١٣هـ ذكر ابن الأثير تفاصيل مهمة لم ترد في المصادر الأخرى التي بين أيدينا[٥].

٣٩- أشار ابن الأثير إلى توبيخ المهدي بن تومرت لأخت أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في مراكش لأنها كانت تُسّفِر عن وجهها ، ولم نجد ذلك في المصادر التي بين أيدينا قبله[٦].

٤٠- ذكر ابن الأثير تفاصيل مهمة عن قتل المهدي بن تومرت لأهل تينملل لم

---

١) ينظر أحداث سنة ٤٧٩هـ والتعليق عليها.

٢) م.ن، ٤٨٥هـ.

٣) ذكر ذلك في ترجمته ليوسف بن تاشفين عند وفاته سنة ٥٠٠هـ.

٤) ينظر أحداث سنة ٥١٤هـ (ملك عبد المؤمن مدينة مراكش).

٥) م.ن، ٥١٣هـ والتعليق عليها.

٦) ذكر ذلك أثناء استعراضه حال محمد بن تومرت عند دخوله مراكش، ينظر أحداث سنة ٥١٤هـ.

نجدها في المصادر التي بين أيدينا قبله[١].

٤١- ذكر ابن الأثير تفاصيل عن حركة التمييز التي قام بها ابن تومرت وأسبابها بشكل أكثر صراحة وتحرراً من المصادر المغربية[٢].

٤٢- أشار إلى وقعة حدثت بين المرابطين وابن تومرت بعد قيامه بالتمييز ، ولم نجد لها ذكر في المصادر الأخرى التي بين أيدينا قبله[٣].

٤٣- رواية ابن الأثير عن فتح الموحدين لمدينة تلمسان سنة ٥٣٨هـ فيها تفاصيل مهمة لم نجدها عند البيذق وابن عذاري وابن أبي زرع[٤].

٤٤- ذكر تفاصيل مهمة عن حركة قبائل دكالة على الموحدين سنتي ٥٤٣هـ و٥٤٤هـ ، وقد أشار إليها البيذق بشكل مختصر[٥].

٤٥- ذكر ابن الأثير تفاصيل مهمة عن وقعة أفراغة سنة ٥٢٩هـ لم نجدها في المصادر التي بين أيدينا قبله[٦].

٤٦- أشار إلى سقوط عدد من الحواضر غرب الأندلس سنة ٥٤٠هـ ، ولم نجد ذلك في المصادر الأخرى التي بين أيدينا قبله[٧].

٤٧- أشار إلى سقوط طرطوشة ولاردة وأفراغة سنة ٥٤٣هـ ، ولم نجد ذلك في المصادر الأخرى التي بين أيدينا قبله[٨].

٤٨- أشار ابن الأثير إلى مهاجمة الفونسو السابع(السليطين)قرطبة وارتداده عنها سنة ٥٤٥هـ ، ولم تشر إليها المصادر التي بين أيدينا ، وذكر ذلك ابن خلدون بشكل

---

١) ينظر أحداث سنة ٥١٤هـ.

٢) م.ن، ٥١٤هـ والتعليق على ذلك.

٣) م.ن.

٤) م.ن.

٥) م.ن، ٥١٤هـ(ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة).

٦) م.ن، ٥٢٩هـ والتعليق عليها.

٧) م.ن، ٥٤٠هـ.

٨) م.ن، ٥٤٣هـ.

مقتضب ، والغريب أن عنان صاحب الكتاب الأوسع عن الأندلس لم يشر إليها[1].

٤٩- يكاد ابن الأثير ينفرد في ذكر ما جرى بين الموحدين وابن مردنيش في غرناطة والمرية سنة٥٤٦هـ ، إذ لم نجد ذلك في المصادر التي بين أيدينا[2].

٥٠- رواية ابن الأثير عن نقل عبد المؤمن السلطة في الدولة الموحدية إلى أولاده كانت بصيغة اتهامه إياه بأنها مؤامرة وتدبير منه ، فيما تَعّرض المصادر المغربية ذلك أن أشياخ الموحدين هم من فرضوا عليه ، ورواية ابن الأثير هنا مهمة بشأن نظام الحكم في الدولة الموحدية[3].

٥١- في أحداث سنة٥٨٠هـ أشار إلى أن يوسف بن عبد المؤمن توفي دون عهد لأحد من أولاده فيما أشارت المصادر الأخرى إلى أنه كان قد عهد إلى ابنه يعقوب المنصور[4].

٥٢- ذكر تفاصيل رسالة ملك قشتالة الفونسو الثامن إلى المنصور الموحدي سنة٥٩١هـ ولم نجدها في المصادر الأخرى قبله[5].

٥٣- ذكر تفاصيل عن حالة الأسى والجزع والحزن التي أصابت الفونسو الثامن بسبب هزيمته في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ ، ولم نجد ذلك في المصادر الأخرى التي بين أيدينا[6].

منهج الدراسة

بعد الاعتماد على الله كان اعتمادنا على ثلاث نسخ في مراجعة النصوص وهي:

١- الطبعة الثانية الصادرة عن دار الكتاب العربي ، مراجعة نخبة من العلماء ، بيروت ، ١٩٦٧م ، (٩)أجزاء.

---

١) ينظر أحداث سنة٥٤٥هـ والتعليق عليها.

٢) م.ن، ٥٤٦هـ.

٣) م.ن، ٥٥١هـ والتعليق عليها.

٤) م.ن، ٥٨٠هـ والتعليق عليها.

٥) م.ن، ٥٩١هـ.

٦) م.ن، ٥٩١هـ.

٢- الطبعة الأولى الصادرة عن دار الكتب العلمية ، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي ، بيروت ، ١٩٨٧م ، (١١)جزءاً.

٢- الطبعة الأولى الصادرة عن دار الكتاب العربي ، تحقيق عمر عبد السلام تدميري ، بيروت ، ١٩٩٧م ، (١٠)أجزاء.

والأمانة العلمية حتمت علينا الاحتفاظ بالنص الأصلي في المتن كما أورده المؤلف ، حيث تتبعنا كل ما له علاقة بالتاريخ الأندلسي وأثبتناه في المتن مع ذكر السنوات والعناوين الرئيسة الواردة في الكتاب كما هيَ ، واقتصر عملنا في الهامش ، إذ قمنا بمقارنة الروايات والأخبار بما جاء عند الأندلسيين والمغاربة وما فيها من زيادة أثبتناه وما فيها من نقصان أشرنا إليه وما انفرد به ابن الأثير نبهنا إليه ، واجتهدنا جهد المُقل في تتبعها ، وتحقيق الإعلام والأماكن وشرحها وتصحيح المُصحف منها بالاستعانة بالمصادر الأخرى ، ونحن لا ندعي الكمال في ذلك ، فما كان من تقصير فهو منا ، وما كان من صواب فمن الله تعالى وتوفيقه ، وحسبنا دعاء المستفيدين ، أن نُحشر في زمرة الصالحين.

حوادث السنوات من

(٢٧ – ٥٩٥هـ/ ٦٤٧- ١١٩٨م)

ثم دخلت سنة سبع وعشرون

...كان عبد الله[1] من جند مصر ، وكان قد أمره عثمان[2] بغزو إفريقية سنة خمس وعشرين ،... وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحرث[3] على جند وسرحهما إلى الأندلس ، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية ، ثم يقيم عبد الله في عمله ويسيران إلى عملهما. فخرجوا

---

١) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي، أسلم قبل الفتح وهاجر إلى الرسول(ﷺ) وكان يكتب الوحي للرسول (ﷺ) ، ثم ارتد وانصرف إلى قريش مشركاً فأهدر النبي(ﷺ) دمه، وعند فتح مكة استأمن له عند النبي (ﷺ)عثمان بن عفان (t) فأمنه، وولاه الخليفة عثمان مصر سنة خمس وعشرون ففتحت على يديه إفريقية وتوفي سنة ٣٦هـ. الكندي، ولاة مصر، ص٣٤- ٣٧ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٦٠/٣.

٢) تولى عثمان(t)الخلافة سنة ٢٣هـ وقتل سنة ٣٥هـ. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٧٨- ١٩٧.

٣) أسماهما الطبري العبدين، وقال هما عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين، تاريخ الرسل والملوك، ٥٩٧/٢ ؛ ولم نجد لهما ذكر في المصادر الأخرى التي بين أيدينا ، وعند ابن عبد الحكم، أن الخليفة عثمان أرسل إلى مصر الزبير بن العوام ومعه عدداً من الصحابة منهم نافع بن عبد القيس الفهري وابنه عقبة بن نافع مدداً لعمرو بن العاص، كما ذكر أيضاً أنه أرسل فيما بعد مدداً إلى سعد بن أبي سرح عليهم الحارث بن الحكم، وأن من بين جنده عقبة بن نافع الفهري، فتوح مصر والمغرب، ص ١١٧، ٢١٠، ٢١٣ ؛ ويبدو أن هناك تصحيف في الاسم لأن أغلب المصادر أشارت إلى أن عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري هو الذي كان مع عمرو بن العاص ثم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بعده... ينظر: ابن سعد ، الطبقات، ٥٤٢/٨- ٥٤٣ ؛ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص، ١١٧، ٢١٣ ؛ الكندي، ولاة مصر، ص٥٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/١.

حتى قطعوا أرض مصر ووطئوا أرض إفريقية ، وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين ، فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول إفريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها.

ذكر غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس أن يسيرا إلى الأندلس ، فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى من انتدب معهما: أما بعد فإن القسطنطينية[1] إنما تفتح من قبل الأندلس.

فخرجوا ومعهم البربر ، ففتح الله على المسلمين وزاد في سلطان المسلمين مثل إفريقية ، ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد[2] عن إفريقية ترك في عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس فكان عليها ، ورجع عبد الله إلى مصر[3].

---

١) القسطنطينية ، قال ياقوت: هي دار ملك الروم عمّرها ملك من ملوكهم يدعى قسطنطين فسميت باسمه بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، وهي على خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال، معجم البلدان، ٣٤٧/٤.

٢) قال خليفة بن خياط: إن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لم يزل على مصر حتى قتل الخليفة عثمان (t) ، تاريخ خليفة، ١٠٦ ؛ وذكر ابن عذاري أن علي بن أبي طالب (u)لما ولي الخلافة عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح وولى قيس بن سعد بن عبادة. البيان المغرب، ١/ ١٥.

٣) اختصر ابن الأثير هنا رواية الطبري عن سيف، وهي أن الخليفة عثمان(t) أرسل (عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك من إفريقية إلى الأندلس، فأتياهما من قبل البحر. وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس: أما بعد، فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام. وقال كعب الأحبار: يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتتحونها يعرفون بنورهم يوم القيامة... فخرجوا ومعهم البربر فأتوها من برها، ففتحها الله على المسلمين وإفرنجة، وازدادوا في سلطان المسلمين مثل إفريقية، فلما عزل عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح صرف إلى عمله عبد الله بن نافع بن عبدالقيس، وكان عليها، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر) تاريخ الرسل والملوك، ٥٩٨/٢ ؛ إن رواية الطبري هذه والتي تابعه فيها ابن الأثير جعلت وصول العرب المسلمين إلى الأندلس ودخولهم إياها في خلافة عثمان بن عفان (t)(٢٣- ٣٥هـ) وهو أمر فيه نظر، إذ أن معظم الروايات تتفق على أن فتح الأندلس إنما تم في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) وفي ولاية موسى بن نصير لإفريقية. ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص١٩٣؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٩ ؛=

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

ذكر ولاية عقبة بن نافع إفريقية ثانيةً

وما افتتحه فيها وقتله

... ثم سار حتى نزل على طنجة[1] فلقيه بطريق من الروم اسمه يليان[2] فأهدى له

=مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥ ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٤١-٤٥؛ وقد علق ابن أبي دينار على رواية الطبري وابن الأثير قائلاً: (... هذا قول من قال أن الأندلس كان فتحها زمن عثمان، وأكثر الناس من المؤرخين يقولون في زمن الوليد بن عبد الملك وهو الصحيح...)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٢٤. وقد حاول ابن عذاري التوفيق بين روايات فتح الأندلس وهل بدأت في عهد الخليفة عثمان أم في خلافة الوليد بن عبد الملك قائلاً: (أما دخول المسلمين لها، فذكر فيه أربعة أقوال: أحدها أنَّ الأندلس، أول من دخلها عبد الله بن نافع بن عبد القيس، وعبد الله بن الحصين الفهريان. من جهة البحر، في زمن عثمان - رضي الله عنه ـ قال الطبري: أتوها من برها وبحرها؛ ففتحها الله تعالى على المسلين هي وإفرنجة، وازداد في سلطان المسلمين مثل إفريقية؛ ولم يزل أمر الأندلس لإفريقية، حتى كان زمن هشام بن عبد الملك؛ فمنع البربر أرضهم، وبقى من في الأندلس على حالهم. هذا نصه. وإنَّ ذلك كان سنة ٢٧ من الهجرة الكريمة. وثانيها أنَّ موسى بن نصير افتتحها عام ٩١. وهو قول الطَّبري أيضاً. فيظهر منه أنه جاز بنفسه، وتولى هذه الغزوة والفتح. وثالثها أنَّ طريفاً دخلها وفتحها في عام ٩١. ورابعها أن طارقا أوَّل من دخلها، سنة ٩١، ودخل موسى بعده سنة ٩٢. فهذا الخلاف واضح في هؤلاء الأربعة مواضع ، قيل : إن أول من دخلها الفهريان؛ ثمّ ابن نصير؛ ثم طريف؛ ثم طرايق؛ فظهر من هذا إن الفهريين أثرا فيها في زمن عثمان - رضي الله عنه - وغنما من جهة البحر، وطريفاً دخلها سنة ٩١ مغيراً ومخرباً، ونسب فعله إلى موسى بن نصير، نسبة فعل المأمور إلى الآمر؛ فصدق عليه إضافته لموسى، فيكون قول الطبري صادقاً؛ وصدَّق عليه أيضاً قول الرازي بأحرى وأولى، وطارق دخلها دخول المستفتح لها، المكافح، سنة ٩٢، وموسى دخلها بعد ذلك متمما للفتح.) البيان المغرب، ٢/٤.

١) طنجة: هي كورة على ساحل البحر فيها مساكن صنهاجة ويقابلها من جهة الأندلس مرسى جزيرة طريف وهو المجاز وطوله ١٢ميلا وسعة المجاز٣٠ ميلا، وطنجة آخر حدود إفريقية في المغرب. ينظر:البكري، المسالك والممالك، ٢/٢٨٧- ٢٨٨ ؛ مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١٣٨- ١٣٩.

٢) يشكك حسين مؤنس بهذه الرواية قائلاً: (أما ما يذهب إليه ابن الأثير من أن عقبة لقي يليان سنة ٦٣هـ وأنه نزل على حكم عقبة فأمر مشكوك فيه ولا تؤيده رواية أخرى) فجر الأندلس، ص١١٧؛ فيما ذهب طه إلى القول: (من المحتمل أن الحاكم الذي التقى به عقبة في طنجة قرب المضيق كان بيزنطيا أيضا، ومن الجائز أيضاً أنه كان والد جوليان هذا الذي نراه مسيطراً على سبتة) الفتح والاستقرار، ص١٤٣ ؛ واختلفت الروايات حول يليان فذهب البعض على أنه=

هدية حسنة ونزل على حكمه ، ثم سأله عن الأندلس فعظّم الأمر عليه ، فسأله عن البربر ، فقال: هم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله ، وهم بالسوس الأدنى ، وهم كفار لم يدخلوا في النصرانية ولهم بأس شديد[1]...

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر فتح الأندلس

وفيها غزا طارق بن زياد[2] مولى موسى بن نصير[3] الأندلس في اثني عشر ألفاً ،

=قوطي وقيل أنه رومي وبعض زعم أنه بربري من غمارة ولكنها تتفق على أنه كان صاحب سبتة وطنجة وما حواليهما. ينظر التفاصيل: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٢- ٢٣٣؛ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٣- ٣٤ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥- ١٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥/٢- ٧ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص١١٥- ١١٧ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص١٣٣- ١٣٤.

١) رواية ابن عذاري (سأله عن الأندلس ؛ فعظم عليه أمرها ، وقال له: قد تركت الروم وراء ظهرك ؛ وما أمامك إلا البربر، وهم مثل البهائم، لم يدخلوا في دين نصرانية ولا غيرها ، وهم يأكلون الجيف، ويأكلون مواشيهم، ويشربون دمائها من أعناقها ، فقد كفروا بالله العظيم، فلا يعرفونه...) البيان المغرب، ١/ ٣٦.

٢) أجمل ابن عذاري نسب طارق بالقول: (وقد اختلف في نسبه؛ فالأكثرون على أنه بربري من نفزة، وأنه مولى لموسى بن نصير، من سبى البربر. وقال آخرون إنه فارسي. قال صالح بن أبي صالح: هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، وكأنهم أيضا اتفقوا على أنَّ طارقا كان عاملا لموسى، قبل محاولة الأندلس)، البيان المغرب، ٥/٢ ؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢١٧ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١٨/٢٤- ٤٢٠ ؛ شلبي، حياة طارق بن زياد فاتح الأندلس، ص٥١- ٥٦ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص١٢٩.

٣) هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير، مولى لخم، صاحب فتح الأندلس، وكان أمير إفريقية والمغرب، من التابعين، روى عن تميم الداري روى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي، توفي بمر الظهران، أو بوادي القرى على اختلاف فيه، وهو في طريقه إلى الحج بصحبة الخليفة سليمان بن عبد الملك، وذلك في سنة سبع أو تسع وتسعين، ينظر ترجمته: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٠٥ ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٣٨- ٥٧ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠٤ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٣٢/٢- ٣٣٥ ؛ الذهبي، سير، ٩٦/٤- ٥٠٠.

فلقي ملك الأندلس ، واسمه اذرينوق[1] ، وكان من أهل أصبهان[2] ، وهم ملوك عجم الأندلس ، فزحف له طارق بجميع من معه ، وزحف الأذرينوق وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين.

هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الأندلس[3] ، ويمثل ذلك الإقليم العظيم والفتح المبين لا يقتصر فيه على هذا القدر ، وأنا أذكر فتحها على وجه أتم من هذا إن شاء الله تعالى من تصانيف أهلها إذ هم أعلم ببلادهم.

قالوا: أول من سكنها قوم يعرفون بالأندلش[4] ، بشين معجمه ، فسمي البلد بهم ، ثم عُرِبَ بعد ذلك بسين مهملة ، والنصارى يسمون الأندلس أشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له أشبانس[5] ، وقيل: باسم ملك كان بها في الزمان الأول اسمه إشبان بن طيطس ، وهذا هو اسمها عند بطليموس. وقيل: سميت بأندلس بن يافث بن نوح وهو أول من عمرها[6] ، قيل: أول من سكن الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس فعمروها وتداولوا ملكها دهراً طويلاً وكانوا مجوساً ، ثم حبس الله

---

1) ذكر عبد الملك بن حبيب أن لذريق من أصبهان، وأصبهان تسمى بالأندلس إشبان وهم القوطيون ملوك عجم الأندلس، كتاب التاريخ، ص١٢٤ ؛ وهو لذريق ملك أسبانيا عند الفتح الإسلامي، ينظر عنه: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٣ ؛ مؤنس، فتح الأندلس، ص٢٩- ٣٣.

2) قال ابن عذاري: (وفي كتب العجم: إنَّ رذريق هذا لم يكن من بيت المملكة. وإنما كان زنيما؛ وكان من عمَّال الملك بقرطبة؛ وقتل وَخْشَنْدَش بعدما خالف عليه. فغير الحكم، وأفسد سنن الملك...)، البيان المغرب، ٣/٢.

3) ينظر الرواية نفسها: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١١/٤.

4) قال البكري: سميت بالأندلس من أسماء الانديليش الذين سكنوها، جغرافية الأندلس ص٥٩ ؛ ينظر أيضاً: الحميري، صفة، ص٢ ؛ والانديليش عند العرب هم الوندال. ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٥٠ هامش ٢ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٩ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٧.

5) ينظر هذه الرواية: البكري، جغرافية الأندلس، ص٥٨ ؛ وقد تحول هذا اللفظ إلى أسبانيا (Espana)، السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٧.

6) قال ابن غالب: وأندلس من ولد يافث بن نوح وهو أول من عمر الأرض فسميت به. فرحة الأنفس، ص١٢.

عنهم المطر وتوالى عليهم القحط فهلك أكثرهم وفرّ منها من أطاق الفرار ، فخلت الأندلس مائة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الأفارقة ، فدخل إليها قوم منهم أجلاهم ملك إفريقية تخففاً منهم لقحط توالى على بلاده حتى كاد يفنى أهلها ، فحملها في السفن مع أمير من عنده فأرسوا بجزيرة قادس[1] ، ورأوا الأندلس قد أخصبت بلادها وجرت أنهارها فسكنوها وعمّروها ونصبوا لهم ملوكاً يضبطون أمرهم ، وهم على دين من قبلهم ، وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من أرض إشبيلية بنوها وسكنوها وأقاموا مدة تزيد على مائة وخمسين سنة ، ملك منهم فيها أحد عشر ملكاً[2].

ثم أرسل الله عليهم عجم رومة ، وملكهم إشبان بن طيطس[3] ، فغزاهم ومزقهم وقتل فيهم وحاصرهم بطالقة وقد تحصنوا فيها فابتنى عليهم إشبانية ، وهي إشبيلية ، واتخذها دار مملكته ، وكثرت جموعه وعتا وتجبر ، وغزا بين المقدس فغنم ما فيه وقتل فيه مائة ألف ، ونقل المرمر منه إلى إشبيلية وغيرها ، وغنم أيضاً مائدة سليمان بن داود ، عليه السلام ، وهي التي غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها ، وغنم أيضاً قليلة الذهب والحجر الذي لقي بماردة[4].

---

١) قادس، وصفها الحميري أنها (جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن اشبيلية، وطول جزيرة قادس من القبلة إلى الجوف اثنا عشر ميلاً، وعرضها في أوسع المواضع ميل، وبها مزارع كثيرة الريع، وأكثر مواشيها المعز... وبها آثار للأول كثيرة، ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب إلى هذه الجزيرة) صفة، ص١٤٥- ١٤٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥ ؛ الزهري، الجغرافية، ص٩٢ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٠ ؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٥، ٧٠ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١١٨- ١٢٢ ؛ سحر عبد العزيز سالم، قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس، ص١٣- ٤٦.

٢) ينظر الرواية بشيء من الإختلاف: الحميري، صفة، ص١ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٣٤/١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٤١- ١٤٢ وقال: إن أيام الأفارقة بالأندلس مائة سنة واثنتين وخمسين سنة.

٣) قال المقري: أشبان بن طيطش وباسمه سميت الأندلس إشبانية، نفح الطيب، ١٣٤/١ ؛ وعند مؤلف مجهول أن أول من ملك منهم يدعى درانش بن نفيط، قال: وقيل أشبان بن روم، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٤٦.

٤) ماردة قال الحميري: (مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلاً، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل، فكثرت بها آثارهم والمياه المستجلبة إليها، واتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً... وتفسير ماردة باللطيني مسكن الأشراف)، صفة، ص١٧٥- ١٧٦ ؛ ينظر أيضاً:=

وكان هذا إشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الأرض فقال له: يا إشبان سوف تحظى وتملك وتعلو ، فإذا ملكت إيلياء فارفق بذرية الأنبياء. فقال: أتسخر مني؟ كيف ينال مثلي الملك؟ فقال: قد جعله فيك من جعل عصاك هذه كما ترى. فنظر إليه فإذا هي قد أورقت ، فارتاع وذهب عنه الخضر ، وقد وثق إشبان بقوله ، فداخل الناس فارتقى حتى ملك ملكاً عظيماً ، وكان ملكه عشرين سنة ، ودام ملك الإشبانيين بعده إلى أن ملك منهم خمسة وخمسون ملكاً[1].

ثم دخل عليهم من عجم رومة أمّة يُدعون البشنوليات[2] ، وملكهم طويش بن نيطة[3] ، وذلك حين بعث الله المسيح فغلبوا عليها واستولوا على ملكها ، وكانت مدينة ماردة دار مملكتهم ، وملك منهم سبعة وعشرون ملكاً[4].

ثم دخلت عليهم أمّة القوط[5] مع ملك لهم فغلبوا على الأندلس فاقتطعوها من

=البكري، جغرافية الأندلس، ص١١٩- ١٢٠ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٧ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٥/٢- ٥٤٦ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٥٤- ٥٥ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٣٦٠/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٠٤- ١٠٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤/٢.

١) ينظر الرواية: الحميري، صفة، ص٥- ٦ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٣٨/١ ؛ وقال مؤلف مجهول: إن آخر ملكهم يدعى طيطانش بن أشبان، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٤٧.

٢) عند الحميري الشبونقات، الروض المعطار، ص٣٤ ؛ وعند ابن عذاري البشترلقات، البيان المغرب، ٢/٢ ؛ وعند المقري البشتولقات، نفح الطيب، ١٣٨/١.

٣) عند المقري طلويش بن بيطة، نفح الطيب، ١٢٨/١.

٤) ذكرهم الحميري: الشبونقات، قال وهم عجم رومة غلبوا على الأندلس ودار مملكتهم ماردة، حكم منهم أربعة وعشرون ملكاً، صفة، ص٦ ؛ واسماهم المقري البشتولقات، نفح الطيب، ١٣٨/١.

٥) القوط وهم أقوام كانوا في حدود منتصف القرن الثاني الميلادي منتشرون شمالي البحر الأسود، ثم انقسموا قسمين شرقيين انتشروا في سهول روسيا الجنوبية، وغربيين اتجهوا نحو داشيا والبلقان واحتكوا بالعالم الروماني واعتنقوا المسيحية، ثم توجهوا تحت ضغط قبائل الهون الآسيوية في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي غرباً واصطدموا بالإمبراطورية الرومانية الغربية التي سمحت لهم بالاستقرار شمالي أسبانيا ودفع الوندال إلى الجنوب من نهر ابرو وذلك سنة ٤٢٩م، ثم استحوذوا على معظم شبه الجزيرة الأيبيرية واستمروا في حكم البلاد حتى الفتح الإسلامي، ينظر: عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص٨٣- ٨٨.

يومئذٍ عن صاحب رومة ، وكان ابتداء ظهورهم من ناحية إيطالية شرق الأندلس ، فأغارت على بلاد مجدونية[1] من تلك الناحية ، وذلك في أيام قليوذيوس قيصر ، ثالث القياصرة ، فخرج إليهم وهزمهم وقتل فيهم ولم يظهروا بعدها إلى أيام قسطنطين الأكبر[2] وأعادوا الغارة ، فسيّر إليهم جيشاً فلم يثبتوا له وانقطع خبرهم إلى ثلث دولة قيصر ، فإنهم قدموا على أنفسهم أمير اسمه لذريق ، وكان يعبد الأوثان ، فسار إلى رومة ليحمل النصارى على السجود لأوثانه ، فظهر منه سوء سيرته ، فتخاذل أصحابه عنه ومالوا إلى أخيه وحاربوه ، فاستعان بصاحب رومة فبعث إليه جيشاً ، فهزم أخاه ، ودان بدين النصارى ، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة ، ثم ولي بعده اقريط ، وبعده أملريق ، وبعده وغديش ، وكانوا قد عادوا إلى عبادة الأوثان ، فجمع من أصحابه مائة ألف وسار إلى رومة ، فسير إليه ملك الروم جيشاً فهزموه وقتلوه.

ثم بعده الريق ، وكان زنديقاً شجاعاً ، فسار ليأخذ بثأر وغديس ومن قتل معه ، ونازل رومية وحاصرها ، وضيق على أهلها ، ودخلها عنوة وغنم أموالهم ، ثم جمع أسطول البحر وسار إلى صقلية ليفتحها ويغنم ما فيها ، فغرق أكثر أصحابه في البحر ، وهو فيمن غرق.

ثم بعده أطلوف ست سنين وخرج عن بلد إيطالية وأقام ببلد غاليس مجاوراً أقصى الأندلس ، ثم انتقل منها إلى برشلونة[3].

ثم بعده أخوه ثلاث سنين ، ثم بعده والياً ، ثم بوردزاريش ثلاثاً وثلاثين سنة ، ثم

---

١) مدينة مجدونية قاعدة الروم الإغريقيين، ومنها أرسطاطاليس فيلسوف الروم وعالمها وطبيبها وجهبذها وخطيبها، وهو معلم الاسكندر، ينظر: البكري، المسلك والممالك، ٤٨٨/١ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٢٣.

٢) حكم الإمبراطور قسطنطين الامبراطرية الرومانية للمدة(٣٠٦- ٣٣٧م) وهو الذي اعترف رسمياً بالديانة المسيحية، عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ص٤٠- ٤١.

٣) برشلونة، قال الحميري: (مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، وبرشلونة على البحر، ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفةٍ، وبها ربض، عليها سور منيع، والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة، ويسكن برشلونة ملك إفرنجة، وهي دار ملكهم، وله مراكب تسافر وتغزو، وللإفرنج شوكة لا تطاق) صفة، ص٤٢؛ ينظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٤/٢.

ابنه طرشمند ، ثم بعده أخوه لذريق ثلاث عشرة سنة ، ثم بعده أوريق سبع عشرة سنة ، ثم بعده الريق بطلوشة ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم عشليق ، ثم أمليق سنتين ، ثم توذيوش سبع عشرة سنة وخمسة أشهر ، ثم بعده طودتقليس سنة وثلاث أشهر ، ثم بعده اثله خمس سنين ، ثم بعده اطلنجة خمس عشرة سنة ، ثم بعده ليوبا ثلاث سنين ، ثم بعده أخوه لويلد ، وهو أول من اتخذ طليطلة[1] دار ملك ونزلها ليكون متوسطاً لملكه ليحارب من خرج عن طاعته عن قريب ، فلم يزل يحارب من خرج عن طاعته حتى احتوى على جميع الأندلس وبنى مدينة رقوبل[2] وأتقنها وأكثر بساتينها ، وهو على القرب من طليطلة ، وسماها باسم ولده[3] ، وغزا بلاد البشقنس[4] حتى أذلهم ، وخطب إلى ملك الفرنج ابنته لولده أرمنجلد فزوجه

١) طليطلة وهي مدينة كبيرة بالأندلس بين الجوف وقرطبة على شاطيء نهر تاجة، وكانت قاعدة ملوك القوط الغربيين، وسقطت بيد النصارى سنة ٤٧٨هـ. ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٩٤- ١٩٥؛ الحميري، صفة، ص١٣٠- ١٣٥.

٢) رقوبل وأسماها الحميري رقابل، قال: وهي على مقربة من طليطلة بناها الملك لوبيان وسماها باسم ولده ومنها وزع الأساقفة على الكوَر، صفة، ص١٣٣- ١٣٤؛ ينظر أيضاً: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٣١.

٣) قال البكري: (وأوّل من نزل بها ـ أي طليطلة ـ من ملوك الأندلس لوبيان، وهو الّذي بنى مدينة رقوبل، وهي على مقربة من طليطلة، وسمّاها باسم ولده، ومنها ولّى الأساقفة على الكور وبها مجتمعهم للمشورة، وكان عددهم ثمانين أسقفا لثمانين مدينة من حوز الأندلس كجلّيقية وطركونة وقرطاجنة. وكانت قبل ولايته فرقا، فائتلف أمر الناس وانقطع الخلاف وأحبّه الخاصّ والعامّ. وهو الّذي بنى الكنائس الجليلة والمعالم الرفيعة، وبنى الكنيسة المعروفة بالمردقة واسمه مزبور على بابها، وهي بين حاضرة إلبيرة ووادي آش) المسالك والممالك، ٩٠٨/٢.

٤) وردت كلمة البشكنس في المصادر التاريخية بأسماء متعددة فجاءت بلفظة البسكنس والبشكنس والبشكنش وبشكونس والبشاكسة، وفي المراجع الحديثة أطلق عليهم اسم الباسك للتنويه إلى خليج بسكاي المحاذي لمناطقهم، والبشكنس هم سكان نافار وهو إقليم يمتد عبر جبال البرت الغربية على الحدود ما بين فرنسا وأسبانيا: ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٥ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٩ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢ ؛ابن حيان، المقتبس(الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ)، ص٣٠٦، ٣٠٧ ؛ البكري، جغرافية، ص٧٩، ٨٣ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧١/٥ ؛ ابن القاسم، مخطوط تاريخ الأندلس ص٢٤؛ أرسلان، الحلل السندسية، ٣٢١/١؛ لورد، أسبانيا شعبها وأرضها، ص١٩٦؛ العلياوي، البشكنس، ص١١.

وأسكنه إشبيلية[1] ، فحسنت له عصيان والده ، ففعل ، فسار إليه أبوه وحصرهما وضيّق عليه وطال مقامه إلى أن أخذه عنوة وسجنه إلى أن مات.

ثم ملك بعد لويلد ابنه ركرد ، وكان حسن السيرة ، فجمع الأساقفة وغير سيرة أبيه وسلم البلاد إليهم ، وكانوا نحو ثمانين أسقفاً ، وكان تقياً عفيفاً قد لبس ثياب الرهبان ، وهو الذي بنى الكنيسة المعروفة بالوزقة[2] بإزاء مدينة وادي آش[3]. ثم بعده ابنه ليوبا فسار كسيرة أبيه ، فاغتاله رجل من القوط يقال له بتريق فقتله ، وملك بعده بتريق هذا بغير رضا أهل الأندلس ، وكان مجرماً طاغياً فاسقاً ، فثار عليه رجل من خاصته فقتله.

---

١) إشبيلية ، قال الحميري: (مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني إن أصل تسميتها أشبالي معناه المدينة المنبسطة... وهي كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وسوقها عامرة وخلقها كثير وأهلها مياسير، وجل تجاراتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً ، يجتمع هذا الزيت من الشرف، وهو مسافة أربعين ميلاً كلها في ظل شجر الزيتون والتين، أوله مدينة اشبيلية وآخره مدينة لبلة، وسعته اثنا عشر ميلاً وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة بالحمامات والديار الحسنة، ...، ومدينة اشبيلية موفية على النهر الكبير وهو في غربيها)صفة، ص١٨-١٩؛ ينظر أيضا: البكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٧- ١١٦ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٣- ٢٤ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص٢٧٠- ٢٧١.

٢) أسماها البكري المردقة، ولكنه قال: إن الذي بناها الملك لوبيان (بنى الكنيسة المعروفة بالمردقة واسمه مزبور على بابها ، وهي بين حاضرة إلبيرة ووادي آش) المسالك والممالك، ٩٠٨/٢.

٣) قال الإدريسي: وادي آش (مدينة متوسطة المقدار لها أسوار محدقة ومكاسب مؤنقة ومياه متدفقة ولها نهر صغير دائم الجري) نزهة المشتاق، ٥٦٧/٢ ؛ ووصفها الحميري أنها (مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، وهو في شرقيها ، وهي على ضفته، ولها عليه أرحاء لاصقة بسورها ، وهي كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون، والقطن بها كثير، وكان بها حمامات، ولها بابان: شرقي على النهر وغربي على خندق، وقصبتها مشرفة عليها ، وعليها سور حجارة، وهو في ركنها الذي بين المغرب والقبلة) صفة، ١٩٢ ؛ وقال المقري: (هي من أعمال غرناطة وادي آش ويقال وادي الأشات وهي مدينة جليلة قد أحدقت بها البساتين والأنهار وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر) نفح الطيب، ١٤٩/١ ؛ينظر أيضاً: العذري، فرحة الأنفس، ص١٤ويسميها الأشّات.

ثم ملك من بعده غندمار سنتين ، ثم ملك بعده سيسيفوط ، وكانت ولايته تسع سنين ، وكان حسن السيرة ، ثم بعده ابنه ركريد ، وكان صغيراً عمره ثلاثة أشهر ، ومات ، ثم ملك شنتله ، وكان ملكه عند البعث ، وكان مشكوراً ، ثم بعده سشنند خمس سنين ، ثم بعده خنتلة ستة أعوام ، ثم بعده خندس أربعة أعوام ، ثم بعده بنبان ثمانية أعوام ، ثم بعده أروى سبع سنين.

وكان في دولته قحط شديد حتى كادت بلاد الأندلس تخرب لشدة الجوع[1].

ثم بعده أبقه خمس عشرة سنة ، وكان جائراً مذموماً ، ثم ملك بعده ابنه غيطشه[2] ، وكانت ولايته سنة سبع وسبعين للهجرة ، وكان حسن السيرة لين العريكة وأطلق كل محبوس كان في سجن أبيه وأدى الأموال إلى أربابها[3].

ثم توفي وخلف ولدين فلم يرض بهما أهل الأندلس وتراضوا برجل يقال له رذريق ، وكان شجاعاً وليس من بيت الملك ، وكانت عادة ملوك الأندلس إنهم يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى مدينة طليطلة يكونون في خدمة الملك لا يخدمه غيرهم يتأدبون بذلك ، فإذا بلغوا الحلم أنكح بعضهم بعضاً وتولى تجهيزهم ، فلما ولي رذريق أرسل إليه يوليان ، وهو صاحب الجزيرة الخضراء[4] وسبتة[5] وغيرهما ، ابنةً له ،

---

١) أورد مؤلف مجهول قائمة بأسماء الملوك القوط تختلف عما ذكره ابن الأثير، وقال إن عدد ملوك القوط سبعة وثلاثون ملكاً وكان ملكهم بالأندلس ثلاثمائة سنة إلى أن دخلها العرب، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٥٠- ١٥٢ ؛ وقال المقري: إن عدد ملوك القوط ستة وثلاثون مالكاً ومدة ملكهم ثلاثمائة واثنتان وأربعون سنة، نفح الطيب، ١٣٨/١.

٢) وهو آخر ملوك القوط وكان حسن السيرة فلما توفي وترك اولاداً لم يرض أهل البلاد سيرتهم فقدموا رجلا ليس من بيت الملك يقال له لذريق وكان شجاعاً ومن فرسانهم وقادتهم. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٩ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥ ؛ حتاملة، ايبريا، ص٢٥٣- ٢٥٤.

٣) أورد الحميري هذه الرواية ولكن بشكل مختصر، صفة، ص٦.

٤) الجزيرة الخضراء ، ويقال لها جزيرة أم حكيم نسبة إلى جارية طارق بن زياد أنزلها بها، وهي على ربوة مشرفة على البحر حصينة منيعة وتكون في شرقي شدونة وقبليّ قرطبة. الحميري، صفة، ص٧٣- ٧٥.

٥) سبتة، وهي على ضفة بحر الزقاق يحيط بها شرقاً وجوفاً وقبلة ولها إلى البر طريقاً واحداً وهي مدينة قديمة، مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١٣٧- ١٣٨.

فاستحسنها رذريق وافتضّها ، فكتبت إلى أبيها ، فأغضبه ذلك ، فكتب إلى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك[1] على إفريقية[2] بالطاعة واستدعاه إليه ، فسار إليه ، فأدخله يوليان مدائنه وأخذ عليه العهود له ولأصحابه بما يرض به ، ثم وصف له الأندلس ودعاه إليها ، وذلك آخر سنة تسعين[3].

فكتب موسى إلى الوليد بما فتح الله عليه وما دعاه إليه يوليان. فكتب إليه الوليد: خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال. فكتب إليه موسى: إنه ليس ببحر متسع وإنما هو خليج يبين ما وراءه. فكتب إليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وإن كان الأمر على ما حكيت.

فبعث رجلاً من مواليه يقال له طريف[4] في أربعمائة رجل ومعهم مائة فرس ،

---

١) تولى الخلافة الأموية سنة ٨٦هـ وتوفي سنة ٩٦هـ. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٦٣- ٢٦٥.

٢) وهي البلاد الممتدة من برقة شرقاً إلى مدينة طنجة غرباً، ومن البحر شمالاً إلى الرمال التي هي الحاجز مع بلاد السودان جنوباً. البكري، المسالك والممالك، ١٩٢/٢ ؛ مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١١١ ؛ الزهري، الجغرافية، ص١٠٧ ؛ وقال ابن أبي دينار: إن أطلق اسم إفريقية فإنه يعني القيروان. المؤنس، ص١٥.

٣) وردت هذه القصة في معظم المصادر العربية: ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٣ ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧/٢ ؛ ويعلق حسين مؤنس على هذه القصة قائلاً: (ولسنا نريد أن نقف طويلاً عند هذه القصة، فقد تكون صحيحة وقد تكون من اختراع القصاص، ولسنا نحتاج إليها لكي نعلل دخول العرب الأندلس تعليلاً معقولاً، فقد كان ذلك الدخول هو الأمر الوحيد المنتظر في الظروف التي سادت المغرب خلال السنوات التي سبقت الفتح...) فجر الأندلس، ص١٢٣ ؛ وأشار السامرائي إلى أن هذه القصة لم تذكرها المصادر الأسبانية المعاصرة للأحداث، ولكن بمرور الزمن انتقلت إلى القصص الأسباني والأغاني الشعبية الأسبانية، ثم اختلطت هذه الروايات بالتاريخ كما لو أنها حقيقة. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢١.

٤) هو أبو زرعة طريف بن مالك المعافري أرسله موسى بن نصير في سرية استكشافية إلى الأندلس فأغار على الجزيرة الخضراء وغنم ورجع سنة ٩١هـ، واختلف المصادر في نسبه فقيل بربري وقيل معافري وقيل إنه من موالي موسى، ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦ ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥/٢ ؛ الحميري، صفة، ص٨ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٥٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٣/١.

فسار في أربع سفائن فخرج في جزيرة بالأندلس فسميت جزيرة طريف لنزوله فيها ، ثم أغار على الجزيرة الخضراء فأصاب غنيمةً كثيرة ورجع سالماً في رمضان سنة إحدى وتسعين. فلما رأى الناس ذلك تسرعوا إلى الغزو[1].

ثم إن موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والموالي وأقلهم العرب[2] ، فساروا في البحر ، وقصد إلى جبل منيف وهو متصل بالبر فنزله ، فسمي الجبل جبل طارق إلى اليوم[3] ، ولما ملك عبد المؤمن[4] البلاد أمر ببناء مدينة على هذا الجبل وسماه جبل الفتح[5] ، فلم يثبت له هذا الاسم وجرت الألسنة على الأول[6].

وكان حلول طارق فيه في رجب سنة اثنتين وتسعين من الهجرة. ولما ركب طارق البحر غلبته عينه فرأى النبي(ﷺ) ومعه المهاجرون والأنصار قد تقلدوا

---

١) ينظر الرواية: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥/٢ ؛ الحميري، صفة، ص٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٤/١.

٢) ينظر الرواية: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٥٣- ١٥٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٤/١؛ إلا أن ابن حبيب قال: إن طارق بن زياد عبر بألف وسبعمائة رجل ثم تحاشد البربر إليه حتى صاروا اثني عشر ألفاً من البربر إلا ستة عشر رجلا من العرب، فلم تلحقه هذه العساكر إلا بعد فتحه الأندلس، فمضى طارق بالألف والسبعمائة في رجب سنة ٩٢هـ . كتاب التاريخ، ص١٢٤.

٣) جبل طارق يقع شرقي الجزيرة الخضراء له طرف خارج في البحر وعنده يلتقي البحران وبينه وبين الجزيرة الخضراء ستة أميال وإنما سمي بجبل طارق لأن طارق لما جاز بالبربر تحصن بهذا الجبل. المراكشي، المعجب، ص٢٦٥ ؛ الحميري، صفة، ص٧٣، ٧٥، ١٢١.

٤) عبد المؤمن بن علي تولى قيادة الموحدين سنة ٥٢٤هـ وفي أيامه قامت الدولة الموحدية في المغرب وكانت وفاته سنة ٥٥٨هـ. ينظر سيرته: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٧٩- ٨٢ ؛ وسيأتي ذكره عند ابن الأثير أثناء الكلام عن الدولة الموحدية في المغرب والأندلس.

٥) ينظر عن بناء مدينة الفتح بجبل طارق، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٦٦- ٦٧، وقد امتدح الشعراء عبد المؤمن لبنائه جبل الفتح فقال أحدهم:

وحللتم جبل الهدى فحللتـــم ... منه عقود عزائم الكفار

جبل الهدى والفتح والنصر الذي ... سبقت بشائره إلى الأمصار

ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٧١.

٦) ينظر الرواية: الحميري، صفة، ص٢١٢.

السيوف ونكبوا القسي ، فقال له النبي(ﷺ): ياطارق تقدم لشأنك، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ، فنظر طارق فرأى النبي(ﷺ) ، وأصحابه قد دخلوا الأندلس أمامه ، فاستيقظ من نومه مستبشراً وبشر أصحابه وقويت نفسه ولم يشك في الظفر[1].

فلما تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل إلى الصحراء وفتح الجزيرة الخضراء فأصاب بها عجوزاً ، فقالت له: إني كان لي زوج وكان عالماً بالحوادث وكان يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم فيغلب عليه ، ووصف من نعته أنه ضخم الهامة ، وأن في كتفه اليسرى شامة عليها شعر ؛ فكشف طارق ثوبه فإذا الشامة كما ذكرت ، فاستبشر طارق أيضاً هو ومن معه. ونزل من الجبل إلى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذي في الجبل[2].

ولما بلغ رذريق غزو طارق بلاده عظم ذلك عليه ، وكان غائباً في غزاته ، فرجع منها وطارق قد دخل بلاده فجمع له جمعاً يقال بلغ مائة ألف[3] ، فلما بلغ طارقاً الخبر كتب إلى موسى يستمده ويخبره بما فتح وأنه زحف إليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به. فبعث إليه بخمسة آلاف ، فتكامل المسلمون اثني عشر ألفاً ومعهم يوليان يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الأخبار. فأتاهم رذريق في جنده ، فالتقوا على نهر لكة[4] من أعمال شذونة[5] لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعين ، واتصلت الحرب ثمانية أيام ، وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك[6] الذي كان قبله وغيرهما

---

١) ينظر الرواية: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٤/١.

٢) ينظر الرواية: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٤/١.

٣) ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٧/١ ؛ وقال صاحب كتاب الإمامة والسياسة إن عددهم سبعين ألف عنان، ابن قتيبة (منسوب)، ٨٧/٢.

٤) لكة مدينة بالأندلس من كورة شذونة وعلى نهرها التقى لذريق بمن معه وطارق بن زياد بمن معه من المسلمين. الحميري، صفة، ص١٦٩.

٥) شذونة كورة بالأندلس جامعة لخيرات البر والبحر وفيها كانت الهزيمة على لذريق حين افتتحت الأندلس، وبسواحلها يوجد العنبر. الحميري، صفة، ص١٠٠- ١٠١.

٦) قال مؤلف مجهول: إن ولدا الملك غيطشة اللذان كانا مع لذريق هما ششبرت وأبه. أخبار مجموعة، ص١٨.

من أبناء الملوك ، واتفقوا على الهزيمة بغضاً لرذريق ، وقالوا: إن المسلمين إذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا إلى بلادهم وبقي الملك لنا[١]. فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه ، وغرق رذريق في النهر[٢] ، وسار طارق إلى مدينة إستجة [٣] متبعاً لهم ، فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، ثم انهزم أهل الأندلس ولم يلق المسلمون بعدها حرباً مثلها[٤]. ونزل طارق على عين بينها وبين مدينة إستجة أربعة أميال[٥] فسميت عين طارق إلى الآن[٦].

ولما سمعت القوط بهاتين الهزيمتين قذف الله في قلوبهم الرعب ، وكانوا يظنون أنه يفعل فعل طريف ، فهربوا إلى طليطلة ، وكان طريف قد أوهمهم أنه يأكلهم هو ومن معه[٧]. فلما دخلوا لطليطلة وأخلوا مدائن الأندلس قال له يوليان: قد فرغت من

---

١) ينظر الرواية: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٧/١.

٢) اختلفت الروايات في مصير لذريق، فابن عبد الحكم قال: إن لذريق قد قتل، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٤ ؛ وقال صاحب كتاب الإمامة والسياسة: إن طارق احتز رأس لذريق، ابن قتيبة (منسوب)، ٨٧/١ ؛ أما مؤلف مجهول فقال: إن لذريق (غاب فلم يدر أين وقع، إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأبيض، وكان عليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد، ووجدوا حلّة من ذهب مكللة بالدر والياقوت، وقد ساخ الفرس في الطين، وفي السواخ وقع فيه وغرق العلج، فلما أخرج رجله ثبت الخف في الطين، والله أعلم ما كان من أمره، لم يسمع له خبر ولا وجد حياً ولا ميتاً) أخبار مجموعة، ص١٨- ١٩ ؛ وجمع ابن عذاري بين الروايتين فقال: فقالوا أنه غرق، وقالوا أنه قتل والله أعلم، البيان المغرب، ٨/٢ ؛ وينظر التفاصيل أيضا: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٨- ٣٠.

٣) وهي كورة متصلة بأعمال رية بين المغرب من قرطبة وبينهما عشرة فراسخ. ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩ ؛ الحميري، صفة، ص١٤.

٤) ينظر الرواية: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٦٠/١.

٥) الميل يساوي ٢كم. هنتس، الأوزان والمكاييل الإسلامية، ص ٩٥.

٦) ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩.

٧) أشارت معظم المصادر التي بين أيدينا إلى أن هذا من فعل طارق وليس طريف كما ذهب ابن الأثير ، ، فابن عبد الحكم قال: (كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة، وجدوا بها كرامين، ولم يكن بها غيرهم، فأخذوهم ثم عمدوا إلى رجل من الكرامين فذبحوه، ثم عضوه وطبخوه، ومن بقي من أصحابه ينظرون، وقد كانوا طبخوا لحما في قدور أخر، فلما أدركت طرحوا ما كان طبخوه من لحم ذلك الرجل ولا يعلم بطرحهم له، وأكلوا اللحم الذي كانوا طبخوه، ومن بقي من الكرامين=

الأندلس ففرق جيوشك وسر أنت إلى طليطلة[١]. ففرق جيوشه من مدينة إستجة وبعث جيشاً إلى قرطبة[٢] ، وجيشاً إلى غرناطة[٣] ، وجيشاً إلى مالقة[٤] ، وجيشاً إلى تدمير[٥] ، وسار هو ومعظم الجيش إلى جيّان[٦] يريد طليطلة ، فأما الجيش الذي سار

=ينظرون، إليهم فلم يشكوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم، ثم أرسلوا من بقي منهم، فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس، وأخبروهم بما صنع بالكرام) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٣- ٢٣٤ ؛أما ابن القوطية فذكر أن طارقاً أمر أصحابه بتقطيع من قتلوه من الأسرى وطبخ لحومهم بالقدور، وعهد بإطلاق من بقي من الأسرى، فأخبر المنطلقون بذلك كل من رأوه، فملأ الله قلوبهم رعباً. تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥ ؛ وذهب مؤلف مجهول إلى أن هذا من فعل السودان في جيش طارق قال: (فلما جاز قدّمهم بين يديه في صورة مهولة، فرأى القوطيون صورة مهولة أفزعتهم، فكان السودان يأخذون الاسارى فيذبحون منهم ويطبخونهم، ويورون من بقي منهم حياً أنهم يأكلونهم، فكان ذلك مما أوقع الرعب في قلوبهم فخافوهم)تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٥٣- ١٥٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٧- ٤٨ ؛ ويبدو لنا أن هذه القصة موضوعة لأنها تنافي مبادئ الإسلام الذي عبر المسلمون الأندلس من أجله، فالإسلام أوصى بحسن معاملة الأسرى وليس قتلهم والتمثيل بهم كما حكت هذه القصة.

١) ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٦٠/١.

٢) وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط البلاد بينها وبين البحر خمسة أيام، وقد اتخذها الأمويون قاعدة لملكهم، وسقطت بيد النصارى سنة ٦٣٣هـ. ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢١٨- ٢٢٣ ؛ الحميري، صفة، ص١٥٣- ١٥٨.

٣) غرناطة ، وتعني رمانة بلسان أهل الأندلس وهي من أقدم مدن إلبيرة وأعظمها وأحسنها بينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٩٩- ٢٠٠.

٤) مالقة ، وهي إحدى مدن كورة ريّة وتقع على شاطيء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٥٦.

٥) تدمير ، وهي كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيّان، وهي شرقي قرطبة. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥- ١٦ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٠١ ؛ الحميري، صفة، ص٦٢- ٦٣.

٦) جيّان، وهي كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة إلبيرة مائلة عن إلبيرة إلى ناحية الجوف شرقي قرطبة بينهما سبعة عشر فرسخاً. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص٢٦٩ ؛ الحميري، صفة، ٧٠- ٧١.

إلى قرطبة فإنهم دلهم راعٍ على ثغرة في سورها فدخلوا منها البلد ومَلكوه[1].

وأما الذين قصدوا تدمير فلقيهم صاحبها، واسمه تدمير وبه سميت، وكان اسمها أرويولة، وكان معه جيش كثيف، فقاتلهم قتالاً شديداً ثم انهزم فقتل من أصحابه خلق كثير، فأمر تدمير النساء فلبسن السلاح ثم صالح المسلمين عليها[2]،

---

١) كان فتح قرطبة أن بعث طارق مغيثاً، مولى عبد الملك بن مروان، من إستجة إلى قرطبة في سبعمائة فارس، ولم يكن معه راجل إذ كان الرجال قد ركبوا. فلما بلغ مغيث شقندة، وهي على ثلاثة أميال من قرطبة، بعث الأدلاء فألقوا راعي غنم، فأتوا به إلى مغيث، فسأله عن قرطبة، فقال له:انتقل عنها عظماء أهلها، ولم يبق فيها إلاَّ بطريقها في أربعمائة فارس مع ضعفاء أهلها، ثم سأله عن حصانة سورها، فأخبره أنه حصين، إلا أن فيه ثغرة فوق باب الصورة، وهو باب القنطرة، ووصف لهم الثغرة، فلما جنَّ الليل، تحرك مغيث بمن معه، وعبروا النهر، وقابلوا السور، وراموا التعلق به فصعب عليهم، حتى صعد رجل من المسلمين في ذروتها، ونزع مغيث عمامته، فناوله طرفها، وارتقوا بها حتى كثروا بالسور، ثم جاء مغيث إلى باب القنطرة، وأمر أصحابه بالحوم على أحراس السور، فكسروا الأقفال، ودخل مغيث بمن معه، فلما بلغ الملك الذي بها دخولهم، خرج في كُماة أصحابه، وهم نحو الأربعمائة، فدخلوا كنيسة بغربي المدينة فتحصنوا فيها، فحاصرهم مغيث، وكتب إلى طارق بالفتح، وتمادى على حصارهم في الكنيسة المذكورة ثلاثة أشهر، فبينا هو ذات يوم جالس إذ قيل له:خرج العلج - يعني الملك - هاربا وحده، وهو ينوي التحصين في جبل قرطبة، ليلحق به أصحابه فأتبعه مغيث وحده دون أحد من أصحابه، فلما برز له وأبصره هاربا، وتحته فرس أصفر، خرج من طريقه فأتى خندقا، فوثب به الفرس، وسقط في الخندق، واندقت عنقه، فأقبل مغيث فأسره، ولم يؤسر من ملوك الأندلس غيره، لأن منهم من عقد لنفسه أماناً، ومنهم من هرب إلى أقاصي البلاد مثل جليقية وغيرها. ورجع مغيث إلى بقيتهم فاستنزلهم أسراً، وسميت كنيسة الأسرى. وأبقى العلج صاحب قرطبة، ليقدم به على الخليفة. ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٠- ٢١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب ،٢/ ٩- ١٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٦١/١.

٢) كان فتح تدمير أن الجيش بعد فتح غرناطة تقدم إلى تدمير، وهي مرسية، وإنما سميت تُدمير باسم صاحبها، وكان اسمها أوريولة، وهي مدينتها القديمة، فقاتل تدمير المسلمين قتالا شديداً، ثم انهزم فوضع المسلمين فيهم السلاح حتى أفنوهم، ولجأ من بقى منهم إلى مدينة أوريولة، وكان تدمير بصيراً بالحرب، فلما رأى قلة من معه من أصحابه، أمر النساء فنشرن شعورهن، وأعطاهن القصب، ووقفنّ على سور المدينة، ووقف معهن بقية الرجال، ثمَّ قصد بنفسه إلى جيش المسلمين=

وفتح سائر الجيوش ما قصدوا إليه من البلاد[1].

وأما طارق فلما رأى طليطلة فارغة ضمّ إليها اليهود وترك معهم رجالاً من أصحابه وسار هو إلى وادي الحجارة[2] فقطع الجبل من فج فيه فسمي بفج طارق إلى اليوم. وانتهى إلى مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة[3] ، وفيها وجد مائدة سليمان بن داود ، عليه السلام ، وهي من زبرجد خضر حافاتها وأرجلها منها مكللة باللؤلؤ والمرجان والياقوت وغير ذلك ، وكان لها ثلاثمائة وستون رجلاً[4]. ثم مضى إلى مدينة ماية[5] فغنم منها ورجع إلى طليطلة في سنة ثلاث وتسعين.

=كهيئة الرسول، واستأمن، فأمن وانعقد له الصلح ولأهل بلده، فافتتحت مدينة تدمير صلحاً، فلما انعقد الصلح وتمَّ، أبرز لهم نفسه وقال: أنا تدمير صاحب المدينة، ثمّ أدخلهم البلد؛ فلم يروا فيه أحداً عنده مدفع فندم المسلمون وأمضوا على ما أعطوه من الأمان، وكتبوا بالفتح إلى الأمير طارق.مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٦٤/١؛ وينظر كتاب الصلح بين عبد العزيز بن موسى وتدمير: الحميري، صفة، ص٦٢- ٦٣.

١) ينظر عن فتح بقية المناطق شرق الأندلس: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢١- ٢٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٦٤/١- ٢٦٥.

٢) وادي الحجارة ، وهي مدينة بالأندلس وتعرف أيضاً بمدينة الفرج بين الجوف والشرق من قرطبة، وبينها وبين طليطلة ٦٥ميلاً. الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢ ؛ الحميري، صفة، ص١٩٣.

٣) مدينة المائدة ، تقع في أحواز طليطلة وسميت بذلك لأنها وجدت فيها المائدة المنسوبة إلى النبي سليمان بن داود(ع) وكان طارق قد فتحها سنة ٩٣هـ. الحميري، صفة، ص١٧٩.

٤) ينظر قصة المائدة: ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١٢٧- ١٢٨ ؛ ابن قتيبة (منسوب)، الإمامة والسياسة، ٨٨/٢- ٨٩ ؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ٢٣٤- ٢٣٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢/٢ ؛ وقال الحميري عن رواة أهل البلاد: إنها لم تكن لسليمان عليه السلام، وإنما أصلها أن العجم في أيام ملكهم كان أهل الحسبة في دينهم إذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس، فإذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه آلات من الموائد والكراسي وغيرها ، من الذهب والفضة، يحمل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الأناجيل إذا أبرزت في أيام المناسك، ويضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزينتها ، فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع في هذه السبيل. صفة، ص١٣١- ١٣٢ ؛ ويبدو أن قصة المائدة هذه ماهي إلا محض أسطورة وأن ما عثر عليه لا يعدو أن يكون مذبحا لكنيسة طليطلة. السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٣٣.

٥) الرواية عند مؤلف مجهول: (ثم مضى إلى مدينة أمايا ، فأصاب بها حليا ومالا...ثم رجع إلى طليطلة في سنة ثلاث وتسعين)، أخبار مجموعة، ص٢٤ ؛ وتجنب المقري ذكر اسم المدينة=

وقيل: اقتحم أرض جليقية[1] فخرقها حتى انتهى إلى مدينة إسترقة[2] وانصرف إلى طليطلة ووافته جيوشه التي وجهها من إستجة بعد فراغهم من فتح تلك المدن التي سيّرهم إليها[3].

ودخل موسى بن نصير الأندلس في رمضان سنة ثلاث وتسعين في جمع كثير ، وكان قد بلغه ما صنعه طارق فحسده ، فلما عبر إلى الأندلس ونزل الجزيرة الخضراء قيل له: تسلك طريق طارق ، فأبى ، فقال له الأدلاء: نحن ندلك على طريق اشرف من طريقه ومدائن لم تفتح بعد ، ووعده يوليان بفتح عظيم ، فسر بذلك ، وكان قد غمه[4].

=فقال: (ثم مضى إلى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل، فأصاب بها حليا ومالا ، ورجع ولك يتجاوزها إلى طليطلة سنة ثلاث وتسعين)، نفح الطيب، ٢٦٥/١ ؛ وأماية مدينة تقع غرب الأندلس فيها حصن يسمى باسمها على وادي سبير، وموقعها الآن على الحدود البرتغالية الاسبانية. ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)، ص٣٨٠، وهامش ٦٠٧ ص٦٥١.

١) جليقية ، ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب، البكري، جغرافية الأندلس، ص٧١- ٧٢ ؛ ياقوت ،الأندلس من معجم البلدان، ص١١٢؛ الحميري، صفة، ص٦٦.

٢) إسترقة، أشار أرسلان أن استوريس لعلها هي مدينة إسترقة، الحلل السندسية، ٥٨/٢ ؛ ولا نستبعد ذلك ونرجح أنها هي التي أشارت إليها الروايات عند الفتح، إذ أشار المقري عن ابن حيان أن طارقاً وموسى إلتقيا في إستورقة قرب طليطلة ثم سارا إلى طليطلة سوية، نفح الطيب، ٢٧١/١ ؛ ينظر أيضا : ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥- ٣٦ ؛ كما ورد ذكرها في حركة البربر في الأندلس بعد سنة ١٢٢ هـ إذ أخرجوا العرب من إسترقة وكان ذلك سببا في غزو بلاي لإستورقة ، ينظر: مؤلف مجهول، إخبار مجموعة، ص٤٢، ٦١، ٦٢ ؛ ويبدو أن هذا الحصن أهمل فيما بعد حتى عمّره الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨- ٢٧٣هـ) للاستفادة منه في حروبه مع النصارى ، إذ بقيت ثغراً للمسلمين حيث غزاها المنصور بن أبي عامر، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٦٤- ٣٦٥ ؛ ويستبعد حسين مؤنس أن يكون طارق بن زياد قد بلغ إسترقة في ذلك الحين، لأن الشتاء قد اقترب، والإجهاد نال من المسلمين بعد أن ثقلوا بالغنائم. فجر الأندلس، ص١٤٠- ١٤١.

٣) ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٦٥/١.

٤) أشارت العديد من المصادر إلى هذه الرواية، ينظر: ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١٢٤ ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣/٢ ؛ وأشار بعض المُحدثين بخصوص بهذه الرواية إلى أنه من المستبعد أن يكون ذلك الشعور هو الذي دفع موسى إلى العبور للأندلس، إذ أن طارق كان رجلاً متواضعاً وفتح الفتوح كلها باسم مولاه وأميره، وكان يُطلعه على الأخبار أولاً بأول ويستشيره في بعض=

فساروا به إلى مدينة ابن السليم[1] فافتتحها عنوة ، ثم سار إلى مدينة قرمونة[2] ، وهي أحصن مدن الأندلس ، فقدم إليها يوليان وخاصته ، فأتوهم على الحال المنهزمين معهم السلاح فأدخلوهم مدينتهم ، فأرسل موسى إليهم الخيل ففتحوها لهم ليلاً ، فدخلها المسلمون وملكوها[3] ، ثم سار موسى إلى إشبيلية ، وهي من أعظم مدائن الأندلس بنياناً وأعزها آثاراً ، فحصرها أشهراً وفتحها وهرب من بها ، فأنزلها موسى اليهود[4] ، وسار إلى مدينة ماردة [5] فحصرها ، وقد كان أهلها خرجوا إليه فقاتلوه قتالاً شديداً ، فكمن لهم موسى ليلاً في مقاطع الصخر ، فلم يرهم الكفار ، فلما أصبحوا زحف إليهم فخرجوا إلى المسلمين على عادتهم فخرجوا عليهم من الكمين وأحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتلاً ذريعاً ونجا من نجا منهم ، فدخل المدينة ، وكانت حصينة ، فحصرهم بها أشهراً ، وقاتلهم ، وزحف إليهم بدبابة عملها ونقبوا سورها ، فخرج أهلها على المسلمين ، فقتلوهم عند البرج ، فسمي برج الشهداء إلى اليوم ، ثم افتتحها آخر رمضان سنة أربع وتسعين يوم الفطر صلحاً ، على أن جميع

=أموره، فضلاً عن أن خطوط الإمدادات كانت مفتوحة، فليس من المعقول أن يكون موسى جاهلاً بما يفعله طارق، والذي يبدو أن موسى شعر بأن المسلمين قد توغلوا كثيراً في العمق الأسباني مما يجعل خطوط إمداداتهم في خطر، وبقيت وراءهم العديد من المدائن لم تفتح، فكان لا بد من فتحها لتأمين الحماية للجيش الإسلامي من الخلف. ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص١٤٥ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٣٤- ٣٥.

١) مدينة ابن السليم وهي مدينة شذونة، قال الحميري: (مدينة شذونة التي تعرف في عصرنا بمدينة ابن السليم، وبنو السليم قد انصرفوا إليها عند خراب مدينة قلشانة وصاروا فيها، وبين قلشانة ومدينة ابن السليم خمسة وعشرون ميلاً، وهي بين الغرب والقبلة من قلشانة)صفة، ص١٦٢- ١٦٣.

٢) قرمونة ، مدينة تتصل بأحواز مدينة إشبيلية إلى الشرق منها وبينها وبين قرطبة خمسة وستون ميلا. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٣ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٢٥.

٣) ينظر عن فتح موسى لقرمونة: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣/٢- ١٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٦٠/١.

٤) ينظر الرواية: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٥ وفيه أن موسى بعد أن فتحها ضم يهودها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٦٩/١.

٥) ماردة ، مدينة بجوف قرطبة إلى الغرب منها بينها وبين قرطبة مسيرة خمسة أيام. البكري، جغرافية الأندلس، ص١١٩- ١٢٠ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٧ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٥/٢- ٥٤٦.

أمـوال القتلـى يـوم الكمـين وأمـوال الهـاربين إلى جليقيـة وأمـوال الكنـائس وحليهـا للمسلمين[1].

ثـم إن أهـل إشـبيلية اجتمعـوا وقصـدوها فقتلـوا مـن بهـا مـن المسـلمين ، فسـيّر موسى إليها ابنه عبد العزيز[2] بجيش فحصرها وملكها عنوةً وقتـل مـن بهـا مـن أهلـها وسار عنها إلى لبلة[3] وباجة[4] فملكها وعاد إلى إشبيلية[5].

وسار موسى من مدينـة ماردة في شـوال يريـد طليطلـة ، فخـرج إليـه طـارق فلقيـه فلمـا أبصـره نـزل إليـه فضـربه موسـى بالسـوط علـى رأسـه ووبخـه علـى مـا كـان مـن خلافه ، ثم سار به إلى مدينة طليطلة ، فطلب منه ما غنم والمائدة أيضاً ، فأتاه بها وقد انتـزع رجـلاً مـن أرجلـها ، فسـأله عنـها فقـال: لا علـم لي ، كـذلك وجـدتها ، فعمـل

---

١) أضافت المصادر إلى الرواية أعلاه، أن أهل ماردة بعد يوم برج الشهداء قويت نفوسهم ورأوا أن يجيبوا إلى الصلح من منطق القوة، فساروا إلى موسى، فرأوه رجلاً أبيض الرأس واللحية، فكلموه بما لم يوافقهم عليه ولم يرضه، فرجعوا عنه، ولم يعقدوا شيئاً، ثم عاودوه يوما آخر، فألفوه قد حمر رأسه ولحيته بالحناء، فعجبوا منه، وراعهم ما رأوه، ولم يتم لهم أمر، ثم عاودوا إليه في اليوم الثالث، وذلك يوم عيد الفطر، فألفوه قد سود رأسه ولحيته، فرجعوا إلى المدينة، وقالوا لمن فيها: ويحكم إنما تقاتلون أنبياء يتشببون بعد المشيب قد عاد ملكهم حدثاً بعد أن كان شيخاً فقالوا: اذهبوا إليه وأعطوه ما سألكم فوصلوا إليه، وصالحوه. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٥-٢٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤/٢- ١٥ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٧٠/١.

٢) عبد العزيز بن موسى بن نصير اصطحب أبوه في الدخول إلى الأندلس وفتح تدمير وأعاد فتح إشبيلية بعد تمرد أهلها، ثم فتح لبلة، وولي الأندلس بعد رجوع أبيه إلى دمشق في سنة ٩٥هـ، وقتل على يد بعض قادته سنة ٩٧هـ. ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٣٤/٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٣/٢- ٣٤.

٣) لبلة ، كورة بالأندلس تقع إلى الغرب من قرطبة، بينهما أربعة وأربعون فرسخاً، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال، الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤١/٢- ٥٤٢ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢- ٢٣ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥.

٤) باجة ، كورة تتصل بأرض ماردة بينهما مسيرة ثلاثة أيام، ويكثر فيها عسل النحل. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١ ؛ الحميري، صفة، ص٣٦.

٥) قال ابن عذاري: لمّا اشتغل موسى بن نصير بحصار ماردة، ثار أهل إشبيلية، وارتدوا، وقاموا على من كان فيها من المسلمين. وتجالب فلهم إليهم من مدينتي ليلة وباجة، فقتلوا من المسلمين نحو ثمانين رجلا. وبلغ الخبر بذلك إلى موسى بن نصير، فلما استتم فتح ماردة، بعث ابنه عبد العزيز بجيش إلى إشبيلية، فافتتحها. البيان المغرب، ١٥/٢؛ ينظر أيضاً: المقري، نفح الطيب، ٢٧١/١.

عوضها من ذهب[١].

وسار موسى إلى سرقسطة[٢] ومدائنها فافتتحها وأوغل في بلاد الفرنج فانتهى إلى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار ، فأصاب فيها صنماً قائماً فيه مكتوب بالنقر: يابني إسماعيل هاهنا منتهاكم فارجعوا ، وإن سألتم إلى ماذا ترجعون؟ أخبرتكم أنكم ترجعون إلى الإختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم أعناق بعض ، وقد فعلتم فرجع[٣].

ووافاه رسول الوليد في أثناء ذلك يأمره بالخروج عن الأندلس والقفول إليه ، فساءه

---

١) ذكر ابن عبد الحكم ما جرى بين القائدين، قال: (وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمرو، فشده وثاقاً وحبسه، وهم بقتله، وكان معتب (في مصادر أخرى مغيث) الرومي غلاماً للوليد بن عبد الملك، فبعث إليه طارق إنك إن رفعت أمري إلى الوليد، وأن فتح الأندلس كان على يديّ، وأن موسى حبسني، وأنه يريد قتلي، أعطيتك مائة عبد، وعاهده على ذلك. فلما أراد معتب الانصراف ودّع موسى بن نصير وقال له: لا تعجل على طارق ولك أعداء، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره وأخاف عليك وجده، فانصرف معتب وموسى بالأندلس، فلما قدم معتب على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يدي طارق، وبحبس موسى إياه، والذي أراد به من القتل، فكتب الوليد إلى موسى يقسم له بالله لئن ضربته لأضربنك ولئن قتلته لأقتلن ولدك به، ووجه الكتاب مع معتب الرومي، فقدم به على موسى الأندلس، فلما قرأه أطلق طارقا وخلى سبيله، ووفى طارق لمعتب بالمائة العبد الذي كان جعل له) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٨ ؛أما صاحب كتاب أخبار مجموعة فلم يشر إلى ذلك واكتفى بالقول: (فلما رآه نزل إليه، فوضع موسى السوط على رأسه وأنبه، فيما كان به من خلاف رأيه، ثم سار به إلى مدينة طليطلة) ، مؤلف مجهول، ص٢٦- ٢٧ ؛ وأشار حسين مؤنس إلى أن رواية ابن عبد الحكم كانت معروفة بالمشرق ونقلها عنه المشارقة، وكان من روج لها مغيث الرومي مولى الخليفة الوليد والذي كان يطمع في ولاية الأندلس فأوغر صدر الخليفة على موسى، أما رواية صاحب كتاب أخبار مجموعة فهي التي كانت معروفة في الأندلس وهم أحرى بأخبارهم، ولو كان ما ذهب إليه ابن عبد الحكم صحيحاً لما حدث من تعاون مشترك بين الرجلين القائدين بعد ذلك. فجر الأندلس، ص١٤٦- ١٤٧.

٢) سرقسطة ، إحدى مدن شمال شرق الأندلس وتسمى أيضا المدينة البيضاء لأن أسوارها من حجر الرخام الأبيض افتتحها القائدان موسى وطارق سنة ٩٤هـ وسقطت بيد النصارى سنة ٥٢١هـ. العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٢- ٢٥ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٨٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٨- ١٩ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٤٣- ١٤٤.

٣) ينظر الرواية: مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٧٧/١ وفيه أن موسى لما رأى ما كُتِبَ هاله ذلك، وقال: ما كُتب هذا إلا لمعنى كبير، فشاور أصحابه في الإعراض عنه وجوازه إلى ما وراءه، فاختلفوا عليه، فأخذ برأي جمهورهم وانصرف بالناس.

ذلك ومطل الرسول وهو يقصد بلاد العدو في غير ناحية الصنم يقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس حتى بلغ صخرة بلاي[1] على البحر الأخضر[2] ، وهو في قوة وظهور ، فقدم عليه رسول آخر للوليد يستحثه وأخذ بعنان بغلته وأخرجه ، وكان موافاة الرسول بمدينة لُكّ[3] بجليقية ، وخرج على الفج المعروف بفج موسى ، ووافاه طارق من الثغر الأعلى معه ومضيا جميعاً[4].

واستخلف موسى على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى ، فلما عبر البحر إلى

---

١) قال المقري: (أول من جمع فل النصارى بالأندلس بعد غلبة العرب لهم علج يقال له بلاي، من أهل أشتوريش من جليقية، كان رهينة عن طاعة أهل بلده، فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبدالرحمن الثقفي، الثاني من أمراء العرب بالأندلس، وذلك في السنة السادسة من افتتاحها، وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن، فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم) نفح الطيب، ٣٥٠/٤ ؛ وينظر التفاصيل عن بلاي: مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٦٧- ٣٨٢.

٢) وسماه آخرون البحر المحيط وبحر الظلمات وهو محيط بالدنيا جميعها كاحاطة الهالة بالقمر. البكري، المسالك والممالك، ١/ ١٤٩ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٦٥.

٣) لك بضم اللام مدينة تقع في منطقة جليقية شمال غربي أسبانيا ، ابن الشباط، صلة السمط، ص١٥١.

٤) رواية المقري هنا أكثر تفصيلاً، قال: (كانت نفس موسى بن نصير في ذلك كله تنزعج إلى دخول دار الكفر جليقية ، فبينما هو يعمل في ذلك ويُعِد له إذ أتاه مغيث الرومي رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه يأمره بالخروج عن الأندلس والإضراب عن الوغول فيها ، ويأخذه بالقفول إليه، فساءه ذلك، وقطع به عن إرداته، إذ لم يكن في الأندلس بلد لم تدخله العرب إلى وقته ذلك غير جليقية ،فكان شديد الحرص على اقتحامها ، فلاطف موسى مغيثا رسول الخليفة، وسأله إنظاره إلى أن ينفذ عزمه في الدخول إليها والمسير معه في البلاد أياما ، ويكون شريكه في الأجر والغنيمة، ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بارو وحسن لك، فأقام هناك، وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الأخضر، فلم تبق كنيسة إلا هدمت، ولا ناقوس إلا كسر، وطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية، ... وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة الأمل إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليد مغيثا لما استبطأ موسى في القفول، وكتب إليه يوبخه، ويأمره بالخروج، وألزم رسوله إزعاجه، فانقلع حينئذ من مدينة لك بجليقية، وخرج على الفج المعروف بفج موسى، ووافاه طارق في الطريق منصرفا من الثغر الأعلى، فأقفله مع نفسه ومضيا جميعا) نفح الطيب، ٢٧٥/١- ٢٧٦؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٩ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص١٦٤- ١٦٦.

سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وما والاهما ابنه عبد الملك ، واستخلف على إفريقية وأعمالها ابنه الكبير عبد الله ، وسار إلى الشام وحمل الأموال التي غنمت من الأندلس والذخائر والمائدة ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم ومن نفيس الجوهر والأمتعة ما لا يحصى ، فورد الشام ، وقد مات الوليد بن عبد الملك ، واستخلف سليمان بن عبد الملك[1] ، وكان منحرفاً عن موسى بن نصير ، فعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأغرمه حتى احتاج أن يسأل العرب في معونته[2].

وقيل: إنه قدم الشام والوليد حيّ ، وكان قد كتب إليه وادعى أنه هو الذي فتح الأندلس وأخبره خبر المائدة ، فلما حضر عنده عرض عليه ما معه وعرض المائدة ، ومعه طارق ، فقال طارق: أنا غنمتها. فكذبه موسى. فقال طارق للوليد: سله عن رجلها المعدومة. فسأله عنها فلم يكن عنده علم ، فأظهرها طارق وذكر أنه أخفاها لهذا السبب. فعلم الوليد صدق طارق وإنما فعل هذا لأنه كان حبسه وضربه حتى أرسل الوليد فأخرجه ، وقيل لم يحبسه[3].

قالوا: ولما دخلت الروم بلاد الأندلس كان في مملكتهم بيت إذا ولي ملك منهم أقفل عليه قفلاً ، فلما ملكت القوط فعلوا كفعلهم ، فلما ملك رذريق أراد فتح الأقفال فنهاه أكابر أهل البلاد عن ذلك فلم يقبل منهم وفتح الأقفال فرأى في البيت صور العرب وعليهم العمائم الحمر على خيول شهب ، وفيه كتاب: إذا فتح هذا

---

١) تولى الخلافة الأموية سنة ٩٦هـ وتوفي سنة ٩٩هـ. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٦٦- ١٦٩.

٢) قيل إنه لما قرب موسى بن نصير من الشام كان الوليد مريضاً فأرسل سليمان إلى موسى أن توقف في السير ليكون دخولك في أيامي فقال موسى للرسول حسبي أن أسير سيري، فإن جرى المقدور بموت ولي النعمة عندي قبل وصولي إليه كان ما يريد. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٦ ؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة(منسوب)٩٧/٢ ؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٨٠/١.

٣) ينظر الرواية: ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١٣٣- ١٣٥ ؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٨ ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٨٠/١.

البيت دخل هؤلاء القوم هذا البلد. ففتحت الأندلس تلك السنة[1].

فهذا القدر كاف في فتح الأندلس ، ونذكر باقي أخبار الأندلس عنه أوقات حدوثها على ما شرطنا إن شاء الله تعالى.

ذكر غزوة جزيرة سردانية[2]

هذه الجزيرة في بحر الروم ، وهي من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صقلية[3] وأقريطش[4] ، وهي كثيرة الفواكه ، ولما فتح موسى بلاد الأندلس سيّر طائفة من عسكره في البحر إلى هذه الجزيرة سنة اثنتين وتسعين فدخلوها ، وعمد النصارى إلى ما لهم من آنية ذهب وفضة فألقوا الجميع في الميناء الذي لهم وجعلوا أموالهم في سقف بنوه للبيعة العظمى التي لهم تحت السقف الأول ، وغنم المسلمون فيها ما لا يحد ولا يوصف ، وأكثروا الغلول[5]. فاتفق أن رجلاً من المسلمين اغتسل في الميناء فعلقت رجله في شيء فأخرجه فإذا صفحة من فضة ، وأخذ المسلمون جميع ما فيه ، ثم دخل رجل من المسلمين إلى تلك الكنيسة فنظر إلى حمام فرماه بسهم فأخطأه ووقع في السقف وانكسر لوح فنزل منه شيء من الدنانير وأخذوا الجميع ، وازداد المسلمون غلولاً ، فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمي ما في جوفها فيملأه دنانير ويخيط عليها ويلقيها في الطريق ، فإذا خرج

---

١) ينظر الرواية: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٤ ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢ ؛ المقري، نفح الطيب ، ١/ ٢٤٧.

٢) سردانية، جزيرة في بحر الروم يحيط بها البحر ثلاثمائة ميل غزاها المسلمون سنة ٩٢هـ في عسكر موسى بن نصير. البكري المسالك والممالك، ١/ ١٥٠ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٨٤/٢ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ٢٠٩/٣ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣١٤.

٣) صقلية ، جزيرة في بحر الروم يحيط بها البحر خمسمائة ميل، مثلثة الشكل بين كل زاوية وأخرى سبعة أيام، وتبعد عن إفريقية خمسة عشر يوماً ؛ البكري، المسالك والممالك، ١٥٠/١ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ٤١٦/٣.

٤) أقريطش ، جزيرة في بحر الروم يحيط بها البحر ثمانمائة ميل، يقابلها في إفريقية بر لوبيا (ليبيا)افتتحها أبو حفص عمر البلوطي سنة ٢١٠هـ، وسقطت بيد الروم البيزنطيين سنة ٣٥٠هـ. البكري، المسالك والممالك، ١/ ١٥٠ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ٣٢٦/١.

٥) الغلول هو أخذ شيء من الفيء والغنائم بدون علم الإمام، أي الخيانة في الفيء والغنيمة، الفراهيدي، العين، ص٧١٧ (مادة غل).

أخذها ، وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملأه ذهباً.

فلما ركبوا في البحر سمعوا قائلاً يقول: اللهم غرقهم ، فغرقوا عن آخرهم ، فوجدوا أكثر الغرقى والدنانير على أوساطهم[1].

وفي سنة خمس وثلاثين ومائة غزاها عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري[2] فقتل من بها قتلاً ذريعاً ثم صالحوه على الجزية [3] ، فأخذت منهم وبقيت ولم يغزها بعده أحد ، فعمرها الروم.

فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة أخرج إليها المنصور بن القائم العلوي[4] ، صاحب إفريقية ، أسطولاً من المهدية[5] فمروا بجنوة[6] ففتحوا المدينة وأوقعوا بأهل سردانية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وأخربوا جنوة وغنموا مافيها[7].

---

١) ينظر الرواية: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٧ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣١٤- ٣١٥ ؛ وأشار خليفة بن خياط إلى الرواية بشكل مختصر ولم يشر إلى الغلول، ولكنه جعل هذه الغزوة في سنة ٨٧هـ. تاريخ خليفة، ص١٩٠- ١٩١.

٢) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري دخل القيروان في أواخر الدولة الأموية ودعا الناس إلى نفسه سنة ١٢٧هـ وأخضع مناطق واسعة من إفريقية وأسس حكماً شبه مستقلاً عن الخلافة في دمشق ثم بغداد حتى مقتله سنة ١٣٨هـ. ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٨٦- ١٠٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٠/١- ٦٨.

٣) قال ابن عذاري في هذه السنة غزا عبد الرحمن بن حبيب سردانية وصالحهم على الجزية، البيان المغرب، ٦٥/١.

٤) هو المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي، أحد الخلفاء الفاطميين بويع له بالمهدية سنة ٣٣٤هـ وتوفي سنة ٣٤١هـ. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٨٨- ٩٢.

٥) المهدية، قال الاصطخري: (مدينة صغيرة استحدثها عبيد الله المستولى على المغرب وسمّاها بهذا الاسم وهى على البحر وعبيد الله تحوّل إليها من القيروان وهى من القيروان على يومين)المسالك والممالك، ص٣٨.

٦) جنوة، قال الإدريسي: أحد مدن الروم (قديمة أزلية البناء حسنة الجهات والأفناء بنيانها شاهق السمو وهي وافرة الثمر كثيرة المزارع والقرى والعمارات وهي على قرب نهر صغير وأهلها تجار أمناء مياسير يسافرون برا وبحرا ويقتحمون سهلا ووعرا ولهم أسطول مخيف ولهم معرفة بالحيل الحربية والآلات السلطانية ولهم بين الروم عزة أنفس)نزهة المشتاق، ٥٤٩- ٥٥٠.

٧) ينظر الرواية: ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٣٥٦/١.

وفي سنة ست وأربعمائة غزاها مجاهد العامري[١] من دانية[٢] ، وكان صاحبها في البحر في مائة وعشرين مركباً ، ففتحها وقتل فأكثر وسبى النساء والذرية ، فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا وساروا إليه من البر الكبير في جمع عظيم فاقتتلوا ، وانهزم المسلمون وأخرجوا من جزيرة سردانية ، وأخذت بعض مراكبهم[٣] وأسر أخو مجاهد. مجاهد. وابنه علي بن مجاهد ، ورجع بمن بقي إلى دانية ولم تغز بعد ذلك[٤].

---

١) مجاهد العامري من فتيان المنصور بن أبي عامر وقد استقل بدانية بعد سقوط الدولة العامرية وكان ذا نباهة ورياسة ومحبا للعلم والأدب، توفي سنة ٤٣٦هـ، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٢٠ ؛ ابن سعيد ، المُغرب، ٤٠١/٢ ؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ١٥٥/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٣٤/٢٩- ٤٣٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠٤/٢.

٢) دانية، مدينة بشرق الأندلس على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين، وسورها من ناحية المشرق في داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة ، ولها قصبة منيعة جداً ، وهي على عمارة متصلة وشجر تين كثيرة وكروم، والسفن واردة عليها صادرة عنها ، ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو، وبها ينشأ أكثره لأنها دار إنشائه، وفي الجنوب منها جبل عظيم مستدير تظهر من أعلاه جبال يابسة في البحر) صفة، ص٧٦ ؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الأخبار، ص١٠ ؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٣ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٦/٢ ؛ ابن سعيد ، المغرب، ٤٠٠/٢.

٣) قال ابن الخطيب لم يخلص من أسطوله إلا خمسة مراكب وأربعة قوارب، أعمال الأعلام، ٢٠٤/٢.

٤) ذكر الرواية بتفاصيل أكثر الحميدي قال: (قصد هو فيمن تبعه الجزائر التي في شرق الأندلس، وهي جزائر خصب وسعة، فغلب عليها وحماها، ثم قصد منها في المراكب إلى سردانية، جزيرة من جزائر الروم كبيرة في سنة ست أو سبع وأربع مائة، فغلب على أكثرها وافتتح معاقلها، ثم اختلفت عليه أهواء الجند، وجاءت أمداد الروم، وقد عزم على الخروج منها طمعاً في تفرق من يشغب عليه، فعاجلته الروم وغلبت على أكثر مراكبه، فأخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال: حدثني أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني، قال: كنت مع أبي الجيش مجاهد أيام غزاته سردانية، فدخل بالمراكب في مرسى نهاه عنه أبو خروب رئيس البحريين، فلم يقبل منه، فلما حصل في ذلك المرسي هبت ريح، فجعلت تقذف مراكب المسلمين مركباً مركباً إلى الريف، والروم وقوف لا شغل لهم إلا الأسر والقتل للمسلمين، فكلما سقط مركب بين أيديهم جعل مجاهد يبكي بأعلى صوته لا يقدر هو ولا غيره على أكثر، لارتجاج البحر وزيادة الريح، قال: فيقبل علينا أبو خروب وينشد :=

=بكا دوبل لا أرقأ الله عينه ألا إنما يبكي من الذل دوبل

وإنما ذكرنا جميع أخبارها هاهنا لقلتها ، وإذا تفرقت لم تعرف كما يجب.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر فتح طليطلة من الأندلس

قال أبو جعفر[1]: وفي هذه السنة غضب موسى بن نصير على مولاه طارق فسار إليه في رجب منها ، واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى ، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف ، فتلقاه وترضاه ، فرضي عنه وقبل عذره وسيّره إلى طليطلة ، وهي من عظام بلاد الأندلس ، وهي من قرطبة على عشرين يوماً ، ففتحها وأصاب فها مائدة سليمان بن داود ، عليه السلام ، وما فيها من الذهب والجوهر ، والله أعلم به[2].

قلت: لم يزد على هذا ، وقد ذكرت في سنة اثنتين وتسعين من فتح الأندلس ودخول موسى بن نصير إلى طارق ما فيه كفاية فلا حاجة إلى إعادته ؛ إلا أن أبا جعفر قد ذكر أن موسى هو الذي سيّر طارقاً وهو بالأندلس ففتح مدينة طليطلة ، والذي ذكره أهل الأندلس في تواريخهم ما تقدم ذكره.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ثم يقول: قد كنت حذرته من الدخول ها هنا فلم يقبل، قال: فبجريعة الذقن ما تخلصنا في يسير من المراكب) جذوة المقتبس، ص٣٢٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٥/٣- ١٥٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠٣/٢- ٢٠٤ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٢/٤.

١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب كتاب تاريخ الرسل والملوك.

٢) ينظر رواية الطبري وفيها بعض الإختلاف قال: (... أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ثلاث وتسعين، فشخص إليه في رجب منها، ومعه حبيب بن عقبة بن نافع الفهري، واستخلف حين شخص على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن نصير، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف، فتلقاه فرضي عنه وقبل منه عذره، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة، وهي من عظام مدائن الأندلس، وهي من قرطبة على عشرين يوماً، فأصاب فيها مائدة سليمان بن داود فيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به) تاريخ الرسل والملوك، ٤٨١/٦.

ذكر مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير

وكان سبب قتله أن أباه استعمله على الأندلس ، كما ذكرنا ، عند عوده إلى الشام ، فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها ، وافتتح في إمارته مدائن بقت بعد أبيه ، وكان خيراً فاضلاً ، وتزوج امرأة رذريق[1] ، فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على أن يأخذ أصحابه ورعيته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يفعل لزوجها رذريق. فقال لها: إن ذلك ليس في ديننا. فلم تزل به حتى أمر ففتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه ، فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع ، فرضيت به ، فصار كالسجود عندها ، فقالت له: الآن لحقت بالملوك وبقي أن أعمل لك تاجاً مما عندي من الذهب واللؤلؤ ، فأبى ، فلم تزل به حتى فعل. فانكشف ذلك للمسلمين فقيل تنصر ، وفطنوا للباب فثاروا عليه فتقلوه في آخر سنة سبع وتسعين[2]. وقيل: إن

---

١) ويسميها العرب إيلة ، وأم عاصم ، وعند الأسبان إيجلونا ، وأشارت أغلب الروايات إلى أنها أرملة لذريق آخر ملوك القوط ، فيما أشارت رواية أخرى إلى أنها ابنة لذريق ، وقد تزوجها عبد العزيز بن موسى بن نُصير ، وذهب البعض إلى أنها أول حركة للتزاوج بالنصرانيات بدءا من قائدهم ، ينظر ترجمة أم عاصم: الدرويش ، أعلام نساء الأندلس ، ص٢٠٥- ٢٠٨.

٢) هناك بعض التفاصيل عن هاتين الروايتين الأولى هي: إن زوجته النصرنية أم عاصم قالت له: لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق أهل مملكته ، فقال لها إن هذا حرام في ديننا ، فلم تقنع منه بذلك ، ولكثرة شغفه بها رأى أن ذلك يُزري بقدْره عندها ، فاتخذ بابا صغيرا قُبالة مجلسه يدخل منه الناس عليه ، فينحنون ، وأفهمها إن ذلك تحية له ، فرضيت ، وفهم الناس منه ذلك ونمى إلى الجند أنها نصرته ، فقتلوه ، أما الثانية فذكرت: إن عبد العزيز بن موسى تزوج من أرملة لذريق بعد خروج أبيه ، وتدعى (ايلة)وتكنى أم عاصم ، وكانت قد بقيت على دينها وصالحت على نفسها ودفعت الجزية ، فحظيت عنده وغلبت على نفسه ، وسكن معها بإشبيلية ، فقالت له: إن الملوك إذا لم يتوجوا فلا ملك لهم ، فلو عملت لك مما بقي عندي من الذهب والجوهر تاجا ؟ فقال: ليس ذلك في ديننا ، فقالت له: من أين يعرف أهل دينك في خلوتك ما أنت فيه ، فلم تزل به حتى فعل ، فبينما هو ذات يوم جالساً معها إذ دخلت عليهما امرأة زياد بن النابغة التميمي من بنات الملوك أيضاً ، فأرادت من زوجها أن يفعل ذلك فأبى ، فقالت: إن إمامكم فعل ذلك ، فأخبر زياد حبيب بن أبي عبدة الفهري ، حتى انتشر الخبر ، وتيقنوه ، فقالوا تنصر فقتلوه. ينظر عن هاتين الروايتين: ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، = =ص٢٤٠ ؛ مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص٢٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣٣/٢- ٣٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢٩/٢٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٢٨١/١؛ ويشكك حسين مؤنس في هذه

سليمان بن عبد الملك بعث إلى الجند في قتله عند سخطه على والده موسى بن نصير، فدخلوا عليه وهو في المحراب فصلى الصبح وقد قرأ الفاتحة وسورة الواقعة فضربوه بالسيوف ضربة واحدة وأخذوا رأسه فسيّروه إلى سليمان، فعرضه سليمان على أبيه، فتجلد للمصيبة وقال: هنيئاً له الشهادة وقد قتلتموه والله صواماً قواماً. وكانوا يعدونها من زلاّت سليمان. وكان قتله على هذه الرواية سنة ثمان وتسعين في آخرها[1].

الرواية، ويتساءل، كيف فسر الجند لبس التاج تنصرا، كما إنه لم يلبسه إلا في خلواته، وكيف يثور الجند هذه الثورة وفيهم من يعمل أكثر مما عمل عبد العزيز، إذن لا بد من دوافع أخرى، فجر الأندلس، ص١٨٩- ١٩٠، ويتساءل أحد الباحثين مشككاً في هذه الرواية قائلاً: لا يعقل أن يميل قائد مسلم لعب أبوه دوراً بارزاً في فتح الأندلس، ونشر الإسلام فيه إلى التنصر، بعد هذا الجهد الذي حققه، اشتيوي، الأندلس في عصر الولاة، ص٤٨، وأشار عبد الرحمن الحجي إلى هذه الرواية قائلاً: من أين أتت هذه الحكاية؟! ألا يمكن أن تكون كنسية؟ لا فرق بينها وبين حكاية ابنة يُلْيان وفتح الأندلس، بل أكثر إغراقاً كيف يمكن أن يُقْبَل هذا لإنسان تموج حياته بالتقوى والزهد والجهاد، ومن أُسرة معروفة به. وفي أقل القليل أنه بعد توليه الأندلس استمر في الفتح والجهاد، وحتى حياته الخاصة بقي في بيته البسيط القريب أو المجاور للمسجد الذي كان ملتقى المسلمين ومجمع مداولاتهم وموضع عبادتهم، الذي كان هو يؤمهم فيه، حتى لدى مقتله في صلاة الصبح، وكان يمكنه أن يسكن أحد القصور المتاحة له، ويضيف إن زواج عبد العزيز بن موسى من أم عاصم أمر لا يمكن إنكاره، ويرجح أنها أسلمت إذ قال: (من المستبعد أن تكون أم عاصم غير مسلمة، والأكثر قبولا أن زواجه بها تم بعد إسلامها) التاريخ الأندلسي، ص١٥٩. وفي تقديرنا إن عبد العزيز بن موسى بن نُصير كان عبقرياً حقاً، لأنه وضع الأسس الأولى لتثبيت أقدام المسلمين في الأندلس عن طريق فتح باب التزاوج على مصراعيه مع أبناء البلاد الأصليين، وإن بقوا محافظين على دينهم، لأن الإسلام لا يمنع زواج المسلم من النصرانية، وبذلك أقام أواصر مهمة ربطت الفاتح المسلم بأهل البلاد و بالأرض ،ولعل ذلك كان واحدا من العوامل المهمة التي أحبطت مخططات الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ)التي كانت تهدف إلى الانسحاب من الأندلس.

١) أشارت بعض المصادر إلى أن الخليفة سليمان بن عبد الملك عندما حبس موسى بن نُصير وأغرمه أرسل من نمي إليه أن ابنه همّ بخلع الطاعة، فأرسل إلى خمسة نفر من وجوه العرب بالأندلس بقتل عبد العزيز بن موسى، منهم حبيب بن أبي عبدة وزياد بن النابغة التميمي، فكمنوا له في صلاة الصبح، فلما قرأ الفاتحة ثم سورة الواقعة رفع القوم سيوفهم مرة واحدة وأخذوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٦ ؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء= =الأندلس، ص٢٢٥ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥٧ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٥٨. وبناءً على ما جاء في هذه فإن بعض المصادر ألقت باللوم في مقتل عبد العزيز بن موسى على

ثم إن سليمان ولى الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي[١] ، فأقام والياً عليها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز[٢] فعزله ، هذا آخر ما أردنا ذكره من قتل عبد العزيز على سبيل الاختصار.

وفيها مات موسى بن نصير الذي فتح الأندلس ، وكان موته بطريق مكة مع سليمان بن عبد الملك[٣].

ثم دخلت سنة مائة

وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز إسماعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم[٤] على إفريقية ، واستعمل السمح بن مالك الخولاني[٥] على الأندلس ، وكان قد رأى

الخلافة، واعتبروا أن ذلك إحدى زلات سليمان التي لم تزل تُنقَم عليه. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٣/٢.

١) قال ابن عذاري: (لما ولي سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد، مولى ابنة الحكم بن العاصي، إفريقية، كانت الأندلس وطنجة إلى صاحب إفريقية. فوجه محمد بن يزيد الحرّ بن عبد الرحمن هذا عاملا على الأندلس، في أربعمائة رجل من وجوه إفريقية. فبقى الحرُّ واليا. عليها ثلاث سنين؛ فنقل الحرُّ هذا الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة. وكان قدوم الحرّ الأندلس سنة ٩٩ من الهجرة)، البيان المغرب، ٣٥/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٦؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٧٩ ويسميه الحر بن عبد الرحمن القيسي؛ المقري، نفح الطيب، ٢٣٥/١.

٢) ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة ٩٩هـ وتوفي سنة١٠١هـ. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٧٠- ٢٨٨.

٣) ينظر الرواية: ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص١٣٣- ١٣٥؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤١ ؛ ابن قتيبة، (منسوب)الإمامة والسياسة، ١١٤/٢- ١١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/٢- ٣٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٧٢/١.

٤) هو إسماعيل بن عبد الله (وقيل عبيد الله) بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم ولي إفريقية في خلافة عمر بن عبد العزيز سنتي مائة وإحدى ومائة، وكان خير وال وخير أمير، حريصاً على نشر الإسلام بين البربر، الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٦٢ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٣٥/٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٨/١.

٥) قال ابن عذاري: ولى عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك على الأندلس، وأمره أن يحمل الناس= =على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعقارها، ويكتب إليه بصفة الأندلس وأنهارها. وكان رأيه نقل المسلمين منها وإخراجهم عنها، لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار، فقيل له: إنّ الناس قد كثروا بها،

منه أمانةً وديانةً عند الوليد بن عبد الملك فاستعمله.

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ذكر غزوة عنبسة الفرنج بالأندلس

في هذه السنة غزا عنبسة بن سحيم الكلبي[1] عامل الأندلس بلد الفرنج في كثير، ونازل مدينة قرقسونة[2] وحصر أهلها، فصالحوه على نصف أعمالها، وعلى جميع ما في المدينة من أسرى المسلمين وأسلابهم، وأن يعطوا الجزية، ويلتزموا بأحكام الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من سالموه، فعاد عنهم عنبسة وتوفي في شعبان سنة سبع ومائة أيضاً، وكانت ولايته أربع سنين وأربعة أشهر، ولما مات استعمل عليهم بشر بن صفوان[3] يحيى بن سلمة الكلبي [1] في ذي القعدة سنة

وانتشروا في أقطارها؛ فأضرب عن ذلك، وقتل السمح بطرسونة، وذلك أنه غزا الروم في سنة ١٠٢هـ، فاستشهد يوم عرفة، فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر. وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: ثلاث سنين. البيان المغرب، ٣٦/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٨ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٠ ؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٦٣.

١) ولي الأندلس سنة ١٠٣هـ وتوفي سنة ١٠٧هـ. ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧/٢.

٢) قرقشونة، هناك خلاف حول هذه المدينة، فابن الفرضي ذكر أن حبان بن أبي جبلة وهو أحد التابعين غزا مع موسى بن نصير حصناً في الأندلس يقال له قرقشونة فتوفي هناك، تاريخ علماء الأندلس، ص١٠٧ ؛ وقال البكري: إن في قرقشونة الكنيسة العظمى التي تسمى شنت مرية فيها يوم عيد ترده العجم من الآفاق، جغرافية الأندلس، ص٦٠ ؛ أما الإدريسي فذكر أنها مدينة حسنة في سفح جبل بينها وبين برشلونة أربعة أيام شمالا. نزهة المشتاق، ٧٣٤/٢ ؛ فيما أشار ياقوت إلى أن بينها وبين قرطبة مسافة خمسة وعشرون يوماً، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٢٤ ؛ فيما ذكر المقري أن بينها وبين برشلونة مسافة خمسة وعشرون يوماً، نفح الطيب، ٢٧٨/١ ؛ ولم يشر ابن عذاري إلى اسم هذه المدينة ولا إلى تفاصيل الصلح واكتفى بالقول: (وفي سنة ١٠٥، خرج عنبسة غازيا للروم بالأندلس، وأهلها يومئذ خيار، فضلاء، أهل نية في الجهاد وحسبة في الثواب؛ فألح على الروم في القتال والحصار، حتى صالحوه)، البيان المغرب، ٢٧/٢.

٣) هو بشر بن صفوان بن تويل بن بشر بن حنظلة بن علقمة الكلبي ولي مصر وإفريقية في خلافة يزيد بن عبد الملك ثم لهشام بن عبد الملك وتوفي سنة ١٠٩هـ. ينظر: الكندي، ولاة مصر، ص٦٦- ٦٧ ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٩١- ٩٢ ؛ ابن عذاري، البيان

سبع أيضاً[٢].

ثم دخلت سنة تسع ومائة

وفيها غزا بشر بن صفوان عامل إفريقية جزيرة صقلية فغنم شيئاً كثيراً ثم رجع من غزاته إلى القيروان وتوفي بها من سنتها[٣] ، فاستعمل هشام بعده عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي[٤] ، فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبي عن الأندلس واستعمل حذيفة بن الأحوص الأشجعي ، فقدم الأندلس في ربيع الأول سنة عشر ومائة ، فبقي والياً عليها ستة أشهر ثم عزل ، ووليها عثمان بن أبي لسعة الخثعمي[٥].

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن ، عامل إفريقية ، عثمان بن لسعة عن الأندلس واستعمل بعده الهيثم بن عبيد الكناني ، وقدمها في المحرم سنة إحدى عشرة ومائة ،

المغرب، ٤٩/١.

١) تولى الأندلس سنة ١٠٧هـ في خلافة هشام بن عبد الملك ولمدة سنتين وستة أشهر. أسماه ابن القوطية يحيى بن سلامة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٨ ؛ وأسماه مؤلف مجهول، يحيى بن مسلمة، أخبار مجموعة، ص٣١ ؛ وأسماه ابن عذاري يحيى بن سلمة، البيان المغرب، ٢٧/٢.

٢) ينظر الرواية عن عنبسة: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٧٢ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٨٧.

٣) قال الرقيق القيرواني: إن بشر بن صفوان لما رجع من غزوة صقلية وحضرته الوفاة صاحت جارية له عند رأسه وا شماتة الأعداء ياسيداه،فقال لها: قولي للأعداء لا يموتوا ، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٦٦.

٤) هو عبيدة بن عبد الرحمن ابن أخي أبي الأعور السلمي ولي إفريقية سنة ١١٠هـ وعزل عنها سنة ١١٤هـ. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٦٨ـ ٧٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٠/١ـ٥١.

٥) رواية ابن عذاري جعلت ولاية عثمان بن أبي نسعة قبل حذيفة بن الاحوص قال: (وفي سنة ١١٠ ولى عبيدة بن عبد الرحمن المذكور عثمان بن أبي نسعة على الأندلس فقدمها في شعبان. وفي سنة ١١١ قدم إلى الأندلس والياً أيضاً من قبل عبيدة بن عبد الرحمن صاحب أفريقية والمغرب كله حذيفة بن الاحوص القيسي وقيل: الاشجعي وذلك في غرة محرم من السنة المذكورة)، البيان المغرب، ٥٠/١ ؛ ينظر أيضاً: ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٨ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٣١ وقال هو عثمان بن أبي سعيد الخثعمي وقد ولي الأندلس تسعة أشهر.

وتوفي في ذي الحجة من السنة ، فكانت ولايته عشرة أشهر[1].

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائة

وفيها استعمل أهل الأندلس على أنفسهم بعد موت الهيثم أميرهم محمد بن عبد الملك الأشجعي ، فبقي شهرين[2] ، وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي[3].

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ذكر قتل عبد الرحمن أمير الأندلس

---

١) قال ابن عذاري: (وفي سنة ١١٢ ولى عبيدة المذكور على الأندلس أيضاً الهيثم بن عبيد الكناني فقدمها في محرم أيضاً من هذه السنة ثم توفي سنة ١١٤ وكانت ولايته سنتين وأياماً)، البيان المغرب، ٥٠/١. ينظر أيضاً: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٨ وأسماه الهيثم بن عبد الكافي ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٣١ وأسماه الهيثم بن عفير الكناني.

٢) ورد اسمه في المصادر الأندلسية محمد بن عبد الله الاشجعي، قيل قدّمه الهيثم بن عبيد الكلابي والي الأندلس عند موته وتخيره لذلك، وكان فاضلاً فصلى بالناس شهرين، حتى قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي والياً من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب إفريقية وذلك في صفر سنة ١١٣هـ، وقيل في صفر سنة ١١٢هـ. ابن الأبار، التكملة، ٢٨٣/١- ٢٨٤ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣٢٧/٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٣٥/١.

٣) عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي العكي، ولي الأندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقية، وهو من التابعين روى عن عبد الله بن عمر، وروى عنه عبد الله بن عياض، استشهد في قتال الروم بالأندلس سنة ١١٤هـ وقيل ١١٥هـ، وكان رجلاً صالحاً جميل السيرة في ولايته، كثير الغزو، عدل القسمة في الغنائم، ذكر نه غزا إفرنجه، فغنم غنائم كثيرة، وظفر بهم، وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد، فأمر بها فكسرت، ثم أخرج الخمس وقسم سائر ذلك في المسلمين الذين كانوا معه، فبلغ ذلك عبيدة بن عبد الرحمن القيسي الذي هو من قبله فغضب غضباً شديداً، وكتب إليه كتاباً يتواعده فيه، فكتب إليه عبد الرحمن: إن السموات والأرض لو كانتا رتقاً لجعل الرحمن للمتقين منها مخرجاً. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢١٠ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ٢٤٢- ٢٤٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٣٦/١.

ولاية عبد الملك بن قطن[1]

في هذه السنة - وهي سنة ثلاث عشرة ومائة - غزا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أمير الأندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ، وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل عبيدة على إفريقية والأندلس سنة عشر ومائة ، فلما قدم إفريقية ، رأى المستنير بن الحارث الحريثي[2] غازياً بصقلية ، وأقام هناك حتى هجم عليه الشتاء ثم قفل راجعاً ، فغرق من معه وسلم المستنبر في مركبه ، فحبسه عبيدة عقوبة له وجلده وشهّره بالقيروان[3].

ثم إن عبيدة استعمل على الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله ، فغزا إفرنجة وأوغل في أرضهم وغنم غنائم كثيرة ، وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرد ، فكسرها وقسمها في الناس. فبلغ ذلك عبيدة ، فغضب غضباً شديداً ، فكتب إليه يتهدده ، فأجابه عبد الرحمن ، وكان رجلاً صالحاً: أما بعد فإن السموات والأرض لو كانتا رتقاً لجعل الله للمتقين منها مخرجاً. ثم خرج غازياً ببلاد الفرنج هذه السنة ، وقيل: سنة أربع عشرة ، وهو الصحيح ، فقتل هو ومن معه شهداء[4].

---

١) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر الفهري، أمير الأندلس، وليها سنة ١١٥هـ بعد عبد الرحمن الغافقي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي الأمير بإفريقية، وقتل بالأندلس سنة ١٢٥هـ. الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨/٢.

٢) أسماه خليفة بن خياط، المستنير بن الحارث، تاريخ، ص٣٤١ ؛ وأسماه ابن عبد الحكم المستنير بن الحبحاب الحرشي، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٤.

٣) أورد ابن عبد الحكم الرواية بتفصيل أكثر، قال: (ولي عبيدة بن عبد الرحمن إفريقية في المحرم سنة عشر ومائة، فلما قدم عبيدة أفريقية وجه المستنير بن الحبحاب الحرشي غازيا إلى صقلية، فأصابتهم ريح فغرقتهم، ووقع المركب الذي كان فيه المستنير إلى ساحل أطرابلس، فكتب عبيدة بن عبد الرحمن إلى عامله على أطرابلس يزيد بن مسلم الكندي، يأمره أن يشده وثاقا ويبعث معه ثقة، فبعث به في وثاق، فلما قدم على عبيدة جلده جلداً وجيعاً، وطاف به القيروان على أتان، ثم جعل يضربه في كل جمعة مرة حتى أبلغ إليه، وذلك أن المستنير أقام بأرض الروم حتى نزل عليه الشتاء، واشتدت أمواج البحر وعواصفه فلم يزل محبوسا عنده) فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٤.

٤) عرفت هذه المعركة بمعركة بلاط الشهداء، وكانت في رمضان من سنة ١١٤هـ والتي

ثم إن عبيدة سار من إفريقية إلى الشام ومعه من الهدايا والإماء ولعبيد والدواب وغير ذلك شيء كثير ، واستعفى هشاماً ، فأجابه إلى ذلك وعزله ، وكان قد استعمل على الأندلس بعد قتل عبد الرحمن عبد الملك بن قطن[1].

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

وفيها غزا عبد الملك بن قطن عامل الأندلس أرض البشكنس وعاد سالماً [2].

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

وفيها استعمل عبد الله بن الحبحاب[3] عطية بن الحجاج القيسي[4] على الأندلس ، فسار إليها ووليها في شوال من هذه السنة وعزل عبد الملك بن قطن ، وكان له كل سنة غزاة ، وهو الذي افتتح جليقية والبتة[5] وغيرهما ، وقيل: بل ولي عبيدالله ابن الحبحاب إفريقية سنة سبع عشرة ، وسترد أخباره هناك ، وهذا أصح.

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

ذكر ولاية عبيد الله بن الحبحاب إفريقية والأندلس

استمرت عشرة أيام، واستشهد فيها عبد الرحمن الغافقي، وذلك في موقع بين مدينتي تور وبولتيه جنوبي باريس وانتهت بانكسار الجيش الإسلامي وانسحابه من الميدان، ينظر التفاصيل: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٩٣-٢٠٣ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٢٧- ٣٣٢.

١) ينظر الرواية: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٤٥.

٢) ذكر مؤلف مجهول أن عبد الملك بن قطن كانت ولايته الأولى ستة أشهر، قال: وكان الولاة يتوسعون في البلاد حتى بلغوا افرنجة، وافتتحت عامة الأندلس، أخبار مجموعة، ص٣١ ؛ وعن غزوه البشكنس ينظر: المقري، نفح الطيب، ٢٣٦/١ ؛ العلياوي، البشكنس، ص٧٢.

٣) الصحيح عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول ولي إفريقية سنة ١١٦هـ حتى سنة ١٢٣هـ. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧١- ٧٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٣٦/٢- ٣٣٨.

٤) الصحيح عقبة بن الحجاج السلولي الذي ولي الأندلس سنة ١١٦هـ واستمر حتى سنة ١٢١هـ أو سنة ١٢٣هـ، حيث استشهد خلف جبال البرت. ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٩/٢- ٣٠.

٥) لعله يقصد ألبة لأنه ذكرها إلى جانب جليقية الواقع شمال غرب أسبانيا ، وألبة هو إقليم يمتد من منابع نهر ابرة على الضفة اليمنى الشمالية له ، وهو أحدى مقاطعات بلاد البشكنس. ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ٣٣٠/١ ؛ العلياوي، البشكنس، ١٣.

في هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على إفريقية والأندلس عبيد الله بن الحبحاب وأمره بالمسير إليها ، وكان والياً على مصر ، فاستخلف عليها ولده وسار إلى إفريقية ، واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج ، واستعمل على طنجة ابنه إسماعيل ، وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً إلى المغرب ، فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان فلم يقاتله أحد إلا ظهر عليه ، وأصاب من الغنائم والسبي أمراً عظيماً ، فملئ المغرب منه رعباً ، وأصاب في السبي جاريتين من البربر ليس لكل واحدة منهما غير ثدي واحد ، ورجع سالماً. وسيّر جيشاً في البحر سنة سبع عشرة إلى جزيرة السردانية ، ففتحوا منها ونهبوا وغنموا وعادوا. ثم سيّره غازياً إلى جزيرة صقلية سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب ، فلما نزل بأرضها وجه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد إلا هزمه عبد الرحمن ، فظفر ظفراً لم ير مثله ، حتى نزل على مدينة سرقوسة[1] ، وهي من أعظم مدن صقلية ، فقاتلوه فهزمهم وحصرهم ، فصالحوه على الجزية ، وعاد إلى أبيه ، وعزم حبيب على المقام بصقلية إلى أن يملكها جميعاً ، فأتاه كتاب ابن الحبحاب يستدعيه إلى إفريقية[2].

وكان سبب ذلك أنه استعمل على طنجة ابنه إسماعيل وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي ، فأساء السيرة وتعدى وأراد أن يخمس مسلمي البربر ، وزعم أنهم فيء للمسلمين ، وذلك شيء لم يرتكبه أحد قبله[3] ، فلما سمع البربر بمسير حبيب ابن أبي عبيدة إلى صقلية بالعساكر طمعوا ونقضوا الصلح على ابن الحبحاب وتداعت عليه بأسرها مسلمها وكافرها ، وعظم البلاء ، وقدم من بطنجة من البربر على أنفسهم ميسرة[4] السقاء ثم المدغوري[5]- وكان خارجياً صفرياً وسقاء[1]-

١) سرقوسة، إحدى مدن جزيرة صقلية، البكري، المسلك والممالك، ٥٣/٢.

٢) ينظر الرواية: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٢- ٧٣.

٣) قال الرقيق القيرواني: كان الولاة قبله يخمسون من لم يؤمن منهم ولم يجب إلى الإسلام. تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٣.

٤) ميسرة المطغري زعيم قبيلة مطغرة البربرية وهو الذي قاد أول ثورة للخوارج في المغرب العربي ضد الأمويين سنة ١٢٢هـ. ابن خلدون، تاريخ، ١٨٩/٤.

٥) أسماه ابن عبد الحكم ميسرة الفقير البربري ثم المدغري، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦.

وقصدوا طنجة ، فقاتلهم عمر بن عبد الله فقتلوه واستولوا على طنجة وبايعوا ميسرة بالخلافة وخوطب بأمير المؤمنين وكثر جمعه من البربر وقوي أمره بنواحي طنجة.

وظهر في ذلك الوقت جماعة بإفريقية فأظهروا مقالة الخوارج[٢] ، فأرسل ابن الحبحاب إلى حبيب وهو بصقلية يتسدعيه إليه لقتال ميسرة السقاء لأن أمره كان قد عظم ، فعاد إلى إفريقية.

وكان ابن الحبحاب قد سيّر خالد بن حبيب في جيش إلى ميسرة ، فلما وصل حبيب بن أبي عبيدة سيّره في أثره ، والتقى خالد وميسرة بنواحي طنجة واقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله ، وعاد ميسرة إلى طنجة ، فأنكرت البربر سيرته ، وكانوا بايعوه بالخلافة ، فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي[٣] ، ثم التقى خالد بن حميد ومعه البربر بخالد بن حبيب ومعه العرب وعسكر هشام ، وكان بينهم قتال شديد صبرت فيه العرب ، وظهر عليهم كمين من البربر فانهزموا ، وكره خالد بن حبيب أن يهزم من البربر فصبروا معه فقتلوا جميعهم[٤].

وقتل في هذه الوقعة حماة العرب وفرسانها ، فسميت غزوة الأشراف ، وانتقضت البلاد وخرج أمر الناس ، وبلغ أهل الأندلس الخبر فثاروا بأميرهم عقبة بن الحجاج فعزلوه وولوا عبد الملك بن قطن ، فاختلطت الأمور على ابن الحبحاب ، وبلغ الخبر إلى هشام بن عبد الملك ، فقال: لأغضبن للعرب غضبة وأسيّر جيشاً يكون أولهم عندهم وآخرهم عندي ؛ ثم كتب إلى ابن الحبحاب يأمره بالحضور ، فسار إليه في

---

١) قال ابن القوطية ميسرة المعروف بالحقير كان يبيع الماء بسوق القيروان، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩ ؛ وأسماه مؤلف مجهول ميسرة المحفوز المدغري، أخبار مجموعة، ص٣٤.

٢) الخوارج هم الجماعة الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب(ع)بعد انشقاقهم عن جيشة محتجين على حادثة التحكيم التي آلت إليها معركة صفين سنة ٣٧هـ، والذين ما لبثوا أن كونوا واحداً من المذاهب الدينية والسياسية التي عرفها التاريخ الإسلامي. ينظر: ابن قتيبة (منسوب)الإمامة والسياسة، ١٦١/١ - ١٧٠ ؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ١١٤/١- ١٣٧.

٣) قال ابن عبد الحكم: إن البربر بعد قتلهم لميسرة ولوا عليهم عبد الملك بن قطن المحاربي، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦، ولكن الأصح هي رواية الرقيق القيرواني وابن الأثير.

٤) ينظر الرواية: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦ ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٤.

جمادى سنة ثلاث وعشرين ومائة ، واستعمل هشام عوضه كلثوم بن عياض القشيري[1] وسيّر معه جيشاً كثيفاً ، وكتب إلى سائر البلاد التي على طريقه بالمسير معه ، فوصل إفريقية وعلى مقدمته بلج بن بشر[2] ، فوصل إلى القيروان ولقي أهلها بالجفاء والتكبير عليهم ، وأراد أن ينزل العسكر الذي معه في منازلهم ، فكتب أهلها إلى حبيب بن أبي عبيدة ، وهو بتلمسان[3] مواقف البربر ، يشكون إليه بلجاً وكلثوماً ، فكتب حبيب إلى كلثوم يقول له: إن بلجاً فعل كيت وكيت فارحل عن البلد وإلا رددنا أعنة الخيل إليك.

فاعتذر كلثوم وسار إلى حبيب وعلى مقدمته بلج بن بشر ، فاستخف بحبيب وسبه وجرى بينهما منازعة ثم اصطلحوا واجتمعوا على قتال البربر ، وتقدم إليهم البربر من طنجة ، فقال لهم حبيب: اجعلوا الرجالة للرجالة والخيالة للخيالة ، فلم يقبلوا منه ، وتقدم كلثوم بالخيل ، فقاتله رجالة البربر فهزموه ، فعاد كلثوم منهزماً ، ووهن الناس ذلك ونشب القتال ، وانكشفت خيالة البربر وثبتت رجالتها واشتد القتال وكثر البربر عليهم ، فقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة ووجوه العرب ، وانهزمت العرب وتفرقوا.

فمضى أهل الشام إلى الأندلس ومعهم بلج بن بشر وعبد الرحمن بن حبيب ابن أبي عبيدة ، وعاد بعضهم إلى القيروان.

فلما ضعفت العرب بهذه الوقعة ظهر إنسان يقال له عكاشة بن أيوب الفزاري بمدينة قابس[4] ، وهو على رأي الخوارج الصفرية[5] ، فسار إليه جيش من القيروان

---

١) ولي إفريقية سنة ١٢٣هـ وقاتل البربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي فقتل في نفس السنة وقيل في سنة ١٢٤هـ. ينظر ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٨ ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/١..

٢) بلج بن بشر القشيري ابن عمّ كلثوم بن عياض القشيري. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٤/١.

٣) وهي قاعدة المغرب الأوسط، البكري، المسالك والممالك، ٢٥٩/٢.

٤) قابس، مدينة قديمة من أعمال إفريقية على ساحل البحر، وفيها مرفأ للسفن. البكري، المسالك والممالك، ١٨٩/٢- ١٩٠.

٥) هم أصحاب عبد الله الصفار الذي كان مع نافع بن الأزرق، إلا أنه انفصل عنه اثر وقوع خلاف

فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عسكر القيروان ، فخرج إليه عسكر آخر فانهزم عكاشة بعد قتال شديد وقتل كثير من أصحابه ، ولحق عكاشة ببلاد الرمل[1].

فلما بلغ هشام بن عبد الملك قتل كلثوم بعث أميراً على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي[2] ، فوصلها في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة ، فلم يمكث بالقيروان إلا يسيراً حتى زحف إليه عكاشة الخارجي في جمع عظيم من البربر ، وكان حين انهزم حشدهم ليأخذ بثأره وأعانه عبد الواحد بن يزيد الهواري ثم المدغمي ، وكان صفرياً ، في عدد كثير وافترقا ليقصدوا القيروان من جهتين ، فلما قرب عكاشة خرج إليه حنظلة ولقيه مفرداً واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم عكاشة وقتل من البربر ما لا يحصى ، وعاد حنظلة إلى القيروان خوفاً عليها من عبد الواحد ، وسيّر إليه جيشاً كثيفاً عدتهم أربعون ألفاً ، فساروا إليه ، فلما قاربوه لم يجدوا شعيراً يطعمونه دوابهم فأطعموها حنطةً ، ثم لقوه من الغد فانهزموا من عبد الواحد وعادوا إلى القيروان ، وهلكت دوابهم بسبب الحنطة[3].

فلما وصلوها نظروا وإذا قد هلك منهم عشرون ألف فرس ، وسار عبد الواحد فنزل على ثلاثة أميال من القيروان بموضع يعرف بالأصنام ، وقد اجتمع معه ثلاثمائة ألف مقاتل ، فحشد حنظلة كل من بالقيروان وفرق فيهم السلاح والمال ، فكثر جمعة ، فلما دنا الخوارج من عبد الواحد خرج إليهم حنظلة من القيروان واصطفوا للقتال ، وقام العلماء في أهل القيروان يحثونهم على الجهاد وقتال الخوارج ويذكرونهم ما يفعلونه بالنساء من السبي وبالأبناء من الاسترقاق وبالرجال من القتل ، فكسر

بينهما حول تكفير القعدة إذ ذهب الأخير إلى تكفيرهم فيما رأى عبد الله الصفار أنهم مسلمون. ينظر التفاصيل: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/١٨٢- ١٨٣ ؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٧٠- ٧١ ؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ١/١٣٤.

١) ينظر الرواية: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٧- ٧٨.

٢) ولي إفريقية للخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٤هـ حتى سنة ١٢٧هـ. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٩- ٨٥.

٣) ينظر الرواية: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٨٢.

الناس أجفان سيوفهم ، وخرج إليهم نساؤهم يحرضنهم ، فحمي الناس وحملوا على الخوارج حملة واحدة وثبت بعضهم لبعض ، فاشتد اللزام وكثر الزحام وصبر الفريقان ، ثم إن الله تعالى هزم الخوارج والبربر ونصر العرب ، وكثر القتل في البربر وتبعوهم إلى جلولاء[1] يقتلون ، ولم يعلموا أن عبد الواحد قد قتل حتى حمل رأسه إلى حنظلة ، فخر الناس لله سجداً.

فقيل: لم يقتل بالمغرب أكثر من هذه القتلة ، فإن حنظلة أمر بإحصاء القتلى ، فعجز الناس عن ذلك حتى عدوهم بالقصب ، فكانت عدة القتلى مائة ألف وثمانين ألفاً ، ثم أسر عكاشة مع طائفة أخرى بمكان آخر وحمل إلى حنظلة فقتله ، وكتب حنظلة إلى هشام بن عبد الملك بالفتح ، وكان الليث بن سعد[2] يقول: ما غزوة إلى الآن أشد بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالأصنام[3].

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

قال: وفي هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بعثه في أهل الشام إلى إفريقية حيث وقعت فتنة البربر[4].

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر وفاة عقبة بن الحجاج ودخول بلج الأندلس

في هذه السنة توفي عقبة بن الحجاج السلولي أمير الأندلس ، فقيل: بل ثار به

---

١) وردت باسم جلولا وتبعد عن القيروان أربعة وعشرون ميلاً، ومنها تجلب الفواكه إلى القيروان، فتحها عبد الملك بن مروان عندما كان في جيش معاوية بن حديج في خلافة معاوية بن سفيان. البكري، المسالك والممالك، ٢٠٥/٢ ؛ مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١١٩.

٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن وأصله من الفرس من أهل أصبهان، وهو عالم مصر ومحدثها سمع عطاء بن أبي رباح وابن شهاب الزهري، توفي سنة ١٧٥هـ. الذهبي، سير، ٨/ ١٣٦- ١٦١.

٣) ينظر الرواية: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦- ٢٥٠ ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧١-٨٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥١/١- ٥٩ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٨٩/٤.

٤) تقدم من ابن الأثير ما يناقض هذا إذ ذكر في أحداث سنة سبع عشرة ومائة أن هشام بن عبد الملك عزل عبيد الله بن الحبحاب وولى افريقية مكانه كلثوم بن عياض فقتل سنة ثلاث وعشرون ومائة.

أهل الأندلس فخلعوه وولوا بعده عبد الملك بن قطن[1] ، وهي ولايته الثانية ، وكانت ولايته في صفر من هذه السنة ، وكانت البربر قد فعلت بإفريقية ما ذكرناه سنة سبع عشرة ومائة ، وقد حصروا بلج بن بشر العبسي حتى ضاق عليه وعلى من معه الأمر واشتد الحصر ، وهم صابرون إلى هذه السنة ، فأرسل إلى عبد الملك بن قطن يطلب منه أن يرسل إليه مراكب يجوز فيها هو ومن معه إلى الأندلس ، وذكر ما أنزل عليه من الشدة وأنهم أكلوا دوابهم. فامتنع عبد الملك من إدخالهم الأندلس ووعدهم بإرسال المدد إليهم ، فلم يفعل[2].

فاتفق أن البربر قويت بالأندلس ، فاضطر عبد الملك إلى إدخال بلج ومن معه ، وقيل: إن عبد الملك استشار أصحابه في جواز بلج فخوفوه من ذلك ، فقال: أخاف أمير المؤمنين أن يقول: أهلكت جندي ، فأجازهم وشرط عليهم أن يقيموا سنة ويرجعوا إلى إفريقية ، فأجابوه إلى ذلك ، وأخذ رهائنهم وأجازهم.

فلما وصلوا إليه رأى هو والمسلمون ما بهم من سوء الحال. والفقر. والعري لشدة الحصار عليهم ، فكسوهم وأحسنوا إليهم ، وقصدوا جمعاً من البربر بشدونة فقاتلوهم

---

١) قال ابن القوطية: لما بلغ أهل الأندلس ثورة البربر بطنجة ثاروا على واليهم عقبة بن الحجاج وكان القائم بذلك عبد الملك بن قطن المحاربي الفهري، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩ ؛ فيما ذكر مؤلف مجهول أن عبد الملك بن قطن وثب على عقبة بن الحجاج ولا أدري أقتله أم أخرجه، أخبار مجموعة، ص٣٥ ؛ أما ابن عذاري فذكر (إن أهل الأندلس ثاروا على عقبة بن الحجاج وخلعوه. قال ابن القطان: وقيل إن عقبة بن الحجاج، لما حانت وفاته، استخلف عبد الملك بن قطن. قال: وأقام عقبة على الأندلس واليا إلى سنة ١٢١)، البيان المغرب، ٣٠/٢.

٢) ذكر ابن القوطية هذه الرواية قائلاً:(فأوصى إلى عبد الملك بن قطن يذكر ما دار عليه وعلى عمه كلثوم بن عياض، ويسأله أن يبعث إليه مراكب يجاز به عليها ، فشاور أهل رأيه في ذلك، فقالوا له: أن دخل عليك هذا الشامي عزلك، فلم يجاوبه، فأنشأ قِربات وأخذوا ما في المراكب من السلاح والعدة، وانصرفوا بها إليه، فدخلوا الأندلس، فحشد الفهري لما بلغه دخوله، فلقيه في جانب الجزيرة، فدارت بينهم حرب عظيمة، هزم فيها الفهري، ثم عاود محاربته فهزمه بلج، من الجزيرة إلى قرطبة، ثماني عشر هزيمة، ثم أسر في آخرها ، فصلبه عند رأس القنطرة في موضع المسجد، ودخل قرطبة)تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٠- ٤١.

فظفروا بالبربر فأهلكوهم وغنموا مالهم ودوابهم وسلاحهم ، فصلحت أحوال أصحاب بلج وصار لهم دواب يركبونها.

ورجع عبد الملك بن قطن إلى قرطبة وقال لبلج ومن معه ليخرجوا من الأندلس ، فأجابوه إلى ذلك ، فطلبوا منه مراكب يسيرون فيها من غير الجزيرة الخضراء لئلا يلقوا البربر الذين حصروهم. فامتنع عبد الملك وقال: ليس لي مراكب إلا في الجزيرة. فقالوا: إننا لا نرجع نتعرض إلى البربر ولا نقصد الجهة التي هم فيها لأننا نخاف أن يقتلونا في بلادهم. فألح عليهم في العود ، فلما رأوا ذلك ثاروا به وقاتلوه ، فظفروا به وأخرجوه من القصر ، وذلك أوائل ذي القعدة من هذه السنة.

فلما ظفر بلج بعبد الملك أشار عليه أصحابه بقتل عبد الملك ، فأخرجه من داره وكأنه فرخ لكبر سنة فقتله وصلبه ، وولي الأندلس[1] ، وكان عُمّر عبد الملك تسعين

---

1) أما رواية ابن عذاري فكانت أكثر تفصيلاً قال: (فكاتب بلج وأصحابه عبد الملك بن قطن صاحب الأندلس، وسأله إدخاله وإدخال من معه من الجند. وذكروا له ماصاروا إليه من الجهد، وأنهم قد أكلوا دوابهم. فأبى عبد الملك من إدخالهم، ولم يأمنهم، ومطلهم بالميرة والسفن. واتفق أن تطاولت البربر أيضا بالأندلس، وفاضحوا العرب، وظهروا على الساكنين منهم بجليقية وغيرها؛ فقتلوهم، وطردوهم. فلما ورد فل العرب على عبد الملك بن قطن، ورأى عادية البربر، اضطر لأجل ذلك إلى إدخال بلج وأصحابه؛ فكاتبهم، وشرط عليهم مقام سنة بالأندلس، ثم يخرجون عنها؛ فرضوا بذلك. فأخذ منهم رهائن أنزلهم بجزيرة أم حكيم، وهي على الخضراء. ثم أدخل بلجا وأصحابه عراة، لا يواريهم إلا دوابهم، وقد بلغ بهم الجهد غايته. وكانوا نحو عشرة آلاف من عرب الشام. فلما دخلوا، كساهم عرب الأندلس على قدر أقدارهم؛ فرب رجل يكسو مائة رجل، وآخر عشرة، وآخر واحدا، إلى ما بين ذلك.فلما حلوا بالخضراء، اجتمع بهم عبد الملك بن قطن؛ وكان بشذونة جمع من البربر، عليهم رجل زناتي؛ فبدأ عبد الملك بمقاتلتهم في وادي الفتح من شذونة، فلم يكن العرب فيهم إلا نهضة، حتى أبادوهم، وأصابوا أمتعتهم ودوابهم. فاكتسى أصحاب بلج، وانتعشوا، وأصابوا الغنائم. ثم نهضوا مع عبد الملك إلى قرطبة؛ ثم ساروا بأجمعهم إلى جهة طليطلة، وقد اجتمع هنالك معظم البربر؛ فكانت هزيمتهم العظمى هنالك بوادي سليط من حوز طليطلة، بعد أن زحف عبد الملك وبلج إليهم بعرب الأندلس، حاشا عرب سرقسطة وثغورها. وزحف البربر بأجمعهم، فهزمهم= =العرب، وقتلوا منهم في الهزيمة آلافا... دخل بلج الأندلس سنة ١٢٣ في ذي القعدة منها، وملكها بعد ذلك؛ وذلك أنه، لما أباد ابن قطن البربر بالأندلس، بمن كان معه من العرب، وبأصحاب بلج، قال لبلج وأصحابه: اخرجوا من الأندلس على ما شورطتم عليه فقال بلج: احملنا إلى ساحل إلبيرة أو ساحل تدمير، فقال لهم عبد الملك: ليست لنا مراكب إلا بالجزيرة فقالوا له:

سنة ، وهرب ابناه قطن وأمية ، فلحق أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة ، وكان هربهما قبل قتل أبيهما ، فلما قتل فعلا ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

ذكر الحرب بين بلج وابني عبد الملك ووفاة بلج وولاية ثعلبة بن سلامة الأندلس

في هذه السنة كان بالأندلس حرب شديدة بين بلج. وأمية. وقطن ، ابني عبد الملك بن قطن ؛ وكان سببها أنهما لما هربا من قرطبة ، كما ذكرناه ، فلما قتل أبوهما استنجدا بأهل البلاد والبربر ، فاجتمع معهما جمع كثير ، قيل: كانوا مائة ألف مقاتل ، فسمع بهم بلج والذين معه فسار إليهم ، والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، وجرح بلج جراحات ، ثم ظفر بابني عبد الملك. والبربر. ومن معهم وقتل منهم فأكثر ، وعاد إلى قرطبة مظفراً منصوراً ، فبقي سبعة أيام ، ومات من الجراحات التي فيه ، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ، وكانت ولايته أحد عشر شهراً[1].

إنما تريد أن تردنا إلى البربر ليقتلونا في بلادهم فلما ألحَّ عليهم في الخروج، نهضوا إليه؛ فأخرجوه من قصر قرطبة إلى داره بالمدينة. ودخل بلج القصر عشية يوم الأربعاء في صدر ذي قعدة من السنة. وكان بلج، وقت جوازه عن سبتة ، قد أعطى رهائن لابن قطن، جعلهم ابن قطن بجزيرة أم حكيم؛ فضاعوا مدة الفتنة بين بلج وابن قطن، والجزيرة المذكورة دون ماء؛ فمات رجل من غسان عطشا ، وكان من الرهائن، من أشراف دمشق.... طلب منه الجند أن يعطيهم ابن قطن في الغسانيّ المذكور؛ فتوقف بلج؛ فألحّ الجند ، وثارت اليمن كلها على كلمة واحدة. وكان ابن قطن شيخا هرما ، قد بلغ التسعين؛ وكان قد حضر يوم الحرَّة، ومنها فرَّ إلى إفريقية؛ وكان يومئذ بداره بقرطبة؛ فأخرجه الجند منها ، كأنه فرخ نعامة... ثم قتلوه، وصلبوه، وصلبوا خنزيراً عن يمينه، وكلباً عن شماله.)البيان المغرب، ٢/٢١- ٢٣ ؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٢- ٤٥.

١) الرواية الأندلسية أكثر تفصيلاً: ذلك أن أمية وقطن ابنا عبد الملك عندما هربا ، حشدا لطلب الثأر، واجتمع عليهما العرب الأقدمون والبربر وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند وكان في أصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد الملك ما= =صنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثأره، وانضم إليهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي عامل أربونة لعبد الملك بن قطن فتعصب له، وكان فارس الأندلس في وقته، فأقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون، وبلج قد استعد لهم في مقدار اثني عشر ألفا سوى عبيد له كثيرة وأتباع من البلديين فاقتتلوا، وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط، وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي

فلما مات قدم أصحابه عليهم ثعلبة بن سلامة العجلي[1] ، لأن هشام بن عبد الملك عهد إليهم: إن حدث ببلج، وكلثوم حدث فالأمير ثعلبة ، فقام بالأمر ، وثارت في أيامه البربر بناحية ماردة ، فغزاهم فقتل فيهم فأكثر وأسر منهم ألف رجل وأتى بهم إلى قرطبة[2].

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر ولاية حنظلة إفريقية وأبي الخطار الأندلسي

أروني بلجا فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه ، فأشاروا إليه نحوه فحمل بأهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون والراية في يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بأيام قلائل، وقيل فوّق إليه السهم فأصاب كمّ درعه، ثم انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون فكان عسكرا منصورا، ثم رجعوا فمات بلج إلى أيام يسيرة، يقال من ضربة ابن علقمة، وكان ذلك في شوال سنة أربع وعشرين ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤١- ٤٢ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٦- ٤٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢١/٣- ٢٢.

١) ورد اسمه في المصادر الأندلسية ثعلبة بن سلامة العاملي، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٤٤ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٢/٢ ؛ وقال الحميدي: (كان من أمراء العساكر التي لقيت خوارج المغرب بنواحي طنجة، فانهزم إلى الأندلس مع بلج بن بشر وجماعة من أهل الشام، وأثاروا الفتن فيها حتى قتل عبد الملك بن قطن الأمير بالأندلس، وزاد الاضطراب إلى أن ورد أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي والياً من قبل حنظلة بن أبي صفوان أمير إفريقية، فجمع الكلمة، واستظهر على من آثار الفتنة، ففرق جموعهم، وأخرج ثعلبة بن سلامة ومن معه في سفينة إلى إفريقية) جذوة المقتبس، ص١٦٣.

٢) رواية مؤلف مجهول (وولى أهل الأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي، فجمع له أهل البلد، العرب والبربر، جمعا بماردة، فخرج إليهم، فجاسوا عليه بما لا طاقة له به، وقاتلهم قتالا شديدا، فلم يغن مغنى، فلما رأى ذلك اعتصم بمدينة ماردة، وبعث إلى خليفته بقرطبة أن يتحمل إليه ببقية أصحابه لمناجزة أهل البلد، فبينا هو محصوراً، قد نزل أهل البلد من البربر والعرب، وجلهم البربر، على ماردة، إذ حضرهم عيد فطر أو أضحى، فأبصر ثعلبة غرتهم وانتشارهم، وكثروا فانتشروا، فلما كان صبيحة العيد خرج عليهم فهزمهم وقتلهم قتلا ذريعاً، ثم سبى ذراريهم ولم يكن بلج قبله تعرض للذرية بالسباء)أخبار مجموعة، ص٤٧- ٤٨.

في هذه السنة قدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي[1] الأندلس أميراً في رجب ، وكان أبو الخطار لما تابع ولاة الأندلس من قيس قد قال شعراً وعرض فيه بيوم مرج راهط[2] وما كان من بلاء كلب فيه مع مروان بن الحكم وقيام القيسيين مع الضحاك بن قيس الفهري على مروان ، ومن الشعر:

أفـــادت بنـــو مـــروان قيســـاً دماءنـــا

وفي الله أن لم يعـــدلوا حكـــم عـــدل

كـــأنكم لم تشـــهدوا مـــرج راهـــطٍ

ولم تعلموا من كان ثم له الفضل

وقينـــاكم حـــر القنـــا بنحورنـــا

ولـيس لكـم خيـل تعـد ولا رجـل[3]

فلما بلغ شعره هشام بن عبد الملك سأل عنه فأعلم أنه رجل من كلب ، وكان هشام قد استعمل على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة أربع وعشرين ومائة ، فكتب إليه هشام أن يولي أبا الخطار الأندلس ، فولاه وسيره إليها ، فدخل قرطبة يوم جمعة فرأى ثعلبة بن سلامة أميرها قد أحضر الألف من البربر ، الذين تقدم ذكر أسرهم ، ليقتلهم ، فلما دخل أبو الخطار دفع الأسرى إليه ، فكانت ولايته سبباً لحياتهم[4] ؛ وكان

---

1) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ولي الأندلس بعد قتل عبد الملك بن قطن ومبايعة أهلها ثعلبة بن سلامة ، وكانت توليته من قبل والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥هـ وعزل سنة ١٢٨هـ، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة شقندة سنة ١٣٠هـ. ينظر ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٧٧-١٧٨ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦١/١-٦٦.

2) وهي المعركة التي حدثت بين القيسية بقيادة الضحاك بن قيس الفهري الذي كان يدعو إلى عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم يسانده اليمانية سنة ٦٥هـ في مكان يدعى مرج راهط بنواحي دمشق وانتهت بهزيمة القيسية ومقتل زعيمها الضحاك. ينظر : الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٣٥/٥- ٥٣٨.

3) ينظر القصيدة: ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢- ٤٣ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٧٧ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦٤/١.

4) ينظر الرواية: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٣ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة،

أهل الشام الذين بالأندلس قد أرادوا الخروج مع ثعلبة بن سلامة إلى الشام ، فلم يزل أبو الخطار يحسن إليهم ويستميلهم حتى أقاموا ، فأنزل كل قوم إلى شبه منازلهم بالشام ، فلما رأوا بلداً يشبه بلدانهم أقاموا. وقيل:إنه إنما فرقهم في البلاد لأن قرطبة ضاقت عليهم ففرقهم[1] ؛ وقد ذكرنا بعض أخبارهم سنة تسع وثلاثين ومائة.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

ذكر خلع أبي الخطار أمير الأندلس وإمارة ثوابة

وفي هذه السنة خلع أهل الأندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار أميرهم.

وسبب ذلك أنه لما قدم الأندلس أميراً أظهر العصبية لليمانية على المضرية ، فاتفق في بعض الأيام أنه اختصم رجل من كنانة ورجل من غسان ، فاستعان الكناني بالصميل بن حاتم بن ذي الجوشن الضبابي[2] ، فكلم فيه أبا الخطار ، فاسغلظ له أبو

ص٤٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٣/٢- ٣٤.

١) قال ابن الأبار: إن أبا الخطار عمل أثناء ولايته الأندلس (على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم. وتوسع لهم في البلاد: فأنزل في كورتي أكشونبة وباجة جند مصر مع البلديين الأول، وأنزل باقيهم في كورة تدمير؛ وأنزل في كورتي لبلة وإشبيلية جند حمص مع البلديين الأول أيضا؛ وأنزل في كورة شذونة والجزيرة جند فلسطين؛ وأنزل في كورة رية جند الأردن؛ وأنزل في كورة إلبيرة جند دمشق؛ وأنزل في كورة جيان جند قنسرين؛ وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة.وبقي العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم في شيء منها، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعة سكنوا وأغتبطوا وتمولوا)الحلة السيراء، ٦١/١- ٦٣.

٢) هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي كان جده شمر ممن اشترك في قتل الحسين بن علي(ع)فقتله المختار وفرّ ولده إلى الشام، إلى أن خرج كلثوم بن عياض القشيري في جند الشام إلى المغرب فخرج الصميل معه، وبعد مقتل كلثوم دخل الصميل مع بلج بن بشر القشيري إلى الأندلس، وعلى الرغم من كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب إلا أنه كان شجاعا وله دراية في التدبير والحروب، وكان زعيم المضرية في الأندلس في أيامه، وبعد هزيمته لليمانية غلب على يوسف الفهري إلى أن تغلب عبد الرحمن الداخل على الأندلس فسجنه وتوفي= =في السجن سنة ١٤٢هـ. ينظر ترجمته: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٧ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦٧/١-٦٨ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٤٥/٣- ٣٤٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ٥٣/٣.

الخطار ، فأجابه الصميل ، فأمر به فأقيم وضرب قفاه ، فمالت عمامته ، فلما خرج قيل له: نرى عمامتك مالت! فقال: إن كان لي قوم فسيقيمونها.

وكان الصميل من أشراف مضر ، فلما دخل الأندلس مع بلج شرف فيها بنفسه وأوليته- فلما جرى له ما ذكرناه- جمع قومه وأعلمهم ، فقالوا له: نحن تبع لك.فقال: أريد أن أخرج أبا الخطار من الأندلس. فقال له بعض أصحابه: افعل واستعن بمن شئت ولا تسعن بأبي عطاء القيسي ، وكان من أشراف قيس ، وكان يناظر الصميل في الرياسة ويحسده. وقال له غيره: الرأي أنك تأتي أبا عطاء وتشد أمرك به فإنه تحركه الحمية وينصرك ، وإن تركته مال إلى أبي الخطار وأعانه عليك ليبلغ فيك ما يريد ، والرأي أيضاً أن تستعين عليه بأهل اليمن فضلاً عن معد.

ففعل ذلك وسار من ليلته إلى أبي عطاء ، وكان يسكن مدينة إستجة ، فعظمه أبو عطاء وسأله عن سبب قدومه ، فاعلمه يكلمه حتى قام فركب فرسه ولبس سلاحه وقال له: انهض الآن حيث شئت فأنا معك ، وأمر أهله وأصحابه باتباعه ، فساروا إلى مرو[1] ، وبها ثوابة بن سلامة الحداني[2] ، وكان مطاعاً في قومه ، وكان أبو الخطار قد استعمله على إشبيلية وغيرها ، ثم عزله ففسد عليه ، فدعاه الصميل إلى نصره ووعده أنه إذا أخرجوا أبا الخطار صار أميراً ، فأجاب إلى نصره ودعا قومه فأجابوه فساروا إلى شدونة.

وسار إليهم أبو الخطار من قرطبة واستخلف بها إنساناً ، فالتقوا واقتتلوا في رجب من هذه السنة ، وصبر الفريقان ثم وقعت الهزيمة على أبي الخطار وقتل أصحابه أشد قتل وأسر أبو الخطار ، وكان بقرطبة أمية بن عبد الملك بن قطن ، فأخرج منها خليفة أبي الخطار وانتهب ما وجد لهما فيها.

---

١) الصحيح مورور، قال المقري: كان بها ثوابة بن يزيد الجذامي، نفح الطيب، ٤٠٢/٣ ؛ وهي كورة متصلة بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس، البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٤ ؛ الحميري، صفة، ص١٨٨.

٢) ورد اسمه عند مؤلف مجهول وابن عذاري ثوابة بن سلامة الجذامي ولي الأندلس أكثر من سنة وذلك سنة ١٢٨هـ، أخبار مجموعة، ص٥٨ ؛ البيان المغرب، ٣٥/٢.

ولما انهزم أبو الخطار سار ثوابة بن سلامة. والصميل إلى قرطبة فملكاها ، واستقر ثوابة في الإمارة ، فثار به عبد الرحمن بن حسان الكلبي[1] وأخرج أبا الخطار من السجن ، فاستجاش اليمانية ، فاجتمع له خلق كثير ، وأقبل بهم إلى قرطبة ، وخرج إليه ثوابة فيمن معه من اليمانية والمضرية مع الصميل. فلما تقاتل الطائفتان نادى رجل من مضر: يا معشر اليمانية! ما بالكم تتعرضون للحرب على أبي الخطار وقد جعلنا الأمير منكم- يعني ثوابة - فإنه من اليمن ، ولو أن الأمير منا لقد كنتم تعتذرون في قتالهم لنا ، وما تقول هذا إلا تحرجاً من الدماء ورغبة في العافية للعامة. فلما سمع الناس كلامه قالوا: صدق والله ، الأمير منا فما بالنا نقاتل قومنا؟ فتركوا القتال وافترق الناس ، فهرب أبو الخطار فلحق بباجة ، ورجع ثوابة إلى قرطبة[2] ،

---

١) ورد اسمه عند ابن عذاري عبد الرحمن بن نعيم الكلبي، البيان المغرب، ٣٥/٢.

٢) ذكر المقري الرواية بتفصيل أوضح، قال: (كان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار، فمال أبو الخطار مع ابن عمه، فأقبل الكناني إلى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر فشكا له حيف أبي الخطار، وكان أبيا للضيم، حاميا للعشيرة، فدخل على أبي الخطار، وأمضّ عتابه، فنجهه أبو الخطار، وأغلظ له، فرد الصميل عليه، فأمر به أبو الخطار، فأقيم ودعّ قفاه، حتى مالت عمامته، فلما خرج، قال له بعض من على الباب: أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة، فقال إن كان لي قوم فسيقيمونها، وأقبل إلى داره فاجتمع إليه قومه حين بلغهم ذلك ممتعضين فباتوا عنده، فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث عليّ فإنه منوط بكم، فقالوا أخبرنا بما تريد فإن رأينا تبع رأيك، فقال أريد والله إخراج هذا الأعرابي من هذا السلطان على ما خيلت، وأنا خارج لذلك عن قرطبة، فإنه ما يمكنني ما أريد إلا بالخروج، فإلى أين ترون أقصد، فقالوا: اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسي فإنه لا يواليك على أمر ينفعك، وكان أبو عطاء هذا سيدا مطاعا يسكن بإستجة، وكان مشاحنا للصميل مساميا له في القدر، فسكت عند ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدي، وكان من أشرافهم إلا أنه كان حديث السن، فقال له الصميل ألا تتكلم فقال: أتكلم بواحدة ما عندي غيرها، قال: وما هي، قال إن عدوت إتيان أبي عطاء وشتت أمرك به لم يتم أمرنا وهلكنا، وإن أنت قصدته لم ينظر في شيء مما سلف بينكما، وحركته الحمية لك فأجابك إلى ما تريد، فقال له الصميل أصبت الرأي، وخرج من ليلته وقام أبو عطاء في نصرته على ما قدره العبدي، وعمد إلى ثوابة بن يزيد الجذامي أحد أشراف اليمن وساداتهم، = =وكان ساكنا بمورور، وقد استفسد إليه أبو الخطار، فأجابهما في القيام والتقدم على المضرية، فاجتمعوا في شذونة، وآل الأمر إلى أن هزموا أبا الخطار على وادي لكة، وحصل أسيرا في أيديهم فأرادوا قتله، ثم أرجأوه وأوثقوه وأقبلوا به إلى قرطبة، وذلك في رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبي الخطار

فسمي ذلك العسكر عسكر العافية[1].

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

ذكر ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالأندلس

وفي هذه السنة توفي ثوابة بن سلامة أمير الأندلس ، وكانت ولايته سنتين وشهوراً ، فلما توفي اختلف الناس ، فالمضرية أرادت أن يكون الأمير منهم ، واليمانية أرادت كذلك أن يكون الأمير منهم ، فبقوا بغير أمير[2] ، فخاف الصميل الفتنة فأشار بأن يكون الوالي من قريش ، فرضوا كلهم بذلك ، فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وكان يومئذ بالبيرة[3] ، فكتبوا إليه بما اجتمع عليه الناس من تأميره ، فامتنع. فقالوا له: إن لم تفعل وقعت الفتنة ويكون إثم ذلك عليك. فأجاب حينئذ وسار إلى قرطبة فدخلها وأطاعه الناس.

بسنتين، ولما سجن أبو الخطار في قرطبة، امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبي، فأقبل إلى قرطبة ليلا في ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجالة فهجموا على الحبس وأخرجوه منه، ومضوا به إلى غرب الأندلس، فعاد في طلب سلطانه، ودب في يمانيته، حتى اجتمع له عسكر، أقبل بهم إلى قرطبة، فخرج إليه ثوابة ومعه الصميل، فقام رجل من المضرية ليلا فصاح بأعلى صوته: يا معشر اليمن ما لكم تتعرضون إلى الحرب وتردون المنايا عن أبي الخطار أليس قد قدرنا عليه لو أردنا قتله لفعلنا لكننا مننا وعفونا وجعلنا الأمير منكم، أفلا تفكرون في أمركم فلو أن الأمير من غيركم عذرتم، ولا والله لا نقول هذا رهبة منكم ولا خوفا لحريكم ، ولكن تحرجا من الدماء ورغبة في عافية العامة، فتسامع الناس به، وقالوا صدق، فتداعوا للرحيل ليلاً)نفح الطيب، ٢٣/٣.

١) ذكر مؤلف مجهول أن عسكر العافية أطلق على الأسارى الذين أخذهم ثعلبة بن سلامة من أهالي مدينة ماردة الذين ثاروا عليه، وكانت ولايته قبل أبي الخطار، فعندما دخل أبو الخطارقرطبة في أول ولايته كان ثوابة قد عزم على قتلهم فأطلقهم أبو الخطار فسمي ذلك العسكر عسكر العافية، أخبار مجموعة، ص٤٦- ٤٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٤/٢.

٢) ذكر ابن عذاري أنه لما(توفي ثوابة، عادت الحرب إلى ما كانت عليه؛ فأرادت اليمن أن تعيد أبا الخطار؛ فأبت ذلك مضر مع الصميل؛ وتشاكس الفريقان. وأقامت الأندلس أربعة أشهر من غير وال، إلا أنهم قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمي للنظر في الأحكام)البيان المغرب، ٣٥/٢.

٣) إلبيرة إحدى كور الأندلس تقع بين القبلة والشرق من قرطبة، وفي ساحلها كان نزول عبد الرحمن الداخل، الحميري، صفة، ص٢٩- ٣٠.

فلما انتهى إلى أبي الخطار موت ثوابة وولاية يوسف فقال: إنما أراد الصميل أن يصير الأمر إلى مضر؛ وسعى في الناس حتى ثارت الفتنة بين اليمن ومضر.

فلما رأى يوسف ذلك فارق قصر الإمارة بقرطبة وعاد إلى منزله، وسار أبو الخطار إلى شقندة[1]، فاجتمعت إليه اليمانية، واجتمعت المضرية إلى الصميل وتزاحفوا واقتتلوا أياماً كثيرة قتالاً لم يكن بالأندلس أعظم منه، ثم أجلت الحرب عن هزيمة اليمانية، ومضى أبو الخطار منهزماً فاستتر في رحى كانت للصميل، فدل عليه، فأخذه الصميل وقتله، ورجع يوسف بن عبد الرحمن إلى القصر، وازداد الصميل شرفاً، وكان اسم الإمارة ليوسف والحكم إلى الصميل[2].

---

١) شقندة قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها، الحميري، صفة، ص١٠٤.

٢) وردت الرواية عن وقعة شقندة عند ابن عذاري بتفصيل أكثر وذلك سنة ١٣٠هـ، قال: (لما تفاقم الأمر، وكثر الاختلاف بين أهل الأندلس، تراضوا واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وعلى أن يدعوا ليحيى بن حريث كورة ريّة؛ فتركت له طعمة. وقد كانت قضاعة اجتمعت قبل ذلك، وقدموا على أنفسهم عبد الرحمن بن نعيم الكلبي؛ فجمع مائتي راجل وأربعين فارسا؛ فبيت القصر بقرطبة، وقاتل الأحراس، وهجم على السجن؛ فأخرج أبا الخطار، وهرب به إلى لبلة؛ فأقام في كلب وقبائل من حمص؛ فاكتنفوه ومنعوه، ولم يحدث شيئا حتى اجتمع الناس على يوسف. فلما استقام له الأمر، غدر يحيى بن حريث، وعزله عن كورة ريّة؛ فغضب ابن حريث، وكاتب أبا الخطار حينا. فقال أبو الخطار: أنا الأمير المخلوع فأنا أقوم بالأمر وقال ابن حريث: بل أنا أقوم به، لأن قومي أكثر من قومك، فلما رأت جذام ما يدعو إليه ابن حريث، قدموه وأجابوه؛ فأصفقت يمن الأندلس وحميرها وكندتها على تقديمه والطوع له، وانحازت مضر وربيعة إلى يوسف بقرطبة حضرة الملك. وأقبلا حتى نزلا شقندة، وكان الصميل مع يوسف الفهري، وهو الذي سأله الناس أن ينظر لهم في وال يلي عليهم، لشغل أمير المؤمنين مروان بن محمد بالمشرق عنهم وبعده عنهم. فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري؛ وكان يومئذ بإلبيرة؛ فرضيه الناس ... ووقع اختلاف بعد ذلك في أمره بين مضر واليمن؛ فانضوت اليمن إلى أبي الخطار، من جميع البلاد والأقطار، وزحف بهم إلى يوسف الفهري بقرطبة؛ فكره يوسف الفتنة، وخاف البغضاء والشحناء. فنزل الصميل بن حاتم بالمحلات، وشك السلاح والآلات؛ وأقبل أبو الخطار بمن معه، ونزل موضعه؛ فالتقت بشقندة الفئتان، وتصادمت الفرقتان؛ فلا تسمع إلا صهيلا وصليلا، ولا ترى إلا قتيلا، حتى تكسرت الخطية وتفللت المشرقية، والتفت الساق بالساق، وانضمت= =الأعناق إلى الأعناق؛ فلم يعهد حرب مثلها في المسلمين، بعد حرب الجمل وصفين، إلى أن انهزمت اليمانية مع أبي الخطار بعد حين. وهرب أبو الخطار، وركب ظهر الفرار؛ واستتر في رحى للصميل هنالك؛ فظفر به وقتل إذ ذلك. فرأس الصميل بن حاتم في الناس، وشهر بالنجدة

ثم خرج على يوسف عبد الرحمن بن علقمة اللخمي بمدينة أربونة [1] ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى قتل وحمل رأسه إلى يوسف[2].

وخرج عليه عذره المعروف بالذمي ؛ فإنما قيل له ذلك لأنه استعان بأهل الذمة ؛ فوجه إليه يوسف عامر بن عمرو[3] ، وهو الذي تنسب إليه مقبرة عامر من أبواب قرطبة ، فلم يظفر به وعاد مفلولاً ، فسار إليه يوسف عبد الرحمن فقاتله فقتله واستباح عسكره[4].

وقد وردت هذه الحادثة من جهة أخرى وفيها بعض الخلاف ، وسنذكرها سنة تسع وثلاثين ومائة عند دخول عبد الرحمن الأموي الأندلس.

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة

ذكر عدة حوادث

والبأس؛ وصرف يوسف الفهري إليه الأمور، وأوقف عليه الرياسة والتدبير. فكان ليوسف الاسم، وللصميل الرسم) البيان المغرب، ٣٥/٢- ٣٦ ؛ ينظر أيضا: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٨- ٦١ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥/٣.

١) أربونة وهي آخر ما افتتح المسلمون من بلاد الأندلس في الطرف الأعلى المحاذي لبلاد الفرنجة وقد خرجت من أيدي المسلين سنة ١٤١هـ. ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٤ ؛ الحميري، صفة، ص١١- ١٢ وقال: إن أربونة خرجت من أيدي المسلمين سنة ٣٣٠هـ، وفي ذلك نظر.

٢) ذكر المقري عن ابن حيان: (أنه كان ممن ثار على يوسف الفهري عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الأندلس ووالي ثغر أربونة وكان ذا بأس شديد ووجاهة عظيمة فبينما هو في تدبير غزو يوسف إذ اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه إليه) نفح الطيب، ٢٦/٣ ؛ ينظر أيضا: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٨/٢.

٣) ذكر مؤلف مجهول أن عامر من ولد أبي عدي أخي مصعب بن عمير صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واليه تنسب مقبرة عامر بغربي قرطبة، وكان عامر يلي الصوائف قبل يوسف الفهري، أخبار مجموعة، ص٦٣.

٤) ذكر المقري عن ابن حيان (ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد في أهل الذمة وغيرهم فملك إشبيلية وكثر جمعه إلى أن خرج له يوسف فقتله)نفح الطيب، ٢٦/٣ ؛كما ورد اسمه عند ابن عذاري عروة، البيان المغرب، ٣٨/٢.

وفيها قتل يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[1] مع مروان بن محمد[2] بالزاب[3] ، ويحيى أخو عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

ذكر الفتنة بالأندلس

وفي هذه السنة خرج في الأندلس الحباب[4] بن رواحة بن عبد الله الزهري ودعا إلى نفسه واجتمع إليه جمع من اليمانية ، فسار إلى الصميل - وهو أمير قرطبة[5]- فحصره بها وضيق عليه ؛ فاستمد الصميل يوسف الفهري -أمير الأندلس - فلم يفعل لتوالي الغلاء والجوع على الأندلس ولأن يوسف قد كره الصميل واختار هلاكه ليستريح منه[6].

وثار بها أيضاً عامر العبدري وجمع جمعاً واجتمع مع الحباب على الصميل

---

١) أورد ابن عساكر له ترجمه مقتضبة :ينظر: تاريخ دمشق، ٣٧٧/٦٢.

٢) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، كان مشهوراً بالفروسية والاقدام والدهاء والعسف، بويع بالخلافة سنة ١٢٧هـ وقتل في موقعة الزاب سنة ١٣٢هـ. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٠٢- ٣٠٣.

٣) كانت معركة الزاب سنة ١٣٢هـ بين العباسيين بقيادة عبد الله بن علي العباسي والأمويين بقيادة آخر خلفائهم مروان بن محمد فكانت الهزيمة عليه وفرّ مروان إلى مصر حيث قتل هناك. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٣٢/٧- ٤٣٤.

٤) ذكر ابن عذاري اسمه الحبحاب بن رواحة، البيان المغرب، ٤١/٢. ويبدو أن الاسم عند ابن الأثير هنا مصحفاً.

٥) كان الصميل آنذاك في سرقسطة وليس قرطبة، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٢.

٦) قال ابن عذاري: (فولاه سرقسطة وبلادها سنة ١٣٣؛ فكان فيها إلى أن قام عليه فيها الحباب بن رواحة من بني زهرة بن كلاب ؛ فحاصره مدة من سبعة أشهر. وقعد يوسف عن إغاثته ، واعتذر بشدة الأندلس في ذلك الوقت ومجاعته، رغبة في تلافه وهلاكه، وحرصا على الراحة منه لاستحواذه واستملاكه، إلى أن اجتمع قومه بإلبيرة وجيّان، وساروا إلى نصرته، وتفريج كربته) البيان المغرب، ٣٧/٢.

وقاما بدعوة بني العباس[1].

فلما اشتد الحصار على الصميل كتب إلى قومه يستمدهم ، فسارعوا إلى نصرته واجتمعوا وساروا إليه ، فلما سمع الحباب بقربهم سار الصميل عن سرقسطة وفارقها ، فعاد الحباب إليها وملكها ، واستعمل يوسف الفهري الصميل على طيلطلة[2].

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس

قد ذكرنا في سنة اثنتين وتسعين فتح الأندلس وعزل موسى بن نصير عنها.

فلما عزل عنها وسار إلى الشام استخلف عليها ابنه عبد العزيز وضبطها وحمى ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة- وكان خيراً فاضلاً - وبقي أميراً إلى سنة سبع وتسعين ، وقيل: ثمان وتسعين ، فقتل بها. وقد تقدم سبب قتله.

فلما قتل بقيٍ أهل الأندلس ستة أشهر لا يجمعهم والٍ ، ثم اتفقوا على أيوب ابن حبيب اللخمي[3] وهو ابن أخت موسى بن نصير ، فكان يصلي بهم لصلاحه ، وتحول إلى قرطبة وجعلها دار إمارة في أول سنة تسع وتسعين ، وقيل سنة ثمان وتسعين.

ثم إن سليمان بن عبد الملك استعمل بعده الحر بن عبد الرحمن الثقفي ،

---

١) ذكر مؤلف مجهول أن عامر العبدري ــ من بني عبد الدار – راسل الخليفة العباسي المنصور للقيام بالدعوة العباسية في الأندلس وتبعه العديد من أهل اليمن فلما أحس به يوسف الفهري وأراد القبض عليه هرب إلى سرقسطة وأعانه هناك رجلاً من بني زهرة بن كلاب وكان بها الصميل بن حاتم فحاصراه فاستمد الصميل يوسف فلم يمده لأنه كان يتمنى هلاكه، فاستعان بقومه من مضر وتمكن من الانسحاب عن سرقسطة إلى طليطلة فدخلها عامر العبدري وحليفة الزهري. أخبار مجموعة، ص٦٣- ٦٥.

٢) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٢/٢، ٤٣.

٣) عند ابن القوطية أنهم مكثوا سنتين لا يجمعهم والٍ إلا أن البربر قدموا على أنفسهم أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧ ؛ وأضاف مؤلف مجهول إنه كان رجلاً صالحاً يؤمهم لصلاتهم، أخبار مجموعة، ص٢٨.

فقدمها سنة ثمان وتسعين ، فأقام والياً عليها سنتين وتسعة أشهر[1].

فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة استعمل على الأندلس السمح بن مالك الخولاني وأمره أن يميّز أرضها ويخرج منها ما كان عنوةً ويأخذ منه الخمس ويكتب إليه بصفة الأندلس ، وكان رأيه إقفال أهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين. فقدمها السمح سنة مائة في رمضان وفعل ما أمره عمر ، وقتل عند انصرافه من دار الحرب سنة اثنتين ومائة ، وكان قد بدا لعمر في نقل أهلها عنها وتركهم ، ودعا لأهلها[2].

ثم وليها بعد السمح عنبسة بن سحيم الكلبي سنة ثلاث ومائة ، توفي في شعبان سنة سبع ومائة عند انصرافه من غزوة الإفرنج[3].

ثم وليها بعده يحيى بن سلمى الكلبي في ذي القعدة سنة سبع ، فبقي عليها والياً سنتين وستة أشهر[4].

---

١) ذكر ابن القوطية أن الخليفة سليمان بن عبد الملك ولى إفريقية محمد بن يزيد فولى بدوره الحر بن عبد الرحمن الثقفي على الأندلس فلم يزل عليها حتى خلافة عمر بن عبد العزيز، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧- ٣٨ ؛ فيما ذكر مؤلف مجهول أن محمد بن يزيد سرح الحر بن عبد الرحمن إلى الأندلس للنظر في مقتل عبد العزيز بن موسى فلم يستقر بالحر القرار حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فولى السمح بن مالك الخولاني، أخبار مجموعة، ص٢٩ ؛ وذهب ابن عذاري إلى أن ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي على الأندلس كانت ثلاث سنوات، البيان المغرب، ٢٥/٢.

٢) ذكر ابن القوطية أن الخليفة عمر بن عبد العزيز عهد إلى السمح بإجلاء المسلمين من الأندلس إشفاقا مما دخل عليهم وخشي تغلب العدو عليهم، فكتب إليه السمح يعرفه بقوة الإسلام وكثرة مدائنهم، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٨ ؛ وأضاف مؤلف مجهول قائلا: (ليت الله كان أبقاه حتى يفعل، فان مصيرهم إلى بوار، إلا أن يرحمهم الله)أخبار مجموعة، ص٣٠ ؛ وأشار ابن عذاري إلى أن السمح كتب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز (إن الناس قد كثروا بها، وانتشروا في أقطارها، فأضربْ عن ذلك)البيان المغرب، ٢٦/٢.

٣) أشار ابن عذاري إلى أنه (في سنة ١٠٥، خرج عنبسة غازيا للروم بالأندلس، وأهلها يومئذ خيار، فضلاء، أهل نية في الجهاد وحسبة في الثواب؛ فالح على الروم في القتال والحصار، حتى صالحوه. وتوفي عنبسة في شعبان سنة ١٠٧)البيان المغرب، ٢٧/٢.

٤) عند ابن القوطية يحيى بن سلامة الكلبي، تاريخ افتتاح الأندلس، صص٣٨ ؛ وعند مؤلف مجهول، يحيى بن مسلمة الكلبي، أخيار مجموعة، ص٣١ ؛ وعند ابن عذاري يحيى بن سلمة الكلبي، البيان المغرب، ٢٧/٢.

ثم دخل الأندلس حذيفة بن الأبرص الأشجعي سنة عشر ومائة فبقي والياً عليها ستة أشهر ، ثم عزل[1].

ثم وليها عثمان بن أبي نسعة الخثعمي ، فقدمها سنة عشر ومائة وعزل آخر سنة عشر ومائة أيضاً ، وكانت ولايته خمسة أشهر[2].

ثم وليها الهيثم بن عبيد الكناني ، فقدمها في المحرم سنة إحدى عشرة ومائة ، فأقام واليا عليها عشرة أشهر وأياماً ثم توفي في ذي الحجة[3] ، فقدم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعي ، وكانت ولايته شهرين[4] ، وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في صفر سنة اثنتي عشرة ومائة ، واستشهد في أرض العدو في رمضان سنة أربع عشرة ومائة[5].

ثم وليها عبد الملك بن قطن الفهري ، فأقام عليها سنتين وعزل[6].

ثم وليها بعده عقبة بن الحجاج السلولي ، دخلها سنة ست عشرة ومائة ، فوليها خمس سنين ، وثار أهل الأندلس به فخلعوه فولوه بعده عبد الملك بن قطن ، وهي ولايته

---

١) عند ابن القوطية ومؤلف مجهول أن حذيفة بن الاحوص ولي الأندلس بعد عثمان بن أبي نسعة ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٨ ؛ أخبار مجموعة، ص٣١.

٢) قال ابن عذاري: (ولى عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأعور السلمي على الأندلس عثمان ابن أبي نسعة الخثعميّ؛ فقدمها في شعبان سنة ١١٠ ، وكانت ولايته خمسة أشهر؛ وقيل: ستة أشهر؛ ثم عزل وانصرف إلى القيروان؛ فمات بها) البيان المغرب، ٢٨/٢.

٣) قال ابن عذاري: (ثم ولي الأندلس الهيثم بن عبيد الكناني، في صدر سنة ١١١؛ وكانت ولايته عشرة أشهر؛ وقيل غير ذلك؛ وهو الذي غزا منوسة)، البيان المغرب، ٢٨/٢.

٤) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٣٥/١، ١٨/٣.

٥) قال مؤلف مجهول: (وعلى يديه استشهد أهل البلاط الشهداء، واستشهد معهم واليهم عبد الرحمن)، ص٣١ ؛ وقال ابن عذاري: (ثم ولي الأندلس عبد الرحمن هذا ثانية؛ فكان دخوله إليها في صفر سنة ١١٢؛ فأقام واليا سنتين وسبعة أشهر؛ وقيل: وثمانية أشهر. واستشهد في أرض العدو في رمضان سنة ١١٤)البيان المغرب، ٢٨/٢.

٦) قال مؤلف مجهول: إن ولايته الأولى كانت ستة أشهر، لم تطل، أخبار مجموعة، ص٣١ ؛ فيما ذكر ابن عذاري رواية ابن الأثير أعلاه، البيان المغرب، ٢٨/٢.

الثانية ، وقد ذكر بعض مؤرخي الأندلس أنه توفي ، فولى أهل الأندلس عبد الملك[1].

ثم وليها بلج بن بشر القشيري ، بايعه أصحابه ، فهرب عبد الملك ولحق بداره ، وهرب ابناه قطن وأمية فلحق أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة ، ثم ثارت اليمن على بلج وسألوه قتل عبد الملك بن قطن ، فلما خشي فسادهم أمر به فقتل وصلب ، وكان عمره تسعين سنة ، فلما بلغ ابنيه قتله حشدا من ماردة إلى أربونة ، فاجتمع إليهما مائة ألف ، وزحفوا إلى بلج ومن معه بقرطبة ، فخرج إليهم بلج فلقيهم فيمن معه من أهل الشام بقرب قرطبة فهزمهما ، ورجع إلى قرطبة فمات بعد أيام يسيرة [2].

وكان سبب قدوم بلج الأندلس أنه كان مع عمه كلثوم بن عياض في وقعة البربر سنة ثلاث وعشرين ، وقد تقدم ذكرها ، فلما قتل عمه سار إلى الأندلس ، فأجازه عبد الملك بن قطن إليها ، وكان سبب قتله.

ثم ولي أهل الشام على الأندلس مكانه ثعلبة بن سلامة العاملي [3] فأقام إلى أن قدم أبو الخطار والياً على الأندلس سنة خمس وعشرين ومائة ، فدان له أهل الأندلس ، وأقبل إليه ثعلبة. وابن أبي نسعة. وابنا عبد الملك فأمنهم وأحسن إليهم واستقام أمره - وكان شجاعاً ذا رأي وكرم - وكثر أهل الشام عنده ، فلم تحملهم قرطبة ، ففرقهم في البلاد ، فانزل أهل دمشق إلبيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل أهل حمص إشبيلية وسماها حمص ، وأنزل أهل قنسرين بجيّان وسماها قنسرين ، وأنزل أهل الأردن برية وسماها الأردن ، وأنزل أهل فلسطين بشذونة وسماها فلسطين ،

---

١) عند مؤلف مجهول أن ولاية عقبة استمرت حتى ثورة البربر في المغرب بقيادة ميسرة سنة ١٢١هـ، فثار على إثرها برير الأندلس، عندها وثب عبد الملك بن قطن على عقبة فخلعة، قال: ولا أدري أقتله أم أخرجه، أخبار مجموعة، ص٣٥ ؛ وقال ابن عذاري: (قيل إن أهل الأندلس ثاروا على عقبة بن الحجاج وخلعوه. قال ابن القطان: وقيل إن عقبة بن الحجاج، لما حانت وفاته، استخلف عبد الملك بن قطن)، البيان المغرب، ٣٠/٢.

٢) ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٦- ٤٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣١/٢- ٣٢.

٣) ينظر تحقيق اسم سلامة بن ثعلبة أحداث سنة ١٢٤هـ.

وأنزل أهل مصر بتدمير وسماها مصر لشبهها بها [1].

ثم تعصب اليمانية ، وكان ذلك سبباً لتألب الصميل بن حاتم عليه مع مضر وحربه وخلعه. وقامت هذه الفتنة سنة سبع وعشرين ومائة.

وكان الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن قد قدم الأندلس في أمداد الشام فرأس بها ، فأراد أبو الخطار أن يضع منه فأمر به يوماً وعنده الجند فشتم وأهين ، فخرج وعمامته مائلة ، فقال له بعض الحجاب: ما بال عمامتك مائلة؟ فقال: إن كان لي قوم فسيقيمونها ، وبعث إلى قومه فشكا إليهم ما لقي. فقالوا: نحن لك تبع ، وكتبوا إلى ثوابة بن سلامة الجذامي ، وهو من أهل فلسطين ، فوفد عليهم وأجابهم وتبعهم لخم[2] وجذام[3].

فبلغ ذلك إلى أبي الخطار فسار إليهم ، فقاتلوه فانهزم أصحابه وأسر أبو الخطار ودخل ثوابة قصر قرطبة وأبو الخطار في قيوده ، فولي ثوابة الأندلس سنتين ثم توفي ، فأراد أهل اليمن إعادة أبي الخطار ، وامتنعت مضر ورأسهم الصميل ، فافترقت الكلمة ، فأقامت الأندلس أربعة أشهر بغي أمير ، وقد تقدم أبسط من هذا سنة سبع وعشرين ومائة.

فلما بقوا بغير أمير قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمي[4] للأحكام ، فلما

---

١) قال ابن عذاري: (وفرق أهل الشام على الكور، ونظر لسواهم أيضا بأحسن النظر؛ فأنزل أهل دمشق بإلبيرة، أهل الأردن برية، وأهل فلسطين بشذونة، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجبان، وأهل مصر بباجة، وبعضهم بتدمير. وكان إنزالهم على أموال العجم من أرض ونعم)، البيان المغرب، ٣٣/٢.

٢) لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، إليهم ينتسب بني عباد في إشبيلية أيام الطوائف، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٨٥ ؛ القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٤١١.

٣) وهم بنو جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وجذام أخو لخم، قال ابن حزم كانت لهم في الأندلس رياسة وتفرع، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٠- ٤٢١.

٤) اسمه عند مؤلف مجهول: عبد الرحمن بن نعيم الكلبي، أخبار مجموعة، ص٥٩.

تفاقم الأمر اتفق رأيهم على يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فوليها يوسف سنة تسع وعشرين ، فاستقر الأمر أن يلي سنة ثم يرد الأمر إلى اليمن فيولون من أحبوا من قومهم.

فلما انقضت السنة أقبل أهل اليمن بأسرهم يريدون أن يولوا رجلاً منهم ، فبيتهم الصميل فقتل منهم خلقاً كثيراً ، فهي وقعة شقندة المشهورة ، وفيها قتل أبو الخطار واقتتلوا بالرماح حتى تقطعت وبالسيوف حتى تكسرت ، ثم تجاذبوا بالشعور ، وكان ذلك سنة ثلاثين ، واجتمع الناس على يوسف ولم يعترضه أحد.

وقد قيل غير ما ذكرنا ، وقد تقدم ذكره سنة سبع وعشرين ومائة [١].

ثم توالى القحط على الأندلس وجلا أهلها عنها وتضعضعت إلى سنة ست وثلاثين ومائة ، وفيها اجتمع تميم بن معبد الفهري وعامر العبدري بمدينة سرقسطة ، وحاربهما الصميل ، ثم سار إليهما يوسف الفهري فحاربهما فقتلهما[٢] ، وبقي يوسف على الأندلس إلى أن غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام.

هذا ما ذكرناه من ولاة الأندلس على الاختصار ، وقد تقدم أبسط من هذا متفرقاً ، وإنما أوردناه هاهنا متتابعاً ليتصل بعض أخبار الأندلس ببعض لأنها وردت متفرقة.

(ونرجع إلى ذكر عبور عبد الرحمن بن معاوية بن هشام إليها)

وأما سبب مسير عبد الرحمن إلى الغرب فإنه يحكى عنه أنه لما ظهرت الدولة العباسية وقتل من بني أمية من قتل ومن شيعتهم فرّ منهم من نجا في الأرض ، وكان عبد الرحمن بن معاوية بذات الزيتون[٣] ، ففر منها إلى فلسطين وأقام هو مولاه بدر

---

١) ينظر تحقيق ذلك في أحداث سنة ١٢٧هـ.

٢) قال ابن عذاري: وثار على يوسف الفهري (تميم بن معبد سنة ١٣٦. وفي سنة ١٣٧ ، اجتمع تميم بن معبد وعامر بن عمرو بن وهب بسرقسطة؛ فتولى محاربتهما الصميل بن حاتم. وفي سنة ١٣٨ ، خرج يوسف بنفسه إلى تميم بن معبد وعامر بن عمرو بسرقسطة؛ فحاصرهما ؛ ثم ظفر بهما وقتلهما) البيان المغرب، ٣٨/٢.

٣) ذكر ياقوت: أن الزيتون جبل بالشام، معجم البلدان، ١٦٣/٣.

يتجسس الأخبار ، فحكي عنه أنه قال: لما أعطينا الأمان ثم نكث بنا بنهر أبي فطرس[1] وأبيحت دماؤنا[2] أتانا الخبر - وكنت منتبذاً من الناس- فرجعت إلى منزلي آيساً ونظرت فيما يصلحني وأهلي وخرجت خائفاً حتى صرت إلى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ، فبينا أنا ذات يوم بها وولدي سليمان يلعب بين يدي ، وهو يومئذ ابن أربع سنين ، فخرج عني ثم دخل الصبي من باب البيت باكياً فزعاً فتعلق بي ، وجعلت أدفعه وهو يتعلق بي ، فخرجت لأنظر وإذْ بالخوف قد نزل بالقرية ، وإذا بالرايات السود منحطة عليها ، وأخ لي حديث السن يقول لي: النجاء النجاء! فهذه رايات المسودة! فأخذت دنانير معي ونجوت بنفسي وأخي وأعلمت أخواتي بمتوجهي فأمرتهن أن يلحقنني مولاي بدراً ، وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي أثراً ، فأتيت رجلاً من معارفي وأمرته فاشترى لي دواب وما يصلحني ، فدلّ عليّ عبد له العامل ، فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هرّاباً والخيل تبصرنا فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل إلى الفرات فسبحنا. فأما أنا فنجوت والخيل ينادوننا بالأمان ولا أرجع. وأما أخي فإنه عجز عن السباحة في نصف

---

١) قال ياقوت: (نهر أبي فطرس بضم الفاء وسكون الطاء وضم الراء وسين مهملة ، موضع قرب الرملة من أرض فلسطين... على اثني عشر ميلا من الرملة في سمت الشمال نهر أبي فطرس، ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس، وينصب في البحر الملح بين يدي مدينتي أرسوف ويافا ، به كانت وقعة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مع بني أمية فقتلهم في سنة ١٣٢)، معجم البلدان، ٣١٥/٥.

٢) تحدثت بعض الروايات عن غدر عبد الله بن علي العباسي بالأمويين في نهر أبي فطرس، ذلك أنه عندما تتبع وجوه بني أمية بالقتل فرّ العديد منهم واختفى، فاحتال لهم أن أعلن الأمان ودعاهم إليه لحضور مأدبة عنده بمناسبة العفو ، فخرج بعض وجوههم وعندما حلوا عنده عمل لهم مكيدة أن قام بشدخهم بالعمد وبسط عليهم الأنطاع فأكل عليها وأنينهم يسمع حتى ماتوا ، وكان عددهم بن اثنتين وسبعين وثمانين على اختلاف الروايات، ولم يحضر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك معهم فنجا. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ٤٥٥/٤- ٤٥٦ ؛ الأصفهاني، الأغاني، ٣٤٠/٤- ٣٤١ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٠- ٥٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٣٢/٣.

الفرات فرجع إليهم بالأمان وأخذوه فقتلوه وأنا أنظر إليه ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاحتملت فيه ثكلاً ، ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة أشبةٍ حتى انقطع الطلب عني ، وخرجت فقصدت المغرب فبلغت إفريقية.

ثم إن أخته أم الأصبغ ألحقته بدراً مولاه ومعه نفقة له وجوهر ، فلما بلغ إفريقية لجّ عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري[1] ، قيل : هو والد يوسف أمير الأندلس ، وكان عبد الرحمن عامل إفريقية في طلبه ، واشتدّ عليه ، فهرب منه فأتى مكناسة[2]- وهم قبيل من البربر- فلقي عندهم شدةً يطول ذكرها[3] ،ثم هرب من عندهم فأتى نفزاوة ، وهم أخواله[4] ، وبدر معه[5].

وقيل: أتى قوماً من الزناتيين[6] فأحسنوا قبوله واطمأن فيهم ، وأخذ في تدبير المكاتبة إلى الأمويين من أهل الأندلس يعلمهم بقدومه ويدعوهم إلى نفسه ، ووجه بدراً مولاه إليهم ، وأمير الأندلس حينئذ يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

---

١) هو عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري تغلب على القيروان فملكها سنة ١٢٧هـ واستمر حتى مقتله سنة ١٣٨هـ، ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٨٦- ١٠٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٠/١- ٦٢.

٢) وهي أحد قبائل البربر كانت تقطن وادي ملوية عند جبال الأطلس المتوسط وباسمهم سميت مدينة مكناسة، ابن خلدون، تاريخ، ١٠٢/٦ ؛ السلاوي، الاستقصا، ١٢١/١.

٣) منها: إنه عندما طاردته عيون عبد الرحمن بن حبيب الفهري والي إفريقية ألقى بنفسه في منزل أبي قرة المغيلي المكناسي فاقتحم رجال عبد الرحمن الفهري الدار، فألقت زوجة أبي قرة نفسها عليه، وادخلته تحت ثيابها، وأسبلت ظفائر شعرها، وجعلت تمشط، وكانت ضخمة النساء ذات قدّ، فغشيها المفتشون على تلك الحالة، فصاحت واعولت وجمعت عليها ثيابها، فجزعوا من سطوة زوجها، وخرجوا عن البيت. مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٦٢.

٤) ذكر أن أمّه جارية تدعى راح من قبيلة نفزة البربرية، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٥/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤١/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تاريخ الأندلس)، ص١٦٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٣٣/١.

٥) ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤١/٢.

٦) نسبة إلى زانا أو شانا بن يحيى بن ضريس وهي من اكبر قبائل البربر وموطنهم في المغرب الأوسط، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٠٢/٦.

فسار بدر إليهم وأعلمهم حال عبد الرحمن ودعاهم إليه ، فأجابوه ووجهوا له مركباً فيه ثمامة بن علقمة[1] ، ووهب بن الأصفر ، وشاكر بن أبي الأشمط [2] ، فوصلوا إليه وأبلغوه طاعتهم له وأخذوه ورجعوا إلى الأندلس ، فأرسى في المنكب[3] في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فأتاه جماعة من رؤسائهم من أهل إشبيلية ، وكانت أيضاً نفوس أهل اليمن حنقة على الصميل. ويوسف الفهري ، فأتوه. ثم انتقل إلى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور[4] ، ثم أتى شذونة فبايعه غياث بن علقمة اللخمي[5] ، ثم أتى موزور[6] فبايعه إبراهيم بن شجرة[7] عاملها. ثم أتى إشبيلية فبايعه أبو الصباح يحيى بن يحيى[8] ، ونهض إلى قرطبة.

فبلغ خبره إلى يوسف وكان غائباً عن قرطبة بنواحي طليطلة ، فاتاه الخبر وهو راجع إلى قرطبة ، فسار عبد الرحمن نحو قرطبة.

فلما أتى قرطبة تراسل هو ويوسف في الصلح ، فخادعه نحو يومين ، أحدهما يوم عرفة ولم يشك أحد من أصحاب يوسف أن الصلح قد ابترم ، وأقبل على إعداد

---

١) ورد اسمه عند ابن القوطية ومؤلف مجهول تمام بن علقمة، ص٤٧ ؛ ٧٢.

٢) ورد اسمه عند مؤلف مجهول والمقري شاكر، قالا: إن عبد الرحمن بن معاوية عندما دخل المركب عابراً إلى الأندلس تعلق به رجلاً من البربر طامعاً ببعض المال منه، فضرب رجل اسمه شاكر كان مع عبد الرحمن يد البربري بالسيف فقطعها، أخبار مجموعة، ص٧٢ ؛ نفح الطيب، ٣١/٣.

٣) المنكب ، مرسى عليه حصن بينه وبين غرناطة أربعين ميلا، الحميري، صفة، ص١٨٦.

٤) ورد اسمه عند مؤلف مجهول: عيسى بن مسافة، تاريخ الأندلس، ص١٦٣ ؛ وعند ابن خلدون: عيسى بن مسور، تاريخ، ١٢١/٤.

٥) ورد اسمه عند مؤلف مجهول عتاب بن علقمة اللخمي، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٦٣ ؛ وعند المقري، تمام بن علقمة، نفح الطيب، ٣١/٣.

٦) الصحيح مورور، وهي كورة متصلة بأحواز قرمونة إلى الغرب من شذونة، الحميري، صفة، ص١٨٨.

٧) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٧/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية) ، ص١٦٣.

٨) عند مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية): يحيى بن فلان اليحصبي، ص٧٨.

الطعام لياكله الناس على السماط يوم الأضحى ، وعبد الرحمن مرتب خيله ورجله ، وعبر النهر في أصحابه ليلاً ، ونشب القتال ليلة الأضحى ، وصبر الفريقان إلى أن ارتفع النهار ، وركب عبد الرحمن على بغل لئلا يظن الناس أنه يهرب ، فلما رأوه كذلك سكنت نفوسهم ، وأسرع القتل في أصحاب يوسف وانهزم ، وبقي الصميل يقاتل مع عصابة من عشيرته ثم انهزموا ، فظفر عبد الرحمن ، ولما انهزم يوسف أتى ماردة ، وأتى عبد الرحمن قرطبة فأخرج حشم يوسف من القصر على عودة ودخله بعد ذلك.

ثم سار في طلب يوسف ، فلما أحس به يوسف خالفه إلى قرطبة فدخلها وملك قصرها فأخذ جميع أهله وماله ولحق بمدينة إلبيرة ، وكان الصميل لحق بمدينة شوذر[1].

وورد عبد الرحمن الخبر فرجع إلى قرطبة طمعاً في لحاقه بها ، فلما لم يجده عزم على النهوض إليه ، فسار إلى إلبيرة ، وكان الصميل قد لحق بيوسف وتجمع لهما هناك جمع ، فتراسلوا في الصلح ، فاصطلحوا على أن ينزل يوسف بأمان هو ومن معه وأن يسكن مع عبد الرحمن بقرطبة ، ورهنه يوسف ابنيه: أبا الأسود محمداً ، وعبد الرحمن ؛ وسار يوسف مع عبد الرحمن ، فلما دخل قرطبة تمثل:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، ومات قبل تمامه[2] ، وبني مساجد الجماعات ، ووافاه جماعة من أهل بيته[3] ،

---

١) شوذر ، قرية تقع بكورة جيّان في الأندلس، الحميري، صفة، ص١١٧.

٢) قال مؤلف مجهول: إنه في سنة ١٧٠هـ أسس عبد الرحمن بن معاوية جامع قرطبة وأخذ في بنائه واتقانه من مال الاحباس وأنفق في بنائه مائتي ألف دينار، وجعل له سبعة أبواب لدخول الرجال وبابين لدخول النساء، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٦٦- ١٦٧.

٣) ينظر تفاصيل دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٧- ٥١ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٩- ٧٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٠/٢- ٤٨ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص ١٦١- ١٦٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٩/٣- ٣٤.

وكان يدعو للمنصور[1].

وقد ذكر أبو جعفر أن دخول عبد الرحمن كان سنة تسع وثلاثين [2] ، وقيل: سنة ثمان وثلاثين ، على ما ذكرنا.

وهذا القدر كافٍ في ذكر دخوله الأندلس لئلا نخرج عن الذي قصدنا له من الاختصار.

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

ذكر قتل يوسف الفهري

في هذه السنة نكث يوسف الفهري ، الذي كان أمير الأندلس ، عَهْدَ عبد الرحمن الأموي.

وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه من يهينه وينازعه في أملاكه ،

---

١) اختلف في المدة التي بقي بها عبد الرحمن الداخل يخطب للعباسيين، فذهب البعض إلى أنه خطب لهم من بعده من أمراء بني أمية حتى أيام عبد الرحمن الثالث الناصر: ينظر ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٠- ٦١ ؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٤٢- ٤٣ ؛ وقال ابن الأبار: إن عبد الرحمن أقام أشهرا يدعو لأبي جعفر المنصور متقيلا في ذلك يوسف الفهري الوالي قبله، إلى أن أفرد نفسه بالدعاء، ذلك أن أحد أقرباءه وهو عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم أشار عليه بذلك، الحلة السيراء، ٣٥/١- ٣٦ ؛وأضاف المقري أن عبد الملك بن عمر لما وجده يدعو للمنصور ذكره بسوء صنيع العباسيين، فما زال به حتى قطع الدعاء، إذ قال له: إن لم تقطع الخطبة قتلت نفسي حينئذ قطعها بعد أن خطب للعباسيين عشرة أشهر، نفح الطيب، ٥٨/٣- ٥٩ ؛ وذكر مؤلف مجهول أنه خطب لأبي جعفر المنصور سنتين ثم قطع الدعاء له وخطب لنفسه وكتب بذلك إلى جميع البلاد، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٦٥ ؛ ومما يلاحظ أن عبد الرحمن الداخل وإن قطع الخطبة للعباسيين إلا أنه لم يلقب نفسه بلقب خليفة وإنما اكتفى بلقب ابن الخلائف، وذلك لأن الأمويين في الفترة الأولى كانوا يشعرون أن الخلافة واحدة لا تتعدد، وأن الخليفة الشرعي هو حامي الحرمين الشريفين وهو الخليفة العباسي في ذلك الوقت، ينظر: العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٠٩.

٢) قال الطبري في أحداث سنة ١٣٩هـ:(وفي هذه السنة سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس فملكه أهلها أمرهم فولده ولاتها إلى اليوم)، تاريخ الرسل والملوك، ٥٠٠/٧.

فإذا أظهر حجة الشريعة لا يعمل بها [1] ، ففطن لما يراد منه فقصد ماردة واجتمع عليه عشرون ألفاً ، فسار نحو عبد الرحمن ، وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه إلى حصن المدور.

ثم إن يوسف رأى أن يسير إلى عبد الملك بن عمر بن مروان[2] ، وكان والياً على إشبيلية وإلى ابنه عمر بن عبد الملك ، وكان على المدور ، فسار نحوها ؛ وخرجا إليه فلقياه ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، فصبر الفريقان وانهزم أصحاب يوسف وقتل منهم خلق كثير ، وهرب يوسف وبقي متردداً في البلاد ، فقتله بعض أصحابه في رجب من سنة اثنتين وأربعين بنواحي طليطلة وحمل رأسه إلى عبد الرحمن ، فنصبه بقرطبة ؛ وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذي كان عنده رهينةً ، ونصب رأسه مع رأس أبيه[3] ، وبقي أبو الأسود بن يوسف عند عبد الرحمن الأموي رهينةً ، وسيأتي ذكره.

---

١) ذكر مؤلف مجهول خلاف ذلك، قال: إن يوسف الفهري والصميل بن حاتم أقاما عند عبد الرحمن أحسن حال، يختلفان إليه ويحضرهما الرأي مرة بعد مرة، إلى أن دخل ناس كانوا نالوا عند يوسف رفعة ومنزلة، فكانوا يختلفون إليه ويلقون عليه التحريف ويندمونه على ما كان، فلم يزالوا به حتى كاتب الناس وكره الصميل ذلك، فهرب يوسف إلى ماردة، أخبار مجموعة، ص٨٧- ٨٨ ؛ وفي المقري عن ابن حيان أنه (دس له قوم قاموا عليه في أملاكه، زعموا أنه غصبهم إياها، فدفع معهم إلى الحكام، فأعنتوه، وحُمل عنه في التألم بذلك كلام رفع إلى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل إلى السعاية به والتخويف منه، فاشتد توحشه، فخرج إلى جهة ماردة)، نفح الطيب، ٣٥/٣.

٢) هو عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي فرّ من الشام خوفا من العباسيين فمر بمصر ومضى إلى الأندلس فأكرمه الأمير عبد الرحمن الداخل وولاه إشبيلية، كان يقال له قعدد بني أمية، ولما وجد الداخل يدعو لأبي جعفر المنصور أشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بني العباس ببني أمية فتوقف عبد الرحمن في ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له، وذلك أنه قال له حين امتنع من ذلك إن لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسي فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور، وقربه الداخل وولده، وولاه القضاء على ثورة أبي الصباح اليحصبي ونجح في ذلك إلا أنه جرح فيها وتوفي على إثرها، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٥٦/١- ٥٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ٥٩/٣.

٣) جعل ابن عذاري هروب يوسف سنة ١٤١هـ إذ قال: (وفي سنة ١٤١، هرب الفهري من قرطبة، =

وأما الصميل فإنه لما فرّ يوسف من قرطبة لم يهرب معه ، فدعاه الأمير عبد الرحمن وسأله عنه ، فقال: لم يعلمني بأمره ولا أعرف خبره ، فقال: لا بد أن تخبر. فقال: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه [1] ؛ فسجنه مع ابني يوسف. فلما هربا من السجن أنف من الهرب والفرار فبقي في السجن ، ثم أدخل إليه بعد ذلك مشيخة مضر فوجدوه ميتاً وعنده كأس ونقل [2] ، فقالوا: يا أبا جوشن قد علمنا أنك ما شربت ولكن سقيت! ودُفع إلى أهله فدفنوه [3][4].

=ناكثا ، ناقضا للأيمان بعد توكيدها ؛ فاجتمع إليه الناس ، وبلغ جمعه عشرين ألفا من البربر وغيرهم. فلما رأى كثرة ما اجتمع له ، تحرك من ماردة ، يريد الأمير عبد الرحمن. فلما بلغ الأمير خبره ، برز من القصر ، وتقدم إلى المدور. وكان عبد الملك بن عمر المرواني عاملا بإشبيلية ، وابنه بكورة مورور ؛ فحشدا من كان قبلهما من أهل الكورتين ، وتوافى الحشدان ؛ فبرز به. واتصل بالفهري خروج الأمير إلى المدور وتوافى الحشود على عبد الملك ؛ فتوقع الفهري التشبك بين العسكرين ؛ فصرف راياته إلى عبد الملك ؛ فالتقيا ، ووقعت بينهما حرب شديدة ؛ فانهزم يوسف ، وتفرق أصحابه عنه ، وأتبعوا بالقتل. واتصل الفتح بعبد الرحمن ، وهو بالمدور منتظرا لتوافي الحشود ؛ فأغناه عاجل الفتح ؛ وفر الفهري بنفسه مختفيا وفي سنة ١٤٢ ، كان هلاك يوسف الفهري ومقتله بناحية طليطلة ؛ وكان قد نهض إليها ، وتردد بناحيتها شهورا ؛ فاغتاله بعض أصحابه ، وقتله ، واحتز رأسه ، وتقدم به إلى الأمير عبد الرحمن ؛ فشكر الله على موته ، وأمر بنصب رأسه على جسر قرطبة ، وأمر بقتل ابنه المرتهن ، ونصب رأسه مع رأس أبيه) ، البيان المغرب ، ٤٩/٢.

١) ورد عند مؤلف مجهول خلاف ذلك ، وهو أن عبد الرحمن الداخل ، لما علم بهروب يوسف الفهري أخذ الصميل فاحتج أنه لا ذنب له ، ولو أنه أذنب هرب معه ، فقال له لم يهرب حتى استطلع رأيك ، وقد كان لك علينا النصح فحبسه. أخبار مجموعة ، ص٨٨ ؛ وذكر المقري نفس رواية ابن الأثير عن ابن حيان ، نفح الطيب ، ٣٥/٣.

٢) النقل ما يعبث به الشارب على الشراب نحو الفستق ، الفراهيدي ، العين ، ص٩٨٤ (مادة نقل).

٣) ذكر المقري عن ابن حيان أن عبد الرحمن سجن ولدي يوسف مع الصميل وهما أبا الأسود محمد المعروف بالأعمى وعبد الرحمن بن يوسف ، فتهيأ لهما الهرب من نقب ، فأما أبو الأسود فنجا سالما ، وأما عبد الرحمن فأثقله اللحم فانبهر فردّ إلى الحبس حتى قتل ، وأنف الصميل من الهرب ، فأقام بمكانه ، فلما قتل يوسف الفهري أدخل عبد الرحمن بن معاوية عليه من خنقه ، فأصبح ميتا ، فدخل عليه مشيخة المضرية في السجن فوجدوه ميتا بين يديه كأس ونقل كأنه بغت على شرابه ، فقالوا : والله انا لنعلم يا أبا جوشن أنك ما شربتها ولكن سُقيتها ، نفح الطيب ، ٣٦/٣.

٤) جعل ابن عذاري وفاة الصميل سنة ١٤٢هـ ، البيان المغرب ، ٤٩/٢.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة هلك أذفنش ملك جليقية وملك بعده ابنه تدويلية - وكان أشجع من أبيه وأحسن سياسة للملك وضبطاً له ـ وكان ملك أبيه ثماني عشرة سنة[1]. ولما ملك ابنه قوي أمره وعظم سلطانه وأخرج المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينة لك. وبرطقال[2].وشلمنقة[3].وشمورة [4].وأيلة[5]. وشقويبة[6]. وفشتيالة[7] ؛ وكل هذه من الأندلس.

---

١) هناك بعض الاختلاف عن هذه الرواية عند ابن الخطيب إذ أشار إلى أن أول من ملك من النصارى في عهد الإسلام في الأندلس هو بلاية (بلاي)الذي تحصن في أرض أشطوريش مع عدد قليل من الرجال ودافع عن جهته، فقدمه أهل تلك الجهات ملكا وذلك سنة ٩٩هـ للصفر ودام ملكه ثلاث عشرة سنة، ملك بعده ابنه أقيلة لمدة عامين ثم قتله دب بالصيد، ولي بعده صهره دون الفنش بن الروز دون بطرة (وهو أذفونش، أذفنش أعلاه)وذلك سنة ١١٤هـ للصفر ودام ملكه تسع عشرة سنة فلما هلك ملك ابنه فريولة (لعله تدويلية عند ابن الأثير) وذلك سنة ١٣٣هـ للصفر، قال: وفي عهده دخل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، ولما هلك فريولة ملك بعده أخوه ابن بلية واستولى على أرض أشطوريش وغليسية وأرض برتقال، وبعض ليون وكان ملكا كبيرا وكانت ولايته سنة ١٤٨هـ للصفر، أعمال الأعلام، ٢٧٧/٢- ٢٧٨ ؛ أما قائمة ابن خلدون فهي تختلف عما ذكره ابن الأثير وابن الخطيب إذ قال: إنهم ملكوا عليهم ابن ناقلة فأقام ملكا تسع عشرة سنة وهلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وولي ابنه قافلة سنتين ثم هلك، فولوا عليهم ادفونش بن بطرة وكان مهلكه سنة اثنتين وأربعين ومائة، وولي بعده ابنه فرويلة إحدى عشرة سنة فاسترجع مدينة لك وبرتغال وسمورة وسلمنقة وشقرنية وقشتالة بعد أن كانت للمسلمين في الفتح وهلك سنة ثمان وخمسين ومائة، تاريخ، ١٨٠/٤.وواضح أن هناك اضطراب في بعض التواريخ والأسماء بين القوائم الثلاثة، راجع مناقشة ذلك: مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٨٩- ٣٩٥ ؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، ق١، ص٢١٣- ٢١٦.

٢) قال البكري: برتقال مدينة بالأندلس تقع عند مصب آنه على البحر المحيط ، المسالك والممالك، ١٨٠/١ ؛ وقال الإدريسي: البرتقال بلاد تضم عدة مدن وعرض أرضها مسيرة يوم، نزهة المشتاق، ٧٢٥/٢، ٧٣١.

٣) قال الإدريسي: هي من مدن بلاد البرتقال بينها وبين قلمرية ثلاث مراحل، نزهة المشتاق، ٧٢٥/٢، ٧٣١.

٤) قال الحميري: شلمنقة دار مملكة الجلالقة بينها وبين البحر ستون ميلاً، ص٩٨ ؛وانظر أيضاً: البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٣ واسماها صمورة وجعلها من أعمال ماردة.

٥) ذكر الإدريسي آبلة وقال: هي من مدن بلاد البرتقال قال وهي قرى مجتمعة واهلها يركبون الخيل وهم أهل نجدة، نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢- ٧٣٣.

٦) قال الحميري: شقوبية ليست بمدينة وإنما هي قرى كثيرة متجاورة متلاصقة متداخلة فيها بشر كثير ومنها إلى طليطلة مائة ميل، صفة، ص١٠٤.

٧) قال الحميري: قشتالة من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سُمِّي العمل بها، وقالوا ما=

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

وفيها ثار بالأندلس رزق بن النعمان الغساني على عبد الرحمن ، وكان رزق على الجزيرة الخضراء ، فاجتمع إليه خلق عظيم ، فسار إلى شذونة فملكها ودخل مدينة إشبيلية ، وعاجله عبد الرحمن فحصره فيها وضيق على من بها ، فتقربوا إليه بتسلم رزق إليه فقتله ، فأمنهم ورجع عنهم [1].

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

وفيها ثار هشام بن عذرة الفهري ، وهو من بني عمرو ، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري بطليطلة على الأمير عبد الرحمن الأموي ، فاتبعه من فيها ، فسار إليه عبد الرحمن فحاصره وشدد عليه الحصار ، فمال إلى الصلح وأعطاه ابنه أفلح رهينةً ، فأخذه عبد الرحمن ورجع إلى قرطبة ، فرجع هشام وخلع عبد الرحمن ، فعاد إليه عبد الرحمن وحاصره ونصب عليه المجانيق ، فلم يؤثر فيها لحصانتها ، فقتل أفلح ابنه ورمى رأسه في المنجنيق ورحل إلى قرطبة ولم يظفر بهشام [2].

=خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى أشبانيا ، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة ، صفة ، ص١٦١ ؛ ينظر أيضاً : الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٧٢٥/٢.

١) ذكر مؤلف مجهول الرواية بشكل مقتضب ، أخبار مجموعة ، ص٩٢.

٢) الرواية عند مؤلف مجهول أن هشام بن عروة ثار على الأمير عبد الرحمن بطليطلة فأرسل إليه مولاه بدر وتمام بن علقمة ، فضربوا حصار على المدينة حتى ملّ أهلها الحصار ، فكاتبوا بدراً وتماماً وأسلموا إليهم هشام ومعه العمري وحيوة ، وأُرسلوا إلى قرطبة حيث صُلبوا. أخبار مجموعة ، ص ٩٢- ٩٣ ، ٩٥ ؛ وجعل ابن عذاري هذه الحادثة في سنة ١٤٧هـ وأورد تفاصيل غير التي ذكرها مؤلف مجهول وابن الأثير ، إذ قال : (وفي سنة ١٤٧ ، وجه الأمير عبد الرحمن بدرا مولاه وتمام بن علقمة في جيش كثيف إلى طليطلة ، وبها هشام بن عروة ثائر ؛ فحاصراه حتى سئم أهل طليطلة الحصار ؛ فكاتبوا بدرا وتماما ، وسألوهما الأمان على أن يسلموا لهما ابن عروة وهشام بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وحيوة ابن الوليد ؛ وكانوا يدا واحدة. فأسلموهم إليهما ، وخرج بهم تمام إلى قرطبة ؛ فلقيه عاصم بن مسلم ؛ فقبض منه الأسرى ، وعهد إليه عن الأمير أن يكر إلى طليطلة واليا عليها ، ويقبل بدر إلى قرطبة. وأقبل عاصم بالأسرى ؛ فلما احتل بقرية حلزة ، خرج إليه ابن الطفيل ، ومعه حجام وحباب صوف وسلال ؛ فحلق رؤوسهم ولحاهم ، وألبسهم جباب الصوف ، =

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

ذكر خروج العلاء بالأندلس

وفيها سار العلاء بن مغيث اليحصبي من إفريقية[1] إلى مدينة بناحية من الأندلس ولبس السواد وقام بالدولة العباسية وخطب للمنصور ، واجتمع إليه خلقٌ كثير ، فخرج إليه الأمير عبد الرحمن الأموي ، فالتقيا بنواحي إشبيلية ، ثم تحاربا أياماً ، فانهزم العلاء وأصحابه ، وقتل منهم في المعركة سبعة آلاف ، وقتل العلاء ، وأمر بعض التجار بحمل رأسه ورؤوس جماعة من مشاهير أصحابه إلى القيروان وإلقائها بالسوق سراً ، ففعل ذلك ، ثم حمل منها شيء إلى مكة ، فوصلت وكان بها المنصور ، وكان مع الرؤوس لواء أسود وكتاب كتبه المنصور للعلاء[2].

=وأدخلهم في السلال، وحملهم على الحمر؛ فأتى على تلك الحال إلى خشب قد أعدت لهم، فصلبوا فيها. وكتب إلى البلدان بفتح طليطلة)، ٥٣/٢.

١) لم ترد عند ابن القوطية ومؤلف مجهول وابن عذاري أن العلاء قدم من إفريقية إلى الأندلس وقام بالثورة على عبد الرحمن، وإنما أشاروا إلى أن العلاء كان من سكان باجة في غرب الأندلس وكانت له رياسة هناك، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٤ ؛ أخبار مجموعة، ص٩٣ ؛ البيان المغرب، ٥١/٢ ؛ وقد تابع ابن خلدون ابن الأثير في هذه الرواية، تاريخ، ١٢٢/٤.

٢) ذكر مؤلف مجهول الرواية بتفصيل أكثر ولكنه لم يشر إلى محاصرة العلاء لعبد الرحمن، ولا إلى حمل الرؤوس إلى مكة، أخبار مجموعة، ص٩٣- ٩٥ ؛ أما ابن القوطية فإنه أشار إلى محاصرة عبد الرحمن من قبل العلاء بن مغيث لمدة شهرين، والى إرسال رأس العلاء والراية السوداء إلى القيروان ثم مكة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٤- ٥٥ ؛ وعند ابن عذاري تفاصيل أوفى عن ثورة العلاء بن مغيث إذ قال: (وفي سنة ١٤٦، ثار العلاء بن مغيث الجذامي بباجة، ودعا إلى طاعة أبي جعفر المنصور ونشر الأعلام السود؛ فاتبعه الأجناد، وتطلعه العباد، إلى أن كادت دولة الأمير أن تنصرم، وخلافته أن تنخرم. فخرج إليه من قرطبة، وصار بقرمونة؛ فتحصن بها مع مواليه وثقات رجاله؛ فنازله العلاء بن مغيث منازلة شديدة، وحاصره بها أياما عديدة؛ فلما طال الحصار هنالك، وتخلخل عسكر العلاء لذلك، وعلم عبد الرحمن ما هم عليه من الانزعاج، وأنهم قد هموا بالإلجام والإسراج، أمر بنار، فأوقدت، ثم أمر بأغمدة سيوف أصحابه، فأحرقت؛ وقال لهم: اخرجوا معي لهذه الجموع، خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع، وكانوا نحو سبعمائة مفحصين إلى أعاديهم. فدارت الحرب بينهم طويلا، إلى أن صنع الله جميلا؛ وزلزل قوم العلاء وأصحابه، فولوا منهزمين، وصار أمرهم آية للعالمين؛ وقتل العلاء فيمن قتل من أولئك الأقوام، وطيف برأسه في ذلك المقام. وقيل إن أبا جعفر المنصور كان أرسل إلى العلاء بن مغيث بولاية الأندلس. فنشر الأعلام السود، وقام بالدعوة العباسية بالأندلس؛=

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

وفيها أغزى عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس مولاه بدراً ، وتمام بن علقمة طليطلة ، وبها هاشم بن عذرة[1] ، وضيقا عليه ، ثم أسَراه هو وحياة بن الوليد اليحصبي[2] وعثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب[3] ، وأتيا بهم إلى عبد الرحمن في جباب صوف وقد حلقت رؤوسهم ولحاهم وقد أركبوا الحمير وهم في السلاسل ، ثم صلبوا بقرطبة[4].

وفيها قدم رسول عبد الرحمن الذي أرسله إلى الشام في إحضار ولده الأكبر سليمان فحضر وسليمان معه [5] وكان قد ولد لعبد الرحمن بالأندلس ولده هشام ، فقدمه الأمير عبد الرحمن على سليمان ، فحصل بينهما حقدٌ وغل أوجبا ما نذكره فيما بعد.

=فانحشر إليه الناس. ولما ظفر به الإمام على ما تقدم، أخذ رأسه، وفرغ وحشي ملحا وصبرا، وجعل معه لواء أبي جعفر المنصور، وأدخل في سفط؛ وبعثه مع رجال، وأمرهم أن يضعوا السفط بمكة؛ فوافقوا المنصور بها حاجا في تلك السنة؛ فجعل السفط عند باب سرادقه. فلما نظر إلى ما فيه، قال: إنا لله عرضنا بهذا المسكين للقتل، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان، يعني عبد الرحمن)، البيان المغرب، ٢/٥١- ٥٢ ؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٦٥.

١) ذكره ابن الأثير في أحداث سنة ١٤٤هـ هشام بن عذرة.

٢) ورد اسمه عند مؤلف مجهول حيوة بن الوليد التجيبي، أخبار مجموعة، ص٩٢.

٣) ورد اسمه عند ابن عذاري هشام بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، البيان المغرب، ٢/٥٣.

٤) ينظر التعليق في أحداث سنة ١٤٤هـ.

٥) ذكر ابن القوطية أن عبد الرحمن في أول دخوله الأندلس لقي معاوية بن صالح الحضرمي فقيه أهل الشام فأرسله إلى هناك في أختيه شقيقتيه وبعث معه بمبلغ من المال، ولم يشر إلى ابنه سليمان، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٥. أما مؤلف مجهول فقد ذكر إن ابنه سليمان قدم عليه من الشام سنة ١٤٦هـ، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٦٥.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

ذكر الفتن بالأندلس

في هذه السنة خرج سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بالأندلس بمدينة لبلة[1].

وسبب ذلك أنه سكر يوماً فتذكر من قتل من أصحابه اليمانية مع العلاء ، وقد ذكرناه ، فعقد لواء ، فلما صحا رآه معقوداً فسأل عنه فأخبر به ، فأراد حله ثم قال: ما كنت لأعقد لواء ثم أحله بغير شيء؟! وشرع في الخلاف ، فاجتمعت اليمانية إليه وقصد إشبيلية وتغلب عليها وكثر جمعه ، فبادره عبد الرحمن صاحب الأندلس في جموعه ، فامتنع المطري في قلعة زعواق[2]لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، فحصره عبد الرحمن فيها وضيق عليه ومنع أهل الخلاف من الوصول إليه.

وكان قد وافقه على الخلاف غياث بن علقمة اللخمي ، وكان بمدينة شذونة ، وقد انضاف إليه جماعةٌ من رؤساء القبائل يريدون إمداد المطري ، وهم في جمع كثير.

فلما سمع عبد الرحمن ذلك سيّر إليهم بدراً مولاه في جيش ، فحال بينهم وبين الوصول إلى المطري ، فطال الحصار عليه وقلت رجاله بالقتل ، ففارقه بعضهم ، فخرج يوماً من القلعة وقاتل فقتل وحمل رأسه إلى عبد الرحمن.

فقدم أهل القلعة عليهم خليفة بن مروان ، فدام الحصار عليهم ، فأرسل أهلها يطلبون الأمان من عبد الرحمن ليسلموا إليه خليفة ، فأجابهم إلى ذلك وآمنهم ، فسلموا إليه الحصن وخليفة ، فخرب الحصن وقتل خليفة ومن معه[3].

ثم انتقل إلى غياث ، وكان موافقاً للمطري على الخلاف ، فحصرهم وضيق عليهم ، فطلبوا الأمان فآمنهم إلا نفراً كان يعرف كراهتهم لدولته ، فإنه قبض عليهم ، وعاد إلى قرطبة[4] ، فلما عاد إليها خرج عليه عبد الله بن خراشة

---

١) عند العذري أن ثورة سعيد اليحصبي كانت سنة ١٤٩هـ، ترصيع الأخبار، ص١١١.

٢) ذكرها مؤلف مجهول في أخبار مجموعة رعواق، ص٩٥ ؛ وأشار العذري إلى أن سعيد اليحصبي دخل قلعة الزعواق، ص١١١ ؛ وقال ابن عذاري قلعة زعواق، البيان المغرب، ٥٣/٢.

٣) رواية ابن الأثير هنا أكثر تفصيلاً من رواية مؤلف مجهول وابن عذاري، ينظر: أخبار مجموعة، ص٩٦ ؛ البيان المغرب، ٥٣/٢ ؛ إلا أن مؤلف مجهول ذكر أن خليفة بن مروان اليحصبي الذي نصبه أهل القلعة بعد مقتل سعيد اليحصبي طلب الأمان من الأمير عبد الرحمن فأمنه، على عكس ابن الأثير الذي أشار إلى مقتله ؛ ينظر أيضاً: ابن خلدون الذي تابع ابن الأثير في هذه الرواية، تاريخ، ١٢٣/٤.

٤) هنا خلاف بين ابن الأثير ومؤلف مجهول، إذ ذهب ابن الأثير إلى أن غياث بن علقمة خرج=

الأسدي[1] بكورة جيّان ، فاجتمعت إليه جموعٌ ، فأغار على قرطبة ، فسيّر إليه عبد الرحمن جيشاً ، فتفرق جمعه ، فطلب الأمان ، فبذله له عبد الرحمن ووفى له.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

وفيها أغزى عبد الرحمن صاحب الأندلس بدراً مولاه إلى بلاد العدو فجاوز إليه[2] وأخذ جزيتها [3].

وكان أبو الصباح حييّ بن يحيى على إشبيلية فعزله فدعا إلى الخلاف ، فأنفذ إليه عبد الرحمن وخدعه حتى حضر عنده فقتله[4].

ثم دخلت سنة خمسين ومائة

وفيها خرج بالأندلس غياث بن المسير الأسدي بنائحة ، فجمع العمال لعبد الرحمن جمعاً كثيراً وسار إلى غياث ، فواقعه ، فانهزم غياث ومن معه وقتل غياث وبعث برأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة[5].

=معاضداً ومسانداً لسعيد اليحصبي، فيما ذكر مؤلف مجهول أن غياث بن علقمة اللخمي قدم مدداً من شذونة لنجدة العلاء بن مغيث فلما سمع به الأمير عبد الرحمن أرسل إليه مولاه بدراً فقطع به ونازلة، ثم اصطلحا، فرجع غياث بن علقمة إلى بلده ورجع بدر إلى الأمير عبد الرحمن، أخبار مجموعة، ص٩٣- ٩٤.

١) أشار ابن خلدون إلى نفس الرواية، إلا أنه قال: إن الذي ثار على عبد الرحمن هو عبد الرحمن بن خراشة الاسدي، تاريخ، ١٢٣/٤.

٢) وردت عند ابن عذاري إلبة، البيان المغرب، ٥٤/٢.

٣) جعل ابن عذاري هذه الغزوة سنة ١٥٠هـ إذ قال: فيها (غزا بدر إلى الثغر، وتقدم إلى ألبة؛ فحاربها؛ فأذعنت له، وأدت إليه الجزية. وأمر بامتحان الرجال بتلك الناحية، واختبار بصائرهم؛ فاستقدم منهم من اطلع له على سوء سريرة وشبهة في الثغر)، البيان المغرب، ٥٤/٢.

٤) أشارت المصادر الأندلسية إلى أن أبا الصباح يحيى اليحصبي رئيس اليمانية آنذاك قال لهم عند هزيمة يوسف الفهري ودخول عبد الرحمن بن معاوية قصر قرطبة: يا معشر يمن هل لكم إلى فتحين في يوم، قد فرغنا من يوسف وصميل، فلنقتل هذا الفتى المقدامة ابن معاوية فيصير الأمر لنا نقدم عليه رجلاً منا، فلم يجبه أحد لذلك، وبلغ الخبر عبد الرحمن فأسرها في نفسه، وكان قد ولاه إشبيلية، ثم عزله عنها؛ فجمع إليه أهل الخلاف وصار عليه؛ فوجه إليه الأمير مولاه تماماً ملاطفا له؛ فقدم معه قرطبة في أربعمائة رجل على غير عهد، فعاتبه؛ فأغلظ له أبو الصباح في الجواب ؛ فأمر بقتله؛ ثم أمر بإخراج رأسه والهتف عليه. ينظر: ابن القوطية، تاريخ فتتاح الأندلس، ص٥٢ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦ - ٩٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٣/٢- ٥٤.

٥) قال ابن خلدون: خرج عليه سنة خمسين غياث بن المستبد الأسدي فجمع عامل باجة العساكر وسار إليه فهزمه وقتله وبعث برأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة، تاريخ، ١٢٣/٤.

ثم دخلت سنة إحدى خمسين ومائة

ذكر ابتداء أمر شقنا وخروجه بالأندلس[1]

وفيها ثار في الشرق من الأندلس رجل من بربر مكناسة كان يعلم الصبيان ، وكان اسمه شقنا بن عبد الواحد[2] ، وكانت أمّه تسمى فاطمة ، وادعى أنه من ولد

---

١) جعل ابن عذاري ابتداء ثورة الفاطمي سنة ١٥٢هـ إذ قال: (وفي سنة ١٥٢، ثار رجل من البربر، ادعى أنه من ولد الحسن بن علي - رضي الله عنه - ؛ وكان أصله من مكناسة العدوة؛ وكانت أمّه تسمى فاطمة؛ فادعى أنه فاطمي؛ وتجمع له الغوغاء. فخرج إليه الأمير من قرطبة، وخلف بها ابنه هشاما؛ فتقحم الجبال أمامه بمن كان معه، وانصرف الأمير إلى قرطبة. فأقبل الفاطمي، وقتل عامل شنت برية؛ وغلظ أمره. فكان الأمير يرسل إلى قتاله بعض الفيالق؛ فيتعلق بالجبال الشواهق.وفي سنة ١٥٢، خرج الأمير عبد الرحمن لغزو الداعي الفاطمي؛ فهرب وركب الوعر؛ فانصرف الأمير. فرجع الفاطمي؛ فغراه بدر بالصائفة؛ فوجده بجهة شبطران؛ فأتبعه رجاء أن يدركه. فدخل المفاوز، وانقطع أثره. ومضى هذا الفاطمي إلى مدلين؛ وكان عامله أبو زعبل الصدفوري. فتمادت فتنته من سنة ١٥٠ إلى سنة ١٦٠، إلى أن اغتاله بعض أصحابه؛ فقتله)، البيان المغرب، ٥٤/٢ ؛ ورواية النويري مشابهة لرواية ابن الأثير أعلاه إذ قال: (كان خروجه بشرق الأندلس في سنة إحدى وخمسين ومائة وكان من بربر مكناسة يعلّم الصبيان وكانت أمّه تُدعى فاطمة فادّعى أنه من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها وأنه من ولد الحسين، وتُسمّى بعبد الله بن محمد وسكن شنتبرية واجتمع عليه خلق كثير من البربر وعظُم أمرُهُ فسار إليه عبد الرحمن فلم يقف له وزاغ في الجبال، فكان إذا أمن انبسط وإذا خاف صعد الجبال حيث يصعُب طلبه. فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك، واستعمل حبيب على شنتبرية سليمان بن عفان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وأمر بطلب شقنا فنزل شقنا إلى سليمان فقتله. واشتدّ ذكر شقنا وطار اسمه، وغلب على ناحية قورية. وأفسد في الأرض، فعاد عبد الرحمن وغزاه في سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه، فلم يثبت له شقنا، فأعياه أمره فعاد عنه، وسير إليه في سنة ثلاثٍ وخمسين بدراً مولاه، فهرب شقنا وأخلى حصنه شيطران، ثم غزاه عبد الرحمن بنفسه في سنة أربع وخمسين فلم يثبت له، فعاد عنه وبعث لحرْبه أبا عثمان عبد الله بن عثمان فخدعه شقنا وأفسد عليه جنده. فهرب عبد الله وغنم شقنا عسكره، وقتل جماعة من بني أمية كانوا في العسكر وذلك في سنة خمس وخمسين ومائة. وسار شقنا إلى حصن الهواريين وبه عامل لعبد الرحمن فمكر به شقنا حتى خرج إليه، فقتله وأخذ خيله وسلاحه وما كان معه. ولم يزل شقنا كذلك وعبد الرحمن يغزوه تارة بنفسه وتارة بجيوشه إلى سنة ستين ومائة فاغتاله أبو معْن وأبو خرَيم وهما من أصحابه، فقتلاه وأخذا رأسه ولحقا بعبد الرحمن واستراح الناس من شره)نهاية الأرب، ٢٠١/٢٣ ؛ ينظر التفاصيل أكثر عن ثورة شقنا: حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس، ص١٨- ٢٢ ؛ الخفاجي، التشيع في الأندلس، ص٢٣٥- ٢٣٩.

٢) ذكر مؤلف مجهول أن اسمه كان سفيان بن عبد الواحد المكناسي، وأصله من لبدانية=

فاطمة ، عليها السلام ، ثم من ولد الحسين ، عليه السلام ، وتسمى بعبد الله بن محمد ، وسكن شنت برية[1] ، واجتمع عليه خلق كثير من البربر ، وعظم أمره ، وسار إلى عبد الرحمن الأموي فلم يقف له وراغ في الجبال ، فكان إذا أمن انبسط ، وإذا خاف صعد الجبال بحيث يصعب طلبه.

فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك[2] ، فاستعمل حبيب على شنت برية سليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان وأمره بطلب شقنا. فنزل شقنا إلى شنت برية وأخذ سليمان فقتله ، واشتد أمره ، وطار ذكره وغلب على ناحية قورية[3] وأفسد في الأرض.

فعاد عبد الرحمن الأموي فغزاه في سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه ، فلم يثبت له فأعياه أمره ، فعاد عنه وسيّر إليه سنة ثلاث وخمسين بدراً مولاه ، فهرب شقنا وأخلى حصنه شيطران[4] ، ثم غزاه عبد الرحمن الأموي بنفسه سنة أربع وخمسين ومائة ، فلم يثبت له شقنا ، ثم سيّر إليه سنة خمس وخمسين أبا عثمان

=(لجدانية) وكان معلم صبيان، واسم أمّه فاطمة فادعى أنه فاطمي، أخبار مجموعة، ص٩٧- ٩٨.

١) وتكتب ايضاً شنتبرية، وهي من أعمال طليطلة إلى الشرق من قرطبة بينهما ثمانون فرسخاً، سكنها العديد من قبائل البربر، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨- ٤٩٩ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٩ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٧١.

٢) هو حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان كان من المقربين لعبد الرحمن الداخل ولاه طليطلة وأعمالها وهو الذي أغراه بقتل أبي الصباح زعيم اليمانية، وكانت وفاته في عهد عبد الرحمن، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٥٩/١- ٦٠.

٣) قورية مدينة من نواحي ماردة بينها وبين سمورة، الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢ ؛ الحميري، صفة، ص١٦٤.

٤) شبطران ذكرها ابن عذاري في حوادث سنة ١٥٢هـ، قال: شبطران بضم الشين فيها الثائر البربري الذي ادعى أنه فاطمي في أيام عبد الرحمن الداخل، البيان المغرب، ٥٤/٢ ؛ كما أشار ابن حيان إلى أن الخليفة الناصر مرّ بها بعد هزيمته في موقعة الخندق سنة ٣٢٧هـ وجعلها بين مدينة الفرج وطليطلة وضبطها أيضاً بضم الشين، المقتبس(الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)ص٤٤٤ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٥٥.

عبيد الله بن عثمان ، فخدعه شقنا وأفسد عليه جنده ، فهرب عبيد الله ، وغنم شقنا عسكره وقتل جماعة من بني أمية كانوا في العسكر.

وفي سنة خمس وخمسين أيضاً سار شقنا بعد أن غنم عسكر عبيد الله إلى حصن الهواريين[1] المعروف بمدائن ، وبه عامل لعبد الرحمن ، فمكر به شقنا حتى خرج إليه ، فقتله شقنا وأخذ خيله وسلاحه وجميع ما كان معه.

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

ذكر عصيان أهل إشبيلية على عبد الرحمن الأموي

في هذه السنة سار عبد الرحمن الأموي ، صاحب الأندلس ، إلى حرب شقنا ، وقصد حصن شيطران ، فحصره وضيق عليه ، فهرب إلى المفازة كعادته ، وكان قد استخلف على قرطبة ابنه سليمان ، فأتاه كتابه يخبره بخروج أهل إشبيلية مع عبد الغفار[2]. وحيوة بن ملابس[3] عن طاعته ، وعصيانهم عليه ، واتفق من بها من اليمانية معهما ، فرجع عبد الرحمن ولم يدخل قرطبة ، وهاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم ، فقدم ابن عمه عبد الملك بن عمر ،وكان شهاب آل مروان ،وبقي عبد الرحمن خلفه كالمدد له.

فلما قارب عبد الملك أهل إشبيلية قدم ابنه أمية ليعرف حالهم ، فرآهم مستيقظين ، فرجع إلى أبيه ، فلامه أبوه على إظهار الوهن ، وضرب عنقه ، وجمع أهل بيته وخاصته ، وقال لهم: طردنا من المشرق إلى أقصى هذا الصقع ، ونحسد على لقمة تبقي الرمق ؛ اكسروا جفون السيوف ، فالموت أولى أو الظفر.

ففعلوا ، وحمل بين أيديهم ، فهزم اليمانية وأهل إشبيلية ، فلم تقم بعدها لليمانية قائمة ، وجرح عبد الملك.

---

١) أو الهوازيين، حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس، ص٢٠.

٢) هو عبد الغفار بن حميد اليحصبي زعيم اليمانية في لبلة، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٢؛ المقري، نفح الطيب، ٤٨/٣.

٣) حيوة بن ملامس (ملابس)الحضرمي زعيم اليمانية في إشبيلية، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٨؛ المقري، نفح الطيب، ٤٨/٣.

وبلغ الخبر إلى عبد الرحمن ، فأتاه وجرحه يجري دماً ، وسيفه يقطر دماً ، وقد لصقت يده بقائم سيفه ، فقبله بين عينيه ، وجزاه خيراً ، وقال: يا إبن عم قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاماً ابنتك فلانة ، وأعطيتها كذا وكذا ، وأعطيتك كذا ، وأولادك كذا ، وأقطعتك وإياهم ، ووليتكم الوزارة[1].

وهذا عبد الملك هو الذي ألزم عبد الرحمن بقطع خطبة المنصور ، وقال له: تقطعها وإلا قتلت نفسي! وكان قد خطب له عشرة أشهر ، فقطعها [2]. وكان عبد الغفار. وحيوة بن ملابس قد سلما من القتل. فلما كانت سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن إلى إشبيلية ، فقتل خلقاً كثيراً ممن كان مع عبد الغفار. وحيوة ورجع. وبسبب هذه الوقعة ، وغِش[3] العرب ، مال عبد الرحمن إلى اقتناء العبيد[4].

ذكر عدة حوادث

وفيها سخط عبد الرحمن الأموي على مولاه بدرٍ لفرط إدلاله عليه ، ولم يرع حق خدمته وطول صحبته ، وصدق مناصحته ، فأخذ ماله ، وسلبه نعمته ، ونفاه إلى الثغر ، فبقي به إلى أن هلك[5].

---

١) ينظر رواية ابن الأثير هذه: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٥٦/١- ٥٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ٥٩/٣؛ كما أورد هذه الرواية ابن القوطية ومؤلف مجهول وابن عذاري ولكنهم لم يشيروا إلى دور عبد الملك المرواني، ينظر:تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٢-٥٣ ؛ أخبار مجموعة، ٩٨- ٩٩ ؛البيان المغرب، ٥٥/٢.

٢) ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٦/١ ؛ المقري، نفح الطيب، ٥٩/٣.

٣) وغَشّ صَدرُه يَغِش غِشّا أي غَلّ، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٣٤٩/٥(مادة غ ش).

٤) نقل المقري عن ابن حيان قال: (ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا في طلب ثأر رئيسهم أبي الصباح اليحصبي وأكثر القتل فيهم، استوحش من العرب قاطبة، وعلم أنهم على دغل وحقد، فانحرف عنهم إلى اتخاذ المماليك، فوضع يده في الابتياع، فابتاع موالي الناس بكل ناحية، واعتضد أيضا بالبرابر، ووجه عنهم إلى بر العدوة، فأحسن لمن وفد عليه إحساناً رغب من خلفه في المتابعة... واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ أربعين ألف رجل صار بهم غالبا على أهل الأندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت)نفح الطيب، ٣٦/٣ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٢/٢٣.

٥) أورد المقري الرسائل المتبادلة بين عبد الرحمن الداخل ومولاه بدر وما فيهما من شكوى بدر ودلاله، وتغيض عبد الرحمن عليه، حتى أمر بنفيه إلى منطقة الثغر حيث مات هناك، نفح الطيب، ٣٩/٣- ٤١ نقلاً عن صاحب كتاب المسهب عبد الله بن إبراهيم الحجاري الذي ألفه=

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها أخرج سليمان بن يقظان الكلبي قارله[1] ملك الإفرنج إلى بلاد المسلمين ، من الأندلس ، ولقيه بالطريق ، وسار معه إلى سرقسطة ، فسبقه إليها الحسين بن يحيى الأنصاري من ولد سعد بن عبادة ، وامتنع بها ، فاتهم قارله ملك الإفرنج سليمان ، فقبض عليه ، وأخذه معه إلى بلاده[2] ، فلما أبعد من بلاد المسلمين واطمأن هجم عليه مطروحٌ وعيشون ابنا سليمان في أصحابهما ، فاستنقذا أباهما ، ورجعا به إلى سرقسطة ، ودخلوا مع الحسين ، ووافقوا على خلاف عبد الرحمن[3].

=في تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى سنة ٥٣٠هـ حيث كان حياً، فلعل ابن الأثير أخذها عنه ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٢/٢٣.

١) شارلمان بن بيبين القصير تولى عرش دولة الفرنجة سنة ١٥٥- ١٩٩هـ، ينظر التفاصيل عنه: اينهارد، سيرة شالمان، ص٥٢- ١٥٣.

٢) ينظر عن حملة شارلمان على اسبانيا: اينهارد، سيرة شارلمان، ص٧٢- ٧٩.

٣) ذهبت المصادر الأندلسية إلى أن سليمان بن يقظان الكلبي المعروف بالأعرابي خرج على الأمير عبد الرحمن ثأرا لقومه اليمانية الذين فتك بهم عبد الرحمن، وكان حسين بن يحيى الأنصاري شريكا له في الثورة، فأرسل إليهم عبد الرحمن قائده ثعلبة بن عبيد فوثب عليه سليمان الأعرابي وأسره وبعث به إلى ملك الإفرنج قارلة (شارلمان)، ثم إن الأمير عبد الرحمن خاطب حسين الأنصاري سراً ووعده بولاية سرقسطة إن قتل سليمان الأعرابي، وبعث ولده رهينة عند عبد الرحمن وذلك سنة ٦٥هـ. ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٢ - ١٠٣ وفيه ايضاً أن سليمان أرسل إلى قارلة لدخول سرقسطة إلا أن أهلها دفعوه عنها، كما أشار إلى أن عيسون (عيشون)بن سليمان الأعرابي هو الذي قتل الحسين الأنصاري لأن الأخير قتل أبيه ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٥- ٢٦ ؛ أما ابن عذاري فإنه أشار في أحداث سنة ١٦٥هـ إلى ثورة الحسين بن يحيى الأنصاري وقال: إن الأمير عبد الرحمن حاصره بسرقسطة فنزل على الأمان فصالحه، ثم إنه نكث فسار إليه عبد الرحمن مرة أخرى فنازله وقتله وعين بدله علي بن حمزة على سرقسطة، ولم يشر إلى سليمان بن يقظان الكلبي ولا إلى قارلة (شارلمان)، البيان المغرب، ٥٦/٢- ٥٧ ؛ وقد انفرد ابن الأثير بين المصادر الآنفة بالقول إلى أن ابنا سليمان الأعرابي مطروح وعيشون هما اللذان استنقذا أباهما من أيدي شارلمان.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة غزا عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، مدينة قورية ، وقصد البربر الذين كانوا أسلموا عامله إلى شقنا فقتل منهم خلقاً من أعيانهم ، واتبع شقنا ، حتى جاوز القصر الأبيض[1] والدرب ، ففاته[2].

وفيها مات أورالي ملك جليقية ، وكان ملكه ست سنين ، وملك بعده شيالون[3].

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها كان شقنا قد انتشر في نواحي شنت برية ، فسيّر إليه عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، جيشاً ، ففارق مكانه ، وصعد الجبال كعادته فعاد الجيش عنه[4].

---

١) ذكر الحميري مدينة القصر، وقال: إنها مدينة بالأندلس بينها وبين شلب أربعة مراحل وبينها وبين البحر عشرون ميلاً ، صفة، ص١٦١.

٢) جعل ابن عذاري هذه الحادثة سنة ١٥٩هـ إذ قال: (وفي سنة ١٥٩، غزا الإمام عبد الرحمن قورية، وقصد في طريقه ذلك البربر الذين غدروا بأبي زعبل ومكنوه من الفاطمي، فقتله؛ فدوخ بلد البربر، وقتل منهم خلقا كثيرا وأذلهم. وأخذ أبا مزكانة المصمودي، وهو عباس بن قلعوش)، البيان المغرب، ٥٥/٢.

٣) ذكر ابن خلدون أنه في سنة ١٥٨هـ هلك فرويلة بن بطرة وولي ابنه شيلون وحكم عشر سنين، تاريخ، ١٨٠/٤ وهو في روايته هنا يتفق مع ابن الأثير ؛ أما ابن الخطيب فذكر أنه بعد وفاة فريولة ملك بعد أخوه ابن بلية، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٧٨ ؛ ويُذكر أن شيالون (سيلو أو شيلون) هو زوج ابنة الفونسو الأول (أذفونش)، ينظر: الحجي، أندلسيات، ٤٤/٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٢١٨ ؛ العلياوي، البشكنس، ص٥٠- ٥١.

٤) أورد ابن عذاري هذه الرواية سنة ١٦٠هـ، قال: (وفي سنة ١٦٠، أخرجت الصائفة إلى الفاطمي ؛ وكان في أحواز شنت برية؛ فعورض بالخيل، وقطعت عاديته)البيان المغرب، ٥٥/٢.

ثم دخلت سنة ستين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها أرسل عبد الرحمن الأموي بالأندلس أبا عثمان عبيد الله بن عثمان ، وتمام بن علقمة ، إلى شقنا ، فحاصراه شهوراً بحصن شبطران ، وأعياهما أمره ، فقفلا عنه ، ثم إن شقنا ، بعد عودهما عنه ، خرج من شبطران إلى قرية من قرى شنت برية راكباً على بغلته التي تسمى الخلاصة ، فاغتاله أبو معن وأبو خزيم[١] ، وهما من أصحابه ، فقتلاه ، ولحقا بعبد الرحمن ، ومعهما رأسه ، فاستراح الناس من شرّه[٢].

ثم دخلت سنة إحدى ستين ومائة

ذكر عبور الصقلبي إلى الأندلس وقتله

وفي هذه السنة ، وقيل سنة ستين ، عبر عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، المعروف بالصقلبي ، وإنما سمي به لطوله وزرقته وشقرته ، من إفريقية إلى الأندلس محارباً لهم[٣] ، ليدخلوا في الطاعة للدولة العباسية ، وكان عبوره في ساحل تدمير ، وكاتب سليمان بن يقظان بالدخول في أمره ، ومحاربة عبد الرحمن الأموي ، والدعاء إلى طاعة المهدي[٤].

وكان سليمان ببرشلونة[٥] ، فلم يجبه ، فاغتاظ عليه ، وقصد بلده فيمن معه من البربر ، فهزمه سليمان ، فعاد الصقلبي إلى تدمير ، وسار عبد الرحمن الأموي نحوه في

---

١) ذكر مؤلف مجهول أن أبا معن داود بن هلال وكنانة بن سعيد الأسود قتلا الفاطمي وهربا إلى عبد الرحمن، أخبار مجموعة، ص١٠١.

٢) ينظر الرواية: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠١/٢٣ ؛ عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، ق١، ص١٦٦- ١٦٧.

٣) ذكر ابن عذاري الرواية قائلاً: (وفي سنة ١٦١ ، وقيل سنة ١٦٢ ، دخل إلى الأندلس عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي؛ فنزل كورة تدمير؛ فاستقر بها ، ولم تبد منه في تلك السنة عادية؛ وإنما لقب بالصقلبي لأنه كان طويلا، أشقر، أزرق، أمعر)البيان المغرب، ٥٥/٢.

٤) هو أبو عبد الله محمد المهدي بن المنصور العباسي تولى الخلافة سنة ١٥٨هـ وتوفي سنة ١٦٩هـ، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٢٢- ٣٣٠.

٥) برشلونة، مدينة بالأندلس على ساحل بحر الروم، الحميري، صفة، ص٤٢.

العدد والعدة ، وأحرق السفن تضييقاً على الصقلبي في الهرب ، فقصد الصقلبي جبلاً منيعاً بناحية بلنسية[1] ، فبذل الأموي ألف دينار لمن أتاه برأسه ، فاغتاله رجل من البربر ، فقتله ، وحمل رأسه إلى عبد الرحمن ، فأعطاه ألف دينار ، وكان قتله سنة اثنتين وستين ومائة[2].

ثم دخلت سنة اثنتين ستين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها أرسل عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، شهيد بن عيسى إلى دحية الغساني ، وكان عاصياً في بعض حصون إلبيرة ، فقتله[3] ، وسيّر بدراً مولاه إلى

---

١) بلنسية ، مدينة بالأندلس شرقي قرطبة بينهما ستة عشر يوماً، برية بحرية على ساحل بحر الروم، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٨٥.

٢) رواية مؤلف مجهول أن عبد الرحمن بن حبيب يقال له السُّقربي ثار بتدمير وكاتب سليمان الأعرابي الكلبي وكان ببرشلونة ودعاه إلى الدخول في أمره فرفض الأعرابي فغزاه الفهري ولكنه فشل فرجع إلى تدمير، فدس إليه الأمير عبد الرحمن رجل من أهل أوريط من البرانس يقال له سجعان وصار من أصحابه ووثق به، ثم اغتاله البرنسي ولحق بالأمير عبد الرحمن، أخبار مجموعة، ص١٠٠- ١٠١ ؛ وذكر ابن عذاري أنه (في سنة ١٦٣، ثار عبد الرحمن بن حبيب الفهري، ...، في ناحية تدمير فغزاه الأمير عبد الرحمن؛ فهرب ابن حبيب وتعلق بالوعر؛ فجال العسكر في كورة تدمير، وتقدم إلى كورة بلنسية، بعد أن أحرق المراكب بساحل البحر. ثم إن مشكارا البربري فتك بابن حبيب الصقلبي وقتله)، البيان المغرب، ٢/٥٥- ٥٦ ؛ وقيل إن هناك علاقة بين ثورة عبد الرحمن الصقلبي وثورة سليمان الأعرابي وغزوة شارلمان للأندلس، إذ أن الخطة تقضي بأن يعبر شارلمان بجيوشه جبال البرتات إلى مدينة سرقسطة ويسلمها للأعرابي ويأتي عبد الرحمن الفهري في أسطول بحري ويهاجم الساحل الشرقي للأندلس عند مدينة تدمير، وبهذا يطوق عبد الرحمن بن معاوية ويقضى عليه، وتضم الأندلس للخليفة العباسي وأن شارلمان حليفة وصديقه، إلا أن الصعوبات في توقيت تحرك الأطراف سهل على الأمير عبد الرحمن منازلة كل طرف على حده مما مكنه من القضاء عليهم، العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٢١٢- ٢١٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص١٦٨- ١٨٤.

٣) أسماه مؤلف مجهول وجيه الغساني وقال: إنه كان من رجال الأمير عبد الرحمن وقد خرج مع عبدوس بن أبي عثمان لمقاتلة شقنا الفاطمي المكناسي، إلا أن الفاطمي تمكن من استمالة الغساني إلى جانبه، وبعد مقتل الفاطمي هرب وجيه الغساني إلى ساحل إلبيرة، فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن قائده شهيد بن عيسى فقتله، أخبار مجموعة، ص١٠١؛ ينظر أيضاً:=

إبراهيم بن شجرة البرلسي[1] ، وكان قد عصى ، فقتله [2] ، وسيّر أيضاً ثمامة بن علقمة[3] إلى العباس البربري[4] ، وهو في جمع من البربر ، وقد أظهر العصيان ، فقتله أيضاً وفرّق جموعه[5].

وفيها سيّر جيشاً مع حبيب بن عبد الملك القرشي[6] إلى القائد السلمي ، وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن أمير الأندلس ، فشرب ليلة ، وقصد باب القنطرة ليفتحه على سكر منه ، فمنعه الحرس ، فعاد ، فلما صحا خاف ، فهرب إلى طليطلة ، فاجتمع إليه كثير ممن يريد الخلاف والشر ، فعاجله عبد الرحمن بإنفاذ الجيوش إليه ، فنازله في موضع قد تحصن فيه ، وحصره ، ثم إن السّلمي طلب البراز ، فبرز إليه مملوك أسود ، فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين ، ثم ماتا جميعاً[7].

=النويري، نهاية الأرب، ٢٠٣/٢٣.

١) ورد اسمه عند مؤلف مجهول: إبراهيم بن شجرة البرنسي المرواني، أخبار مجموعة، ص١٠١ ؛ وذكر ابن عذاري أنه في سنة ١٦٣هـ (ثار ابن شجرة بمورور؛ فخرج إليه بدر يوم الأضحى؛ فألقاه على غرة فقتله، وكتب إلى الإمام بالفتح. وقيل: بل كان ذلك في سنة ١٦٢) البيان المغرب، ٥٦/٢ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٣/٢٣.

٢) عند مؤلف مجهول ثار إبراهيم بن شجرة البرنسي المرواني فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن مولاه بدراً فقتله، ص١٠١ ؛ ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٧/٢ وجعل ذلك سنة ١٦٣هـ.

٣) ورد اسمه في المصادر الأخرى تمام بن علقمة وهو من موالي عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، دخل الأندلس في طالعة بلج، وهو أحد النقباء القائمين بدولة عبد الرحمن بن معاوية، وولى له الحجابة والقيادة، وهو الذي افتتح طليطلة عنوة مع بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية، ثم ولى وشقة وطرطوشة وطرسونة؛ وعمّر طويلاً وتوفي في آخر دولة الحكم الربضي، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٤٣/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٨/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٥/٣.

٤) لم نجد له ذكر في المصادر التي بين أيدينا قبل ابن الأثير.

٥) ينظر الرواية: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٣/٢٣ وفيه أن اسمه تمام بن علقمة.

٦) هو حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك من أفراد البيت الأموي المقربين لعبد الرحمن الداخل، ولاه طليطلة وتوفي في أيامه، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٩ ؛ ابن الأبار، التكملة، ١٧٥/١ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٣/٤.

٧) ينظر الرواية: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١- ١٠٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٣/٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٣/٢٣.

ثم دخلت سنة ثلاث ستين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها أظهر عبد الرحمن الأموي ، صاحب الأندلس ، التجهز للخروج إلى الشام بزعمه لمحو الدولة العباسية ، وأخذ ثأره منهم ، فعصى عليه سليمان بن يقظان ، والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الأنصاري بسرقسطة ، واشتدّ أمرهما ، فترك ما كان عزم عليه[1].

ثم دخلت سنة أربع ستين ومائة

وفيها سار عبد الرحمن الأموي إلى سرقسطة ، بعد أن كان قد سيّر إليها ثعلبة بن عبيد في عسكر كثيف ، وكان سليمان بن يقظان ، والحسين بن يحيى قد اجتمعا على خلع طاعة عبد الرحمن ، كما ذكرنا ، وهما بها ، فقاتلهما ثعلبة قتالاً شديداً ، وفي بعض الأيام عاد إلى مخيمه ، فاغتنم سليمان غرته ، فخرج إليه ، وقبض عليه ، وأخذه ، وتفرق عسكره ، واستدعى سليمان قارله ملك الإفرنج ، ووعده بتسليم البلد وثعلبة إليه ، فلما وصل إليه لم يصح بيده غير ثعلبة ، فأخذه وعاد إلى بلاده ، وهو يظن أنه يأخذ به عظيم الفداء ، فأهمله عبد الرحمن مدة ، ثم وضع مَنْ طلبه من الفرنج ، فأطلقوه[2].

فلما كان هذه السنة سار عبد الرحمن إلى سرقسطة ، وفرّق أولاده في الجهات ليدفعوا كل مخالف ، ثم يجتمعون بسرقسطة ، فسبقهم عبد الرحمن إليها ، وكان

---

1) ذكر المقري أن عبد الرحمن بن معاوية كان في نيته أن يجدد دولة بني مروان بالمشرق، فمات دون ذلك، نفح الطيب، ٣٣٣/١، وقال في موضع آخر: أشيع أن عبد الرحمن عزم في: (سنة ١٦٣ الرحيل إلى الشام لانتزاعها من بني العباس وكاتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفة ويذهب بعامة من أطاعه، ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين الأنصاري الذي انتزى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم) نفح الطيب، ٥٤/٣؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٣/٢٣.

2) ينظر التعليق حوادث سنة ١٥٧هـ.

الحسين بن يحيى قد قتل سليمان بن يقظان ، وانفرد بسرقسطة ، فوافاه عبد الرحمن على أثر ذلك ، فضيق على أهلها تضييقاً شديداً.

وأتاه أولاده من النواحي ، ومعهم كل من كان خالفهم ، وأخبروه عن طاعة غيرهم ، فرغب الحسين في الصلح ، وأذعن للطاعة ، فأجابه عبد الرحمن ، وصالحه ، وأخذ ابنه سعيداً رهينة ، ورجع عنه[1] ، وغزا بلاد الفرنج ، فدوخها ، ونهب وسبى وبلغ قلهرة[2] ، وفتح مدينة فكيرة[3] ، وهدم قلاع تلك الناحية ، وسار إلى بلاد البشكنس ، ونزل على حصن مثمين الأقرع ، فافتتحه ، ثم تقدم إلى ملدوثون بن أطلال[4] ، وحصر قلعته ، وقصد الناس جبلها ، وقاتلوهم فيها ، فملكوها عنوةً وخربها ثم رجع إلى قرطبة[5].

وفيها ثارت فتنة بين بربر بلنسية وبربر شنت برية من الأندلس ، وجرى بينهم حروب كثيرة قتل فيها خلق كثيرة من الطائفتين ، وكانت وقائعهم مشهورة[6].

---

١) ينظر التعليق في أحداث سنة ١٥٧هـ عن حروب عبد الرحمن بن معاوية في سرقسطة ضد سليمان الأعرابي والحسين الأنصاري.

٢) قلهرة وهي مدينة من أعمال تطيلة شرق الأندلس في الثغر الأعلى، البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٢ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٢، ٣٤ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٣٣.

٣) وردت أيضاً فكيرة أو بقيرة، ذكر العذري أنها حصن يقع في منطقة الثغر الأعلى قرب تطيلة، ترصيع الأخبار، ص٣١، ٣٢، ٣٦، ٣٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٩/٢، ١٨٤ ؛ ١٨٥ ؛ وذكره ابن حيان مرة بقيرة وأخرى نقيرة (بالنون)، والراجح أنها موضعين قال: إن الأمير عبد الرحمن الناصر في غزوته سنة ٣٠٨هـ (... انتقل إلى حصن كان قد اتخذه شانجة بن غرسيه رباطا على أهل حصن نقيرة فألفاه خاليا ، قد فرّ منه أهله ، فأمر بهدمه فألحق أعلاه بأسفله ، ولم يبرح الناصر لدين الله من محلته حتى انتقل إلى حصن بقيرة...)المقتبس (٣٠٠- ٣٣٠هـ) ص١٦٧ ، وفي سنة ٣١١هـ غزا الأمير عبد الرحمن الناصر البشكنس في منطقة الثغر الأعلى وسميت تلك الغزوة بغزوة بقيرة، المقتبس، م.ن، ص١٨٦ - ١٨٨، ١٨٩.

٤) لم نجد له ترجمة.

٥) ذكر مؤلف مجهول أن الأمير عبد الرحمن بعد أن دخل سرقسطة مضى فدوخ بنبلونة وقلنبيرة، وكرّ على البشكنس، ثم على بلاد الشرطانيس، فحل بابن بلسكوط ، فأخذ ولده رهينة وصالحه على الجزية، أخبار مجموعة، ص١٠٤.

٦) لم ترد تفصيلات عن هذه الفتنة ولعلها ضمن ثورات البربر الكثيرة في عهد عبد الرحمن، والمعروف أن أنصار عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي الذي نزل في شرق الأندلس سنة ١٦١هـ=

ثم دخلت سنة خمس ستين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة ، فنكث مع عبد الرحمن ، فسيّر إليه عبد الرحمن غالب بن ثمامة بن علقمة في جند كثيف ، فاقتتلوا ، فأسر جماعة من أصحاب الحسين فيهم ابنه يحيى ، فسيّرهم إلى الأمير عبد الرحمن ، فقتلهم ، وأقام ثمامة بن علقمة على الحسين يحصره ؛ ثم إن الأمير عبد الرحمن سار سنة ست وستين ومائة إلى سرقسطة بنفسه ، فحصرها ، وضايقها ، ونصب عليها المجانيق ستة وثلاثين منجنيقاً ، فملكها عنوة ، وقتل الحسين أقبح قتلة ، ونفى أهل سرقسطة منها ليمين تقدمت منه ، ثم ردهم إليها[١].

ثم دخلت سنة ست ستين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها قتل عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام ، وهذيل بن الصميل ، وسمرة بن جبلة ، لأنهم اجتمعوا على خلعه مع العلاء بن حميد القشيري ، فتقرب بهم[٢].

=كانوا من البربر، ينظر أحداث سنة ١٦١هـ ؛ وأيضاً: حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة، ص٢٧.

١) قال ابن عذاري: (وفي سنة ١٦٥، ثار على الأمير عبد الرحمن الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الأنصاري بسرقسطة؛ فسار إليه بالجماهير؛ والعسكر الشهير؛ فحاصره بسرقسطة حصارا، وقدم لقتاله أحزاباً وأنصاراً، إلى أن خرج طائعاً إليه، مترامياً عليه؛ فقبل إنابته، ولم يحرم إجابته. فلما عفا عنه، وأغضى عما كان منه، أبقاه بسرقسطة والياً. وقفل الأمير إلى قرطبة سامي اللواء، قاهر الأعداء. ثم إن الحسين خفر الذمة، وكفر النعمة، وأعلن بالنفاق إعلاناً، وأرسل في الشقاق عنانا؛ فسار إليه الإمام أيضاً، ونازله نزالاً، وأذاق سرقسطة نكالاً، إلى أن فتحها بنقب سورها فتحا شنيعا، وقتل الحسين وأصحابه قتلاً ذريعاً. وولى عليهم عليّ بن حمزة، وقفل إلى قرطبة طاهر العزة)، البيان المغرب، ٥٦/٢- ٥٧. ينظر ايضاً: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٤- ١٠٥ ؛ والتعليق حوادث سنة ١٥٧هـ.

٢) ذكر مؤلف مجهول أن المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام أراد الثورة على الأمير عبد الرحمن وساعده هذيل بن الصميل بن حاتم، فأخبر العلاء بن حميد القشيري الأمير عبد الرحمن بخبرهم، فقبض عليهم واستنطقهم فاقروا فقتلهم، أخبار مجموعة، ص١٠٥ ؛ فيما ذكر ابن=

ثم دخلت سنة ثمان ستين ومائة

ذكر مخالفة أبي الأسود بالأندلس

في هذه السنة ثار أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالأندلس ، وكان من حديثه: أنه كان في سجن عبد الرحمن بقرطبة من حين هرب أبوه ، وقتل أخوه عبد الرحمن ، على ما تقدم[1] ، وحبس أبو الأسود ، وتعامى في الحبس ، فصار يحاكي العميان ، ولا يطرف عينه لشيء ، وبقي دهراً طويلاً ، حتى صح عند الأمير عبد الرحمن الأموي ذلك.

وكان في أقصى السجن سرداب يفضي إلى النهر الأعظم يخرج منه المسجونون ، فيقضون حوائجهم من غسل وغيره ، وكان الموكلون يهملون أبا الأسود لعماه ، فإذا رجع من النهر يقول: من يدل الأعمى على موضعه؟ وكان مولى له يحادثه على شاطئ النهر ، ولا ينكر عليه ، فواعده أن يأتيه بخيل يحمله عليها ، فخرج يوماً ومولاه ينتظره ، فعبر النهر سباحة ، وركب الخيل ، ولحق بطليطلة ، فاجتمع له خلق كثير ، فرجع بهم إلى قتال عبد الرحمن الأموي ، فالتقيا على الوادي الأحمر بقسطلونة[2] ، واشتدّ القتال ، ثم انهزم أبو الأسود ، وقتل من أصحابه أربعة آلاف سوى من تردى في النهر ، واتبعه الأموي يقتل من لحق ، حتى جاوز قلعة الرباح[3] ، ثم جمع ، وعاد إلى قتال الأموي ، في سنة تسع

=عذاري أنه (في سنة ١٦٨، أراد المغيرة بن الوليد بن معاوية القيام على الإمام؛ وكان وطنه يومئذ بالرصافة؛ فانكشف له يومئذ أمره من قبل بعض من تعاقد معه؛ فأحضرهم بين يديه، وأقروا؛ فأمر بقتلهم، واستبقى الفاضح لهم)، البيان المغرب، ٥٧/٢ ؛ وأشار المقري أن الأمير عبد الرحمن بعد أن قتل ابن أخيه الوليد بن المغيرة نفا أخاه الوليد بن المغيرة إلى العدوة بماله وولده، نفح الطيب، ٤٦/٣.

١) ينظر حوادث سنة ١٤٠هـ.

٢) قسطلونة ، أحد حصون كورة جيّان، ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)٥/ ٣٥٨.

٣) قلعة رباح، قال ابن الخراط: رباح قلعة (بالأندلس غرباً من طليطلة مغربة قليلا وبين شرق وجوف من قرطبة ومبتناها على نهر آنه وأرضها كريمة تطيب مزارعها ويزكو طعامها وتحسن الماشية في مسارحها ولألبانها فضل بائن على غيرها)اختصار اقتباس الأنوار ، ص١٤١ ؛ووصفها الحميري قائلا (قلعة رباح بالأندلس أيضاً من عمل جَيّان، وهي بين قرطبة وطليطلة، وهي مدينة حسنة ولها حصون حصينة على نهر آنه، وهي مدينة محدثة في أيام بني أميَّة، وإنما عمرت قلعة رباح بخراب أوريط. وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين أمر الإمام محمد بتحصين مدينة قلعة رباح والزيادة في مبانيها ، ونقل=

وستين ، فلما أحسّ بمقدمة الأموي انهزم أصحابه ، وهو معهم ، فأخذ عياله ، وقتل أكثر رجاله ، وبقي إلى سنة سبعين ، فهلك بقرية من أعمال طليطلة[1].

وقام بعده أخوه قاسم ، وجمع جمعاً ، فغزاه الأمير ، فجاء إليه بغير أمان فقتله[2].

ثم دخلت سنة سبعين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها أوقع عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس ببرابر نفزة ، فأذلهم وقتل فيهم[3].

وفيها أمر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة ، وكان موضعه كنيسة ، وأخرج عليه مائة ألف دينار[4].

=الناس إليها)صفة، ص١٦٣ ؛ ينظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢.

١) أورد مؤلف مجهول هذه الرواية بصورة مقتضبة وقال: كانت آخر غزواته، أخبار مجموعة، ص١٠٥؛ أما ابن عذاري فذكر أنه (في سنة ١٦٩، ثار على الأمير عبد الرحمن محمد بن يوسف الفهري، الذي كان في تعامّى وهرب؛ وكان قد تحرك من طليطلة وجهة الشرق بالحشود. وبلغ الإمام خبره؛ فأمر بحشد الكور، والتقى معه في مخاضة الفتح؛ فكان بينهم زحف وقتال أياما؛ ثم انهزم محمد المذكور؛ فقتل رجاله، وأفنى عدده. وكانت هذه الوقعة يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول من السنة.... قتل فيها أربعة آلاف رجل، سوى من تردى في الوادي، وهلك في المهاوي. وهرب محمد بن يوسف هذا إلى قورية. وفي سنة ١٧٠، خرج الأمير عبد الرحمن إلى محمد بن يوسف الفهري، حتى بلغ قورية. ففر أمامه، وأدركت الخيل عياله وأصحابا له؛ فقتل من أدرك وأحرقت دوره. وانقطع محمد بن يوسف وحده، وانحاش إلى غياض... ثم مات محمد بن يوسف بقرية ركانة من عمل طليطلة)، البيان المغرب، ٥٧/٢- ٥٨ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٤/٢٣.

٢) رواية ابن عذاري أن الثائر عمّ محمد بن يوسف، قال: (وفي سنة ١٧١، قام قاسم بن عبد الرحمن الفهري، عمّ محمد بن يوسف أخو يوسف الفهري، وخلع الطاعة؛ فلما تحرك أمره، وجه إليه الأمير عبد الرحمن الجيوش؛ فأذعن له بالطاعة)البيان المغرب، ٥٨/٢ ؛وذكر الرواية النويري بنفس التفاصيل أعلاه، نهاية الأرب، ٢٠٤/٢٣.

٣) أشار ابن عذاري إلى هذه الرواية بشكل مقتضب، قال: في سنة ١٧٠هـ بعد أن هزم الأمير عبد الرحمن الثائر محمد بن يوسف الفهري، وقع ببربر نفزة فأذلهم وأذهب عاديتهم، البيان المغرب، ٥٨/٢.

٤) أشارت المصادر إلى أن عبد الرحمن الداخل ابتاع موضع الجامع بقرطبة من نصارى الذمة، وكان بالموضع كنيسة قديمة، فاشتراه بمائة ألف دينار، وباشر ببنائه سنة ١٧٠هـ، وأخذ ببنائه واتقانه، وأنفق في بنائه مائتي ألف دينار وجعل له سبعة أبواب لدخول الرجال وبابين لدخول النساء، إلا أنه لم يتمه فأتمه ابنه هشام بعده، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص١٢٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٨/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) =

حوادث سنة إحدى وسبعين ومائة

ذكر وفاة عبد الرحمن الأموي

وفيها مات عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، صاحب الأندلس، في ربيع الآخر، وقيل سنة اثنتين وسبعين ومائة، وهو أصح، وكان مولده بأرض دمشق، وقيل: بالعلياء من ناحية تدمر[1]، سنة ثلاث عشرة ومائة، وكان موته بقرطبة، وصلى عليه ابنه عبد الله[2]، وكان عهد إلى ابنه هشام، وكان هشام بمدينة ماردة والياً عليها، وكان ابنه سليمان بن عبد الرحمن، وهو الأكبر، بطليطلة والياً عليها، فلم يحضرا موت أبيهما، وحضره عبد الله المعروف بالبلنسي، وأخذ البيعة لأخيه هشام، وكتب إليه بنعي أبيه وبالإمارة، فسار إلى قرطبة[3].

=ص١٦٦- ١٦٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ٥٤٥/١- ٥٤٦.

١) تدمر مدينة قديمة في بادية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام، ياقوت، معجم البلدان، ١٧/٢.

٢) قال ابن الفرضي: توفي الأمير عبد الرحمن بن معاوية يوم الثلاثاء لست خلون من ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين ومائة ودفن في القصر بقرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله المعروف بالبلنسي وهو ابن تسع وخمسين سنة وأربعة أشهر، وكان مولده بدير حمينا بدمشق سنة ثلاث عشرة ومائة، تاريخ علماء الأندلس، ص١١ ؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٥ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٨/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢/٢ ؛ وذكر مؤلف مجهول أنه ولد بدير حنين من دمشق سنة ١١٢هـ وتوفي بمدينة ماردة من بلاد الجوف يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧٢هـ وحمل إلى قرطبة وصلى عليه ولده هشام وله تسع وخمسون سنة، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٥٩، ١٦٩ ؛ وهناك رواية أشارت إلى أن وفاته كانت سنة في ربيع الآخر سنة ١٧١هـ ، المقري، نفح الطيب، ٤٨/٣.

٣) هناك رواية أخرى تقول: إن الأمير عبد الرحمن ترك وصية غامضة بخصوص من يخلفه وهي: إنه لما حضرته الوفاة، كان ابنه هشام بماردة، وابنه الآخر سليمان بطليطلة، فوكل ابنه عبد الله المعروف بالبلنسي، وقال له: من سبق إليك من أخوتك، فأرم إليه بالخاتم والأمر، فإن سبق إليك هشام، فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه؛ وإن سبق إليك سليمان، فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين إليه، فقدم هشام من ماردة قبل سليمان؛ فنزل بالرصافة، وخاف من عبد الله أخيه، إذ صار متمكناً من قرطبة والقصر والأموال، أن يدافعه. فخرج إليه أخوه عبد الله، وسلّم عليه بالخلافة، ودفع إليه الخاتم، كما أوصاه أبوه، وأدخله القصر، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٦١/٢- ٦٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٤/٤ ؛ العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٢٢.

وكانت دولة عبد الرحمن ثلاثاً وثلاثين سنة وأشهراً ، وكانت كنيته أبا المطرف ، وقيل: أبا سليمان ، وقيل: أبا زيد ، وكان له من الولد: أحد عشر ذكرا وتسع بنات ، وكانت أمّه بربرية من سبي إفريقية[1].

وكان أصهب ، خفيف العارضين ، طويل القامة ، نحيف الجسم ، أعور ، له ضفيرتان ، وكان فصيحاً لسناً ، شاعراً ، حليماً ، عالماً ، حازماً ، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد إلى راحة ، ولا يسكن إلى دعة ، ولا يكل الأمور إلى غيره ، ولا ينفرد في الأمور برأيه ، شجاعاً مقداماً بعيد الغور ، شديد الحذر ، سخياً ، جواداً ، يكثر لبس البياض ، وكان يقاس بالمنصور في حزمه ، وشدته ، وضبط المملكة[2].

وبنى الرصافة بقرطبة تشبهاً بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ، ولما سكنها رأى فيها نخلة منفردة ، فقال:

تبــدت لنــا وســط الرصــافة نخلــة

تنــاءت بــأرض الغــرب عــن بلــد النخــل

فقلــت: شــبيهي في التّغــرّب والنــوى

وطــول التنــائي عــن بــني وعــن أهــلي

---

١) أمّه أم ولد بربرية اسمها راح من قبيلة نفزة، يكنى أبا مطرف وقيل أبا سليمان وقيل أبا زيد ومدة ولايته الأندلس ٣٣ سنة وقيل ٣٤ سنة، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١١ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٥ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢ ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٤٥/٣٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٥/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٧/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢/٢ ؛ الذهبي، سير، ٢٧/٣ ؛ وقال النويري: كان له من الأولاد الذكور أحد عشر ولداً وهم أيوب الشامي ولد بالشام، وسليمان وهشام ولي عهده وهو الوالي بعده وُلد بالأندلس، وعبد الله وله ببلنسية وعرف بالبلنسي ومسلمة المعروف بكليب وأمية، ويحيى، والمنذر، وسعيد الخير، ومحمد، والمغيرة، وتسع بنات، نهاية الأرب، ٢٠٦/٢٣.

٢) وُصِف عبد الرحمن أنه: أصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم أعوراً، وكان فصيحاً لَسِناً شاعراً حليماً عالماً حازماً، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه. لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل أموره إلى غيره، ولا ينفرد في إبرامها برأيه. وكان يُشبَّه بأبي جعفر المنصور في حزمه وشدّته وضبطه لملكه. وبنى الرصافة بقرطبة تشبهاً بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٨/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١١/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٥/٢٣ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٥٩.

نشــأت بــأرض أنــت فيهــا غريبــة

فمثلــك في الإقصــاء والمنتــأى مثلــي

سـقتك غـوادي المـزن مـن صـوبها الـذي

يســح ويســتمري السِّـماكين بالوبــل[1]

وقصده بنو أمية من المشرق ، فمن المشهورين: عبد الملك بن عمر بن مروان ، وهو قعدد بني أمية ، وهو الذي كان سبب قطع الدعوة العباسية بالأندلس ، على ما تقدم[2] ، وكان معه أحد عشر ولداً له.

ذكر إمارة ابنه هشام[3]

كان عبد الرحمن قد عهد إلى ابنه هشام ، ولم يكن أكبر ولده ، فإن سليمان كان أكبر منه ، وإنما كان يتوسم فيه الشهامة ، والاضطلاع بهذا الأمر ، فلهذا عهد إليه[4].

---

١) يروى أن عبد الرحمن، أول نزوله بمنية الرصافة واتخاذه لها، نظر فيها إلى نخلة؛ فهاجت شجنه، وتذكر وطنه، فقال على البديهة الشعر أعلاه، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٧/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٠/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١١/٢ ؛ الذهبي، سير، ٢٤٨/٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ٥٤/٣.

٢) ينظر حوادث سنة ١٣٨هـ.

٣) كانت إمارته الأندلس سنة ١٧٢هـ حتى وفاته سنة ١٨٠هـ ، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٢.

٤) يروى أن أباه كان يوليه في صباه ويرشحه للأمر، وكان كثيراً ما يسأل عن ابنيه سليمان وهشام، فيذكر له أن هشاماً إذا حضر مجلساً امتلأ أدباً وتاريخاً وذكر لأمور الحرب ومواقف الأبطال وما أشبه ذلك، وإذا حضر سليمان مجلساً امتلأ سخفا وهذياناً، فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان، وقال يوماً لهشام لمن هذا الشعر:

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله أو من يزيد ومن حجر

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذ صحا وإذا سكر

فقال له يا سيدي لامرئ القيس ملك كندة، وكأنه قاله في الأمير أعزه الله فضمه إليه استحساناً بما سمع منه وأمر له بإحسان كثير وزاد في عينه، ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر وأنشده البيتين فقال: لعلهما لأحد أجلاف العرب أما لي شغل غير حفظ أقوال بعض الأعراب، فأطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية، المقري، نفح الطيب، ٣٣٤/١؛ ينظر الرواية بشيء من الاختلاف: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٤٢/١.

ولما توفي أبوه كان هو بماردة ، متولياً لها وناظراً في أمرها ، وكان أخوه سليمان ، وهو أكبر منه ، بمدينة طليطلة ، وكان يروم الأمر لنفسه ، ويحسد أخاه هشاماً على تقديم والده له عليه ، وأضمر له الغش والعصيان ؛ وكان أخوه عبد الله المعروف بالبلنسي حاضراً بقرطبة عند والده.

فلما توفي جدد عبد الله البيعة لأخيه هشام ، بعد أن صلى على والده ، وكتب إلى أخيه هشام يعرفه موت والده ، والبيعة له ، فسار من ساعته إلى قرطبة ، فدخلها في ستة أيام ، واستولى على الملك ، وخرج عبد الله إلى داره ، مظهراً لطاعته ، وفي نفسه غير هذا[1] ، وسنذكر ما كان منه إن شاء الله تعالى.

حوادث سنة اثنتين وسبعين ومائة

ذكر خروج سليمان وعبد الله على هشام

في هذه السنة ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وهو الصحيح ، خرج سليمان ، وعبد الله ابنا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، أمير الأندلس ، عن طاعة أخيهما هشام بالأندلس ، وكان هشام قد ملك بعد أبيه ، كما ذكرناه ، فلما استقر له الملك كان معه أخوه عبد الله المعروف بالبلنسي ، وكان هشام يؤثره ويبره ويقدمه ، فلم يرض عبد الله إلا بالمشاركة في أمره.

ثم إنه خاف من أخيه هشام ، فمضى هارباً إلى أخيه سليمان ، وهو بطليطلة ، فلما خرج من قرطبة أخرج هشام جمعاً في أثره ليردوه فلم يلحقوه ، فجمع هشام عساكره ، وسار إلى طليطلة ، فحضر أخويه بها وكان سليمان قد جمع وحشد خلقاً كثيراً ، فلما حصرهما هشام سار سليمان من طليطلة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلد ، وسار هو إلى قرطبة ليملكها ، فعلم هشام الحال ، فلم يتحرك ، ولا فارق طليطلة بل أقام يحصرها.

وسار سليمان ، فوصل إلى شقندة ، فدخلها ، وخرج إليه أهل قرطبة مقاتلين

---

١) ينظر الرواية أعلاه في أحداث سنة ١٧١هـ.

ودافعين عن أنفسهم.

ثم إن هشاماً سيّر في أثره ابنه عميد الملك[1] ، في قطعة من الجيش ، فلما قاربه مضى سليمان هارباً فقصد مدينة ماردة ، فخرج إليه الوالي بها لهشام ، فحاربه ، فانهزم سليمان ، وبقي هشام على طليطلة شهرين وأياماً محاصراً لها ثم عاد عنها وقد قطع أشجارها ، وسار إلى قرطبة ، فأتاه أخوه عبد الله بغير أمان ، فأكرمه وأحسن إليه.

فلما دخلت سنة أربع وسبعين سيّر هشام ابنه معاوية في جيش كثيف إلى تدمير ، وبها سليمان ، فحاربه ، وخربوا أعمال تدمير ، ودوخوا أهلها ومن بها وبلغوا البحر ، فخرج سليمان من تدمير هارباً فلجأ إلى البرابر بناحية بلنسية ، فاعتصم بتلك الناحية الوعرة المسلك ، فعاد معاوية إلى قرطبة.

ثم أن الحال استقرّ بين هشام وسليمان أن يأخذ سليمان أهله وأولاده وأمواله ويفارق الأندلس ، وأعطاه هشام ستين ألف دينار مصالحة عن تركة أبيه عبد الرحمن ، فسار إلى بلد البرابر فأقام بها[2].

---

١) عند ابن عذاري اسمه عبد الملك، البيان المغرب، ٢/ ٦٣.

٢) الرواية في المصادر الأندلسية لا تختلف كثيراً فذكرت أنه: لما توفي عبد الرحمن كان ابنه الأكبر سليمان واليا على طليطلة وكان ابنه هشام على ما ردة وكان قد عهد له بالأمر وكان ابنه عبد الله حاضراً بقرطبة فأخذ البيعة لأخيه هشام وبعث إليه بالخبر فسار إلى قرطبة وقام بالدولة، وغص بذلك أخوه سليمان فأظهر الخلاف بطليطلة، ولحق به أخوه عبد الله وبعث هشام في أثره فلم يلحق، وسار هشام في العساكر فحاصرهم بطليطلة وخالفه سليمان إلى قرطبة فلم يظفر بشئ منها، وبعث هشام ابنه عبد الملك في أثره، فقصد ما ردة فحاربه عامله وهزمه الله بغير أمان ودخل في طاعته فأكرمه، ثم بعث في السنة التالية (أي ١٧٤هـ) ابنه معاوية لحصار أخيه سليمان بتدمير فدوخ نواحيها وهرب سليمان إلى جبال بلنسية فاعتصم بها، ورجع معاوية إلى أبيه بقرطبة، ثم طلب سليمان العبور إلى عدوة البربر بأهله وولده فأجازه هشام وأعطاه ستين ألف دينار صلحا على تركة أبيه وأقام بعدوة المغرب وسار معه أخوه عبد الله، ثم إن أهل طليطلة دخلوا في طاعة الأمير هشام بعد منصرف أخويه عنهم فقبلهم وأمنهم، ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٦٢- ٦٣ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٦٣/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢/٢- ١٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٤/٤.

ذكر خروج جماعة على هشام أيضاً

وفيها خرج بالأندلس أيضاً سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري بشاغنت، من أقاليم طرطوشة[1]، في شرق الأندلس؛ وكان قد التجأ إليها حين قتل أبوه، كما تقدم، ودعا إلى اليمانية، وتعصب لهم، فاجتمع له خلق كثير وملك مدينة طرطوشة، وأخرج عامله يوسف القيسي، فعارضه موسى بن فرتون[2]، وقام بدعوة هشام، ووافقته مضر، فاقتتلا فانهزم سعيد وقتل، وسار موسى إلى سرقسطة فملكها فخرج عليه مولى للحسين ابن يحيى اسمه جحدر في جمع كثير فقاتله وقتل موسى[3].

وخرج أيضاً مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة، وخرج معه جمع كثير، فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشقة[4]، وتغلب على تلك الناحية، وقوي

---

١) طرطوشة، مدينة تتصل بكورة بلنسية في شرقيها، قريبة من البحر، متقنة العمارة على نهر أبرة استولى عليها الإفرنج سنة ٥٤٣هـ، ينظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٦١؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦- ١٧؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٨٥.

٢) هو موسى بن فرتون بن قسي، كان جده قسي قومس الثغر أيام القوط ثم لحق بالشام وأسلم على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك فكان في ولاء بني أمية، ولما وقعت العصبية كان بنو قسي مع المضرية، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢.

٣) ذكر ابن عذاري أنه في سنة ١٧٢هـ: ثار سعيد بن الحسين الأنصاري بساغنت من إقليم طرطوشة، وأقبل إلى سرقسطة؛ فأخرج منها وإليها، وضرب بين الناس، ودعا إلى نفسه وإلى الفتنة؛ فأرسلها مضرية ويمانية. وحشد موسى بن فرتون إلى سرقسطة؛ فأخذها؛ وكان على دعوة المضرية؛ فالتقى مع اليمنيين. وكانت بينهم حرب؛ فقتل منهم جماعة، ودخل سرقسطة، البيان المغرب، ٦٢/٢ ولكنه لم يشر إلى مقتل موسى بن فرتون على يد جحدر؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٧/٢٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٤/٤.

٤) وشقة من مدن الثغر الأعلى الأندلسي شرق سرقسطة، وصفها الحميري قائلاً: (مدينة حصينة بالأندلس لها سوران من حجر بينها وبين سرقسطة خمسون ميَلاً، ووشقة مدينة حسنة متحضرة ذات متاجر وأسواق عامرة وصنائع قائمة، وأحوازها تتصل بأحواز بربطانية...، وهي مدينة كبيرة أولية قديمة رائعة البنيان، قد اتقن سورها أتم اتقان...، وهي على نهر يشق مدينتها ويجري في حمّامين من حمّاماتها وتسقى بفضلة مائه بساتين... وحاصر المسلمون مدينة وشقة منذ فتح الأندلس حصاراً طويلاً حتى بنوا عليها المساكن وغرسها الغروس وحرثوا لمعايشهم، واتصل ذلك من فعلهم سبعة أعوام، والنصارى في القصبة القديمة محصورون، فلما طال عليهم الحصار استأمنوا لأنفسهم وذراريهم، فمن دخل في الإسلام ملك نفسه وماله وحرمته، ومن=

أمره ، وكان هشام مشغولاً بمحاربة أخويه سليمان وعبد الله[1].

حوادث سنة ثلاث وسبعين ومائة

وفيها مات مورقاط ملك جليقية ، من بلاد الأندلس ، وولي بعده برمندين قلورية القس ، ثم تبرأ من الملك ، وترهب ، وجعل ابن أخيه في الملك ، وكان ملك ابن أخيه سنة خمس وسبعين ومائة[2].

=أقام على النصرانية أدى الجزية فليس بوشقة من أهلها المتأصلين رجل ينتهي في أصل صحيح من العرب)صفة، ص١٩٤- ١٩٥ ؛ ينظر أيضاً: اليعقوبي، البلدان، ص١١١ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٥٥- ٥٦ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٨ وأسمها أشقة ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٩٣ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٦٠/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٣٠.

١) قال ابن عذاري في حوادث سنة ١٧٢هـ: خرج مطروح بن سليمان بن الأعرابي على دعوة أبيه من برشلونة؛ فتغلب على وشقة وسرقسطة والثغر كله، البيان المغرب، ٦٢/٢.

٢) قال ابن الخطيب: أنه لما هلك فريولة ملك بعده أخوه ابن بلية وتسمى قاسطة ومعناه الملك الصالح لعفاف وصلاح كان عليه عندهم، ثم ثار عليه عم له ابن جارية غير ممهورة اسمه موربغاطة وملك بعده ثم ولي بعد هذا الخالع قريب له تغلب عليه اسمه مودة كان أول أمره قسا أي عالما فقيها في دينهم، أعمال الأعلام، ٢٧٨/٢- ٢٧٩ ؛ وذكر ابن خلدون أن شيلون ملك عشر سنين وهلك سنة ثمان وستين، فولوا مكانه أدفونش منهم، ووثب عليه سمول ماط (وهو مورقاط عند ابن الأثير) فقتله وملك مكانه سبع سنين، ثم ولى منهم أدفونش آخر، وهلك سنة ثمان وستين فولوا مكانه أدفونش منهم ووثب أحد ملوكهم المستبدين بأمرهم، تاريخ، ١٨٠/٤؛ ويوضح عنان ذلك بقوله: إن سيلو أو (شيلون كما في الرواية أعلاه)توفي سنة ١٦٨هـ فاوصى للفونسو بن فرويلا وكان طفلاً فكانت زوجته أروزندا وصية عليه، ولكن الأشراف لم يرضوا بحكم طفل وامرأة، فثار زعيم يدعى موزجات (مورقاط)وهو ولد غير شرعي للفونسو الأول من جارية عربية فاستولى على جليقية وتحالف مع المسلمين وكان يتودد إليهم بصلة الدم بواسطة أمّه العربية، وكانت وفاته سنة ١٧٣هـ، وتولى بعده الفونسو بن فرويلا إلا أن الأشراف توجسوا منه فولوا الملك برمند وكان قد اعتزل الحياة وترهب، فتولى الحكم على غضاضة ثم تنازل عن العرش للفونسو وآثر العزلة ورجع إلى الدير وذلك سنة ١٧٥هـ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٢١٩- ٢٢٠ ؛ ينظر أيضاً: العلياوي، البشكنس، ص٥١- ٥٢.

حوادث سنة خمس وسبعين ومائة

ذكر ظفر هشام بأخويه . ومطروح

وفيها فرغ هشام بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، من أخويه سليمان وعبد الله ، وأجلاهما عن الأندلس ، فلما خلا سره منهما انتدب لمطروح بن سليمان بن يقظان ، فسيّر إليه جيشاً كثيفاً وجعل عليهم أبا عثمان عبيد الله بن عثمان ، فساروا إلى مطروح ، وهو بسرقسطة ، فحصروه بها فلم يظفروا به ، فرجع أبو عثمان عنه ، ونزل بحصن طرسونة[1] ، بالقرب من سرقسطة ، وبث سراياه على أهل سرقسطة يغيرون ويمنعون عنهم الميرة.

ثم إن مطروحاً خرج في بعض الأيام ، آخر النهار ، يتصيد ، فأرسل البازي على طائر ، فاقتنصه ، فنزل مطروح ليذبحه بيده ، ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن أصحابه ، فقتلاه واحتزا رأسه وأتيا به أبا عثمان ، فسار إلى سرقسطة ، فكاتبه أهلها بالطاعة ، فقبل منهم ، وسار إليها فنزلها وأرسل رأس مطروح إلى هشام[2].

---

١) طرسونة وهي من مدن الثغر الأندلسي، قال الحميري: (طرسونة بالأندلس كانت مستقر العمال والقوّاد بالثغر، وكان أبو عثمان عبيد الله بن عثمان المعروف بصاحب الأرض اختارها محلاً وآثرها على مدن الثغور منزلاً، وكانت ترد عليه عشور مدينة أربونة وبرشلونة، ثم عادت طرسونة من بنات تطيلة عند تكاثر الناس بتطيلة وإيثارهم لها، لفضل بقعتها واتساع خطتها، وبينهما اثنا عشر ميلاً) صفة، ص١٢٣ ؛ ينظر أيضاً: البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٢ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٥ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٨ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٤٣/١ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٥٧/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٣٢.

٢) ذكر الرواية العذري، قال: كان مطروح بن سليمان مستوطناً في بسيط سرقسطة، فلما التأثت الأحوال على الأمير هشام استدعاه أهل سرقسطة وأدخلوه المدينة وأعلن العصيان، وذلك سنة ١٧٤هـ، فأرسل إليه الأمير هشام قائده عبيد الله بن عثمان سنة ١٧٥هـ فحاصر سرقسطة إلا أنه لم يظفر به، فخرج مطروح في بعض الأيام متصيدا، ومعه عمروس بن يوسف وابن صلتان؛ فلما أرسل بازيه على طائر ونزل على الصيد، تعاوراه بسيوفهما حتى قتلاه، واحتزا رأسه، وتقدما به إلى ابن عثمان، وهو بطرسونة؛ فتحرك إلى سرقسطة؛ فلم يمتنع عليه أحد من أهلها؛ ودخل المدينة؛ فنزلها، وبعث برأس مطروح إلى الأمير هشام، ترصيع الأخبار، ص٢٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٣/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٧/٢٣- ٢٠٨ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٤/٤.

ذكر غزاة هشام بالأندلس

ثم إن أبا عثمان لما فرغ من مطروح أخذ الجيش ، وسار بهم إلى بلاد الفرنج ، فقصد ألبة ، والقلاع ، فلقيه العدو ، فظفر بهم ، وقتل منهم خلقاً كثيرا وفتح الله عليه[1].

وفيها سيّر هشام أيضاً يوسف بن بخت في جيش إلى جليقية ، فلقي ملكهم وهو برمند الكبير ، فاقتتلوا قتالاً شديدا وانهزمت الجلالقة ، وقتل منهم عالم كثير[2].

وفيها انقاد أهل طليطلة إلى طاعة الأمير فأَمنهم[3].

وفيها سجن هشام أيضاً ابنه عبد الملك لشيء بلغه عنه ، فبقي مسجوناً حياة أبيه وبعض ولاية أخيه ، فتوفي محبوساً سنة ثمان وتسعين ومائة[4].

حوادث سنة ست وسبعين ومائة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا عبد الملك بن عبد الواحد بجيش صاحب الأندلس ، بلاد الفرنج ، فبلغ ألبة ، والقلاع ، فغنم ، وسلم[5].

---

١) قال ابن عذاري: في سنة ١٧٦هـ، أغزى الأمير هشام أبا عثمان عبيد الله بن عثمان إلى ألبة والقلاع؛ فلقي بها أعداء الله بجموعهم متوافين؛ فهزمهم الله على يديه، وقتلوا في السهل والوعر؛ وانتهى ما حيز من رؤوسهم إلى تسعة آلاف رأس ونيف، البيان المغرب، ٦٤/٢ ؛ النويري، ٢٠٨/٢٣ ؛ وذكر المقري: وفي أيامه فتحت أربونة واشترط على المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه، انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربونة المفتتحة يحملونها إلى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد، الذي قدام باب الجنان، وفضلت منه فضلة بقيت مكومة، نفح الطيب، ٣٣٧/١.

٢) قال ابن عذاري: (في هذه السنة، غزا يوسف بن بخت إلى جليقية؛ فالتقى ببرمود الكبير، وواضعه الحرب؛ فانهزم عدو الله، وانتهب المسلمون عسكره، وقتل فيهم مقتلة عظيمة، وحز من رؤوسهم عشرة آلاف، سوى من لم يتمكن منه ممن قتل في الوعر. وأتى هذا الفتح قرطبة بعد فتح أبي عثمان)البيان المغرب، ٦٣/٢- ٦٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٧٥/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٨/٢٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٣٧/١.

٣) ذكر النويري: في سنة ١٧٥هـ استعمل الأمير هشام ابنه الحكَم على طليطلة وسيّره إليها يضبطها، وأقام بها، ووُلد له بها ابنه عبد الرحمن، نهاية الأرب، ٢٠٨/٢٣.

٤) الرواية ذكرها ابن حزم دون أن يشير إلى سبب سجن ابنه، جمهرة أنساب العرب، ص٩٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص٢٢٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٨/٢٣.

٥) ذكر ابن عذاري هذه الحملة سنة ١٧٧هـ، البيان المغرب، ٦٧/٢ ؛ فيما أوردها ابن خلدون في=

وفيها استعمل هشام ابنه الحكم على طليطلة ، وسيّره إليها فضبطها وأقام بها وولد له بها ابنه عبد الرحمن بن الحكم ، وهو الذي ولي الأندلس بعد أبيه[1].

حوادث سنة سبع وسبعين ومائة

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

وفيها سيّر هشام ، صاحب الأندلس ، جيشاً كثيفا واستعمل عليهم عبد الملك ابن عبد الواحد ابن مغيث ، فدخلوا بلاد العدو ، فبلغوا أربونة[2] ، وجرندة[3] ، فبدأ بجرندة ، وكان بها حامية الفرنج ، فقتل رجالها وهدم أسوارها وأبراجها وأشرف على فتحها فرحل عنها إلى أربونة ففعل مثل ذلك ، وأوغل في بلادهم ، ووطئ أرض شرطانية[4] ، فاستباح حريمها وقتل مقاتليها وجاس البلاد شهوراً يخرب الحصون ، ويحرق ويغنم ، قد أجفل العدو من بين يديه هاربا وأوغل في بلادهم ، ورجع سالماً معه من الغنائم ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهي من أشهر مغازي المسلمين بالأندلس[5].

=هذه السنة ولم يشر إلى غزو بلاد الفرنجة في سنة ١٧٧هـ، أما ابن الأثير فأشار إلى غزوتين أحدهما في سنة ١٧٦هـ والأخرى سنة ١٧٧هـ وكانتا بقيادة وزير الأمير هشام عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث، وكذا فعل النويري، نهاية الأرب، ٢٠٨/٢٣.

١) ينظر: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٨/٢٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٣٨/١.

٢) أربونة، قال الزهري: (وهي آخر ما افتتح المسلمون من بلاد الفرنج وفيها وجد الصنم الذي عليه مكتوب: ارجعوا يا بني إسماعيل إلى ها هنا منتهاكم، فإن سألتموني أخبرتكم، وإن لم ترجعوا ضرب بعضكم بعضا إلى يوم القيامة، وهذه المدينة يشق في وسطها نهر عظيم، وهو أعظم نهر في بلاد الفرنج، وعليه قنطرة عظيمة، عليها أسواق وديار، والناس يمشون عليها من نِصف المدينة إلى النصف الآخر، وبين هذه المدينة والبحر فرسخان، والمراكب تطلع من البحر في هذا النهر حتى تدخل تحت هذه القنطرة، وفي وسطها جسور وأرحبة من بنيان الأولين، لا قدرة لأحد أن يصنع مثلها)الجغرافية ص٧٧ ؛ ينظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٤٨/٢ ؛ الحميري، صفة، ص١١- ١٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٣١.

٣) جرندة، ذكرها الإدريسي من مدن بلاد غشكونية المجاورة لجبل البرتات، نزهة المشتاق،٢/ ٥٨٣.

٤) شرطانية ، ولاية كبيرة تقع شمالي شرق أسبانيا، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٤.

٥) ذكر ابن عذاري أنه (في سنة ١٧٧، أغزى الإمام هشام عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث بالصائفة إلى أرض الروم، وهي غزوة شهيرة الخبر، جليلة الخطر، انتهى فيها إلى إفرنجة؛ فحاصرها، وثلم بالمجانيق أسوارها، وأشرف على بلاد المجوس؛ وجال في بلاد العدو، وبقي=

حوادث سنة ثمان وسبعين ومائة

ذكر غزو الفرنج والجلالقة بالأندلس

فيها سيّر هشام صاحب الأندلس عسكراً مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فغزا ألبة والقلاع ، فغنم وسلم.

وسيّر أيضاً جيشاً آخر مع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد إلى بلاد الجلالقة ، فخرب دار ملكهم أدفنش وكنائسه ، وغنم. فلما قفل المسلمون ضلّ الدليل بهم ، فنالهم مشقة شديدة ، ومات منهم بشر كثير ، ونفقت دوابهم ، وتلفت آلاتهم ، ثم سلموا وعادوا[1].

ذكر فتنة تاكرتا[2]

وفيها هاجت فتنة تاكرتا بالأندلس ، وخلع بربرها الطاعة ، وأظهروا الفساد ، وأغاروا على البلاد ، وقطعوا الطريق ، فسيّر هشام إليهم جنداً كثيفاً عليهم عبد القادر

=شهورا يحرق القرى ويخرب الحصون. وأوقع بمدينة أربونة؛ وكان فتحاً عظيماً، بلغ فيه خمس السبي إلى خمسة وأربعين ألفا من الذهب العين)البيان المغرب، ٦٤/٢ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٨/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٣٨/١.

١) لم يشر ابن عذاري إلى هذه الغزوة سنة ١٧٨هـ، وأورها النويري في هذه السنة كما جاءت أعلاه، نهاية الأرب، ٢٠٨/٢٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٣٨/١.

٢) تاكرتا أشار ابن حيان إليها بلفظ تاكرنا بضم وتشديد الراء وقال: إن الثائر عمر بن حفصون خرج من كورة تاكرنا من عمل رندة، المقتبس (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ) ص٧٧، وقال أيضاً: إنها تقع قرب إستجة، (تحقيق الحجي) ص٥٧، ٢٠١ ؛ ينظر كذلك: البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٤ ؛ وذكرها ابن غالب بضم الكاف والراء وألف ممدودة وقال: (معاقلها كثيرة حصينة وجبالها شامخة تعلو جبال الأندلس، وتخرج منها الأنهار ولا يدخلها نهر ولا يساويها جبل بالأندلس)فرحة الأنفس، ص٢٦ ؛ أما الرشاطي فقال: (تاكرنا كانت مدينة إستجة ومدينة تاكرنا على قسمين فما كان حوالي إستجة يدعى إقليم السهل وما كان حوالي تاكرنا كان يدعى إقليم الجبل) الأندلس في اقتباس الأنوار، ص١٢٨ ؛ وقال ابن سعيد: تاكرنا بضم الكاف والراء وتشديد النون: كانت قصبة هذه الكورة ثم خربت، المغرب، ٣٣٠/١ ؛ وقال الحميري: (تاكرنا مدينة بالأندلس بمقربة من استجة، وهي مدينة أزلية إليها تنسب الكورة وبها بلاط من بناء الأول لم يتغير. وإقليم تاكرنا مضاف إلى إقليم استجة، ومن مدن تاكرنا مدينة رندة)صفة، ص٦٢ ؛ وأضاف مؤلف مجهول أن في جبالها نبات المحلب فاضل جميع الافاويه، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٢٤.

ابن أبان بن عبد الله ، مولى معاوية بن أبي سفيان ، فقصدوها وتابعوا قتال من فيها إلى أن أبادوهم قتلاً وسبياً ، وفر من بقي منهم فدخل في سائر القبائل ، وبقيت كورة تاكرتا وجبالها خالية من الناس سبع سنين[1].

حوادث سنة تسع وسبعين ومائة

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

وفيها سيّر هشام صاحب الأندلس جيشاً كثيفاً عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث ، إلى جليقية ، فساروا حتى انتهوا إلى إسترقة ، وكان أذفونش ، ملك الجلالقة ، قد جمع وحشد ، وأمدّه ملك البشكنس ، وهم جيرانه ، ومن يليهم من المجوس ، وأهل تلك النواحي ، فصار في جمع عظيم ، فأقدم عليه عبد الملك ، فرجع أذفونش هيبة له ، وتبعهم عبد الملك يقفو أثرهم ، ويهلك كل من تخلف منهم ، فدوخ بلادهم ، وأوغل فيها وأقام فيها يغنم ، ويقتل ، ويخرب ، وهتك حريم أذفونش ، ورجع سالماً[2].

---

١) قال ابن عذاري إنه (في سنة ١٧٨ ، هاجت الفتنة بتاكرنا ، وخالف بربرها ، وغاروا على الناس، وقتلوا وسبوا. فبعث الإمام هشام إليهم الأجناد بعد الإعذار إليهم. فقتل أكثرهم، وفرّ سائرهم إلى طلبيرة وترجيلة. وأقامت تاكرنا ، وهي إقليم رندة ، وبلادها خالية قفرا سبع سنين) البيان المغرب، ٦٤/٢ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٩/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤.

٢) ذكر ابن عذاري الحادثة ولكنه أشار إلى أن قائد الحملة هو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وليس أخوه عبد الملك، قال: (في سنة ١٧٩ ، أغزى الإمام هشام بن عبد الرحمن عبد الكريم بن مغيث بالصائفة، حتى انتهى إلى مدينة أسترقة داخل جليقية ، فبلغه أن إذفونش قد حشد بلاده، واستمد البشكنش وأهل تلك النواحي التي عليه من المجوس وغيرهم، وأنه عسكرهم ما بين حيز جليقية والصخرة، وأنه أذن لسكان السهل بالتفرق في شواهق جبال السواحل، فقدّم عبد الكريم فرج بن كنانة في أربعة آلاف فارس؛ ثم رحل في إثره؛ فألقى أعداء الله؛ فواضعهم الحرب حتى هزمهم الله؛ فقتل حماتهم، وأسر جماعة منهم؛ ثم أمر بعد انحلال الحرب بقتلهم، وبث الخيل في القرى؛ فانتسفت جميع ما ألفته من زروعهم، وخربت ما مرت عليه من عمارتهم. وتقدم بعد ذلك إلى واد يقال له كوثية؛ فلقى به غندماره وهو في ثلاثة آلاف فارس فقاتله حتى انهزم عسكره، وأخذ غندماره أسيرا ، وقتل من أصحابه عدد كثير. وأصاب العسكر جميع ما في تلك الناحية. وتقدم مستنجزا لإذفونش؛ فلما بلغه قصده إليه، =

وكان قد سيّر هشام جيشاً آخر من ناحية أخرى ، فدخلوا أيضاً على ميعاد من عبد الملك ، فأخربوا ونهبوا وغنموا فلما أرادوا الخروج من بلاد العدو اعترضهم عسكر للفرنج فنال منهم ، وقتل نفراً من المسلمين ثم تخلصوا وسلموا وعادوا سالمين سوى من قتل منهم[1].

حوادث سنة ثمانين ومائة

ذكر وفاة هشام

وفيها مات هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، صاحب الأندلس ، في صفر ، وكانت إمارته سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام ، وقيل تسعة أشهر ، وقيل سبعة أشهر ، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، وكنيته أبو الوليد ؛ وكانت أمّه أمُّ ولد.

كان أبيض أشهل ، مشرباً بحمرة ، بعينيه حَوَل ، وخلف خمسة بنين ؛ وكان عاملاً حازماً ذا رأي وشجاعة وعدل ، خيراً محباً لأهل الخير والصلاح ، شديداً على الأعداء ، راغباً في الجهاد.

ومن أحسن عمله أنه أخرج مصدقاً يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه أيام ولايته ، وهو الذي تمم بناء الجامع بمدينة قرطبة ، وكان أبوه قد مات قبل فراغه

=تنحى عن الجبل الذي كان فيه منحازا عنه إلى حصن له، كان قد بناه وأتقنه على وادي نلون؛ فتقرب منه عبد الكريم مقتفيا لأثره، ولا يمر بمنزل فيما بينه وبينه إلا حرقه، ولا بمال إلا أصابه، حتى أطل على الحصن. فانتقل منه إلى حصن ملكه. واحتل عبد الكريم بالحصن الذي انتقل منه؛ فألقى فيه الأطعمة وضروب الذخر، وبعث في اليوم الثاني من حلوله به فرج بن كنانة، في عشرة آلاف فارس، يقفو أثره؛ فلما قرب منه، انهزم عنه وأسلم جميع عدته وذخره؛ فغنم المسلمون جميع ذلك)البيان المغرب، ٦٤/٢- ٦٥ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٠٩/٢٣ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤ أورد الرواية مختصرة وقال: إن قائد الحملة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٢٢٨ ؛ العلياوي، البشكنس، ص٨٤-٨٦.

1) أشار النويري إلى هذه الحملة بشكل مقتضب، نهاية الأرب، ٢٠٩/٢٣.

منه ، وبنى عدة مساجد معه ، وبلغ من عز الإسلام في أيامه وذل الكفر أن رجلاً مات في أيامه ، فأوصى أن يفك أسير من مسلمين من تركته ، فطلب ذلك ، فلم يوجد في دار الكفار أسير يشتري ويفك لضعف العدو وقوة المسلمين.

ومناقبه كثيرة قد ذكرها أهل الأندلس كثيراً وبالغوا حتى قالوا كان يشبه في سيرته بعمر بن عبد العزيز ، رحمه الله[1].

ذكر ولاية ابنه الحكم ولقبه المنتصر[2]

ولما مات استخلف بعده ابنه الحكم ، وكان الحكم صارماً حازماً وهو أول من استكثر من المماليك بالأندلس ، وارتبط الخيل ببابه[3] ، وتشبه بالجبابرة[4].

---

١) ينظر جانب من سيرته: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٦١/٤ ؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٢ ؛ ابن حزم، رسائل ابن حزم، ١٩٢/٢ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٣ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٤٢/١- ٤٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٦٥- ٦٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢/٢- ١٧.

٢) لم نجد في المصادر التي بين أيدينا أن الحكم بن هشام لقب بالمنتصر، ولكنه كان يلقب بالحكم الربضي لأنه أوقع بأهل محلة الربض الذين ثاروا ضده، الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٣ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٧٤.

٣) قيل إن الأمير الحكم أول من جعل للملك بأرض الأندلس أبهة، واستعد بالمماليك حتى بلغوا خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٧٥ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٣٨/١.

٤) اختلف في سيرته فذهب البعض إلى أنه كان مسرفاً طاغياً مجاهراً بالمعاصي سفاكاً للدماء، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٦ ؛ رسائل ابن حزم، ١٩٢/٢ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٣. فيما امتدحه آخرون وقالوا: إنه كان شُجاعَ النفس، باسطَ الكَف، عظيم العَفْو، متخيراً لأهلٍ عمله ولأحكام رعيته أورعَ من يقدر عليهم وأفضلَهم، فيسلطهم. على نَفسه فضلاً عن ولده وسائر خاصّته. وكان له قاض قد كَفاه أمورَ رعيّته بفَضْله وعَدله ووَرعه وزُهده، وكانت للحكم ألف فَرس مَرْبوطة بباب قَصره على جانب النَهر، عليها عَشرة عُرفاء، تحت يدِ كل عَريف منها مائةُ فرس لا تُندب ولا تَبْرح، فإذا بلغه عن ثائر في طَرفٍ من أطرافه عاجَله قبل استحكام أمره، فلا يَشعر حتى يحاط به، ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٦١/٤ ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٣ ؛ ابن حيان المقتبس=

وكان يباشر الأمور بنفسه ، وكان فصيحاً شاعراً ولما ولي خرج عليه عمّاه سليمان وعبد الله ، وكانا في برّ العدوة الغربية ، فعبر عبد الله البلنسي إلى الأندلس ، فتولى بلنسية ، وتبعه أخوه سليمان ، وكان بطنجة ، وأقبلا يؤلبان الناس على الحكم ، ويثيران الفتنة ، فتحاربوا مدة والظفر للحكم.

ثم إن الحكم ظفر بعمّه سليمان ، فقتله سنة أربع وثمانين ومائة ، وأما عبد الله فأقام ببلنسية ، وقد كفّ عن الفتنة ، وخاف ، فراسل الحكم في الصلح ، فأجابه إلى ذلك ، فوقع الصلح بينهما سنة ست وثمانين ، وزوج أولاد عبد الله بأخواته ، وسكنت الفتنة[1].

=(الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص٢٢٧ وما بعدها ، وقال: وعلى كثرة محاسنه إلا أن الفقيه بن حزم (عفى على جميع ما ذكر من محاسن هذا الخليفة... بقوله في رسالته... ومن المجاهرين بالمعاصي، السفاكين للدماء لدينا... فقد كان مع جبروته يخصي من اشتهر بالجمال من أبناء رعيته، ليدخلهم إلى قصره، ويصيرهم في خدمته...)، ص٢٣٣ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٤٣/١ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥/٢- ١٦.

١) ذكر ابن حيان أنه في سنة ١٨١هـ: عبر عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي عمّ الأمير الحكم إلى الأندلس من تاهرت إلى أرض العدوة منازعاً الحكم سلطانه فتوجه إلى الثغر، وكان أهل الثغر مضطربون على الأمير الحكم وفي مقدمتهما قواده عبد الملك وعبد الكريم ابني عبد الواحد بن مغيث، فانضم إليهما عبد الله البلنسي فحاولوا جميعا الإستيلاء على سرقسطة إلا أن واليها أبو صفوان تمكن من هزيمتهم ففر عبد الله البلنسي إلى قارلة ملك الفرنجة مستنجداً به، ولما كانت سنة ١٨٢هـ عبر سليمان بن عبد الرحمن المعروف بالشامي عمّ الأمير الحكم من المغرب إلى الأندلس لمساندة أخيه عبد الله ضد الأمير الحكم، فتقدم سليمان نحو قرطبة فالتقى مع الأمير الحكم في قيجيطة فانهزم سليمان، ثم اجتمع إليه عدد من البربر وأقبل نحو الأمير الحكم فالتقى معه في بركلون من أرض إستجة فانهزم مرة أخرى ثم عاود سنة ١٨٤هـ فاشتدت الحرب بينهم فانهزم سليمان نحو ماردة فأدركه الطلب وأسر فأمر الأمير عبد الرحمن بقتله وأعطى لولده الأمان، أما عبد الله البلنسي فإنه بعد أن آيس من الثغر التجأ إلى بلنسية وكاتب ابن أخيه الأمير الحكم وترددت الرسل بينهم إلى سنة ١٨٧هـ فانعقد الأمان على أن يجري الرزق عليه ألف دينار كل شهر، وأن يسكن في بلنسية ولا يحق له مغادرتها ولا أن يدخل الحضرة، وأخذ العهد عليه الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، ثم استدعى الأمير الحكم أبناء أخيه وزوج أحدهم ابنته عزيزة وزوج آخر شقيقته أم سلمة، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص٩٣- ١٠٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٠/٢- ٧١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١١/٢٣- ٢١٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤- ١٢٦.

ولما اشتغل الحكم بالفتنة مع عمّيه اغتنم الفرنج الفرصة ، فقصدوا بلاد الإسلام ، وأخذوا مدينة برشلونة واتخذوها داراً ونقلوا أصحابهم إليها ، وتأخرت عساكر المسلمين عنها ، وكان أخذها سنة خمس وثمانين ومائة[1].

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

في هذه السنة سيّر الحكم ، صاحب الأندلس ، جيشاً مع عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فدخل البلاد ، وبثّ السرايا ينهبون ، ويقتلون ، ويحرقون البلاد ، وسيّر سرية ، فجازوا خليجاً من البحر كان الماء قد جزر عنه ، وكان الفرنج قد جعلوا أموالهم وأهليهم وراء ذلك الخليج ، ظناً منهم أن أحداً لا يقدر أن يعبر إليهم ، فجاءهم ما لم يكن في حسابهم ، فغنم المسلمون جميع مالهم ، وأسروا الرجال وقتلوا منهم فأكثروا وسبوا الحريم ، وعادوا سالمين إلى عبد الكريم.

وسيّر طائفة أخرى ، فخربوا كثيراً من بلاد فرنسيّة ، وغنم أموال أهلها وأسروا الرجال ، فأخبره بعض الأسرى أن جماعة من ملوك الفرنج قد سبقوا المسلمين إلى وادٍ وعر المسلك على طريقهم ، فجمع عبد الكريم عساكره ، وسار على تعبئة ، وجدّ السير ، فلم يشعر الكفار إلا وقد خالطهم المسلمون ، فوضعوا السيف فيهم ، فانهزموا وغنم ما معهم ، وعاد سالماً هو ومن معه[2].

---

1) ينظر أحداث سنة ١٨٥هـ.

2) ذكر ابن عذاري في حوادث سنة ١٨٠هـ قال: لما بويع الحكم (واستوسق له الأمر، وجه عبد الكريم بن عبد الواحد غازياً إلى دار الحرب، في جيش عظيم؛ فاحتل عبد الكريم بالثغر؛ وتوافت عليه الجيوش. ثم تقدم، فاحتل على شاطئ البحر، وقسم الجيش على ثلاثة أقسام، وقدم على كل قسم رئيسا، وأمر كل واحد منهم بأن يغير على الناحية التي قصدها ووجه إليها؛ فمضوا، وأغاروا، واستباحوا، وانصرفوا غانمين ظافرين. ثم عادوا ثانية إلى الإغارة، وجاوزوا خلجا كانت تمد وتحصر؛ وكان أهل تلك النواحي قد تحرزوا بها، ونقلوا إليها العيال والماشية والأموال ؛ فأغاروا عليها، واحتووا على جميع ما وجدوا فيها، وانصرفوا سالمين غانمين)البيان المغرب، ٦٩/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص١٠٣ إذ ذكر الرواية بشكل مقتضب ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٠/٢٣- ٢١١ .

حوادث سنة إحدى وثمانين ومائة

ذكر من خالف بالأندلس على صاحبها

وفي هذه السنة خالف بهلول بن مرزوق[1] ، المعروف بأبي الحجاج في ناحية الثغر من بلاد الأندلس ، ودخل سرقسطة وملكها فقدم على بهلول فيها عبد الله بن عبد الرحمن ، عمّ صاحبها الحكم ، ويعرف بالبلنسي ، وكان متوجهاً إلى الفرنج.

وخالف فيها عبيدة بن حميد[2] بطليطلة ، وأمر الحكم القائد عمروس ابن يوسف[3] ، وهو بمدينة طلبيرة[4] ،أن يحارب أهل طليطلة فكان يكثر قتالهم ، وضيّق

---

١) هو بهلول بن مرزوق بن أسكرى، أحد الثوار في الثغر الأعلى، كان لأبيه ثلاثون ولدا ذكراً، استولى هو وولده على حصن ومنش من حوز بربطانية، فأراد بنو سلمة التجيبيون محاربته فهادنهم وأخذوا ابنه مرزوق رهينة، وكان أجمل بني أبيه، فضمه والي وشقة التجيبي إليه، فاتفق مع جارية لبني سلمة علقته، فأخذ أموالا لهم وهرب مع الجارية، عندها هاجم بنو سلمة حصن مونش بحثاً عن بهلول حيث أقارب بهلول، فأخبروهم أنه لا عهد لهم به وأنه رهينة عندهم فقبلوا منهم، أما بهلول فلحق ببرشلونة إذ كانت له هناك خؤولة، وبقي هناك مدة، لحق بعدها بقرية شلقوة من بسيط بربطانية من عمل بريشتر وكان له فيها أخت وصهر، وكان عامل القرية من بني سلمة سيء السيرة فوثب عليه بهلول مع بعض أهل القرية فقتلوه، وتحصنوا بحصن ربرش من عمل وشقة وتمكن من هزيمة قوة لبني سلمة جاؤوا لقتاله، فدعا بالأمر لنفسه ووعد أهل تلك المناطق أن يحسن السيرة فيهم فدانوا له وأعانوه على بني سلمة التجيبيين، ثم قصد مدينة وشقة فدخلها وملكها ودان له أهلها، كما دخل سرقسطة وملك طرطوشة وامتد نفوذه إلى طليطلة، ثم ثار عليه خادم له يعرف بخلف بن راشد بن أسد وتمكن من قتله واستولى على ما في يديه، ينظر التفاصيل: العذري، ترصيع الأخبار، ص٥٧- ٦١ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص١٠٤.

٢) ورد اسمه عند ابن حيان (ابن خمير)وعند ابن عذاري (عبيدة بن حميد)وعند النويري (عبيدة بن حسير)وعند ابن خلدون (عبيدة بن عمير)، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص١٠٥ ؛ البيان المغرب، ٦٩/٢ ؛ نهاية الأرب، ٢٣/ ٢١١ ؛ تاريخ، ١٢٦/٤.

٣) وهو عمروس بن يوسف كان من المولدين من أهل وشقة، وكان أول الأمر في خدمة مطروح بن سليمان الأعرابي، وبعد مقتله انتقل إلى خدمة الأمير الحكم، ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص١٠٨ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٧.

٤) طلبيرة ، قال الحميري: (أقصى ثغور المسلمين، وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين، وهي قديمة أزلية على نهر تاجه، ... ،وهي مدينة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصناً، ومدينتها أشرف البلاد حسناً، وهو بلد واسع الساحة كثير المنافع به أسواق وديار حسنة، ولها على نهر تاجه أرحاء كثيرة، ولها عمل واسع ومزارعها زاكية وبينها و بين طليطلة سبعون=

عليهم ؛ ثم إن عمروس بن يوسف كاتب رجالاً من أهل طليطلة يعرفون ببني مخشي ، واستمالهم ، فوثبوا على عبيدة بن حميد وقتلوه ، وحملوا رأسه إلى عمروس ، فسيّر الرأس إلى الحكم ، وأنزل بني مخشي عنده ، وكان بينهم وبين البربر الذين بمدينة طلبيرة ذُحُول ، فتسور البربر عليهم فقتلوهم ، فسيّر عمروس رؤوسهم مع رأس عبيدة إلى الحكم وأخبره الخبر[1] ، ثم إن عمروس أعمل جهده في استجلاب أهل طليطلة بمكاتبتهم حتى أدخلوه المدينة فلما تمكن منها بنى القصر على باب جسرها فأحكمه ، وأتقن أمره ، ثم سعى في قتل رجال طليطلة ، وقطع شرهم ، وحسم دائهم ، توطيداً للمملكة ، فأعدّ للكيد صنيعاً ، أظهر أنه يذبح فيه البقر وأمر أن يكون دخول الناس على باب وخروجهم من باب آخر ، فمن دخل منهم عُدِلَ به إلى موضع آخر فقتلوه ، حتى قتل منهم سبع مائة رجل ، فاستقامت تلك الناحية[2].

حوادث سنة اثنتين وثمانين ومائة

وفيها جاز سليمان بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، إلى بلاد الأندلس من الشرق ، وتعرض لحرب بن أخيه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ، صاحب البلاد ،

=ميلاً)صفة، ص١٢٧- ١٢٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس، (تحقيق العربي)ص١٥٧، و(الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)ص٢٥٤ ؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٨٩ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٧ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥١/٢ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٩١ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥.

١) قال ابن عذاري: في سنة ١٨١هـ (ثار عبيدة بن حميد بطليطلة؛ فنصب الحكم عمروس بن يوسف لحربه من طلبيرة؛ فكان يتردد لحربهم؛ ثم إن عمروس كاتب رجالاً من أهل طليطلة، واستلطفهم حتى مالوا إليه؛ فدعاهم إلى القيام على عبيدة، والفتك به؛ ووعدهم على ذلك بمثوبة جليلة من الأمير؛ فبدروا إليه، وقتلوه، وتوجهوا برأسه إلى عمروس؛ فأنزلهم عند نفسه بطلبيرة. فلما علم بهم بعض برير طلبيرة، وكانت بينهم دماء، دخلوا عليهم تلك الليلة الدار؛ فقتلوهم. فبعث عمروس برأس عبيدة وبرؤوس المذكورين، وهم بنو مخشي إلى الحكم بقرطبة، وكتب إليه يخبرهم)البيان المغرب، ٦٩/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص١٠٥؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/ ٢١١؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٦/٤.

٢) ينظر التفاصيل في حوادث سنة١٩١هـ.

فسار إليه الحكم في جيوش كثيرة ، وقد اجتمع إلى سليمان كثير من أهل الشقاق ومن يريد الفتنة ، فالتقيا واقتتلا واشتدت الحرب ، فانهزم سليمان واتبعه عسكر الحكم ، وعادت الحرب بينهم ثانية في ذي الحجة ، فانهزم فيها سليمان ، واعتصم بالوعر والجبال ، فعاد الحكم.

ثم عاد سليمان فجمع برابر ، وأقبل إلى جانب إستجة ، فسار إليهم الحكم ، فالتقوا واقتتلوا سنة ثلاث وثمانين ومائة ، واشتد القتال ، فانهزم سليمان ، واحتمى بقرية ، فحصره الحكم ، وعاد سليمان منهزماً إلى ناحية فريش[١][٢].

وفيها كان بقرطبة سيل عظيم[٣] ، فغرق كثير من ربضها القبلي ، وخرّب كثير منه ، وبلغ السيل شقندة[٤].

حوادث سنة ثلاث وثمانين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها كانت بالأندلس فتنة وحرب بين قائد كبير يقال له أبو عمران وبين بهلول ابن مرزوق ، وهو من أعيان الأندلس ، وكان عبد الله البلنسي مع أبي عمران ، فانهزم أصحاب بهلول ، وقتل كثير منهم[٥].

---

١) فريش قال الحميري: (موضع بالأندلس بين الجوف والغرب من قرطبة ، فيها معدن رخام ، والغالب على أشجارها القسطل ، وبها معدن حديد ، وتتصل أحواز فِرّيش بأحواز فحص البلوط ، وبينها وبين قرطبة مرحلتان)صفة ، ص١٤٣ ؛ ينظر أيضا : ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص٢٠-٢١ وقال إنها مدينة ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٥٤٧/٢ وقال: إنها حصن ؛ السمعاني ، الأنساب ، ٣٧٩/٤ وقال: هي بلدة بالأندلس تقارب قرطبة يكون بها الرخام الجيد ؛ ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص٢٠٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٦٥/٢.

٢) سبق أن ذكر هذه الحادثة عند تولية الأمير الحكم حيث أشار إليها مجملاً ثم فرق ذكرها على السنين حسب وقوعها ، ينظر التعليق حوادث سنة ١٨٠هـ.

٣) قال ابن عذاري: (في سنة ١٨٢ ، كان السيل العظيم بقرطبة ، ذهب بربض القنطرة؛ ولم يبق فيه داراً إلا هدمها ، حاشى غرفة عون العطار. وبلغ السيل شقندة)البيان المغرب ، ٧٠/٢.

٤) شقندة قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها ، الحميري ، صفة ، ص١٠٤.

٥) قال ابن حيان: (فيها – إلى أقاصيص ابني عبد الرحمن بن معاوية مع ابن أخيهما الأمير الحكم – اضطربت حال أهل الثغر الأعلى بالتياث وقع ما بين بهلول بن أبي الحجاج ، وأبي عمران وبني=

حوادث سنة أربع وثمانين ومائة

وفيها سار عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي إلى مدينة أشقة[1] من الأندلس ، فنزل بها مع أبي عمران ، ومع العرب ، فسار إليهم بهلول بن مرزوق ، وحاصرهم فيها فتفرق العرب عنهم ، ودخل بهلول مدينة أشقة ، وسار عبد الله إلى مدينة بلنسية فأقام بها[2].

حوادث سنة خمس وثمانين ومائة

وفيها جمع الحكم صاحب الأندلس عساكره ، وسار إلى عمّه سليمان بن عبد الرحمن ، وهو بناحية فريش ، فقاتله ، فانهزم سليمان ، وقصد ماردة ، فتبعه طائفة من عسكر الحكم فأسروه فلما حضر عند الحكم قتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة ، وكتب إلى أولاد سليمان وهم بسرقسطة كتاب أمان ، واستدعاهم ، فحضروا عنده بقرطبة[3].

وفيها ملك الفرنج ، لعنهم الله ، مدينة برشلونة بالأندلس ، وأخذوها من المسلمين ،

=سلمة ، وكانوا قبل ذلك يداً واحدة ، فاختلفوا ، ثم تقاطعوا والتقوا ، فوقعت حرب بليانه أياماً ، فانهزمت العرب المنضوون إلى بني سلمة ، وانهزم بنو قسي... وكان عبد الله بن الأمير عبد الرحمن عم الأمير الحكم في هذا الوقت مع أبي عمران سعى للفساد جهده)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١١٥.

١) وردت عند ابن حيان أنه سار إلى مدينة وشقة ، ينظر أدناه. ووشقة من مدن الثغر الأعلى الأندلسي شرق سرقسطة ، وصفها الحميري (مدينة حصينة بالأندلس لها سوران من حجر بينها وبين سرقسطة خمسون ميَلاً)صفة ، ص١٩٤- ١٩٥ ؛ ينظر أيضاً : اليعقوبي، البلدان، ص١١١ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)ص١٤٧ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٥٥- ٥٦ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٨ وأسماها أشقة ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٩٣ ؛ ابن سعيد ، المغرب، ٤٦٠/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٣٠.

٢) قال ابن حيان: (وفيها دخول الأمير المعروف بالبلنسي مدينة وشقة مع العرب، فصار بها ، وغزاهم بهلول بن أبي الحجاج، فنازلهم بوشقة ، وحاصرهم حتى فتحها ، وتفرق العرب عنها ، ففارقهم عبد الله البلنسي، ولجأ إلى كورة بلنسية ، فكان نجمه فحل بها في هذا العام)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص١١٦ ؛ ينظر أيضاً : العذري، ترصيع الأخبار، ص٥٧- ٦٠.

٣) ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١١٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٠/٢ وجعل مقتل سليمان بن عبد الرحمن الداخل سنة ١٨٤هـ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٢/٢٣ وجعل مقتل سليمان سنة ١٨٣هـ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤ وجعل مقتله سنة ١٨٤هـ.

ونقلوا حماة ثغورهم إليها وتأخر المسلمون إلى ورائهم ، وكان سبب ملكهم إياها اشتغال الحكم صاحب الأندلس بمحاربة عمّيه عبد الله وسليمان[1] على ما تقدم.

حوادث سنة ست وثمانين ومائة

ذكر اتفاق الحكم وعمّه عبد الله

في هذه السنة اتفق الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ، أمير الأندلس ، وعمّه عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي.

وسبب ذلك أن عبد الله لما سمع بقتل أخيه سليمان عظم عليه ، وخاف على نفسه ، ولزم بلنسية ولم يفارقها ولم يتحرك لإثارة فتنة ، وأرسل إلى الحكم يطلب المسالمة ، والدخول في طاعته ، وقيل بل الحكم أرسل إليه رسلاً وكتب إليه يعرض عليه المسالمة ، ويؤمنه ، ويبذل له الأرزاق الواسعة ، ولأولاده ، فأجاب عبد الله إلى الاتفاق ، واستقرت القاعدة بينهم على يد يحيى بن يحيى[2] ، صاحب مالك ، وغيره من العلماء ؛ وزوّج الحكم أخواته من أولاد عمّه عبد الله ، وسار إليه عبد الله ، فأكرمه الحكم ، وعظم محله ، وأجرى له ولأولاده الأرزاق الواسعة والصلات السنية[3].

---

١) قال ابن حيان: (فيها غلب العدو من الفرنجة – قصمهم الله – على مدينة برشلونة، قاصية ثغر المسلمين الشرقي مما يليهم، انتهز فيها الفرصة أيام اضطراب أهل الثغر الأعلى على الأمير الحكم، واشتغاله عنهم بحرب عمّيه، سليمان وعبد الله ابني الأمير عبد الرحمن بن معاوية، فأصاب العدو غرته من المسلمين، وفلّ ثغرهم هذا، فحازه إليه، ونقل رابطته إليه، وقهر برابطة المسلمين إلى ما دون برشلونة، وأناخ عليها بكلكله، وحصرها بجمعه، وأميرها يومئذ سعدون الرّعينيّ، لم يمده أحد من المسلمين، فملكها العدو عليهم، وانتقلت إليها يومئذ رابطة الفرنجة عن مدينة جرندة، فعظمت بذلك على أهل الإسلام الحسرة)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١١٦-١١٧ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢١٢/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، (تحقيق بوباية)ص١٨١ ولكنه جعلها في سنة ١٩٥هـ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٣٩/١؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٢٣٥- ٢٣٦.

٢) هو يحيى بن يحيى بن كثير أصله من مصمودة وتولى بني الليث فقيل الليثي نسبة إليهم كان عالماً محدثاً على مذهب مالك توفي سنة ٢٣٤هـ، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٣١- ٤٣٢.

٣) قال ابن عذاري: (وفي سنة ١٨٦ ،أخرج الحكم إلى عمّه عبد الله البلنسي أماناً؛ وهو أول خروج كان إليه، وأول مكاتبة كانت بين الحكم وبينه بعد حلوله ببلنسية)البيان المغرب، ٧٠/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن سعيد، المغرب، ١٤٦/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٢/٢٣- ٢١٣.

وقيل إن المراسلة في الصلح كانت هذه السنة ، واستقر الصلح سنة سبع وثمانين ومائة[1].

ذكر عدة حوادث

وفيها... توفي شقران بن علي الزاهد[2] بالأندلس ، وكان فقيهاً.

حوادث سنة سبع وثمانين ومائة

ذكر ملك الفرنج مدينة تطيلة[3] بالأندلس

في هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالأندلس ؛ وسبب ذلك أن الحكم صاحب الأندلس استعمل على ثغور الأندلس قائداً كبيراً من أجناده ، اسمه عمروس بن يوسف ، فاستعمل ابنه يوسف على تطيلة ، وكان قد انهزم من الحكم أهل البيت من الأندلس أولو قوة وبأس ، لأنهم خرجوا عن طاعته ، فالتحقوا بالمشركين ، فقوي أمرهم ، واشتدت شوكتهم ، وتقدموا إلى مدينة تطيلة فحصروها

---

١) ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١١٩.

٢) لم يرد أنه من أهل الأندلس، قال ابن ماكولا: (شقران بن على الإفريقى صاحب الفرائض كان رجلا صالحاً وله أخبار في فضل عبادته توفى بالمغرب سنة ست وثمانين ومائة)الإكمال، ٥٩/٥ ؛ وقال ابن حجر: شقران بن علي الزاهد ، شيخ ذي النون المصري، كان يعرف بالفرضي؛ لأنه يحث الناس على العمل بالفرائض، وقيل: لكونه كان يعرف علم الفرائض)المشتبه، ١١٠٥/٢؛ وقيل إنه من أهل القيروان وتوفي فيها ، الزركلي، الأعلام، ١٧٠/٣.

٣) تطيلة ، وصفها الحميري بالقول: إنها مدينة (مدينة بالأندلس في جوفي وشقة ، وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة ، ويطيف بجنات تطيلة نهر كالش، وهي من أكرم تلك الثغور تربة يجود زرعها ويدر ضرعها وتطيب ثمرتها وتكثر بركتها ، وأهل تطيله لا يغلقون أبواب مدينتهم ليلاً ولا نهاراً قد انفردوا بذلك من بين سائر البلاد)صفة ، ص٦٤ ؛ ينظر أيضاً: اليعقوبي، البلدان، ص١١١ وقال هي محاذية لأهل الشرك يقال لهم البسكنس؛المقدسي،أحسن التقاسيم، ص١٩٤ ؛ البكري، جغرافية الأندلس،ص٩٠-٩١ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٣/٢ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص١٣١ وقال: (تطيلة من بلاد الأندلس بينها وبين مدينة سرقسطة خمسون ميلا وهي محاذية لأهل الشرك الذين يسكنون بمبلونة يقال لهم البشقنس ولسانهم البشقنة غير لسان الجلالقة، قال الرازي: ابتنيت في أيام الحكم بن هشام)؛ الزهري، الجغرافيا، ص٨٢ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٤٩/٢.

وملكوها من المسلمين ، فأسروا أميرها يوسف بن عمروس ، وسجنوه بصخرة قيس[1].

واستقر عمروس بن يوسف بمدينة سرقسطة ليحفظها من الكفار ، وجمع العساكر ، وسيّرها مع ابن عمّ له ، فلقي المشركين ، وقاتلهم ، ففض جمعهم ، وهزمهم ، وقتل أكثرهم ، ونجا الباقون منكوبين ، وسار الجيش إلى صخرة قيس ، فحصروها وافتتحوها ولم يقدر المشركون على منعها منهم ، لما نالهم من الوهن بالهزيمة ؛ ولما فتحها المسلمون خلصوا يوسف بن عمروس أمير الثغر ، وسيّروه إلى أبيه ؛ وعظم أمر عمروس عند المشركين ، وبعد صوته فيهم ، وأقام في الثغر أميراً عليه[2].

---

١) صخرة قيس، إحدى حصون البشكنس تقع إلى الشمال الغربي من بنبلونة على ضفاف نهر أرغة القريبة من تطيلة ، ينظر: ابن حيان، المقتبس(الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ)ص١١٩-١٢٠ ؛ العلياوي، البشكنس، ص٨٩.

٢) ذكر ابن حيان الرواية بتفصيل أكثر قال: (قلد الأمير الحكم عمروس بن يوسف الثغر الأعلى، في سنة ست وثمانين ومائة ، فخرج إليه، وقابل أهل الخلاف فيه، فقتل رأسهم بهلول بن مرزوق، وجماعة إليه من بني قسي وغيرهم، وبنى جبل تطيلة، فاتخذه قاعدة نفيسة لحقت بأمهات المدن، وضم إليها من كان فيها من المسلمين وحواليها ، وقلد يوسف ابنه في نخبة من رجاله أشجوا العدو يضربون بسد وجهه، ولج بني قسي الخلاف، فلجأوا إلى الشرك، وألبوا أهل بنبلونة وألبة والقلاع وأماية وما والاهم من الشرطانيين وغيرهم، وأجلبوا على عمروس مجلبهم، وقد استغلظ أمره بالثغر، وتفرد بملكه، وكان ينزل قاعدته سرقسطة وينزل ابنه يوسف تطيلة، وينزل ابن عمه شبريط وشقة، فغزا فرتون الأعرج القسوي في جموع الشرك يوسف بن عمروس بتطيلة ونازله حتى فتحها وأسر يوسف، فبعثه إلى صخرة قيس فحبسه فيها ، وقام أبوه عمروس لاستنقاذه، فجمع الجموع ولاقى فرتون ومن معه، فجرت بينهم حرب شديدة، انهزم عنها فرتون وأحزابه من المشركين، فقتلوا قتلا ذريعاً ، وتقدم شبريط ابن عمّ عمروس إلى صخرة قيس، فنازلها وفتحها ، فقتل من ألفى فيها ، واستنقذ ابن عمه يوسف، فجاء به إلى عمروس والده، وانتصر عمروس من أعداءه انتصارا لا كفاء له)المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ) ص١١٨-١١٩؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٨- ٢٩؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٣/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٦/٤.؛ العلياوي، البشكنس، ص٨٨- ٨٩.

ذكر إيقاع الحكم بأهل قرطبة[1]

كان الحكم في صدر ولايته تظاهر بشرب الخمر والانهماك في اللذات ، وكانت قرطبة دار علم ، وبها فضلاء في العلم والورع ، منهم: يحيى بن يحيى الليثي ، راوي موطأ مالك[2] عنه ، وغيره ، فثار أهل قرطبة ، وأنكروا فعله ، ورجموه بالحجارة ، وأرادوا قتله ، فامتنع منهم بمن حضر من الجند وسكن الحال.

ثم بعد أيام اجتمع وجوه أهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني ، عمّ هشام بن حمزة[3] ، وأخذوا له البيعة على أهل البلد ، وعرفوه أن

---

1) جعل مؤلف مجهول هذه الحادثة سنة ١٨٩هـ، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٨١.

2) أبو عبد الله مالك ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة، وهو حمير الأصغر الحميري ثم الاصبحي المدني، حليف بني تيم من قريش، ولد سنة ٩٣هـ، سكن المدينة، وطلب مالك العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للافادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق، روى عن نافع، وسعيد المقبري، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وابن المنكدر، والزهري، وعبد الله بن دينار وغيرهم، سكن المدينة المنورة، وله كتاب الموطأ في الفقه، توفي سنة ١٧٩هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٥/٤- ١٣٩ ؛ الذهبي، سير، ٤٨/٨- ١٢٥.

3) لم نعثر في أسماء نسب الأمويين من اسمه محمد بن القاسم ، وهشام بن حمزة، وذكر محمود علي مكي أنه: محمد بن القاسم بن عبد الملك بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ابن عمّ الأمير الحكم وأشار في ذلك إلى ابن حزم، ولم نجد ذلك عند ابن حزم وإنما قال: (... وكان منهم محمد، وعبد الرحمن، وهشام، وعبد الملك، انقرضوا، وأخوهم الحكم: بنو القاسم بن محمد بن إسماعيل بن هشام اللسن الداهية بن محمد بن هشام بن الوليد بن هشام الأمير الرضى. للحكم المذكور ابن اسمه عبد الملك أمّه بنت صاحبنا...)جمهرة أنساب العرب، ص٦٩ ؛ المقتبس، (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، هامش رقم (٣٤)؛ وواضح أن القاسم بن محمد المشار إليه هنا كان ابنه معاصراً لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ وهو بعيد عن عصر الأمير الحكم المتوفي سنة ٢٠٦هـ ؛ وقد اختلفت رواية ابن القوطية إذ ذكر إنهم قصدوا ابن عمّ له يعرف بابن الشماس من ولد منذر بن عبد الرحمن بن معاوية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٨، ويبدو أن رواية ابن القوطية هي الأرجح لأن ابن حزم أشار إلى أن له بقية من ولده في قرطبة، جمهرة أنساب العرب، ص٩٤.

الناس قد ارتضوه كافة ، فاستنظر ليلة ليرى رأيه ، ويستخير الله ، سبحانه وتعالى ، فانصرفوا فحضر عند الحكم ، وأطلعه على الحال ، وأعلمه أنه على بيعته ، فطلب الحكم تصحيح الحال عنده ، فأخذ معه بعض ثقات الحكم ، وأجلسه في قبة في داره ، وأخفى أمره ، وحضر عنده القوم يستعملون منه هل تقلد أمرهم أم لأن فأراهم المخافة على نفسه ، وعظم الخطب عليهم ، وسألهم تعداد أسمائهم ومن معهم ، فذكروا له جميع من معهم من أعيان البلد ، وصاحب الحكم يكتب أسماءهم ؛ فقال لهم محمد بن القاسم: يكون هذا الأمر يوم الجمعة ، إن شاء الله ، في المسجد الجامع.

ومشى إلى الحكم مع صاحبه ، فأعلماه جلية الحال ، وكان ذلك يوم الخميس ، فما أتى عليه الليل حتى حبس الجماعة المذكورين عن آخرهم ، ثم أمر بهم ، بعد أيام ، فصلبوا عند قصره ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً[1] منهم: أخو يحيى بن يحيى[2] ، وابن أبي كعب[3] ، وكان يومهم يوماً شنيعاً فتمكنت عداوة الناس للحكم[4].

---

١) قال ابن الفرضي: إن الأمير الحكم نصب لهم مائة وأربعين جذعاً صلبوا عليها ، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٢٩.

٢) عند ابن حيان: يحيى بن مضر الفقيه، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٢٤ ؛ وهو يحيى بن مضر القيسي من أهل قرطبة سمع سفيان الثوري ومالك بن أنس، كان عالماً متفنناً صاحب رأي قتله الأمير الحكم سنة ١٨٩هـ بسبب هيجة الربض الأولى، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٢٩.

٣) عند ابن حيان: أبو كعب بن عبد البر، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٢٤.

٤) قال ابن عذاري: (مقتل أهل الربض أولا قبل هيجه ثانية ، وفي سنة ١٨٩ ، صلب الإمام الحكم اثنين وسبعين رجلاً بقرطبة، منهم أبو كعب بن عبد البر، ويحيى بن مضر، ومسرور الخادم. وكان السبب في ذلك أنهم أرادوا الغدر به، وهموا بالخلاف عليه؛ وطلبوا رئيسا يقومون به. فوقع الخبر على محمد بن القاسم عمّ هشام بن حمزة، وأطلعوا على أمرهم، ودعوه للقيام معهم؛ فخذلهم، وأفشى سرهم، وتقرب إلى الحكم بدمائهم. فتثبت الحكم، وسأله تصحيح ما رفع إليه؛ فقال له: هات أمناءك، فأخفاهم عنده، ووجه عنهم لميعاده؛ ثم قال لهم: هذا الذي تدعونني إليه لا أثق بمن سميتم، دون أن أسمع منهم كما سمعت منكم؛ فتطيب نفسي، وأدخل في الأمر على قوة وبصيرة فأتوه، وسمع مقالتهم، والأمناء بحيث يرون ويسمعون. فلما صح عند الحكم أمرهم بشهادة الأمناء عليهم، أخذهم وصلبهم جميعا بمردة واحدة)البيان المغرب، ٧١/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٢١- ١٢٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٣/٢٣.

حوادث سنة ثمان وثمانين ومائة

وفيها توفي شُهَيد بن عيسى بالأندلس وعمره ثلاث وتسعون سنة ؛ وكان دخوله الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية[1]. شُهَيد بضم الشين المعجمة ، وفتح الهاء.

حوادث سنة إحدى وتسعين ومائة

ذكر الفتنة من أهل طليطلة وهو وقعة الحفرة[2]

في هذه السنة أوقع الأمير الحكم بن هشام الأموي ، صاحب الأندلس ، بأهل طليطلة ، فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهلها.

وسبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الأمراء ، وخلعوهم مرة بعد أخرى ، وقويت نفوسهم بحصانة بلدهم وكثرة أموالهم ، فلم يكونوا يطيعون أمراءهم طاعة مرضية ، فلما أعيا الحكم شأنهم أعمل الحيلة في الظفر بهم ، فاستعان في ذلك بعمروس بن يوسف المعروف بالمَوَلد ، وكان قد ظهر في هذا الوقت بالثغر الأعلى ، فأظهر طاعة الحكم ، ودعا إليه ، فاطمأن إليه بهذا السبب ، وكان من أهل مدينة وشقة ، فاستحضره فحضر عنده ، فأكرمه الحكم ، وبالغ في إكرامه ، وأطلعه على عزمه في أهل طليطلة وواطأه على التدبير عليهم ، فولاه طليطلة ، وكتب إلى أهلها يقول: إني قد اخترت لكم فلاناً وهو منكم ، لتطمئن قلوبكم إليه ، وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا ومَوالينا ولتعرفوا جميل رأينا فيكم.

---

1) كان شُهيد بن عيسى من قواد الأمير عبد الرحمن الداخل وابنه الأمير هشام، ففي سنة ١٦٢هـ أرسله الأمير عبد الرحمن الداخل للقضاء على ثورة دحية الغساني في إلبيرة، كما استعمله الأمير هشام في القضاء على ثورة أخيه سليمان سنة ١٧٤هـ، ينظر أخباره: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٣؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص٢٢٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٣/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٣/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٣/٤.

2) أورد ابن حيان خبر وقعة الحفرة بالتفصيل سنة ١٩٠هـ، فيما ذكرها ابن عذارى بشكل مقتضب جداً ضمن أحداث سنة ١٨١هـ، أما النويري فذكرها في أحداث سنة ١٩١هـ، ينظر: المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٠٨ ؛ البيان المغرب، ٦٩/٢- ٧٠ ؛ نهاية الأرب، ٢١٤/٢٣.

فمضى عمروس إليهم ، ودخل طليطلة ، فأنس به أهلها واطمأنوا إليه ، وأحسن عشرتهم ، وكان أول ما عمل عليهم من الحيلة أن أظهر لهم موافقتهم على بغض بني أمية ، وخلع طاعتهم ، فمالوا إليه ، ووثقوا بما يفعله ؛ ثم قال لهم: إن سبب الشر بينكم وبين أصحاب الأمير إنما هو اختلاطهم بكم ، وقد رأيت أن أبني بناء أعتزل فيه أنا وأصحاب السلطان رفقاً بكم ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فبنى في وسط البلد ما أراد.

فلما مضى لذلك مدة كتب الأمير الحكم إلى عامل له على الثغر الأعلى سراً يأمره أن يرسل إليه يستغيث من جيوش الكفرة ، وطلب النجدة والعساكر ، ففعل العامل ذلك فحشد الحكم الجيوش من كل ناحية ، واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن وحشد معه قواده ووزراءه ، فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها ، فأتاه وهو عندها الخبر من ذلك العامل أن عساكر الكفرة قد تفرقت ، وكفى الله شرها فتفرق العسكر ، وعزم عبد الرحمن على العود إلى قرطبة ، فقال عمروس عند ذلك لأهل طليطلة: قد ترون نزول ولد الحكم إلى جانبي ، وإنه يلزمني الخروج إليه وقضاء حقه ، فإن نشطتم لذلك وإلا سرت إليه وحدي ؛ فخرج معه وجوه أهل طليطلة ، فأكرمهم عبد الرحمن ، وأحسن إليهم.

وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادماً له ، ومعه كتاب لطيف إلى عمروس ، فأتاه الخادم ، وصافحه ، وسلم الكتاب إليه من غير أن يحادثه ، فلما قرأ عمروس الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على أهل طليطلة ، فأشار إلى أعيان أهلها بأن يسألوا عبد الرحمن الدخول إليهم ليرى هو وأهل عسكره كثرتهم ، ومنعتهم ، وقوتهم ، فظنوه ينصحهم ، ففعلوا ذلك ، وأدخلوا عبد الرحمن البلد ، ونزل مع عمروس في داره ، وأتاه أهل طليطلة أرسالاً يسلمون عليه.

وأشاع عمروس أن عبد الرحمن يريد أن يتخذ لهم وليمة عظيمة ، وشرع في الاستعداد لذلك ، وواعدهم يوماً ذكره ، وقرر معهم أن يدخلون من باب ، ويخرجون من آخر ليقل الزحام ، ففعلوا ذلك.

فلما كان اليوم المذكور أتاه الناس أفواجاً فكان كلما دخل فوج ، أخذوا وحملوا إلى جماعة من الجند على حفرة كبيرة في ذلك القصر ، فضربت رقابهم عليها ؛ فلما

تعالى النهار أتى بعضهم فلم ير أحدا فقال: أين الناس؟ فقيل: إنهم يدخلون من هذا الباب ، ويخرجون من الباب الآخر ، فقال: ما لقيني منهم أحد ، وعلم الحال ، وصاح ، وأعلم الناس هلاك أصحابهم ، فكان سبب نجاة من بقي منهم ، فذلت رقابهم بعدها وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وأيام ولده عبد الرحمن ، ثم انجبرت مصيبتهم[1] ،

---

١) قال ابن القوطية : (كانت للحكم بالأندلس ثلاث وقائع عظيمة ، فمنها وقيعة بطليطلة ، وذلك أنهم كانوا من الإثارة والطغيان والاستخفاف بالعمال ما لم تبلغه قط رعية من ولاتها ، وكان عندهم غربيب الطليطلي الشاعر، وكان من أهل الحكمة والدهاء، وكان أهل طليطلة يسندون إلى رأيه، فلم يطمع الحكم فيهم أيام غربيب، فلما توفي استقدم عمروس، المعروف بالمولد ، من وشقة ، وهو جد بني عمروس الصيديين، فاختصه، وقرب مكانه، ثم استراح إليه بما في نفسه من أهل طليطلة ، وقال له: إنه لم يبق لي أمل في الانتصاف منهم إلا على يدك، ... فوافقه على ذلك، فولاه طليطلة ، وكتب إلى أهلها كتاباً يخدعهم عن عقولهم، ويقول: إني اخترت لكم رجل من أهلكم وأعفيتكم من موالينا ، ... وحد لعمروس حدودا رجا به بلوغ أمله فيهم، فكان له مما حد له أن قال: إذا أنس أهل طليطلة إليك، وأحلوك محل واحد منهم، بإظهارك لهم في الباطن أنهم أحب إليك من بني أمية ، ...، أن تقول لهم: إني رأيت هذا الشر الحادث بينكم وبين عمال السلطان، انه بمداخلة الحشم لكم ولبنيكم ونسائكم، فكنت أرى أن أبني قصبة في جانب من المدينة ، يسكنها الحشم فيكونون بمعزل عنكم، وتسلمون من شرهم ، فأجابوا إلى أن تكون القصبة في وسط المدينة ، ولا تكون في جانب، فاختاروا الجبل المعروف بجبل عمروس إلى يومنا هذا ، فبنى فيه قصرا واستخرج ترابه من حفرة في وسطه، فلما تم القصر ورحل إليه وسكنه أعلم الحكم بذلك، فعهد إلى بعض قواده في الثغر بأن يحاط بحركة العدو إليه ، ويسأل الجند والنفير، فاستنفر الناس بقرطبة وغيرها ، وأخرج ابنه عبد الرحمن وهو حينئذ ابن أربع عشرة سنة ، وأخرج معه ثلاثة من وزرائه، ...فلما صار العسكر بطليطلة لموضع يعرف بالجيارين، تلقاه الخبر بانصراف العدو ، فقال عمروس لأهل طليطلة : إنه يلزمني الخروج إلى الولد ، أبقاه الله، وواجب عليكم مثل ذلك، فخرج وخرجوا معه حتى أتوه، فلما وصلوا إليه أمر الولد بايصالهم إلى نفسه، وبسط لهم من حسن رأيه ما أنسوا به، ثم خلا عمروس بالوزراء، ودفع الكتاب فقرءوه، فإذا فيه أن يشير عمروس على أهل طليطلة أن يستجلبوا الولد إلى طليطلة ليكرمهم بذلك، وليكونوا من خواصه، ويظهر لهم الولد التعاصي والإباية في دخول طليطلة حتى يعزموا عليه ، فإذا عزموا تعاد لهم، وصار في داخل القصبة، نظر في إقامة صنيع لهم ليطعمهم ويكسوهم ويصطنعم بذلك، وكان في=

وكثروا فلما هلك عبد الرحمن وولي ابنه محمد عاجلوه بالخلع على ما نذكره.

ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله بأهل قرطبة

وفيها عصى أصبغ بن عبد الله[1] ، ووافقه أهل مدينة ماردة من الأندلس ، على الحكم ، وأخرجوا عامله ، واتصل الخبر بالحكم ، فسار إليها وحاصرها ، فبينما هو مجد في الحصار أتاه الخبر عن أهل قرطبة أنهم أعلنوا العصيان له ، فرجع مبادراً فوصل إلى قرطبة في ثلاثة أيام ، وكشف عن الذين أثاروا الفتنة ، فصلبهم منكسين ، وضرب أعناق جماعة ، فارتدع الباقون بذلك ، واشتدت كراهيتهم له.

ولم يزل أهل مادرة تارة يطيعون ، ومرة يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين ، فضعف أمر

=عهده إلى عمروس إذا بنى القصبة أن يكون لها بابان، فسأل القوم ذلك، فتعاصوا ثم أجابوه، فرحل إلى المدينة، ودخلها وصار في القصبة، ثم أمر بأن يحضر ما يقوم به الصنيع في اليوم الثاني، وأمر بإحضار وجوه أهل طليطلة في الحاضرة والبادية، فحضروه، وأمروا بالدخول من باب، وصرفت دوابهم إلى الباب الثاني ليخرجوا منه، ووقف السيافون على شفير الحفرة، وكل من دخل ضربت رقبته، حتى أتى القتل منهم إلى خمسة آلاف وثلثمائة ونيف، وأثبت عبد الرحمن بصره في السيف، فلم تزل غمزة في عينه إلى أن مات، ويحكى أن حكيما من أهل طليطلة لما أتى الباب الذي منه الدخول، ولم يلق في إقباله أحدا خارجا، وقد تعالى النهار، فقال لمن حول الباب من أهل طليطلة: يا صحابنا، وأين أصحابنا الذين دخلوا من غدوة ؟ فقيل له: على الباب الثاني يخرجون، قال: لم ألق أحد منهم منقلبا، ثم رفع بصره فنظر إلى بخار الدم ، فقال: يا أهل طليطلة: السيف والله يعمل فيكم، وهذا بخار الدم لا بخار المطبخة، فكان قوله سبب افتراق الناس وبقاء من بقي منهم، ثم استقامت طاعتهم بقية أيام الحكم، وأيام عبد الرحمن ابنه كلها، إلى أن توفي عبد الرحمن وخلعوا)تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٤- ٦٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٠٨- ١١٥ ؛ الذهبي، سير، ٢٥٩/٨- ٢٦٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٦/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٥/٤- ١٢٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٤/٢٣.

١) وهو أصبغ بن عبد الله بن وانسوس من قبيلة مكناسة البربرية وكان جده وانسوس هو من آوى عبد الرحمن الداخل عندما هرب من العباسيين وقبل دخوله الأندلس، وكانت وفاته سنة ١٩٢هـ ، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨- ٤٩٩ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٣١ ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٧.

أصبغ لأن الحكم تابع إرسال الجيوش إليه ، واستمال جماعة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه ، فمالوا إليه ، وفارقوا أصبغ ، حتى أخوه ، فتحيّر أصبغ ، وضعفت نفسه ، فأرسل يطلب الأمان فأمنه الحكم ، ففارق ماردة ، وحضر عند الحكم ، وأقام عنده بقرطبة[1].

ذكر غزو الفرنج بالأندلس[2]

في هذه السنة تجهز لذريق ملك الفرنج بالأندلس ، وجمع جموعه ليسير إلى مدينة طرطوشة[3] ليحصرها فبلغ ذلك الحكم ، فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن

---

١) قال ابن عذاري: (وفي سنة ١٩٠، خرج الأمير الحكم غازيا إلى ماردة. فلما وصلها، احتلها وحاصرها، وكان بها أصبغ بن عبد الله بن وانسوس ثائرا، وإذا بالخبر وصله أن سواد أهل قرطبة أعلنوا بالنفاق، وتداعوا إلى صاحب السوق بالسلاح؛ وكتب المخلفون إلى الحكم بما حدث بعده وبما ظهر من ضمائر السفلة؛ فصدر قافلا، وطوى المراحل، وقطع الطريق في ثلاثة أيام، ودخل القصر. فهدأ الناس، وسكنت الأحوال، وصار الناس في هدوء وسكون من سنة ١٩٠ إلى سنة ٢٠٢، والتزموا الدعة اثني عشر سنة. وترددت الغزوات سبعة أعوام إلى ماردة، وبها أصبغ بن عبد الله ثائرا متمنعا. وكان سبب ثورته أن عدوا لأصبغ طالبه عند الحكم وأغراه عليه. ثم مشى إلى أصبغ بمثل ذلك، وروعه منه؛ فتوقع العقوبة والسطوة به. فكان ذلك سبب دخوله ماردة وقيامه بها. وتكررت الغارات عليه سبعة أعوام؛ فافتتحت في العام السابع بمحاولة انجلت عن طلب الأمان لأصبغ فأمن، وخرج من ماردة، وصار في مصف الحكم؛ فسكن قرطبة؛ ثم فسح له في الاختلاف إلى ضياعه بماردة حتى التاث أمرها، واضطربت حالها)البيان المغرب، ٧٢/٢ ؛ ينظر أيضاً :ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ)ص١٢٨-١٢٩ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٥/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٧/٤.

٢) جعل ابن حيان وابن عذاري هذه الغزوة سنة ١٩٢هـ، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٢٩ ؛ البيان المغرب، ٧٢/٢، أما النويري فانه ذكرها في أحداث هذه السنة، نهاية الأرب، ٢١٦/٢٣. ولكن ابن حيان أشار إلى أن في هذه السنة (انعقد السلم بين الأمير الحكم وبين قارلة بن ببين ملك الفرنجة بعد تردد الرسل بينهما من أول إمارة الأمير الحكم والتواء حبلها، وكان سبب انعقادها بينهما في هذا الوقت، ظهور إدريس بن عبد الله الحسني بأرض العدوة وفزع الفرنجة، فلم يطل أمر هذا السلم بينهما، حتى هلك الطاغية قارلة سنة إحدى وتسعين ومائة آخرها، وولي مكانه ابنه لذريق بن قارلة فانتفض السلم المذكور ووقعت حرب الفرنجة)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٣٠. ويبدو أن ما ذهبت إليه المصادر الأندلسية من إن هذه الغزوة كانت سنة ١٩٢هـ هو الراجح.

٣) طرطوشة وصفها الحميري قائلاً: (وهي في سفح جبل، ولها سور حصين، وبها أسواق وعمارات وضياع وفعلة، وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا=

فاجتمعوا في جيش عظيم ، وتبعهم كثير من المتطوعة ، فساروا فلقوا الفرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد المسلمين شيئاً فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده ، واستنفد وسعه ، فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين ، فانهزم الكفار ، وكثر القتل فيهم ، والأسر ، ونهبت أموالهم وأثقالهم ، وعاد المسلمون ظافرين غانمين[1].

ذكر عصيان حزم على الحكم

في هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ، ووافقه غيره ، وقصدوا لشبونة ، وكان الحكم يسمي حزماً - في كتبه — النبطي[2] ، فلما سمع الحكم خبره

=يوجد له نظير في الطول والغلظ، ومنه تتخذ الصواري والقرى، ...، ومنها إلى طركونة خمسون ميلاً، وبينها وبين البحر الشامي عشرون ميلاً)صفة، ص١٢٤- ١٣٥ ؛ ينظر أيضاً: الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٥ ؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦١ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦- ١٧ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٥/٢ ؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٤٩ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٢٣/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٣٤- ١٣٥ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٢٣.

١) قال ابن عذاري: (وفي سنة ١٩٢ ، خرج رذريق صاحب إفرنجة إلى جهة طرطوشة؛ فأغزى الحكم ابنه عبد الرحمن في جيش كثيف، وكتب إلى عمروس وعبدون عاملي الثغر بالغزو معه بجميع أهل الثغر. فتقدم عبد الرحمن بالجنود ، وتوافت عليه الحشود ، وحفت به المطوعة. فألفوا الطاغية خارجا إلى بلاد المسلمين. ودارت بينهم حروب شديدة، ثبت الله فيها أقدام المسلمين. فانهزم المشركون؛ وكانت فيهم مقتلة عظيمة؛ ففنى أكثرهم)البيان المغرب، ٧١/٢- ٧٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٦/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٧/٤؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٠/١. واختلفت رواية ابن حيان عن الرواية أعلاه فجعلها غزوتين، إذ قال: إنه في سنة ١٩٢هـ (أغزى الأمير الحكم ابنه عبد الرحمن إلى لذريق بن قارلة ملك الفرنجة المنتفض عليه، إثر ولايته بعد الطاغية قارلة والده، لم بلغه أنه خارج في جيوشه إلى أرض المسلمين، وأغزا ابنه هشاماً أيضاً، إلى كفرة جليقية فأتاها من جهة غربي الأندلس، فأنجح كلا الغزوتين، واجتزئ هذا العام على غزوتين عقبتا بفتحتين على عدوين شديدين)المقتبس(الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٣١.

٢) النبط كانت تطلق على بقايا سكان العراق القدماء، ويبدو أن هناك ارتباط بين الفلاحين والأنباط إذ ذكر الخطيب البغدادي أن النبط هم الذين استنبطوا الأرض وعمروا السواد وحفروا الأنهار العظام، تاريخ بغداد ، ٥٧/١ ، وقال ابن منظور أنهم سموا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين، لسان العرب، ٤١٠/٧ (مادة نبط)، ويبدو أن تسميته بالنبطي لأنه كان يعمل بالزراعة.

سيّر إليه ابنه هشاماً في جمع كثير ، فأذله ومن معه ، وقطع الأشجار وضيّق عليهم ، حتى أذعنوا لطلب الأمان فأمنه[1].

حوادث سنة ثلاث وتسعين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها توفي صقلاب بن زياد الأندلسي وهو من أصحاب مالك ، وكان فقيهاً زاهداً[2].

حوادث سنة أربع وتسعين ومائة

ذكر عصيان أهل ماردة وغزو الحكم بلاد الفرنج

في هذه السنة عاود أهل ماردة الخلاف على الحكم بن هشام ، أمير الأندلس ، وعصوا عليه ، فسار بنفسه إليهم ، وقاتلهم ، ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد وتقاتلهم هذه السنة ، وسنة خمس ، وسنة ست وتسعين ومائة.

وطمع الفرنج في ثغور المسلمين ، وقصدوها بالغارة ، والقتل ، والنهب والسبي ، وكان الحكم مشغولاً بأهل ماردة ، فلم يتفرغ للفرنج ، فأتاه الخبر بشدة الأمر على أهل الثغر ، وما بلغ العدو منهم ، وسمع أن امرأة مسلمة أخذت سبية ، فنادت: واغوثاه ، يا حكم! فعظم الأمر عليه ، وجمع عسكره واستعد وحشد وسار إلى بلد الفرنج سنة ست وتسعين ومائة ، وأثخن في بلادهم ، وافتتح عدة حصون ، وخرب البلاد ، ونهبها

---

١) ذكر النويري الحادثة قائلاً: (وفي هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ووافقه غيره، وقصدوا لشبونة. فلما بلغ الحكم الخبر، سار إليه الحكم في جمع كبير، فنازله وقطع الأشجار وضيّق عليهم حتى أذعنوا إلى طلب الأمان، فأمّنه وأخذ رهائنه على المصالحة والطاعة، وعاد عنه الحكم إلى قرطبة)نهاية الأرب، ٢١٦/٢٣ ؛ وذكر ابن حيان أن جرير بن وهب الله كان له حركة في بلد الغرب بباجة دون الإشارة إلى التفاصيل، المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ) ص ١٨٠؛ أما ابن عذاري فلم يشر إلى هذه الحادثة.

٢) ذكره القاضي عياض أنه من أهل القيروان وممن أخذ الفقه والحديث عن الإمام مالك، ترتيب المدارك، ١٩١/٢.

وقتل الرجال ، وسبى الحريم ، ونهب الأموال ، وقصد الناحية التي كانت بها تلك المرأة ، فأمر لهم من الأسرى بما يفادون به أسراهم ، وبالغ في الوصية في تخليص تلك المرأة فتخلصت من الأسر ، وقتل باقي الأسرى ؛ فلما فرغ من غزاته قال لأهل الثغور: هل أغاثكم الحكم؟ فقالوا: نعم ، ودعوا له ، واثنوا عليه خيراً وعاد إلى قرطبة مظفراً[1].

حوادث سنة سبع وتسعين ومائة

ذكر عدة حوادث

وفيها كان بالأندلس غلاء شديد ، وكان الناس يطوون الأيام ، ويتعللون بما يضبط النفس[2].

---

1) ذكر ابن حيان هذه الحادثة ضمن محاسن ومناقب الأمير الحكم ولم يذكر تاريخها ، أما ابن عذاري فقد ذكرها في أحداث هذه السنة ، قال: (وفي سنة ١٩٤ ، غزا الحكم إلى أرض الشرك. وكان السبب في هذه الغزاة أن عباس بن ناصح الشاعر كان بمدينة الفرج، وهي وادي الحجارة، وكان العدو، بسبب اشتغال الحكم بماردة وتوجيه الصوائف إليها مدة من سبعة أعوام، قد عظمت شوكته، وقوى أمره، فشن الغارات في أطراف الثغور، يسبي ويقتل، وسمع عباس بن ناصح امرأة في ناحية وادي الحجارة، وهي تقول: واغوثاه يا حكم! قد ضيعتنا وأسلمتنا واشتغلت عنا ، حتى استأسد العدو علينا! فلما وفد عباس على الحكم، رفع إليه شعرا يستصرخه فيه، ويذكر قول المرأة واستصراخها به؛ وأنهى إليه عباس ما هو عليه الثغر من الوهن والتياث الحال، فرثى الحكم للمسلمين، وحمى لنصر الدين، وأمر بالاستعداد للجهاد ، وخرج غازياً إلى أرض الشرك؛ فأوغل في بلادهم، وافتتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل كثيرا ، وأسر كذلك، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة ، وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم، يصلحون به أحوالهم ويفدون سباياهم؛ وخص المرأة وآثرها ، وأعطاهم عددا من الأسرى عونا ، وأمر بضرب رقاب باقيهم، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة: هل أغاثكم الحكم؟ قالوا : شفا والله الصدور، ونكى في العدو ، وما غفل عنا إذ بلغه أمرنا! فأغاثه الله وأعز نصره)البيان المغرب، ٧٣/٢ ؛ ينظر أيضاً : المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص٢٣١- ٢٣٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٦/٢٣ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٨١/١- ٤٨٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٧٩- ١٨٠.

2) قال ابن حيان: (في هذه السنة كانت الشدة التي عمّت أرض الأندلس أجمعها ، فمات فيها أكثر الخلق، وأجاز بعضهم البحر إلى أرض العدوة، إذ كانت مخصبة، وكان مقِلّو الناس يطوون الأيام بغير تعلل بطعام)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٣٥ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٧/٢٣ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٨٠.

حوادث سنة ثمان وتسعين ومائة

ذكر وقعة[1] الربض[2] بقرطبة

في هذه السنة[3] كانت بقرطبة الوقعة المعروفة بالربض ؛ وسببها أن الحكم بن هشام الأموي ، صاحبها كان كثير التشاغل باللهو ، والصيد ، والشرب ، وغير ذلك مما يجانسه ؛ وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة ، فكرهه أهلها وصاروا يتعرضون لجنده بالأذى والسب ، إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان: الصلاة يا مخمور ، الصلاة ؛ وشافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالأكف[4] ؛ فشرع في تحصين قرطبة وعمارة أسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخيل على بابه ، واستكثر المماليك ، ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح ، فزاد ذلك في حقد أهل قرطبة ، وتيقنوا أنه يفعل ذلك للانتقام منهم[5].

---

١) أطلق البعض عليها اسم وقعة ، فقالوا وقعة الربض ، ينظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٤/٤٦٣ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٩٦ ؛ ابن حيان ، المقتبس(الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص ١٥٩ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٦ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١/٤٤ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢١٧/٢٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١/٣٣٩ ؛ فيما أطلق عليها البعض الآخر اسم الهيج أو هيجة الربض ، ينظر: ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٦٨ ؛ مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص١٢١ ؛ ابن حيان ، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص ١٥٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٦/٢ ؛ الذهبي ، سير ، ٢٥٧/٨ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٦/٢ ؛ كما أسماها ابن حيان أيضاً ثورة أهل الربض الكبير ، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٦١.

٢) الربض محلة بقرطبة متصلة بقرب قصر الأمير الحكم بن هشام ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٦.

٣) قال ابن حيان: (وكانت يوم الأربعاء النحسة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان ، سنة اثنتين ومائتين)المقتس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٤٠.

٤) قال المراكشي: (وفي أيامه أحدث الفقهاء إنشاد أشعار الزهد والحض على قيام الليل في الصوامع - أعني صوامع المساجد - وأمروا أن يخلطوا مع ذلك شيئاً من التعريض به مثل أن يقولوا : يا أيها المسرف المتمادي في طغيانه المصر على كبره المتهاون بأمر ربه أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك ، وما نحا هذا النحو فكان هذا من جملة ما هاجه وأوغر صدره عليهم وكان أشد الناس عليه في أمر هذه الفتنة الفقهاء هم الذين كانوا يحرضون العامة ويشجعونهم إلى أن كان من أمرهم ما كان)المعجب ، ص١٧.

٥) قال ابن حيان بهذا الصدد : إن الأمير الحكم (كان خائفاً من ثورتهم ، متهماً لدخائلهم ، حذراً منهم ، مستعداً لهم ، مرتقباً لوثبتهم ، مرتبطاً الخيل على باب قصره نوباً بين غلمانه ، وهم مشمرون للهيعة ، شاكوا الأسلحة ، يأخذهم ثقات عرّاضه بالعرض مرتين في اليوم غدوة=

ثم وضع عليهم عشر الأطعمة ، كل سنة ، من غير حرص[1] ، فكرهوا ذلك ، ثم عمد إلى عشرة من رؤساء سفهائها ، فقتلهم ، وصلبهم[2] ، فهاج لذلك أهل الربض ، وانضاف إلى ذلك أن مملوكاً له سلم سيفاً إلى صقيل ليصقله ، فمطله ، فأخذ المملوك السيف ، فلم يزل يضرب الصقيل به إلى أن قتله[3] ، وذلك في رمضان من هذه السنة.

فكان أول من شهر السلاح أهل الربض ، واجتمع أهل الربض جميعهم بالسلاح ، واجتمع الجند والأمويون والعبيد بالقصر ، وفرّق الحكم الخيل والأسلحة ، وجعل أصحابه كتائب ، ووقع القتال بين الطائفتين ، فغلبهم أهل الربض ، وأحاطوا بقصره ، فنزل الحكم من أعلى القصر[4] ، ولبس سلاحه ، وركب وحرض الناس ،

=وعشية ، والناس من فعله ذلك ، على تزيد في الحقد والضغينة وخبث الطوية ، إلى أن بلغ الوقت بهم مداه ، فصار البداء بهم من العامة...)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٤٧.

١) قال ابن الخطيب: (وأنكر الناس عليه أمور ، منها : اطلاق يد ربيع القومس متولي جزية المعاهدين بالأندلس من النصارى ، وكان حظياً في رجاله سوغة افتراض المعاون والمغارم على المسلمين ، فثار به أهل الربض...)أعمال الأعلام ، ١٦/٢.

٢) قال ابن القوطية : (وقبض على ستة من أعلام القوم المآخير ، فصلب منهم يحيى بن نصر اليحصبي ، من ساكني قرية شقندة ، وموسى بن سالم الخولاني ، وولده ، فثار أهل الربض بسبب ذلك...) ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٦٩ ؛ ينظر أيضاً : ابن الأبار ، التكملة ، ١٩١/٢.

٣) قال ابن حيان : إن مملوكاً الأمير الحكم سلّم إلى صيْقل سيفاً ليصقله ويصلحه بثمن قدمه إليه ، وسأله اعجاله ، فمطله الصقيل واستهان به ، فأخذ ذلك المملوك السيف ولم يزل يضرب به ذلك الصقيل إلى أن مات ، المقتبس(الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٤٧- ١٤٨ ؛ الذهبي ، سير ، ٢٥٧/٨.

٤) قال ابن حيان : (وأغرب الأمير الحكم في بأساء حربهم ، عندما حمي وطيسها وأعضل خطبها ، بنادرة من نوادر الصبر والتوطين على الموت ، ... وذلك أنه في مقامه بالسطح عند بصره باشتداد الخرب ، وجثوم الكرب ، وقعقعة السلاح ، وانتماء الأبطال ، ما دعا بقارورة غالية لتدنى منه توانى عنه بها خادمه المسمى بزنت ظناً منه أنه يهجر في منطقه ، فصاح به وزجره ، فجاء بالقارورة ، فأفرغها على رأسه ، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له : وأية ساعة طيب هذه يا مولاي فتستعمله ؟ ! فقال له : اسكت لا أمّ لك ، ومن أين يعرف قاتل الحكم رأسه من رأس غيره إذا هو جزّه ؟ فتعجب الخادم ومن حضره من قوة نفسه ، وطيبها على المكروه ، مع=

فقاتلوا بين يديه قتالاً شديداً.

ثم أمر ابن عمّه عبيد الله ، فثلم في السور ثلمة ، وخرج منها ومعه قطعة من الجيش ، وأتى أهل الربض من وراء ظهورهم ، ولم يعلموا بهم ، فأضرموا النار في الربض ، وانهزم أهله ، وقتلوا مقتلة عظيمة ، وأخرجوا من وجدوا في المنازل والدور ، فأسروهم ، فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوههم ، فقتلهم ، وصلبهم منكسين ، وأقام النهب والقتل والحريق والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام[1].

=ابلاغها في حماية سلطانه)المقتبس(الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٥٤ ؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٨- ١١٩؛ المراكشي، المعجب، ص١٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٤٥/١- ٤٦.

١) قال ابن عذاري: (... لما اهتاجوا وقاموا على السلطان، ناصبهم الحكم القتال، وواضعهم الحرب. وانحاش إليه حاشيته وجنده، وتألب من كل وجه رجاله. وقامت الحرب بين الجند وعامة قرطبة على ساق. ثم تكاثرت العامة، وهاجت الدهماء السوداء؛ فلم يزيدوا على أن ظهروا في ذلك الحين ظهروا لم يبلغهم إلى أمل فلما اشتغلوا بالقتال، احتيل عليهم بمثل حيلة يوم الحرة، وهم لا يشعرون لاشتغالهم بالقتال؛ فخرج عبيد الله بن عبد الله البلنسي المعروف بصاحب الصوائف، وإسحاق بن المنذر القرشي إلى باب الجسر، مع من أمكنهما من الفرسان والرجالة، والتقوا مع العامة، وجالدوهم حتى أزاحوهم وأدخلوهم الجسر؛ وفتح باب المدينة عند الجسر، ودخل الذين سمينا على باب الحديد؛ ثم اقتحموا على الزقاق الكبير، وخرجوا على الرملة إلى مخاضة هناك، وجازوا النهر، واجتمعوا مع من توافى عليهم من حشود الكور، إذ كانوا قد أنذروا قبل ذلك بما كان بدا منهم، وظهر من علاماتهم. فلما اجتمعوا، أقبل بعضهم من وراء الربض، وشرع بعض في طرح النار في الدور، ودسوا من أخبر العامة بما نزل بهم في دورهم وذراريهم وعيالهم؛ فلم يبق أحد منهم دون أهله ومنزله، وانصرفوا راجعين نحوها. فأخذتهم السيوف من أمامهم وورائهم ؛ فقتلوا قتلا ذريعا، وتتبعوا في الأزقة والطرق، يقتلون؛ ونجا منهم من تأخر أجله، ففرَّ، فلم يلو على أهل ولا ولد. وأخذ منهم ثلاثمائة رجل؛ فصلبوا على الوادي، صفا واحدا من المرج إلى المصارة)البيان المغرب، ٧٦/٢- ٧٧ ؛ ينظر أيضا: ابن حيان ،المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٤٨- ١٥٠ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٤٤/١- ٤٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٧/٢٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٦/٢- ١٧ ؛ الذهبي، سير، ٢٥٦/٨- ٢٥٨ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)ص١٨٢ ؛المقري، نفح الطيب، ٣٣٩/١.

ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث ، ولم يكن عنده من يوازيه في قربه ، فأشار عليه بالصفح عنهم ، والعفو ، وأشار غيره بالقتل ، فقبل قوله[1] ، وأمر فنودي بالأمان ، على أنه من بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه ؛ فخرج من بقي بعد ذلك منهم مستخفياً وتحملوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم ، وما خفّ من أموالهم ، وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد ينهبون ، ومن امتنع عليهم قتلوه ، فلما انقضت الأيام الثلاثة أمر الحكم بكف الأيدي عن حرم الناس ، وجمعهنّ إلى مكان ، وأمر بهدم الربض القبلي[2].

---

١) ذكر ابن حيان أن (الأمير الحكم عند ظفره بأهل الربض، شاور فيهم حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، وكاتبه فطيس بن سليمان، ولم يكن في رجله عدل لهما لديه في الخاصة، فأشار عليه فطيس بالاثخان في القتل، واستباحة العامة، وأشار عليه عبد الكريم بضد ذلك من الصفح والإستبقاء، وقال له: إن الله قد أحسن إليك بالظفر ابتلاء لك، فأحسن إلى خلقه بعفوك، فقبل منه ولم يقتص)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٥١.

٢) قال ابن عذاري: (وكان الحكم قد عزم على تتبعهم بالأندلس، وقتلهم حيث وجدوا؛ فكسر عليه بعض أصحابه، وذكره صنع الله له فيهم؛ فارعوى وكفّ. فخرجوا أفواجاً بأهاليهم وأولادهم. ولم يعرض لأحد منهم في شئ من بلاد الأندلس، وهي طاعته وملكه، ولا نالهم ضر بعد وقت المعركة وغليان الحال، كرماً وعفواً من الأمير الحكم - رحمه الله - وعفّ الحكم عن الأموال والحرم. وتفرق أهل الربض في جميع أقطار الأندلس؛ ومنهم من جاز البحر إلى العدوة بالأهل والولد ؛ فاحتلوا بعدوة فاس، فهم عدوة الأندلس منها؛ فصيروها مدينة. ومنهم أهل جزيرة إقريطش؛ فذكر أنه لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواح الدنيا إلا وتغلبوا عليها ، واستوطنوها على قهر من أهلها. وأكثر من هرب من أهل العلم والخير ممن اتهم أو خاف على نفسه إلى ناحية طليطلة، ثم أمنهم الحكم، وكتب لهم أمانا على الأنفس والأموال، وأباح لهم التفسح في البلدان حيثما أحبوا من أقطار مملكته، حاشى قرطبة أو ما قرب منها.)البيان المغرب، ٧٧/٢ ؛ ينظر أيضاً: المقتبس(الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٥١، ١٥٣- ١٥٤ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٤٥/١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١٨/٢٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٨٢.

وكان بزيع [١] مولى أمية ابن الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محبوساً في حبس الدم[٢] بقرطبة ، في رجليه قيد ثقيل ، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند سأل الحرس أن يفرجوا له ، فأخذوا عليه العهود إن سلم أن يعود إليهم ، وأطلقوه ، فخرج فقاتل قتالاً شديداً لم يكن في الجيش مثله ، فلما انهزم أهل الربض عاد إلى السجن ، فانتهى خبره إلى الحكم ، فأطلقه وأحسن إليه[٣] ، وقد ذكر بعضهم هذه الوقعة سنة اثنتين ومائتين[٤].

---

١) ذكر مؤلف مجهول أن بزيغ كان عبد اشتراه عبد الرحمن الداخل لما رأى بلاءه في حربه مع حيوة بن ملامس وعبد الغافر اليحصبي سنة ١٥٤هـ وجعله في عرافة السواد ، أخبار مجموعة ، ص٩٩.

٢) أسماه ابن حيان حبس الجرائم، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١٥١.

٣) قال ابن حيان: (وكان بزيغ مولى أمية بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية محبوساً في حبس الجرائم في قيد ثقيل، فلما حضر الناس يوم الهيج، جعل يتلهف ألا يكون شهده، فيبلي في الذياد عن مولاه، فلما أكثر من ذلك قال له البوابون: هل لك في أن تعاهدنا على أنا إن أطلعناك فقضيت حق مولاك وسلمت أنك تعود إلى قيدك، وبعد نعلم مولاك بما كان منك، فوفقهم على ذلك، وأطلقوه من قيده، وجاءوه بفرس من دار الخيل، فاستوى وشد على نفسه، واندخل في كتيبة المماليك أصحابه وهم مع المغيرة بن هشام صالي الحومة ، فأبلى بلاءً لم يبله أحد ، ... فلما أن هزم الله أهل الربض، عاد بزيغ إلى الحبس كالأسد الصهور مخضبا بدمائه، فرده البوابون في قيده وأنهِيَ خبره إلى الأمير الحكم فأطلقه من حبسه ورضي عنه واختصه وأحسن إليه)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٥١- ١٥٢.

٤) ذهبت معظم المصادر الأندلسية على أن هيجة الربض كانت سنة ٢٠٢هـ، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٦ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٥٠ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٤٤/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٦/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ١٦/٢ ؛ وقد اتفق النويري مع ابن الأثير في جعل هيجة الربض سنة ١٩٨هـ، نهاية الأرب، ٢١٧/٢٣.

حوادث سنة مائتين

ذكر الغزاة إلى الفرنج

وفي هذه السنة جهز الحكم أمير الأندلس جيشاً مع عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج بالأندلس ، فسار بالعساكر حتى دخل بأرضهم ، وتوسط بلادهم ، فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها كلما أهلك موضعاً وصل إلى غيره ، فاستنفد خزائن ملوكهم.

فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحي مستنصراً بهم ، فاجتمعت إليه النصرانية من كل أوب ، فأقبل في جموع عظيمة بإزاء عسكر المسلمين ، بينهم نهر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً عدة أيام ، المسلمون يريدون يعبرون النهر ، وهم يمنعون المسلمين من ذلك ، فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر ، فعبر المشركون إليهم ، فاقتتلوا أعظم قتال ، فانهزم المشركون إلى النهر ، فأخذهم السيف والأسر ، فمن عبر النهر سلم ، وأسر جماعة من كنودهم [1] وملوكهم وقمامصتهم[2] ، وعاد الفرنج ولزموا جانب النهر ، يمنعون المسلمين من جوازه ، فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوماً يقتتلون كل يوم ، فجاءت الأمطار ، وزاد النهر ، وتعذر جوازه ، فقفل عبد الكريم عنهم سابع ذي الحجة[3].

---

١) الكنود من كند أي كفر النعمة ، ورجل كناد وكنود أي جحود ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٨١/٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ١١٤/٩ (مادة كند).

٢) القمامصة من قُمُّص هو لقب لرجال الدِّين المسيحيّ ، ويُطلق على من هو فوق القسِّيس ودون الأسقفّ ، عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ١٨٥٨/٣.

٣) جاءت رواية ابن حيان ببعض الاختلاف ، قال: (في هذه السنة ، كانت غزوة الحاجب ، عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، إلى عدو الله بلشك الجلشقي صاحب بنبلونة ، وكان قد استمد على المسلمين بالأندلس ، واجتمعت جلائب النصرانية ، فأقدم عليهم الحاجب عبد الكريم بجميع المسلمين ، وصلفهم ثلاثة عشر يوما ، يغاديهم الحرب ويراوحهم بها ، حتى انكسر أعداء الله ، وولوا مدبرين ، فأصيب منهم خلائق ، منهم غرسيه بن لب ابن أخت برمود خال أذفونش وشانجة فارس بنبلونة ، وصلتان فارس المجوس وغيرهم ، واعتصموا من المسلمين نهر وعر وشعاب لجؤوا إليها ووعروا مسالكها بالخشب والخنادق ، فمنعت المسلمين من اقتحامها عليهم ، فأقصروا عنهم ، واقفلوا عن بلدهم ، صدر ذي الحجة من هذه السنة)المقتبس=

ذكر خروج البربر بناحية مورور[1]

وفي هذه السنة خرج خارجي من البربر بناحية مورور، من الأندلس، ومعه جماعة، فوصل كتاب العامل إلى الحكم بخبره، فأخفى الحكم خبره، واستدعى من ساعته قائداً من قواده، فأخبره بذلك سراً وقال له: سر من ساعتك إلى هذا الخارجي فأتني برأسه، وإلا فرأسك عوضه، وأنا قاعد مكاني هذا إلى أن تعود.

فسار القائد إلى الخارجي، فلما قاربه سأل عنه، فأخبر عنه باحتياط كثير،

=(الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٣٩ ؛ أما ابن عذاري فذكر الرواية ببعض التفاصيل وبعض الاختلاف عن رواية ابن الأثير، قال: (وفي سنة ٢٠٠، أغزى الحكم وزيره عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد المشركين؛ فدخلها، وتوسطها، وأهلك معائشها ومرافقها، وحطم زروعها، وهدم منازلها وحصونها، حتى استوى في جميع قرى وادي أرون. فحشدت إليه الطاغية - دمرها الله! - وانجلبت النصرانية من كل مكان، وأقبلت الجموع، ونزلت بعدوة نهر أرون؛ وصار النهر حاجزا بينهم وبين المسلمين. فلما أصبح، نهض عبد الكريم بمن معه إلى مخائض الوادي؛ ونهض أعداء الله إليهم؛ فقاتلوهم على كل مخاضه منها؛ فجالدهم المسلمون عليها مجالدة الصابرين المحتسبين. واقتحم أعداء الله النهر إليهم؛ فاقتتلوا على مخاضته. ثم حمل المسلمون عليهم حملة صادقة؛ فأضغطوهم في المضايق، وأدخلوهم على غير طريق؛ فأخذتهم السيوف والطعن بالرماح والغرق في المياه؛ فقتل من المشركين عدد عظيم لا يحصى كثرة، ومات أكثرهم بالتردي ودرس بعضهم بعضا، وصاروا بعد المطاعنة والمجالدة بالرماح والسيوف إلى القذف بالحجارة؛ وأكثروا الحراس بالمخائض، ووعروها بالخشب، وحفروا الحفائر، وخندقوا الخنادق. ونزلت الأمطار؛ وكان قد فرغ ما كان لأعداء الله من المرافق؛ وضاقت الحال أيضا بالمسلمين؛ فقفل عبد الكريم ظافرا لسبع خلون من ذي القعدة.)البيان المغرب، ٧٥/٢ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب ٢١٨/٢٣- ٢١٩ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٧/٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٠/١.

١) مورور، قال عنها الحميري: (كور مورور متصلة بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس، وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة، وأحوازها متصلة بأحوازها، وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب. ومدينة قلب قاعدة مورور ودار الولاة بها، وكانت جباية كورة مورور أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن أحداً وعشرين ألف دينار)، صفة، ص١٨٨ ؛ ينظر أيضاً: الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٥ ؛ العذري، ابن غالب، البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٤ ؛ فرحة الأنفس، ص٢٤ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٨٣ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٣١٢/١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١١٥.

واحتراز شديد ، ثم ذكر قول الحكم: إن قتلته ، وإلا فرأسك عوضه ، فحمل نفسه على سبيل المخاطرة فأعمل الحيلة ، حتى دخل عليه ، وقتله ، وأحضر رأسه عند الحكم ، فرآه بمكانه ذلك لم يتغير منه ، وكانت غيبته أربعة أيام ، فلما رأى أحسن إلى ذلك القائد ، ووصله وأعلى محله[1].

(مورور) بفتح الميم وسكون الواو وضم الراء وسكون الواو الثانية وآخره راء ثانية.

حوادث سنة ثلاث ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها ظهر بالأندلس رجل يعرف بالولد ، وخالف على صاحبها فسيّر إليه جيشاً فحصروه بمدينة باجة ، وكان استولى عليها فضيقوا عليه ، فملكوها وقيّد[2].

حوادث سنة ست ومائتين

ذكر موت الحكم بن هشام

وفي هذه السنة مات الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، لأربع بقين من ذي الحجة ، وكانت بيعته في صفر سنة ثمانين ومائة ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة[3] ، وكنيته أبو العاص ، وهو لأم ولد[4] ، وكان طويلاً أسمر ، نحيفاً ،

---

١) ذكر هذه الحادثة مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٩- ١٢٠، ويبدو أن ابن الأثير أخذها عنه إذ لم نعثر على هذه الرواية عند ابن حيان وابن عذاري ؛ ينظر عنها : النويري، نهاية الأرب، ٢١٩/٢٣.

٢) ذكر ابن حيان هذه الرواية بشكل مختلف، قال: (في هذه السنة ظهر طملس المعروف بالندوي بدعوى اليمانية، كانت له عادية قبل ذلك في بلد الغرب مع جرير بن وهب الله، وأنفذ إليه الأمير الحكم صائفة في هذه السنة حاصرته بباجة، فقتل في هذا العام، وفتحت باجة، وتفرقت جماعة اليمانية)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٨٠.

٣) ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٢ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص ١٨٦ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦.

٤) أمّه جارية رومية اسمها زخرف تزوجها الأمير هشام بن عبد الرحمن حوالي سنة ١٥٤هـ، =

وكان له تسعة عشر ذكراً [١] وله شعر جيد ، وهو أول من جند بالأندلس الأجناد المرتزقين ، وجمع الأسلحة والعدد ، واستكثر من الحشم والحواشي ، وارتبط الخيول على بابه ، وشابه الجبابرة في أحواله ، واتخذ المماليك ، وجعلهم في المرتزقة ، فبلغت عدتهم خمسة آلاف مملوك ، وكانوا يسمون الخرس لعجمة ألسنتهم ، وكانوا يوماً على باب قصره.

وكان يطلع على الأمور بنفسه ، ما قرب منها وبعد ، وكان له نفر من ثقات أصحابه يطالعونه بأحوال الناس ، فيرد عنهم المظالم ، وينصف المظلوم ، وكان شجاعاً مقداماً مهيباً وهو الذي وطأ لعقبه الملك بالأندلس ، وكان يقرب الفقهاء وأهل العلم[٢].

=الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص١٤٧- ١٤٨.

١) ذكر ابن حيان أن له من الأولاد الذكور عشرون، ومن الإناث تسعة وعشرون، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ١٨٧ ؛ ينظر أيضاً: المقري، نفح الطيب، ٣٤١/١.

٢) وصفه ابن عذاري بالقول: (كان الحكم... شديد الحزم، ماضي العزم، ذا صولة تتقى. وكان حسن التدبير في سلطانه، وتوليه أهل الفضل والعدل في رعيته؛ وكان مبسوط اليد. وكان له قاض كفاه بورعة وعلمه وزهده؛... وكان الحكم يقول: ما تحلى الخلفاء بمثل العدل، وكانت فيه بطالة، إلا أنه كان شجاع النفس، باسط الكف، عظيم العفو. وكان يسلط قضاته وحكامه على نفسه، فضلا عن ولده وخاصته. وكانت للحكم ألف فرس مرتبطة بباب قصره على جانب النهر، عليها عشرة من العرفاء، تحت يد كل عريف مائة فرس؛ فإذا بلغه عن ثائر ثار في أطرافه، عاجله قبل استحكام أمره؛ فلا يشعر حتى يحاط به... وكان الحكم فصيحا بليغا شاعرا مجيدا... وله... أشعار كثيرة في الربضيين القائمين عليه، لا يجاريه فيها حد... ولما دنت وفاته، عتب نفسه فيما تقدم منه عتابا، وتاب إلى الله مثابا، ورجع إلى الطريقة المثلى، وقال: إن الآخرة هي الأبقى والأولى؛ فتزين بالتقوى، واعتصم بالعروة الوثقى؛ وأقر بذنوبه واعترف، وأنس إلى قوله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. وكان من عباد الله المتقين، إلى أن أتاه من ربه اليقين)البيان المغرب، ٧٨/٢- ٨- ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٦١/٤- ٤٦٢ ؛ ابن حيان المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٢٣١- ٢٣٣ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٤٣/١- ٥٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥/٢- ١٩.

ذكر ولاية ابنه عبد الرحمن

لما مات الحكم بن هشام قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن ويكنى أبا المطرف، واسم أمّه حلاوة[١]، وكان بِكنٍّ والده[٢]، ولد بطليطلة، أيام كان أبوه الحكم يتولاها لأبيه هشام، ولد لسبعة أشهر وجد ذلك بخط أبيه[٣].

وكان جسيماً وسيماً حسن الوجه[٤]، فلما ولي خرج عليه عمّ أبيه عبد الله البلنسي، وطمع بموت الحكم، وخرج من بلنسية يريد قرطبة، فتجهز له عبد الرحمن، فلما بلغ ذلك عبد الله خاف، وضعفت نفسه، فرجع إلى بلنسية، ثم مات في أثناء ذلك سريعاً ووقى الله ذلك الطرف شره.

فلما مات نقل عبد الرحمن أولاده وأهله إليه بقرطبة[٥]، وخلصت الإمارة

---

١) وهي أمّة من مولدات البربر تزوجها الأمير الحكم بن هشام فولدت له ابنه عبد الرحمن في طليطلة سنة ١٧٦هـ، ينظر: الدرويش أعلام نساء الأندلس، ص١١٨.

٢) (وكان بكن والده)هكذا وردت عند ابن الأثير، والبكن لغة من المبكونة وهي المرأة الذليلة، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٢٧٣/٣٤ (مادة بكن)؛ لعل هناك تصحيف في العبارة، والصحيح: وكان بكر والده ، ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٢٧٧.

٣) اختلفت رواية ابن حيان إذ نقل عن ابن الفرضي قال: (قرأت بخط الخليفة المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن قال: ولد جدنا الأمير عبد الرحمن بن الحكم لسبعة أشهر)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٢٧٩ ؛ وفي رواية مؤلف مجهول أنه ولد لستة أشهر من حمله، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٨٣.

٤) قال ابن عذاري: كان (طويل، أسمر، أقنى، أعين، أكحل، عظيم اللحية يخضب بالحناء والكتم. بويع بعد موت أبيه بيوم واحد، وذلك يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وتسعة أشهر. وتوفي ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٨. عمره: اثنان وستون سنة. خلافته: إحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام)البيان المغرب، ٨١/٢.

٥) وردت الرواية عند ابن حيان بتفصيل أكثر، قال: (لما جاءت بيعة الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى عمّ ولده، عبد الله بن عبد الرحمن، المعروف بالبلنسي، المقيم ببلنسية، أخرها والتوى بها، وكتب إلى عبد الرحمن يعتلي عليه ويعدد حقوقه عنده وعند أبيه وجده من قبل، ويسأله أن يضم كورة تدمير إليه، ويتجافى عن خرجها له، ويصف ثقل ظهره بالأهل والذرية، وقصوره عن فروض المروءة، وحاجته أن ينظر فيما يلحق حاله بالسعة وتقدم على تفتئة ذلك من بلنسية موضعه إلى كورة تدمير مسئولته، قبل أن يأتيه الجواب عنها فاحتلها وظهر عليها، وكشف وجهه بالمعصية، واستغرّ إليها من حواليه من أهل القرابة، فثاب إليه منهم خلق كثير=

بالأندلس لولد هشام بن عبد الرحمن.

حوادث سنة سبع ومائتين

ذكر ما كان بالأندلس في هذه السنة

وفي هذه السنة وقع عبد الرحمن بن الحكم، صاحب الأندلس، بجند البصرة[1] وأهلها، وهي الوقعة المعروفة بوقعة بالس[2].

=عسكروا معه بباب تدمير، وكان توافيهم إليه في يوم خميس، وسألوه الخروج من يومهم نحو قرطبة، فتأناهم وقال لهم: بل نصلي على بركة الله غدا صلاة الجمعة، ونفصل يوم السبت بعده. فلما كان يوم الجمعة، وكان وقت الظهر، راح إلى المسجد الجامع بتدمير، فتولى الخطبة بالناس، فبلغ في تذكيرهم وتحريضهم، وكان خطيبا مصقعا، فلما شارف مقطع خطبته قال: معاشر الناس، رحمكم الله، أمنوا على ما أدعوا الله به، واسألوا ما أنا سائله من الخيرة فيما أؤمله، ورفع يديه نحو السماء فقال: اللهم فإن كنت أحق بهذا الأمر الذي قمت فيه من عبد الرحمن بن الحكم بم هشام حفيد أخي، فانصرني عليه، وافتح لي فيه، وإن كان هو أحق به مني وأنا صنو جده فانصره عليّ، فأمن الناس جميعا عالية أصواتهم. فلم يكد يستوعب كلامه حتى ضربته الريح الباردة، فسقط إلى الأرض مفلوجا، واحتمل إلى مكان مضطربه، فأكمل الناس صلاتهم بغيره، ومكث عبد الله مسكتا أياماً، ثم إن الله أطلق لسانه ومنعه سائر جوارحه، فقال لأتباعه: إن الله قد أجاب الدعوة، وفصل الخطة، وحماني الإمرة، فلا مرد لحكمه، فامضوا لسبيلكم، وتفرق جمعه، وأخذ كل منهم جهته، وصرف أهله إلى وطنه بلنسية. ثم أنفذ الكتاب إلى الأمير عبد الرحمن، يخبر بعلته ويأسه عن نفسه، ووعد إليه بالنظر لأهله وولده من بعده وجعل له وصيته، واستعطفه على ورثته، وسأله نقلهم إلى حضرته وإيواءهم في كنفه، واضطرب عبد الله في علته تلك، وقد استحرّت به، فلم يعرض له الأمير طوال حياته إلى أن هلك ببلنسية في سنة ثمان ومائتين بعدها، فأنفذ الأمير عبد الرحمن عهده وأوى إليه وولده وأهله، فبوّأهم كنفه، واستصفى كورة بلنسية، فاستعمل عليها عماله، وحملت أموالها إليه) المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٠- ٤٠٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن سعيد، المغرب، ٤/١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢٠/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٧/٤.

١) لم نجد لها ذكر في الأندلس في المصادر التي بين أيدينا.

٢) عند ابن حيان وقعة بالش، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٠٩. ووردت في المصادر الأندلسية بلش وبالش، فذكر ابن الفرضي بأن بلش إقليم تابع لريّة، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٣٦ ؛ وعدّها ابن حيان من حصون تدمير، المقتبس (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ) ص١٣٩ ؛ أما العذري فقال: إن بلش من عمل تدمير، ترصيع الأخبار، ص٩ ؛ وذكرها الإدريسي بلفظ بالش وقال إنها من إقليم بجانة، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢ ؛ وأشار ابن الأبار إلى إن بلش قرية شرقي مالقة، التكملة، ٢٩٤/٢ ؛ ووصفها ابن بطوطة قائلا: ثم سافرت من مالقة (إلى مدينة بلش،=

وكان سببها أن الحكم كان قد بلغه عن عامل اسمه ربيع أنه ظلم أبناء أهل الذمة ، فقبض عليه ، وصلبه قبل وفاته ، فلما توفي وولي ابنه عبد الرحمن سمع الناس بصلب ربيع ، فأقبلوا إلى قرطبة من النواحي يطلبون الأموال التي كان ظلمهم بها ظناً منهم أنها ترد إليهم ، وكان أهل إلبيرة[1] أكثرهم طلباً وإلحاحاً فيه ، وتألبوا فبعث إليهم عبد الرحمن من يفرقهم ويسكتهم ، فلم يقبلوا ودفعوا من أتاهم ، فخرج إليهم جمع من الجند ، وأصحاب عبد الرحمن ، فقاتلوهم ، فانهزم جند إلبيرة ومن معهم ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ونجا الباقون منهزمين ، ثم طلبوا بعد ذلك ، فقتلوا كثيراً منهم[2].

=وبينهما أربعة وعشرون ميلا ، وهي مدينة حسنة ، بها مسجد عجيب ، وفيها الأعناب والفواكه والتين)رحلة ابن بطوطة ، ٢٦٥/٢ ؛ كما عدّها مؤلف مجهول من حصون ريّة ، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٢٣ ؛ وجعلها صاحب كتاب نبذة العصر بأنها من مدن شرقي مالقة وسقطت بيد النصارى سنة ٨٢٩هـ ، مؤلف مجهول، نبذة العصر ، ص٦٢ ، ٩٢ ؛ وقال المقري أيضا إنها من أعمال مالقة ، نفح الطيب، ١٦٦/١ ؛ ينظر أيضا : ابن السماك ، الزهرات المنثورة ، ص١٢.

١) إلبيرة ، قال القزويني : (مدينة بالأندلس بقرب قرطبة. من أكرم المدن وأطيبها شديدة الشبه بغوطة دمشق في غزارة الأنهار والتفاف الأشجار وكثرة الثمار في ساحلها شجر الموز ، ويحسن بها نبت قصب السكر ، وبها معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والصفر ، ومعدن التوتيا ومقطع الرخام ، وتحمل هذه الأشياء منها إلى سائر بلاد الأندلس) آثار البلاد ، ص٥٠٢ ؛ ينظر أيضاً : اليعقوبي ، البلدان ، ص١١٠ ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٣٦ وقال:بكورة إلبيرة حرير يفضل ويقدم على غيره ؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص١٤ ؛ وذكرها العذري وتحدث عن المتغلبين فيها ، ترصيع الأخبار ، ص٨٢- ٨٦ ؛ ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص٤٠- ٤١ ؛ الحميري ، صفة ، ص٢٩ وقال هي مدينة بين القبلة والشرق من قرطبة.

٢) ذكر ابن حيان الرواية بتفصيل أكثر ، قال : وقعة بالش (... وكان سببها أن الأمير عبد الرحمن لما خلف أباه الحكم في النظر أيام اشتدت علته ، ويئس من نفسه ، فلزم قصر الخلافة ، وجلس لتنفيذ الأحكام على بابه ، ونصح أباه الحكم في ربيع القومس المتقلد لأمور العجم بقرطبة ، والقيم بقهرمة الأمير الحكم والمُحسِّن له كل سوءة من أذى الرعية ، وأطلعه على ما خفي عليه من قبائحه ، وعرفه ما نال أهل الملة والذمة من أذاه ، وكان فوق ما وصفه ، فتبرأ الحكم منه ، وتقرب إلى الله بقطع عاديته ، وأمره بصلبه والتمثيل به ، ففعل ذلك ، واشتدّ سرور جميع الناس بالانتقام منه ، وتوفي الأمير الحكم على تفتئة ذلك ، فخلص الأمر بعده لعبد الرحمن ولده ، وأتاه الناس البيعة ، فلم يختلفوا عليه ، وتسامع أهل الكور برغبته في الخير وقتله لربيع الشر ، فقدموا من كل النواحي إلى قرطبة مؤتمين للبيعة ، سائلين المطالب المشتطة ، وكان أسوأهم تناولا وأشدهم اعتسافا أهل إلبيرة ، فإنهم انجفلوا إلى قرطبة في خلق كثير ، يشكون ثقل مغارمهم ، وقطع اعتلافهم ، في الذي استزاده ربيع اللعين عليهم على متأصل=

وفيها ثارت بمدينة تدمير فتنة من المضرية واليمانية[1] ، فاقتتلوا بلورقة[2] ، وكان بينهم وقعة تعرف بيوم المضارة[3] ، قتل منهم ثلاثة آلاف رجل ، ودامت الحرب بينهم سبع سنين ، فوكل بكفهم ، ومنعهم ، يحيى بن عبد الله بن خالد[4] ، وسيّره في جميع

=وظائفهم، فعرسوا ببالس منزلهم، وأقصروا عن الدخول إلى قرطبة، وأرسلوا يسومون اسقاط زيادات ربيع القومس بأسرها، ويشترطون إلى ذلك شروطاً، اشتطوا في سؤالها، ودفعوا عنها، فضجوا ودبوا، وساءت آدانهم، وانبسطوا، فأرسل الأمير غلمانه الخرس لتفريقهم، فأبوا عليهم وسبوهم، وتداعوا بشعار خلافهم، وشهروا السلاح على الخرس ودافعوهم، فأرسلوا يستأذنون في البسط عليهم، فكره الأمير ذلك، ورام تسكينهم، فلم يسكنوا بحال، ...، فسرح عليهم عند ذلك الحشم فوطئوهم سريعاً، وفضوهم فأذرعوا القتل فيمن وقف منهم، وفرّ فلهم متقطعين، فلم يُتّبعوا، وكان ذلك في المحرم من سنة سبع ومائتين إلى عشرين يوماً من ولاية عبد الرحمن)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٠٩- ٤١٠ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٢٠/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٨/٤.

١) قال ابن حيان: (وسبب ابتعاث هذه الفتنة من ورقة دالية جمعها رجل مضري من جنان رجل يماني بغير أمره، فرماه اليماني فقتله، فثارت الفتنة بين الفريقين، وتمادوا في حروبهم) المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤١١.

٢) لورقة، وصفها الحميري قائلاً: (بالأندلس من بلاد تدمير، إحدى المعاقل السبعة التي عاهد عليها تدمير، وهي كثيرة الزروع والضرع والخمر. وهي على ظهر جبل، وبها أسواق وربض في أسفل المدينة وعلى الربض سور، وفي الربض السوق، وبها معدن تربة صفراء ومعادن مغرة تحمل إلى كثير من الأقطار، وبينها وبين مرسية أربعون ميلاً وفيها معدن لازورد... وتفسير لورقة باللطيني الدرع الحصين، وهذا الاسم وافق معناه لأنها من المعاقل الحصينة، وهي على نهر مجراه إلى الشرق من هذا القطر، ولورقة في الجوف منه وتتصل بمدينة لورقة مزارع عريضة تجتزئ في العام بالسقية الواحدة من هذا النهر كما تجتزئ أرض مصر، ولهذا النهر هناك مجريان، أحدهما أعلى من الثاني، فإذا احتيج إلى السقي به عولي بالسداد حتى يرقى المجرى الأعلى فيسقى به، وعلى هذا النهر نواعر في مواضع مختلفة تسقى به البساتين، وتخرج منه الجداول العظيمة، يسقي الجدول عشرة فراسخ وأكثر، وطعام لورقة يبقى مطمراً تحت الأرض عشرين عاماً لا يتغير.وكثيراً ما تجاح زروع لورقة بالجراد)، صفة، ص١٧١- ١٧٣ ؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الأخبار، ص١- ٣ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٩/٢ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٥٢ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥- ٥٥٦ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٣٧.

٣) ذكرها ابن حيان والعذري وابن عذاري يوم المصارة، ووردت عند النويري يوم المصابرة، ينظر أدناه.

٤) كذا ورد اسمه أيضاً عند ابن حيان وابن خلدون، ينظر: المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص ٤١١ ؛ تاريخ، ١٢٨/٤ ؛ أما العذري وابن عذاري فذكروه باسم: يحيى بن عبد الله بن=

الجيش ، فكانوا إذا أحسوا بقرب يحيى تفرقوا وتركوا القتال ، وإذا عاد عنهم رجعوا إلى الفتنة والقتال حتى عيي أمرهم[1].

وفيها كان بالأندلس مجاعة شديدة ذهب فيها خلق كثير ، وبلغ المُد[2] في بعض البلاد ثلاثين ديناراً[3].

تدمير بالتاء فوقها نقطتان والدال المهملة والياء تحتها نقطتان ثم راء[4].

=خلف، ترصيع الأخبار، ص٥ ؛ البيان المغرب، ٨١/٢.

١) قال ابن عذاري: (وفي سنة ٢٠٧ ، ثارت بتدمير فتنة بين مضر ويمن، ودامت سبع سنين؛ فأغزى إليهم الأمير عبد الرحمن في هذا العام يحيى بن عبد الله بن خلف؛ ثم كان يبعث إليهم المرة بعد المرة بالقواد؛ فيفترقون؛ فإذا قفلوا ، عادوا إلى الفتنة. وكانت بينهم وبين يحيى بن عبد الله وقيعة تعرف بوقعة المصارة بلورقة ، انتهى مبلغ القتلى فيهم إلى ثلاثة آلاف) البيان المغرب، ٨١/٢؛ ينظر أيضاً :ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤١١ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٥ ؛ ابن سعيد ، المغرب، ٤/١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢٠/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٨/٤.

٢) المُد هو وحدة كيل، وبساوي ١,٠٣٥ لتر، ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٧٣.

٣) وضع لها ابن حيان عنوان وهو: ذكر المجاعة، قال: (وفيها نالت أهل الأندلس مجاعة، هلك فيها عدة من الخلق، وبلغ مُدي القمح في بعض الكور ثلاثين ديناراً، ... وهي المجاعة الأولى، واستسقى فيها أهل قرطبة مراراً عدة، وكان قاضي الجماعة يومئذ يحيى بن معمر الألهاني، فتكرر بالبروز إلى مصلى الربض بالناس مراراً يضرع ويجتهد، والغيث في ذلك يتوقف، والقحط ملح، فكاد الناس يقنطون، فلما كان في آخر بروز برزه، جعل القاضي ابن معمر لما توسط الإستسقاء ينادي بأعلى صوته، وكان مناداه رجلاً من الصالحين الأوابين، وكان أشعث ذا طمرين يعرف بأيوب البلوطي، يقال أنه كان مجاب الدعوة، وقعت عينه عليه، فوالى دعاءه وهو لا يجيبه حتى كرر النداء مراراً، وقال له: عزمت عليك يا أيوب، إن كنت تسمع كلامي إلا قمت، فقام الرجل نحوه يجر رجليه وقال له: يا هذا ما لي ولك ؟ شهرتني في الناس بما لست أهلا له ! وكأني كنت آلو اجتهادا بحيث كنت، فأبيت إلا فضيحتي، فقال له القاضي: مهلاً يا أيوب فالحال اضطرني إلى ذلك، وقبض على يديه فقال: اللهم إنا نستشفع إليك بوليك أيوب ! اللهم لا تهلكنا وفينا الصالحون، ... فما انقضى الناس من مصلاهم حتى هبت ريح بليل، ونشأت سحابة ثرة من جانب الغرب، ثم تلتها أخرى، فبرقتا ورعدتا ، وانهمر المطر جَوداً ، فمطر الناس ما فاتهم، ومكثوا زمناً يتحدثون بشأن أيوب هذا ، ويحرصون على معرفته، فيُقال أنه لم يُر بعد بقرطبة)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص ٤١٢- ٤١٣ ؛ ابن الأبار، التكملة، ١٦٥/١ ؛ ابن سعيد ، المغرب، ٣٣/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨١/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢٠/٢٣.

٤) عند ياقوت: تدمير بالضم ثم السكون، وكسر الميم، وياء ساكنة، وراء، الأندلس من معجم البلدان، ص١٠١.

حوادث سنة ثمان ومائتين

وفيها سيّر عبد الرحمن بن الحكم صاحب الأندلس جيشاً إلى بلاد المشركين، واستعمل عليه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، فساروا إلى ألبة والقلاع، فنهبوا بلاد ألبة وأحرقوها وحصروا عدة من الحصون، ففتحوا بعضها وصالحه بعضها على مال وإطلاق الأسرى من المسلمين، فغنم أموالاً جليلة القدر، واستنقذوا من أسارى المسلمين وسبيهم كثيراً فكان ذلك في جمادى الآخرة، وعادوا سالمين[1].

وفيها توفي عبد الله بن عبد الرحمن الأموي المعروف بالبلنسي صاحب بلنسية من الأندلس، وقد تقدم من أخباره مع أخبار ابن أخيه الحكم بن هشام كثير[2].

حوادث سنة عشر ومائتين

ذكر فتح عبد الله الإسكندرية

وفي هذه السنة أخرج عبد الله[3] من كان تغلب على الإسكندرية من أهل الأندلس بأمان، وكانوا قد أقلوا في مراكب من الأندلس في جمع، والناس في فتنة

---

١) جاءت رواية هذه الحادثة عند ابن عذاري بتفصيل أكثر، قال: (وفي سنة ٢٠٨، كانت الغزاة المعروفة بغزاة ألبة والقلاع، غزاها عبد الكريم بن عبد الواحد بالصائفة، واحتل بالثغر؛ وتوافت عليه عساكر الإسلام، واختلفوا في الدخول على أي باب يكون إلى دار الشرك؛ ثم اجتمعوا على أن يكون من باب ألبة، إذ كان ذلك الباب أنكى للعدو وأحسم لدائه؛ فاقتحموا من فج يقال له جرنيق؛ وكان وراءه بسيط للعدو، فيه خزائنه وذخره. فوقع أهل العسكر على تلك البسائط، فاستصفوها، وعلى ذخر تلك الخزائن، فانتهبوها؛ واستوعبوا خراب كل ما مروا عليه من العمران والقرى، وأقفروها. وانصرف المسلمون غانمين ظافرين)البيان المغرب، ٨٢/٢ ؛ وعلق ابن حبان على هذه الغزوة قائلاً: هي أول صائفة جردها الأمير عبد الرحمن لأول ولايته، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤١٨ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٢٨/٤.

٢) ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص٧٦ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١٦٤/١ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/ ٣٦٢- ٣٦٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣.

٣) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق أبو العباس مولى خزاعة، كان الخليفة المأمون ولاه الشام حرباً وخراجاً فخرج من بغداد إليها واحتوى عليها وبلغ إلى مصر ثم عاد فولاه إمارة خراسان فخرج إليها وأقام بها حتى توفي سنة ٢٣٠هـ، الكندي، ولاة مصر، ص٢٠٤- ٢٠٨ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٨٣/٩- ٤٨٧ ؛ الذهبي، سير، ٦٨٤/١٠- ٦٨٥.

ابن السري[1] وغيره ، فأرسلوا بالإسكندرية ، ورئيسهم يدعى أبا حفص ، فلم يوالوا بها حتى قدم ابن طاهر ، فأرسل يؤذنهم بالحرب إن هم لم يدخلوا في الطاعة ، فأجابوه ، وسألوه الأمان على أن يرتحلوا عنها إلى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام ، فأعطاهم الأمان على ذلك[2] ، فرحلوا ونزلوا بجزيرة إقريطش ، واستوطنوها وأقاموا بها فأعقبوا وتناسلوا[3].

---

١) هو عبيد الله بن السري بايعة جند مصر واليا عليها سنة ٢٠٦هـ ثم تغلب عليها وحارب جند الخلافة العباسية حتى سنة ٢١٠هـ عندما أرسل الخليفة المأمون قائدة عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى مصر الذي تغلب على ابن السري ثم صالحة وأرسله إلى بغداد وبقي هناك حتى توفي بسامراء سنة ٢٥١هـ، ينظر: الكندي، ولاة مصر، ص١٩٨- ٢٠٧.

٢) ذكر الكندي أن عبد الله بن طاهر قصد الإسكندرية (في ربيع الأول سنة اثنتي عشر وحصرها بضع عشرة ليلة. فخرج إليه أهلها بأمان. وصالح الأندلسيين على أن يسيرهم من الإسكندرية حيث أحبوا ، على أن لا يخرجوا في مراكبهم أحداً من مصر، ولا عبداً، ولا آبقاً؛ فإن فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم. وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم. فوجد فيها جمعاً من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم. فأمر ابن طاهر بإحراق مراكبهم. فسألوه أن يردهم إلى شرطهم، ففعل)ولاة مصر، ص٢٠٧.

٣) قال ياقوت: أقريطش جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر إفريقية لوبيا وهي جزيرة كبيرة، غزاها جنادة بن أبي أمية الأزدي بعد فتحه جزيرة أرواد في سنة ٤٥هـ في أيام معاوية ثم غزا أقريطش، فلما كان في أيام الوليد فتح بعضها ، ثم غزاها حميد بن معيوف الهمداني في خلافة الرشيد ففتح بعضها ثم غزاها في خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالأقريطشي فافتتح منها حصناً واحداً ونزله ثم لم يزل يفتح شيئاً بعد شيء حتى لم يبق فيها من الروم أحداً وخرب حصونهم وذلك في سنة ٢١٠هـ في أيام المأمون، وكانت من أعظم بلاد المسلمين نكاية على الروم إلى أن أناخ عليها نقفور بن الفقاس والدمستق في خلافة المطيع وتملك أرمانوس بن قسطنطين في آخر جمادى الأولى سنة ٣٤٩هـ في اثنين وسبعين ألفاً منهم خمسة آلاف فارس ولم يزل محاصرا لها حتى فتحها عنوة بالحرب والجوع في نصف المحرم سنة ٣٥٠هـ فقتل ونهب وسبى، وأخذ صاحبها عبد العزيز بن شعيب من ولد أبي حفص عمر بن عيسى الأندلسي وأمواله وبني عمه وحمل ذلك كله إلى القسطنطينية، وقيل إنه حمل إلى القسطنطينية من أموالها وسبي أهلها نحوا من ثلاثمائة مركب وهدموا حجارة المدينة وألقوها في الميناء الذي دخلت مراكبهم فيه لئلا يدخل فيه بعدهم عدو، قال: وهي إلى الآن بيد=

ذكر ما كان بالأندلس من الحوادث

وفي هذه السنة سيّر عبد الرحمن بن الحكم سرية كبيرة إلى بلاد الفرنج واستعمل عليها عبيد الله المعروف بابن البلنسي ، فسار ودخل بلاد العدو ، وتردد فيها بالغارات ، والسبي ، والقتل ، والأسر ، ولقي الجيوش الأعداء في ربيع الأول ، فاقتتلوا فانهزم المشركون ، وكثر القتل فيهم ، وكان فتحاً عظيماً[1].

وفيها افتتح عسكر ، سيّره عبد الرحمن أيضاً حصن القلعة من أرض العدو ، وتردد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان[2].

وفيها أمر عبد الرحمن ببناء المسجد الجامع بجيّان[3].

=الأفرنج، معجم البلدان، ٢٣٦/١ ؛ ينظر أيضاً: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤٤ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١ ؛ وعن هجرة أهل الأندلس إلى مصر وفتحم جزيرة إقريطش، ينظر حوادث سنة ١٩٨هـ هيجة الربيض والتعليق عليها.

١) ذكر ابن حيان الحادثة بتفصيل أكثر قال: (فيها ، غزا الصائفة عبيد الله بن عبد الله البلنسي، المعروف بصاحب الصوائف، وأمر بامتحان طاعة أهل شنتبرية، وحشدهم في طريقه، إذ اتصل عن بعضهم أنهم مالؤوا أهل تدمير، فحل بهم، فوجدهم منقادين على طاعته، وانحشدوا معه، فكثف جمعه، واضطرب في الثغر لتوه في الحشود إليه، واستلحق الجند معه القطائع، فأرسل الأمير عبد الرحمن إليه بالأعطيات الخازن موسى بن حدير، فأعطى الجند وأراح عليهم، ودخل ألبة من بلد العدو في ربيع الأول منها ، فأحرق ودمر وانتسف، ولحقه العدو قبلا عند أصل جبل المجوس، فمنحه الله أكتافهم وهزمهم، فقتل آلافا منهم ، وعرفت غزوته هذه بغزوة الفتح)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤١٩- ٤٢٠ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣.

٢) قال ابن حيان: (فيها غزا فرج بن مسرة أرض العدو ، فافتتح حصن القليعة للنصف من شهر رمضان منها)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢١ ؛ وذكر ابن عذاري أن فرج بن مسرة فتح في هذه السنة حصن القلعة، البيان المغرب، ٨٢/٢ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٢٢٠/٢٣.

٣) قال ابن حيان: (فيها أمر الأمير عبد الرحمن ببناء المسجد الجامع، بحاضرة جيّان على مثال حده، وكتب بذلك إلى مسرة عامله على كورة جيّان، والزبير بن قطن قاضيها ، وأمرهما معاً بالنظر في ذلك، وتاريخ الكتاب يوم الثلاثاء لست خلون من ربيع الآخر منها)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢٠- ٤٢١ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣ ؛ وجيّان وصفها الحميري بالقول: (مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة=

وفيها أخذ عبد الرحمن رهائن أبي الشماخ محمد بن إبراهيم مقدم اليمانية بتدمير، ليسكن الفتنة بين المضرية واليمانية، فلم ينزجروا ودامت الفتنة، فلما رأى عبد الرحمن ذلك أمر العامل بتدمير أن ينقل منها، ويجعل مرسية[1] منزلاً ينزله العمال، ففعل ذلك، وصارت مرسية هي قاعدة تلك البلاد من ذلك الوقت؛ ودامت الفتنة بينهم إلى سنة ثلاث عشرة ومائتين، فسيّر عبد الرحمن إليهم جيشاً فأذعن أبو الشماخ، وأطاع عبد الرحمن، وسار إليه، وصار من جملة قواده وأصحابه، وانقطعت الفتنة من ناحية تدمير[2].

=عشرون ميلاً وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب، وعلى ميل منها نهر بلون وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة جداً، وبها مسجد جامع وعلماء جلة...)صفة، ص٧٠- ٧١ ؛ ينظر أيضاً: اليعقوبي، البلدان، ص١١١ ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٣ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٨/٢ ؛ المراكشي، المعجب، ص٢٦٩ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٩١.

١) مرسية وهي من مدن كورة تدمير، وصفها الحميري قائلاً: (بالأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دار العمال وقرار القواد، وكان الذي تولى بنيانها وخرج العهد إليه في اتخاذها جابر بن مالك بن لبيد، وكان تاريخ الكتاب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين... ومرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، وهي راخية أكثر الدهر رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعناب وأصناف الثمر، وبها معادن فضة غزيرة متصلة المادة، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة ولأهلها حذق بصنعتها وتجويدها لا يبلغه غيرهم)صفة، ص١٨١- ١٨٣ ؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الأخبار، ص٦ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٩/٢ ؛ الزهري، الجغرافية، ص٢٠١- ٢٠٢ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٦٢ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٢٣ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٣٥- ١٣٧.

٢) ينظر الرواية أعلاه: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣.

حوادث سنة إحدى عشرة ومائتين

وفيها خرج بأعمال تاكرنا[1] من الأندلس طوريل ، فقصد جماعة من الجند قد نزلوا ببعض قرى تاكرنا ممتازين ، فقتلهم ، واخذ دوابهم وسلاحهم وما معهم ، فسار إليه عاملها[2].

حوادث سنة اثنتي عشرة ومائتين

وفيها سيّر عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً إلى بلد المشركين ، فوصلوا إلى برشلونة ، ثم ساروا إلى جرندة[3] ، وقاتل أهلها في ربيع الأول ، فأقام الجيش شهرين ينهبون ويخربون[4].

---

١) تاكرنا ذكرها ابن غالب بضم الكاف والراء وألف ممدودة وقال: (معاقلها كثيرة حصينة وجبالها شامخة تعلو جبال الأندلس، وتخرج منها الأنهار ولا يدخلها نهر ولا يساويها جبل بالأندلس) فرحة الأنفس، ص٢٦ ؛ أما الرشاطي فقال: (تاكرنا كانت مدينة إستجة ومدينة تاكرنا على قسمين فما كان حوالي إستجة يدعى إقليم السهل وما كان حوالي تاكرنا كان يدعى إقليم الجبل)الأندلس في اقتباس الأنوار، ص١٢٨ ؛ وقال ابن سعيد: تاكرنا بضم الكاف والراء وتشديد النون قال: كانت قصبة هذه الكورة ثم خربت، المغرب، ٣٣٠/١ ؛ وقال الحميري: (تاكرنا مدينة بالأندلس بمقربة من استجة، وهي مدينة أزلية إليها تنسب الكورة وبها بلاط من بناء الأول لم يتغير. وإقليم تاكرنا مضاف إلى إقليم استجة، ومن مدن تاكرنا مدينة رندة) صفة، ص٦٢ ؛ وأضاف مؤلف مجهول أن في جبالها نبات المحلب فاضل جميع الافاويه، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٢٤.

٢) ذكر ابن حيان الحادثة بشكل مقتضب أيضاً، قال: (وفيها ثار طوريل بتاكرونا، فغدر بالخرس مولي الأمير، وقد تضيفوا أهل قريته وهم سائرون إلى الجزيرة، فهجم عليهم وهم نزول في دار ضيافتهم، فقتلهم وأخذ خيلهم وأسلحتهم، فبادره معاوية بن غانم فيمن حشده من أهل الطاعة فظفر به، وفرق جمعه وقطع عاديته)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢١ ؛ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢.

٣) قال الإدريسي: جرندة أحد مدن بلاد غشكونية المجاورة لجبل البرتات، نزهة المشتاق، ٧٣٥/٢.

٤) ذكر ابن حيان هذه الحادثة بشكل مقتضب أيضاً، قال: (فيها غزا الصائفة عبيد الله بن عبد الله، صاحب الصوائف، فاقتحم بلد الفرنجة، حتى بلغ مدينة برشلونة، فنازلها، ثم تقدم إلى جرندة، فحاصرها وقاتلها، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٣/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣.

وفيها كانت سيول عظيمة ، وأمطار متتابعة بالأندلس ، فخربت أكثر الأسوار بمدائن ثغر الأندلس ، وخربت قنطرة سرقسطة ، ثم جددت عمارتها وأحكمت[1].

برشلونة بالباء الموحدة والراء والشين المعجمة واللام والواو والنون والهاء.

حوادث سنة ثلاث عشرة ومائتين[2]

وفيها قتل أهل ماردة من الأندلس عاملهم ، فثارت الفتنة عندهم ، فسيّر إليهم عبد الرحمن جيشاً فحصرهم ، وفسد زرعهم وأشجارهم ، فعاودوا الطاعة ، وأخذت رهائنهم ، وعاد الجيش بعد أن خربوا سور المدينة.

ثم أرسل عبد الرحمن إليهم بنقل حجارة السور إلى النهر لئلا يطمع أهلها في عمارته ، فلما رأوا ذلك عادوا إلى العصيان ، وأسروا العامل عليهم ، وجددوا بناء السور وأتقنوه[3].

---

1) قال ابن حيان: (وفيها كانت بالأنهار في الأندلس سيول عظيمة بالأمطار توالت، وكان معظم ذلك في الثغر، فذهب أكثر أسوار مدائنه، وانهدم بعض سور المدينة، سرقسطة، وذهب سيل نهرها الطامي بكثير من قنطرتها، فكتب الأمير عبد الرحمن إلى يحيى بن عبد الله عاملها يأمره بإعداد أربعة مراكب، لإجازة الناس في نهرها، إلى أن يتم بنيان القنطرة رفقا بهم)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢٢ ؛ ينظر أيضا: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٣/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣.

2) جمع ابن الأثير أحداث ماردة للسنوات من ٢١٣هـ حتى سنة ٢٢٥هـ بشكل منسق بحيث جاءت أخبار ما حدث فيها من ثورات متسلسلة، أما بقية مؤرخي الأندلس فقد ذكر ابن حيان أخبارها مفرقة على السنين كما سيأتي بيانه، فيما اختصر ابن القوطية أحداث تلك السنوات بإشارة عابرة إلى ثورة محمود بن عبد الجبار وأخته جميلة، واكتفى صاحب أخبار مجموعة بالإشارة إلى تغلب الأمير عبد الرحمن على أهل ماردة بعد سبع سنين من الخروج عليه وعفوه عنهم، أما ابن عذاري فكان أكثر اختصاراً لأحداث ماردة واكتفى بالإشارة إلى محاصرتها من قبل جند الأمير سنة ٢١٧هـ، ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٣ ؛ أخبار مجموعة، ص١٢٤ ؛ البيان المغرب، ٨٣/٢.

3) لم يذكر ابن حيان أحداث ماردة هذه سنة ٢١٣هـ، ولعل ابن الأثير قد تميّز بذكرها، وقد أخذها عنه النويري، نهاية الأرب، ٢٢١/٢٣.

فلما دخلت سنة أربع عشرة سار عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، في جيوشه إلى ماردة ، ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذي أسروه وغيره ، وحصرهم ، وأفسد بلدهم ورحل عنهم[1].

ثم سيّر إليهم جيشاً سنة سبع عشرة ومائتين ، فحصروها وضيقوا عليها ودام الحصار ، ثم رحلوا عنهم[2].

فلما دخلت سنة ثماني عشرة سيّر إليها جيشاً ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد[3] ، وكان من أهلها إنسان اسمه محمود بن عبد الجبار الماردي [4] ، فحصره عبد الرحمن بن الحكم في جمع كثير من الجند ، وصدقوه القتال ، فهزموه وقتلوا

---

١) ذكر ابن حيان في سنة ٢١٤هـ (غزا الأمير عبد الرحمن مدينة ماردة، وكان أهلها قد نكثوا، وقدموا على أنفسم بعد قتل رئيسهم مروان الجليقي، محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين، فاحتل عليهم الأمير بجيشه، واحتجزوا عنه لمنعة حصنهم، فانتسف زروعهم، وحطم معايشهم، وشد الوطأة عليهم، ثم قفل عنهم)، قال: وفي سنة ٢١٥هـ (خرج الأمير عبد الرحمن في جنده وعدته، يريد حصار مدينة ماردة والمقام عليها، فتلقاه عشر من وجوه أهلها يسترفقونه عنهم مكرا منهم، وغشوه من غير إذن ولا أمان، فقبض عليهم وكبلهم، وحل بالمدينة، فقاتل أهلها، وأفسد زروعها، فأذعنوا له بالطاعة، ورهنوه الرهن الذين صاروا في يده، على أن يردهم إلى سنة فيبدلونه بغيرهم، وولى عليهم حارث بن بزيغ وذلك في ربيع الأول منها) المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢٣.

٢) قال ابن حيان: (غزا فيها الأمير عبد الرحمن بنفسه إلى مدينة ماردة، في ربيع الأول منها، فنازلها وشد حصرها، ثم قفل عنها وقد خلف على محاصرتها عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني، ومحمد بن رستم متداولين) المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢٤.

٣) قال ابن حيان في أحداث هذه السنة: (فيها غزا الأمير عبد الرحمن بالصائفة إلى ماردة، وقد انتفضوا عليه، عند صرفه لرهائنهم عند انتهاء الحول، فسارعوا إلى المعصية، وامتنعوا من إرسال الرهائن، وأتاهم الأمير في جيشه وعدته، وأحاط بهم، وشد حصرهم، وأفسد زروعهم، وحطم معايشهم، وامسك عن حربهم لمنعة معقلهم، وقفل عنهم)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢٥.

٤) هو محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودي، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٠- ٥٠١ ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٩.

كثيراً من رجاله ، وتبعتهم الخيل في الجبل ، فأفنوهم قتلاً وأسراً وتشريداً.

ومضى محمود بن عبد الجبار الماردي فيمن سلم معه من أصحابه إلى منت سالوط[١] ، فسيّر إليه عبد الرحمن جيشاً سنة عشرين ومائتين [٢] ، فمضوا هاربين عنه عنه إلى حَلَقب في ربيع الآخر منها فأرسل سرية في طلبهم ، فقاتلهم محمود ، فهزمهم ، وغنم ما معهم ، ومضوا لوجهتهم ، فلقيهم جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة ، فقاتلوهم ثم كفّ بعضهم عن بعض ، وساروا فلقيهم سرية أخرى ، فقاتلوهم ، فانهزمت السرية ، وغنم محمود ما فيها.

وسار حتى أتى مدينة مينة[٣] ، فهجم عليها وملكها وأخذ ما فيها من دواب ، وطعام ، وفارقوها فوصلوا إلى بلاد المشركين ، فاستولوا على قلعة لهم ، فأقاموا بها خمسة أعوام وثلاثة أشهر ، فحصرهم أذفونس[٤] ملك الفرنج ، فملك الحصن ، وقتل محموداً ومن معه ، وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين في رجب ، وانصرف من فيها[٥].

---

١) منت سالوط، حصن يقع قرب مدينة بطليوس، حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس، ص٢٧.

٢) رواية ابن حيان فيها شيء من الاختلاف قال: سنة عشرين ومائتين (غزا الأمير عبد الرحمن بنفسه إلى مدينة ماردة، فأحاط بها وحاصرها، وانتسف أقواتها، وأفسد عمارتها، ثم رحل عنها فاقتحم بلد الغرب، متتبعا آثار أهل الخلاف مفرقا جموعهم، حتى احتل بطليوس، فأقام بها أياماً، فدوخ بلاد أهل المعصية، فطالت غزوته، ثم قفل إلى قرطبة) المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)، ص ٤٢٦.

٣) لم نعثر على اسم هذه المدينة، ولم يذكرها ابن حيان، ولعل فيها من التصحيف ما تعذر التعرف عليها، والراجح أنها تقع غرب الأندلس وبالقرب من بطليوس حيث مسرح الأحداث هناك.

٤) تولى الفونسو الثاني حكم جليقية من سنة ١٧٥هـ حتى سنة ٢٢٨هـ، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٣٥٣- ٣٥٤.

٥) ذكر ابن حيان قصة محمود بن عبد الجبار وأخته جميلة بالتفصيل، وملخصها: إن محمود بن عبد الجبار بن زاقلة البربري ثار بمدينة ماردة أيام الأمير عبد الرحمن، وكان من أعظم خلق الله كياداً في الحرب، فكان إذا جاءت عساكر السلطان اعتصم بالمدينة وحصونها، وإذا أقلعت عنهم العساكر انبسطوا في نواحي ماردة وكانت تساعده في ذلك أخته جميلة العذراء وكانت ذات جمال بارع وشجاعة نادرة، فلما هاجمهم الأمير عبد الرحمن سنة ٢١٨هـ تحصن محمود بحصن بطليوس، ومنها أخذ يشن الغارات على مناطق غرب الأندلس متربصا بالسلطان، فلما رجع الأمير إلى قرطبة هاجم مدينة باجة وهزم أهلها ثم انبسط في كورة أكشبونة، ولم=

حوادث سنة أربع عشرة ومائتين

وفيها سار عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس إلى مدينة باجة ، وكانت عاصية عليه من حين فتنة منصور إلى الآن ، فملكها عنوة[1].

وفيها خالف هاشم الضراب بمدينة طليطلة ، من الأندلس ، على صاحبها عبد الرحمن ، وكان هاشم من خرج من طليطلة لما أوقع الحكم بأهلها فسار إلى قرطبة ، فلما كان الآن سار إلى طليطلة ، فاجتمع إليه أهل الشر وغيرهم فسار بهم إلى وادي نحوييه[2] وأغار على البربر وغيرهم ، فطار اسمه ، واشتدت شوكته ، واجتمع له جمع

=يدعه الأمير عبد الرحمن فكان يرسل إليه الجيوش عاماً بعد عام حتى ألجأه إلى جبل منيع قرب البحر يدعى منت شاقر غرب مدينة شلب، وفي سنة ٢٢٠هـ غزاه الأمير عبد الرحمن إذ صعد إلى طليطلة منها انكفأ راجعاً نحو الغرب فطات غزوته وملّ جنده وامتنع منه محمود بالجبال، عندها اضطر الأمير إلى الرجوع، تاركاً قواده بمباشرة الحرب والتضييق عليه حتى اضطر إلى دخول جليقية مستجيراً بملكها أذفونش فرحب به وأكرمه وأنزله الحصن الذي ينسب إليه في طرف بلده ليكون حاجزا بينه وبين المسلمين، فنزله محمود وعمره، وبقي على ذلك سنوات، ثم إنه ندم على ذلك وكاتب الأمير عبد الرحمن سراً وسأله الأمان له ولأصحابه، فسر الأمير بذلك واستجاب لما سأله، إلا أن أذفونش ملك جليقية اطلع على ذلك، فأرسل قواته وحصر محمود وأصحابة فنازلهم محمود، فبينما هو كذلك إذ صدعت به شجرة بلوط كانت أمامه أصابت صدره فانجدل ميتا لوقته، وتفرق عنه أصحابه، فبقي على الأرض مدة لا يجرأ فرسان النصارى على الدنو منه يخافون أن ذلك حيلة حتى تبين لهم موته بعد حين، عنها دخلوا حصنه وسبوا عيال محمود وأصحابه ومنهم جميلة أخته التي تنافس عليها وجوه النصارى لما اجتمع فيها من الجمال والحسب والبأس حتى تقارعوا عليها، فصارت لعظيم منهم، فتنصرت وولدت له وكان من ولدها أسقف عظيم بكنيسة شنت ياقب، وكان قتل محمود سنة ٢٢٥هـ، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص٤٣٦- ٤٤٥ ؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٢٥٧- ٢٥٨ ؛ حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس، ص٣٥- ٣٨.

١) لم تذكر المصادر الأندلسية التي بين أيدينا أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم غزا باجة في هذه السنة، وذكرها النويري نقلاً عن ابن الأثير، نهاية الأرب، ٢٢٢/٢٣.

٢) عند ابن حيان، وادي تجونية، وهو نهير من فروع نهر تاجة ينبع نمن منطقة شبه صحراوية على مقربة من قلعة أيوب، ويتجه جنوباً بغرب، مارا بسهل وادي الحجارة حتى يصب في نهر تاجة، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٢٣ والتعليق ١٣٥ ص٥٦٢ ؛ وأسماه النويري وادي جونية، نهاية الأرب، ٢٢٢/٢٣.

عظيم ، وأوقع بأهل شنت برية[1].

وكان بينه وبين البربر وقعات كثيرة ، فسيّر إليه عبد الرحمن هذه السنة جيشاً فقاتلوه ، فلم تستظهر إحدى الطائفتين على الأخرى ، وبقي هاشم كذلك ، وغلب على عدة مواضع ، وجاوز بركة العجوز[2] ، وأخذت غارةٌ خَيْلَه ، فسيّر إليه عبد الرحمن جيشاً كثيفاً سنة ست عشرة ومائتين ، فلقيهم هاشم بالقرب من حصن سمسطا بمجاورة رورية[3] ، فاشتدت الحرب بينهم ، ودامت عدة أيام ، ثم انهزم هاشم ، وقتل هو وكثير ممن معه من أهل الطمع والشر وطالبي الفتن ، وكفى الله الناس شرهم[4].

---

١) شنت برية ، ذكرها ابن حزم وقال: إن فيها من البربر بنو عوسجة وبنو عزون وبنو هذيل وبنو تيه ، جمهرة أنساب العرب ، ص٤٩٨- ٥٠٠ وقال ابن حيان: هي من أعمال طليطلة إلى الشرق من السهلة وكان فيها بني ذي النون ، المقتبس ، (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠)ص٣٦ ، و(الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ) ص١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، و(تحقيق الحجي)ص١٥٠ ؛ ينظر أيضاً: الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٣٦ وفيه *شنتبريّة*؛ العذري ، ترصيع الأخبار ، ص١٤ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ورسمها عندة: *شنت بريّة*؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص١٩ قال: وهي شرق من قرطبة ولها حصون كثيرة ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١٦٩/٢ وورت فيه *سنت ابريّة*.

٢) بركة العجوز ذكرها ابن حيان في أحداث سنة ٣٣٢هـ في حملة الناصر لدين الله على سرقسطة وقال: إنها واقعة بين حصن دروقة وحصن ملينة ، المقتبس ، (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ) ص٣٦٢.

٣) عند ابن حيان كان التقاؤهما عند مقربة من حصن دروقة ، المقتبس(الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص.٤٢٤

٤) قال ابن حيان: في سنة ٢١٤هـ ثار هاشم الضراب كان من أهل طليطلة وخرج منها عند استنزال الأمير الحكم لها ، وعمل حداداً في قرطبة لذلك عرف بالضراب ، ثم رجع إلى طليطلة ، وحرض على الثورة ، فالتف حوله خلق من الناقمين على السلطة ، ولم تتمكن السلطة من التصدي له وهزم عدة قوات ، وتغلب على جانب من الثغر ، فذاع صيته واستمر على ذلك إلى سنة ٢١٦هـ ، فأرسل الأمير عبد الرحمن إلى عامل الثغر يؤنبه على تقصيره ويحثه بالجد في حربه ، فحشد له ابن رستم ووقعت بينهم حرب انتهت بهزيمته وقتل هاشم وألوف من أصحابه ، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٢٢- ٤٢٣ ، ٤٢٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٣/٢ وروايته مطابقة لرواية ابن حيان ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٣٧٩/٢٣ وروايته مطابقة لرواية ابن الأثير ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ١٦٤/٤ وجعلها سنة ٣١٥هـ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق١ ، ٢٥٨.

حوادث سنة تسع عشرة ومائتين

ذكر محاصرة طليطلة

في هذه السنة سيّر عبد الرحمن بن الحكم الأموي ، صاحب الأندلس ، جيشاً مع أمية بن الحكم[1] إلى مدينة طليطلة ، فحصرها وكانوا قد خالفوا الحكم ، وخرجوا عن الطاعة ، واشتد في حصرهم ، وقطع أشجارهم ، وأهلك زروعهم ، فلم يذعنوا إلى الطاعة ، فرحل عنهم ، وأنزل بقلعة رباح[2] جيشاً عليهم ميسرة ، المعروف بفتى أبي أيوب[3] ، فلما أبعدوا منه خرج جمع كثير من أهل طليطلة ، لعلهم يجدون فرصة وغفلة من ميسرة فينالوا منه ومن أصحابه غرضاً وكان ميسرة قد بلغه الخبر ، فجعل الكمين في مواضع ، فلما وصل أهل طليطلة إلى قلعة رباح ، للغارة خرج الكمين عليهم من جوانبهم ، ووضعوا السيف فيهم ، وأكثروا القتل ، وعاد من سلم منهم منهزماً إلى طليطلة ، وجمعت رؤوس القتلى ، وحملت إلى ميسرة ، فلما رأى كثرتها عظمت عليه ، وارتاع لذلك ، ووجد في نفسه غمّاً شديداً فمات بعد أيام يسيرة[4].

---

١) وهو أخ الأمير عبد الرحمن بن الحكم الربضي.

٢) قلعة رباح، قال ابن الخراط: (بالأندلس غربا من طليطلة مغربة قليلاً وبين شرق وجوف من قرطبة ومبتناها على نهر آنه وأرضها كريمة تطيب مزارعها ويزكو طعامها وتحسن الماشية في مسارحها ولألبانها فضل بائن على غيرها)اختصار اقتباس الأنوار ، ص١٤١ ؛ ووصفها الحميري قائلاً: (قلعة رباح بالأندلس أيضاً من عمل جيّان، وهي بين قرطبة وطليطلة، وهي مدينة حسنة ولها حصون حصينة على نهر آنه، وهي مدينة محدثة في أيام بني أميَّة، وإنما عمّرت قلعة رباح بخراب أوريط. وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين أمر الإمام محمد بتحصين مدينة قلعة رباح والزيادة في مبانيها ، ونقل الناس إليها)صفة، ص١٦٣ ؛ ينظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢.

٣) ورد اسمه عند ابن حيان مسرة المعروف بابن أبي أيوب، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص ٤٢٦؛ وعند النويري ميسرة المعروف بفتى أبي أيوب، نهاية الأرب، ٣٨٠/٢٣.

٤) قال ابن عذاري: (وفي سنة ٢١٩ ، غزا بالصائفة أمية بن الحكم إلى طليطلة وحاصرها ، ثم قفل العسكر بعد أن أتلف زروعهم وقطع ثمارهم. وأبقى بقلعة رباح ميسرة الفتى لمحاصرة طليطلة ، فخرج جمع عظيم من طليطلة يريدون قلعة رباح، فبلغه خبرهم، فجمع الجموع، وكمن الكمائن. فلما قربوا منها ، وفرقوا خيلهم في الغارة ، خرجت عليهم الكمائن، فقتلوا ، وحزت رؤوسهم، فجمعت بين يدي ميسرة ، واجتمع منها جملة عظيمة. فلما رأى ذلك، ارتاع وداخله الندم، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات ندماً وأسفاً)البيان المغرب، ٨٤/٢.

وفيها أيضاً كان بطليطلة فتنة كبيرة ، تعرف بملحمة العراس ، قتل من أهلها كثير[1].

حوادث سنة عشرين ومائتين

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سيّر عبد الرحمن ملك الأندلس جيشاً إلى طليطلة ، فقاتلوها فلم يظفروا بها[2].

حوادث سنة اثنتين وعشرين ومائتين

ذكر استيلاء عبد الرحمن على طليطلة

قد ذكرنا عصيان أهل طليطلة على عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي ، صاحب الأندلس ، وإنفاذ الجيوش إلى محاصرتها مرة بعد مرة ، فلما كان سنة إحدى وعشرين ومائتين خرج جماعة من أهلها إلى قلعة رباح ، وبها عسكر لعبد الرحمن ، فاجتمعوا كلهم على حصر طليطلة ، وضيقوا عليها وعلى أهلها وقطعوا عنهم باقي مرافقهم واشتدوا في محاصرتهم ، فبقوا كذلك إلى أن دخلت سنة اثنتين وعشرين[3].

---

١) لم نجد هذه الحادثة في المصادر التي بين أيدينا.

٢) قال ابن عذاري: (وفي سنة ٢٢٠ ، غزا الأمير عبد الرحمن؛ فجعل صدر وجهته على طليطلة ، وولى أبا الشماخ قلعة رباح، وأبقى عنده خيلا كثيفة ورجلا كثيرة لمناهضة طليطلة) البيان المغرب، ٨٤/٢ ؛ وقال النويري: (سيّر عبد الرحمن جيشا في سنة عشرين ومائتين فقاتلوا ولم يظفروا منها بشيء)نهاية الأرب، ٣٨٠/٢٣.

٣) قال ابن حيان: في هذه السنة غزا الأمير عبد الرحمن طليطلة وحاصرها وقتل رجالاً من أهلها ، ثم انصرف عنها ، قال: وكان قد وقع خلاف بين رؤسائها الخارجين عن السلطان فلجأ أحدهم ويدعى أيمن بن مهاجر إلى قلعة رباح منشقاً عنهم، وشجع قوات الحكم على الزحف على طليطلة ومحاصرتها ، فكان ذلك سبباً في فتحها في العام التالي، المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ)ص ٤٢٧.

فسيّر عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم إليها أيضاً فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ ، واشتد عليهم طول الحصار ، وضعفوا عن القتال والدفع ، فافتتحها قهراً وعنوةً يوم السبت لثمان خلون من رجب ، وأمر بتجديد القصر على باب الحصن الذي كان هدم أيام الحكم ، وأقام بها إلى آخر شعبان من سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، حتى استقرت قواعد أهلها وسكنوا[1].

حوادث سنة ثلاث وعشرين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة سيّر عبد الرحمن بن الحكم صاحب الأندلس جيشاً إلى ألبة ، والقلاع ، فنزلوا حصن الغرات[2] ، وحَصَروه ، وغمنوا ما فيه ، وقتلوا أهله ، وسبوا النساء والذرّية وعادوا[3].

---

١) أشار ابن حيان إلى أن الأمير عبد الرحمن بعث أخاه الوليد بن الحكم إلى طليطلة وكانوا قد ضعفوا من الحصار ، فأقام محاصراً ومضيقاً عليهم، فلما علم الأمير عبد الرحمن اضطرابهم لحقه الطمع فيهم فخرج أيضاً إلى طليطلة بجيشه ورجاله وحلّ على أخيه الوليد ، فاقتحمها قسراً ، ثم صفح عنهم وجدد البيعة له وقفل تاركاً أخاه الوليد فيها ، المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ) ص ٤٢٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٠/٢٣ ؛ ابن خلدون، ١٦٥/٤.

٢) ورد عند ابن حيان وابن عذاري باب الغرب، وعند النويري حصن الفرات، ينظر المصادر أدناه.

٣) ذكر ابن حيان عدة غزوات في هذه السنة إلى الثغر قال: فيها غزا الأمير عبد الرحمن بنفسه إلى أرض العدو فاحتل بطليطلة فلما جازها حنّ إلى ما خلفه من غضارة الملك وبهجة النعيم فاستخلف أخاه أمية ورجع إلى قرطبة ، فتقدم أمية إلى دار الحرب فنازل حصن القرية وافتتحه وانقلب بالنصر والغنيمة ، كما أغزا في هذه السنة أيضاً أخاه عمه الوليد بن هشام إلى جليقية فدخل من باب الغرب إلى بازو ، فدوخ ذلك الصقع وفتح فتوحاً كثيرة ، كما أرسل أيضاً أخاه سعيد بن الحكم إلى ألبة والقلاع من بلاد العدو ففتح أيضاً ، المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ)ص ٥٢٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٠/٢٣- ٣٨١.

حوادث سنة أربع وعشرين ومائتين

ذكر غزاة المسلمين بالأندلس

وفي هذه السنة سيّر عبد الرحمن عبد الله[1] المعروف ابن البلنسي إلى بلاد العدو ، فوصلوا إلى ألبة والقلاع ، فخرج المشركون إليه في جمعهم ، وكان بينهم حرب شديدة ، وقتال عظيم ، فانهزم المشركون وقتل منهم ما لا يحصى ، وجمعت الرؤوس أكداساً حتى كان الفارس لا يرى من يقابله[2].

وفيها خرج لذريق في عسكره ، وأراد الغارة على مدينة سالم[3] من الأندلس ، فسار إليه فرتون بن موسى[4] في عسكر جرار ، فلقيه وقاتله ، فانهزم لذريق وكثر القتل في عسكره ، وسار فرتون إلى الحصن الذي كان بناه أهل ألبة بإزاء ثغور المسلمين ، فحصره ، وافتتحه وهدمه[5].

---

١) الصحيح عبيد الله بن عبد الله البلنسي .

٢) لم يذكر ابن حيان غزوة عبيد الله بن عبد الله البلنسي، وأشار إلى أن هذه الغزوة كانت بقيادة الحكم بن الأمير عبد الرحمن، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٢٩ ؛ أما ابن عذاري فأشار إلى نفس الحادثة أعلاه الواردة عند ابن الأثير ولكنه ذكر أنها كانت بقيادة الحكم بن الأمير عبد الرحمن قال: (وفي سنة ٢٢٤ ، أغزى الإمام عبد الرحمن ابنه الحكم إلى دار الحرب، وأمره بالتجوال في جهات الثغور، ليتعرف أخبارها ومصالحها. وأمر بإصلاح قنطرة سرقسطة. ودخل الحكم بالصائفة إلى دار الحرب، فدوخها، وقتل من المشركين ما لا يحصى. واجتمع من رؤوسهم أكداس كالجبال، حتى كان الفارس يقف من ناحية، فلا يرى صاحبه من ناحية أخرى من عظمها)البيان المغرب، ٨٥/٢ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٣٨١/٢٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٥/٤.

٣) مدينة سالم ، أحدى مدن الثغر الأوسط الأندلسي، قال الإدريسي: (من مدينة وادي الحجارة إلى مدينة سالم شرقاً خمسون ميلاً ومدينة سالم هذه مدينة جليلة في رضاء من الأرض كبيرة القطر والعمارات والبساتين والجنات)نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٧ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٦١/٢.

٤) وهو فرتون بن موسى بن موسى بن فرتون بن قسي أحد رجالات الثغر الأعلى تقلب بين الطاعة والخلع أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم وعند وفاته خلفه ابنه فرتون بن موسى، الذي انهج هو الآخر سياسة أبيه حتى وفاته سنة ٢٦٠هـ، ينظر أخباره: العذري، ترصيع الأخبار، ص٣٤- ٣٥ ؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص٥٦٥- ٥٦٦ التعليق ١٤٤.

٥) أشار ابن حيان إلى هذه الحادثة ببعض الاختلاف قال: (وفيها خرج العلج لذريق في خيله للغارة على مدينة سالم، فأخرج موسى بن موسى ابنه فرتون في جماعة أصحابه فلقيه مقبلاً، وقابله=

حوادث سنة خمس وعشرين ومائتين

وفيها سار عبد الرحمن صاحب الأندلس في جيش كثير إلى بلاد المشركين في شعبان ، فدخل بلاد جليقية ، فافتتح منها عدة حصون ، وجال في أرضهم يخرّب ، ويغنم ، ويقتل ، ويسبي ، وأطال المقام في هذه الغزاة ، ثم عاد إلى قرطبة[1].

حوادث سنة سبع وعشرين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سيّر عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً إلى أرض العدو ، فلما كان بين أربونة وشرطانية تجمعت الروم عليهم ، وأحاطوا بالعسكر ، وقاتلوهم الليل كله ، فلما أصبحوا أنزل الله تعالى نصره على المسلمين وهزم عدوهم ، وأبلى موسى بن موسى في هذه الغزوة بلاء عظيماً ، وكان على مقدمة العسكر ، وجرى بينه وبين جرير بن موفق[2] ، وهو من أكابر الدولة أيضاً ، شر فكان سبباً لخروج موسى عن طاعة عبد الرحمن[3].

=كفاحاً ، فهزم الله العدو أقبح هزيمة ، وقتل العلج لذريق وجل أصحابه)المقتبس (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٣٠ ؛ ينظر أيضاً : النويري، نهاية الأرب، ٣٨١/٢٣ ذكر الرواية بشيء من الاختلاف ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٥/٤.

١) أورد ابن حيان ذلك مقتضباً ، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص٤٣٠ ؛ أما ابن عذاري فأضاف إليه خبر أرق عبد الرحمن وحنينه إلى حظيته طروب، قال: (وفي سنة ٢٢٥ غزا الإمام عبد الرحمن بنفسه أرض جليقية. ففتح حصونها ، وجال في أرضها. وطالت غزاته، وتعب كثيراً ، فأرق في بعض الليالي، فلما كان في بعض الليل، حضر عبد الله بن الشمر الشاعر؛ فوصف له أرقه، وأنه تذكر بعض من حنّ إليه؛ فقال عبد الرحمن بن الشمر متقارب:

عَدَانِيَ عَنْـــكَ مَـزَار العِـــدَى ... وقَـودي إلـيهم لُهَامـاً مَهيبَـــا

وكَمْ قَدْ تعسفتُ من سَبْسَـــبٍ ... وجـاوَزتُ بـــعد دُروبٍ دُرُوبــا

وادَّرعُ النَّــقْعَ حتـــى لَبِســتُ ... من بَعْدِ نَضْرَةِ وَجهـي شُحُوبا

البيان المغرب٢/٨٥ـ ٨٦ ؛ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩/٢وفيه أن الشاعر هو عبد الله بن إبراهيم.

٢) ورد اسمه عند ابن حيان خزر بن مؤمن، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص٤٤٦.

٣) قال ابن حيان: فيها غزا الصائفة عبيد الله بن عبد الله البلنسي وكان على مقدمته موسى بن موسى فانهزم العدو وأبلى موسى بلاء حسناً ، إلا أنه وقع بينه وبين خزر بن مؤمن أحد رجالات الجيش شر فتفاقم الأمر بينهما فكان سبب خلاف موسى بن موسى للأمير عبد الرحمن وكان إذ ذلك عامل تطيلة وما يليها من الثغر، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٤٦- ٤٤٧ ؛=

وفيها توفي أذفونش ملك الروم بالأندلس ، وكانت إمارته اثنتين وستين سنة[1].

شرطانية بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة وبعدها نون ثم ياء تحتانية ثم هاء.

حوادث سنة ثمان وعشرين ومائتين

ذكر الحرب بين موسى بن موسى والحارث بن يزيغ

في هذه السنة كانت حرب بين موسى بن موسى عامل تطيلة وبين عسكر عبد الرحمن أمير الأندلس ، والمقدم عليهم الحارث بن يزيغ.

وسبب ذلك أن موسى بن موسى كان من أعيان قواد عبد الرحمن ، وهو العامل على مدينة تطيلة ، فجرى بينه وبين القواد تحاسد سنة سبع وعشرين ، وقد ذكرناه ، فعصى موسى بن موسى على عبد الرحمن ، فسيّر إليه جيشاً واستعمل عليهم الحارث بن يزيغ والقواد ، فاقتتلوا عند برجة[2] ، فقتل كثير من أصحاب

=ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٦/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨١/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٥/٤.

١) وهو الفونسو بن فرويلا تولى ملك جليقية سنة ١٧٥هـ وعاصر الأمراء هشام والحكم وعبد الرحمن الثاني، وكان يلقب بالملك العفيف، ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ)ص٤٤٨ وقال: إن حكمه دام اثنتين وخمسين سنة، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٩/٢ وقال: إن مدة حكمه إحدى وأربعين سنة ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٣٠/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٣٥٣- ٣٥٤.

٢) برجة، ذكر ابن غالب أنها مدينة تابعة لكورة إلبيرة، فرحة الأنفس، ص١٥ ؛وقال الإدريسي: إن مدينة برجة في أيامه تعد من منابر المريّة، قال: وبها أسواق وصناعات ومزارع، نزهة المشتاق، ٥٦٣/٢ ؛ وعند العذري فإن برجة تقع في منطقة الثغر الأعلى، فذكر أن الأمير عبد الله بن محمد خرج سنة ٢٦٥هـ إلى الثغر بسبب تمرد إسماعيل بن موسى في سرقسطة فانتقل من شلون إلى برجة ثم طرسونة واسكانية ثم احتل عسكره بتطيلة، ترصيع الأخبار، ص٣٣، وكذلك غزوة الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٢هـ إلى الثغر إذ مرّ على مناطق طرسونة وبرجة وتطيلة، ص٤٤ ؛ أما مؤلف مجهول فإنه أسماها بوجة وعدها من مدن الثغر الأعلى فعند حديثة عن كورة الفرج ووادي الحجارة قال: (وبها مدن وحصون كثيرة منها مدينة مجريط ومدينة طلمنكة ومدينة مكادة ومدينة أنيشة ومدينة بوجة)، ذكر بلاد الأندلس، ص٥٩ (تحقيق مولينا)، وتاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٠٩ ؛ ويبدو أن بوجة بالثغر هي غير برجة في منطقة إلبيرة ولعلها صُحّفت عند العذري بدليل إن التي بالثغر تلفظ (Borja)، الاهواني، =

موسى ، وقتل ابن عمّ له ، وعاد الحارث إلى سرقسطة ، فسيّر موسى ابنه ألب بن موسى إلى برجة ، فعاد الحارث إليها وحصرها فملكها وقتل ابن موسى ، وتقدم إلى أبيه فطلبه ، فحضر ، فصالحه موسى على أن يخرج عنها ، فانتقل موسى إلى أربيط[1] وبقي الحارث يتطلبه أياماً ثم سار إلى أربيط ، فحصر موسى بها فأرسل موسى إلى غرسية[2] ، وهو من ملوك الأندلسيين المشركين ، واتفقا على الحارث ، واجتمعا وجعلا له كماين في طريقه ، واتخذ له الخيل والرجال بموضع يقال له بلمسة على نهر هناك ، فلما جاء الحارث النهر خرج الكمناء عليه ، وأحدقوا به ، وجرى معه قتال شديد ، وكانت وقعة عظيمة ، وأصابته ضربة في وجهه فلقت عينيه ، ثمّ أسر في هذه الوقعة.

فلما سمع عبد الرحمن خبر هذه الوقعة عظم عليه ، فجهز عسكراً كبيراً واستعمل عليه ابنه محمد ، وسيّره إلى موسى في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائتين ، وتقدم محمد إلى بنبلونة ، فأوقع عندها بجمع كثير من المشركين ، وقتل فيها غرسية وكثير من المشركين.

ثم عاد موسى إلى الخلاف على عبد الرحمن ، فجهز جيشاً كبيراً وسيّرهم إلى موسى ، فلما رأى ذلك طلب المسالمة ، فأجيب إليها وأعطى ابنه إسماعيل رهينة ، وولاه عبد الرحمن مدينة تطيلة ، فسار موسى إليها فوصلها وأخرج كلّ من يخافه ، واستقر فيها[3].

=تعليقه على كتاب العذري ترصيع الأخبار ، هامش ٣٣ ص١٥٥ ؛ ولعلها جاءت أيضاً مصحفة هنا عند ابن الأثير.

١) وتلفظ أرنيط قال الحميري: (مدينة بالأندلس أولية بينها وبين تطيلة ثلاثون ميلاً، وحواليها بطاح طيبة المزارع، وهي قلعة عظيمة منيعة من أجل القلاع، وفيها بئر عذبة لا تنزح قد انبطت في الحجر الصلد، وهذه القلعة مطلة على أرض العدو وبينها وبين تطيلة ثلاثون ميلاً)، صفة، ص١٤. وقال العذري: إنها ولاية في الثغر الأقصى كان عليها أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط موسى بن موسى القسي، ينظر: ترصيع الأخبار، الصفحات:٣٠ - ٣٨.

٢) وهو غرسيه بن ونقه أمير البشكنس كانت له مصاهرة مع بني قسي أمراء الثغر إذ تزوج موسى بن موسى من ابنة غرسيه وتزوج غرسيه وأخوه من بنات لب بن موسى، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢ ؛ العلياوي، البشكنس، ص٥٦.

٣) أشار ابن حيان إلى هذه الأحداث بنفس التفاصيل الواردة عند ابن الأثير، ويبدو أن ابن الأثير=

حوادث سنة ثلاثين ومائتين

ذكر خروج المشركين إلى بلاد المسلمين بالأندلس

في هذه السنة خرج المجوس[1] من أقاصي بلاد الأندلس في البحر إلى بلاد المسلمين ، وكان ظهورهم في ذي الحجة سنة تسع وعشرين ، عند أشبونة[2] ، فأقاموا

=قد استقاها منه، قال ابن حيان: في هذه السنة غزا الأمير عبد الرحمن بنبلونة واصطحب معه ولديه محمد والمطرف، وجعلهما على ميمنته وميسرته، فاستجاش موسى بن موسى أصهاره غرسيه بن ونقه وفرتون بن ونقه أخوه لأمه وكذلك أهل جليقية وألبة فكانت الهزيمة عليهم وأصيب ابن فرتون وكان فارس بنبلونة وعدد من فرسانهم وفرّ موسى بن موسى فيما استأمن إليه عدد من زعماء البشكنس، وفي سنة ٢٢٩هـ سار الأمير عبد الرحمن غزوته الثالثة إلى موسى بن موسى ووصل تطيلة ثم رجع تاركاً ابنه محمداً فيها فصالحه موسى ورجع إلى الطاعة، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٤٩- ٤٥٠ ؛ وقد ذكر خبر هذه الغزوة بشكل مقتضب: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٦/٢- ٨٧ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٥/٤ ؛ أما النويري فقد كانت روايته مطابقة لابن الأثير، نهاية الأرب، ٣٨٢/٢٣- ٣٨٣.

١) وهو لقب أطلقته مصادرنا العربية في المغرب على الأردمانيين وهم النومان سكان الشمال من السويديين والنرويجيين والدنماركيين، ولعل اطلاق كلمة المجوس عليهم لأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يحلون فيه وكانوا يحرقون بها جثث موتاهم، وكانوا يسكنون سواحل تلك البلاد، وهم بحارة مهرة ويمتلكون قوارب سريعة يغيرون فيها على السواحل المكشوفة غير المحصنة، ينظر: العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٤٨- ٣٤٩ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٢٧- ٢٢٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٢٦١- ٢٦٢.

٢) أشبونة ورد اسمها بألفاظ مختلفة فجاءت أشبونة و لشبونة والأشبونة، ينظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٢ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥ ؛ الدرويش والعلياوي، لشبونة في العصر الإسلامي، مجلة دراسات تاريخية، عدد ٤ لسنة ٢٠٠٨م، ص٢ ؛ وصفها الحميري قائلاً: (والأشبونة بغربي باجة، وهي مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه في سورها واسمها قودية، وسورها رائق البنيان بديع الشان، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام، وهو أكبر أبوابها، ولها باب غربي أيضاً يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولا ماء يصبان في البحر، ولها باب قبلي يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مده وترتفع في سوره ثلاث قيم، وباب شرقي يعرف بباب الحمة، والحمة على مقربة منه ومن البحر بمائين: ماء حار وماء بارد، فإذا مد البحر واراهما، وباب شرقي أيضاً يعرف بباب المقبرة. والمدينة في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر لها سور وقصبة منيعة، والأشبونة على نحر البحر المظلم) ص ١٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٩٧.

ثلاثة عشر يوماً بينهم وبين المسلمين بها وقائع ، ثم ساروا إلى قادس ثم إلى شدونة ، فكان بينهم وبين المسلمين بها وقائع[1].

ثم ساروا إلى إشبيلية ثامن المحرم ، فنزلوا على اثني عشر فرسخاً[2] منها فخرج إليهم كثير من المسلمين ، فالتقوا فانهزم المسلمون ثاني عشر المحرم ، وقتل كثير منهم ، ثم نزلوا على ميلين[3] من إشبيلية ، فخرج أهلها إليهم ، وقاتلوهم ، فانهزم المسلمون رابع عشر المحرم ، وكثر القتل والأسر فيهم ، ولم ترفع المجوس السيف عن أحد ، ولا عن دابة ، ودخلوا حاجز إشبيلية وأقاموا به يوماً وليلة وعادوا إلى مراكبهم.

وأقام عسكر عبد الرحمن ، صاحب البلاد ، مع عدة من القواد ، فتبادر إليهم المجوس ، فثبت المسلمون ، وقاتلوهم ، فقتل من المشركين سبعون رجلاً وانهزموا حتى دخلوا مراكبهم ، وأحجم المسلمون عنهم ، فسمع عبد الرحمن ، فسيّر جيشاً آخر غيرهم ، فقاتلوا المجوس قتالاً شديداً فرجع المجوس عنهم ، فتبعهم العسكر ثاني ربيع الأول ، وقاتلوهم ، وأتاهم المدد من كل ناحية ، ونهضوا لقتال المجوس من كل جانب ، فخرج إليهم المجوس وقاتلوهم ، فكاد المسلمون ينهزمون ، ثم ثبتوا فترجل كثير منهم فانهزم المجوس ، وقتل نحو خمس مائة رجل ، وأخذوا منهم أربعة مراكب ، فأخذوا ما فيها واحرقوها وبقوا أياماً لا يصلون إلى المجوس ، لأنهم في مراكبهم.

---

1) قال ابن حيان: في آخر سنة ٢٢٩هـ ظهرت مراكب الاردمانيين بالساحل الغربي بالأندلس، فحلت بالأشبونة وأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً حيث قاتلهم أهلها ثم اتجهوا نحو قادس ثم إلى شذونة فجرت معهم معركة حضرها لب بن موسى القسي، وكان عامل الأشبونة وهب الله بن حزم كتب إلى الأمير عبد الرحمن بحلول أربع وخمسون مركباً ومهعا أربع وخمسون قارباً بعددها فأوصاهم بالتحفظ والاحتراس، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٥٠- ٤٥١ ؛ينظر أيضاً : ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٧/٢ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، ٤٩/١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٣/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٥/٤- ١٦٦ وجعل أول ظهورهم سنة ٢٢٦هـ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٥/١- ٣٥٦.

2) الفرسخ يساوي ٦ كم، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٤.

3) الميل يساوي ٢ كم، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٥.

ثم خرج المجوس إلى لبلة[1] ، فأصابوا سبياً ، ثم نزل المجوس إلى جزيرة قريب قوريس[2] ، فنزلوها وقسموا ما كان معهم من الغنيمة ، فحمي المسلمون ، ودخلوا إليهم في النهر ، فقتلوا من المجوس رجلين ، ثم رحل المجوس ، فطرقوا شدونة فغنموا طعمة وسبياً وأقاموا يومين.

ثم وصلت مراكب لعبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، إلى إشبيلية ، فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبلة ، فأغاروا وسبوا ثم لحقوا بأكشونية. ثم مضوا إلى باجة ، ثم انتقلوا إلى مدينة أشبونة ، ثم ساروا فانقطع خبرهم عن البلاد فسكن الناس[3].

---

١) لبلة ، وصفها الإدريسي قائلا : (مدينة حسنة أزلية متوسطة القدر ولها سور منيع وبشرقيها نهر يأتيها من ناحية الجبل ويجاز عليه في قنطرة إلى مدينة لبلة وبها أسواق وتجارات ومنافع جمة وشرب أهلها من عيون في مرج من ناحية غربيها وبين مدينة لبلة والبحر المحيط ستة أميال)نزهة المشتاق، ٥٤١/٢- ٥٤٢ ؛ ينظر أيضاً : الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٨ ؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٤ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٠- ١١١ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢- ٢٣ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٣٣٩/١ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٠٩- ١١١.

٢) ورد اسمها عند ابن حيان قرية قورة وقال: هي على ضفة النهر بغربي إشبيلية يسكنها قوم من العرب من بني يحصب اليمانية، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٥٣.

٣) أحسن من كتب من مصادرنا عن هجوم النورمانديين على الأندلس سنة ٢٣٠هـ هو المؤرخ ابن حيان فهو يورد تفاصيل هذا الهجوم من بدايته حتى قفولهم عن سواحل الأندلس، ينظر: المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٥٠- ٤٦١ ؛ وقال ابن عذاري: في سنة ٢٣٠هـ خرج (المجوس في نحو ثمانين مركباً، كأنما ملأت البحر طيراً جوناً، كما ملأت القلوب شجواً وشجونا. فحلوا بأشبونة، ثم أقبلوا إلى قادس، إلى شذونة، ثم قدموا على إشبيلية، فاحتلوا بها احتلالا، ونازلوها نزالا، إلى أن دخلوها قسراً، واستأصلوا أهلها قتلاً وأسراً. فبقوا بها سبعة أيام، يسقون أهلها كأس الحمام. واتصل الخبر بالأمير عبد الرحمن؛ فقدم على الخيل عيسى بن شهيد الحاجب، واتصل المسلمون به اتصال العين بالحاجب. وتوجه بالخيل عبد الله ابن كليب وابن رستم وغيرهما من القواد واحتل بالشرف. وكتب إلى عمال الكور في استنفار الناس، فحلوا بقرطبة، ونفر بهم نصر الفتى. وتوافت للمجوس مراكب على مراكب، وجعلوا يقتلون الرجال، ويسبون النساء، ويأخذون الصبيان، وذلك بطول ثلاثة عشر يوماً... وكانت بينهم وبين المسلمين ملاحم. ثم نهضوا إلى قبطيل، فأقاموا بها ثلاثة أيام، ودخلوا قورة، على اثني عشر ميلا من إشبيلية، فقتلوا من المسلمين عددا كثيرا، ثم دخلوا إلى طلياطة، على ميلين من إشبيلية، فنزلوها ليلا، وظهروا بالغداة بموضع يعرف بالنخارين ثم مضوا بمراكبهم، =

وقد ذكر بعض مؤرخي العرب سنة ست وأربعين خروج المجوس إلى إشبيلية أيضاً وهي شبيهة بهذه ثم فلا أعلمه أهي هذه - وقد اختلفوا في وقتها - أم هي غيرها وما أقرب أن تكون هي هي ، وقد ذكرتها هناك لأن في كل واحدة منهما شيئاً ليس في الأخرى[1].

حوادث سنة إحدى وثلاثين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سار جيش للمسلمين إلى بلاد المشركين ، فقصدوا جليقية وقتلوا وأسروا وسبوا وغمنوا ووصلوا إلى مدينة ليون ، فحصروها ورموها بالمجانيق ، فخاف أهلها فتركوها بما فيها وخرجوا هاربين ، فغنم المسلمون منهم ما أرادوا وأخربوا الباقي ، ولم

=واعتركوا مع المسلمين. فانهزم المسلمون، وقتل منهم ما لا يحصى. ثم عادوا إلى مراكبهم. ثم نهضوا إلى شذونة، ومنها إلى قادس، وذلك بعد أن وجه الأمير عبد الرحمن قواده، فدافعهم ودافعوه، ونصبت المجانيق عليهم، وتوافت الأمداد من قرطبة إليهم. فانهزم المجوس وقتل منهم نحو من خمسمائة علج، وأصيبت لهم أربعة مراكب بما فيها، فأمر ابن رستم بإحراقها وبيع ما فيها من الفيء. ثم كانت الوقعة عليهم بقرية طلياطة يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر من السنة، قتل فيها منهم خلق كثير، وأحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا. وعلق من المجوس بإشبيلية عدد كثير، ورفع منهم في جذوع النخل التي كانت بها. وركب سائرهم مراكبهم، وساروا إلى لبلة؛ ثم توجهوا منها إلى الأشنونة؛ فانقطع خبرهم. وكان احتلالهم بإشبيلية يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم من سنة ٢٣٠. وكان لحين دخولهم إلى إشبيلية وخروج من بقى منهم وانقطاعهم اثنان وأربعون يوما، فقتلهم الله وأبادهم، وبدّد عددهم وأعدادهم، وقتل أميرهم نقمة من الله وعذابا، وجزاء بما كسبوا وعقابا. ولما قتل الله أميرهم، وأفنى عديدهم، وفتح فيهم، خرجت الكتب إلى الآفاق بخبرهم. وكتب الأمير عبد الرحمن إلى من بطنجة من صنهاجة، يعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس، وبما أنزل فيهم من النقمة والهلكة، وبعث إليهم برأس أميرهم وبمائتي رأس من أنجادهم) البيان المغرب، ٨٧/٢- ٨٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٨- ٨٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٣/٢٣- ٣٨٤ وروايته هنا مشابهة لرواية ابن الأثير أعلاه ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٥/٤- ١٦٦؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٥/١- ٣٤٦.

١) ينظر أحداث سنة ٢٤٦هـ.

يقدروا على هدم سورها فتركوها ومضوا لأن عرضه سبعة عشر ذراعاً وقد ثلموا فيه ثلماً كثيرة[1].

حوادث سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها غدر موسى بالأندلس، وخالف على عبد الرحمن بن الحكم أمير الأندلس، بعد أن كان قد وافقه، وأطاعه؛ وسيّر إليه عبد الرحمن جيشاً مع ابنه محمد[2].

وفيها كان بالأندلس مجاعة شديدة، وقحط عظيم، وكان ابتداؤه سنة اثنتين وثلاثين، فهلك فيه خلق كثير من الآدميين والدواب، ويبست الأشجار، ولم يزرع الناس شيئاً فخرج الناس هذه السنة يستسقون ، فسقوا وزرعوا وزال عن الناس القحط[3].

---

١) قال ابن عذاري: (وفي سنة ٢٣١، غزا بالصائفة جليقية محمد ابن الأمير عبد الرحمن، فحصرها، وحصر مدينة ليون، ورماها بالمجانيق. فلما أيقنوا بالهلاك، خرجوا ليلا، ولجئوا إلى الجبال والغياض، فأحرق ما فيها، وأراد هدم سورها، فوجد سعته ثمان عشرة ذراعا، فتركه، وأمعن في بلاد الشرك قتلاً وسبياً)البيان المغرب، ٨٨/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ)ص ٤٦٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٤/٢٣- ٣٨٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٦/٤ ؛ المقري ،نفح الطيب، ٣٤٦/١.

٢) قال ابن حيان: (فيها تقلب موسى بن موسى القسوي عن الطاعة، وأعند بتحامل عبد الله بن كليب عامل الثغر عليه، ومد يده إلى بعض أمواله، فأحفظه ذلك، وهاج حميته، وتحرك إلى تطيلة، وابن كليب داخلها، فطمع أن ينتهز منه فرصة، فاحتجز عنه عبد الله بحصانتها، ولم يؤته حرباً، واستغاث بالأمير عبد الرحمن، فأخرج إليه ابنه محمداً بالصائفة، وقاد معه محمد بن يحيى بن خالد، فاحتل عليه محمد بالجيوش، فأذعن موسى، واعترف بالذنب، وسأل العفو، فسارع الولد محمد إلى إجابته وتطمينه وإقراره على حاله، وتقدم بالصائفة إلى بنبلونه فجال بأرضها وأداخلها، ونكأ العدو أبرح نكاية.)المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ) ص٤٦٣ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٣٨٥/٢٣.

٣) قال ابن حيان: (وفيها كان القحط الذي عمّ الأندلس، فهلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص١ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٥/٢٣.

حوادث سنة خمس وثلاثين ومائتين

ذكر ما كان بالأندلس من الحوادث

وفي هذه السنة خرج عباس بن وليد ، المعروف بالطبلي ، بنواحي تدمير ، لمحاربة جمع اجتمعوا وقدموا على أنفسهم رجلاً اسمه محمد بن عيسى بن سابق ، فوطئ عباس بلدهم ، وأوقع بهم ، وأصلحهم وعاد[1].

وفيها ثار أهل تاكرنا ومن يليهم من البربر ، فسار إليهم جيش عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، فقاتلهم ؛ وأوقع بهم ، وأعظم النكاية فيهم[2].

وفيها سيّر عبد الرحمن ابنه المنذر في جيش كثيف لغزو الروم ، فبلغوا ألبه[3].

وفيها كان سيل عظيم في رجب ، في بلاد الأندلس ، فخرب جسر إستجة ، وخرّب

---

١) لم يرد هذا الخبر في المصادر التي بين أيدينا ، أما ابن حيان فقد أشار إلى عباس الطلبي ولكن بشكل مختلف، في حوادث سنة ٢٣٥هـ قال: (وفي آخرها عاد موسى بن موسى القسوي إلى الخلاف، وكشف وجهه بالمعصية ، فأفسد ما حوالي مدينة تطيله، وعاث حوز طرسونة وبرجة، وظاهره أخوه لأمه العلج ابن ونقه ببنبلونة ، فخرج إليه بالصائفة عباس بن الوليد المعروف بالطبلي، فعاد إلى الطاعة ، واستقال الزلة ، وبذل إسماعيل ابنه رهينة ، فعاد الأمير إلى القبول منه ، والاستظهار عليه ، وأخرج بيعته والتوثق منه وقبض رهينته خالد بن يحيى ومحمد بن الوليد ومطرف بن نصير، فتمموا سلمه، وتوثقوا من عهده، وجدد له الأمير الولاية على تطيلة ، ودخل أخوه العلج ابن ونقه صاحب بنبلونة معه في الأمان، وقبض الأمناء المخرجون إلى موسى رهينته التي كانت ولده إسماعيل الذي هو لابنة عمه ميمونة ، فأقبل عباس الطلبي بالعسكر إلى الحضرة لتأخر الوقت عن دخول أرض الحرب، وما تولى إسماعيل بن موسى رهينة أبيه موسى في يد الأمير عبد الرحمن أن هرب من يده عن قرطبة حاناً إلى ما فارقه من الشقاق، ذاهلاً عما كان فيه من غضارة المعيشة ، لتوسعه في القطائع المنيفة والصلات الجزلة ، فرفض ذلك كله ، وسما للمعصية ، وأمر الأمير بقص أثره، فلم يبعد أن جئ به إليه من طريق الثغر ، وقد انتهى إلى وادي آنة فقبض عليه هناك بعض من عرف خبره، ورده للأمير عبد الرحمن بقرطبة ، فعفا عنه ، وأغضى عن زلته، وخلاه على ما كان عليه من سعة قطائعه)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٤- ٥.

٢) لم ترد هذه الحادثة في المصادر التي بين أيدينا.

٣) م.ن.

الأرحاء ، وغرق نهر إشبيلية ست عشرة قرية ، وخرّب نهر تاجة ثماني عشرة قرية ، وصار عرضه ثلاثين ميلاً وكان هذا حدثاً عظيماً وقع في جميع البلاد في شهر واحد[١].

وفيها هلك ردمير بن أذفونس في رجب ، وكانت ولايته ثمانية أعوام[٢].

وفيها هلك أبو السول الشاعر سعيد بن يعمر بن علي بسرقسطة[٣].

حوادث سنة ست وثلاثين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها خرج حبيب البربري بالأندلس بجبال الجزيرة ، واجتمع إليه جمع كثير ، فأغاروا واستطالوا فسار إليهم جيش من عبد الرحمن ، فقاتلهم ، فهزمهم ، فتفرقوا[٤].

---

١) قال ابن حيان: (وفيها سيلان عظيمان بنهر قرطبة في شهر رجب القمري الموافق لشهر ينير الشمسي رأس سنة العجم بالأندلس، عداً في أمهات السيول، وحمل وادي شنيل أيضاً، وطغى مدة، وأخرب حنيتين من قنطرة مدينة إستجة، وأبطل عدداً من أرحائها، وطمى السيل أيضاً بكورة إشبيلية التي بها قراره، فذهب مدُّه في مجتمعه هناك بست عشرة قرية ما بين البحر وحاضرة إشبيلية، فيها من ناس وبهائم وأمتعة، فكان ذلك حدثاً عظيماً تحدث الناس عنه زماناً)المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٥/٢٣ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩٠.

٢) قال ابن حيان: (وفيها هلك الطاغية رذمير بن أردميس ملك الجلالقة، فولى ابنه أردون، وكانت ولاية رذمير ثمانية أعوام)المقتبس(الحقبة ٢٣٢. ٢٦٧هـ)ص ٦؛ وعند ابن الخطيب زميرة بن دون الفنش وبعد وفاته ملك ابنه دون الفنش أوردوينة، أعمال الأعلام، ٢٧٩/٢.

٣) ذكره ابن حيان ضمن وفيات سنة ٢٣٥هـ قال: (وأبو اليسول الشاعر سعيد بن يعمر بن علي العبدي بسرقسطة)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٨٥.

٤) وردت عند ابن حيان بتفصيل أكثر قال: (وفيها ثار حبيب البرنسي بجبال الجزيرة الخضراء، واجتمع له خلق من أهل الفساد في الأرض، فشن بهم الغارة على قرى ريّة وغيرها، فأشاع الأذى، ونهب وقتل وسبى، فأخرج الأمير عبد الرحمن عند ذلك الخيل مع عباس بن مضا، فألفى أضداده قد قصدوا حبيباً وأصحابه، فأوقعوا بهم وقصوهم، وقتلوا خلقاً منهم، وتفرقت بقيتهم، فانخنس حبيب رئيسهم في غمار الناس، وطفئت نائرته، وطلب دهراً فلم يظفر به)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٩/٢- ٩٠.

وفيها غزا جيش بالأندلس بلاد برشلونة ، فقتلوا من أهلها فأكثروا وأسروا جماً غفيراً وغمنوا وعادوا سالمين[1].

حوادث سنة سبع وثلاثين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها قام رجل بالأندلس بناحية الثغور وادعى النبوة ، وتأول القرآن على غير تأويله ، فتبعه قوم من الغوغاء ، فكان من شرائعه أنه كان ينهى عن قص الشعر وتقليم الأظافر ، فبعث إليه عامل ذلك البلد ، فأتي به ، وكان أول ما خاطبه به من دعاه إلى أتباعه ، فأمره العامل بالتوبة ، فامتنع فصلبه[2].

وفيها سارت جيوش المسلمين إلى بلاد المشركين ، فكانت بينهم وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين ، وهي الوقعة المعروفة بوقعة البيضاء ، وهي مشهورة بالأندلس[3].

---

١) لم يذكر ابن حيان وابن عذاري خبر هذه الغزوة ، ولكن ابن خلدون أشار إلى أن الأمير عبد الرحمن (أغزى حاجبه عبد الكريم بن مغيث في العساكر إلى بلاد برشلونة فجاز في نواحيها ، وأجاز الدروب التي تسمّى السرب إلى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلاً وأسراً وسبياً) تاريخ ، ١٦٦/٤.

٢) رواية ابن حيان أكثر تفصيلاً قال: (وفيها في أيام ولاية عبيد الله بن يحيى للثغر قام بناحيته رجل من المعلمين ، فادعى النبوة ، وألحد في القرآن ، فأحاله عن وجوهه ، وأوله على غير تأويله ، وقام معه خلق كثير. وكان ينهى عن قص الشارب والأظفار ، ويقول لا تغيير لخلق الله ، فأرسل عبيد الله من جاء به ، فلما دخل عليه وكاشفه كان أول ما ابتدأه به أن دعاه إلى إتباعه ، فاستشار فيه عبيد الله أهل العلم عنده ، فأشاروا باستتابته ثلاثة أيام ، فإن تاب وإلا قتل ، ففعل به ذلك ، فلم يتب ، فأسلمه للقتل صلباً ، فجعل يقول: " أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله " فأمضى عبيد الله قتله بالفتوى ، وكتب إلى الأمير بأمره ، فأحمد فعله)المقتبس (الحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ)ص١٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن سعيد ، المغرب ، ٥٠/١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٩٠/٢ وأسمى أمير الثغر يحيى بن خالد ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٩٠.

٣) رواية ابن حيان عن هذه الوقعة أكثر وضوحاً ، قال: (فيها كانت وقيعة البيضاء ، والبيضاء مجاورة لمدينة بقيرة من بلد بنبلونة بين المسلمين والكفرة الجاشقيين ، فكان اليوم الأول منها على المسلمين ، فاستشهد منهم جماعة ، ونالت فيه موسى بن موسى خمس وثلاثون وخزة تخللت حلق درعه ، واليوم الثاني كافحهم المسلمون ، وقد أخذ المقدمة موسى بن موسى متحاملاً لألم جراحه ، فحامى على المسلمين ، وحسن غناؤه ، فهزم الجاشقيون أعداء الله أفحش هزيمة ، وفرشت الأرض بصرعاهم)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ١٦ ؛ ينظر أيضاً: النويري ، نهاية الأرب ، ٣٨٥/٢٣.

حوادث سنة ثمان وثلاثين ومائتين

ذكر وفاة عبد الرحمن بن الحكم

وولاية ابنه محمد

وفيها توفي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي ، صاحب الأندلس ، في ربيع الآخر ، وكان مولده سنة ست وسبعين ومائة ، وولايته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر.

وكان أسمر طويلاً أقنى ، أعين ، عظيم اللحية ، مخضباً بالحناء ، وخلف خمسة وأربعين ولداً ذكوراً ، وكان أديباً شاعراً وهو معدود في جملة من عشق جواريه ، وكان يعشق جارية له اسمها طروب[1] ، وشهر بها ، وكان عالماً بعلوم الشريعة وغيرها من علوم الفلاسفة وغيرهم ، أيامه أيام عافية وسكون ، وكثرت الأموال عنده ، وكان بعيد الهمة واخترع قصوراً ومنتزهات كثيرة ، وبنى الطرق ، وزاد في الجامع بقرطبة رواقين ، وتوفي قبل أن يستتم زخرفته ، وأتمه ابنه ، وبنى جوامع كثيرة بالأندلس[2].

---

1) طروب ، هي جارية للأمير عبد الرحمن بن الحكم وقد حظيت عنده، فكان لا يرد لها طلباً ، وولدت له ابنه عبد الله، ينظر التفاصيل: الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص١٨٣- ١٨٥.

2) أوجز ابن عذاري بعض من سيرته قال: (كان شاعراً ، أديباً ، ذا همة عالية. وكانت له غزوات كثيرة، وفتوحات في دار العدو شهيرة، يخرج إليها في العدد الجم، والعسكر الضخم، يخرب ديارهم، ويعفى آثارهم، ويقفل ظاهر الاعتلاء، قاهر الأعداء. لم يلق المسلمون معه بؤسا ، ولم يروا في مدته يوما عبوسا. وهو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل، وترتيب الخدمة. وكسى الخلافة أبهة الجلالة فشيد القصور، وجلب إليها المياه، وبنى الرصيف، وعمل عليه السقائف؛ وبنى المساجد الجوامع بالأندلس؛ وعمل السقاية على الرصيف، وأحدث الطرز، واستنبط عملها؛ واتخذ السكة بقرطبة. وفخم ملكه. وفي أيامه دخل الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء؛ وسيق ذلك إليه من بغداد وغيرها) البيان المغرب، ٩١/٢ ؛ ينظر ترجمته: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٢ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ١٧- ٢٤ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٠- ١١ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ١٤ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١١٣/١- ١١٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩/٢- ٢١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٨٣- ١٩٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٧/١.

ولما مات ملك ابنه محمد ، فجرى على سيرة والده ، وأتم بناء الجامع بقرطبة ، وأمه تسمى بهتر[1] ، وولد له مائة ولد كلهم ذكور[2] ، وهو أول من أقام أبهة الملك بالأندلس ، ورتب رسوم المملكة ، وعلا عن التبذل للعامة ، فكان يشبه بالوليد بن عبد الملك في أبهة الملك[3] ، وهو أول من جلب الماء العذب إلى قرطبة ، وأدخله إليه ، وجعل لفضل الماء مصنعاً كبيراً يرده الناس[4].

---

١) وقد اختلف في اسمها ، فقيل إنها بهير، وقيل تهتز، وقيل تهتر، وقيل تهر، ويبدو أن كل ذلك تصحيفا. قال عنها ابن حيان: إنها كانت من أقادم سراري الأمير عبد الرحمن الأوسط وحظاياه، وكانت عنده لمّا كان في طليطلة على عهد أبيه الحكم، ويبدو إنها مرضت عنده فأرسلها إلى قرطبة مع ثقاته من الخصيان الصقالبة ، ولحقتها المنية بفج البشر من حوز طليطلة فدفنت هناك، وصار قبرها معروفا ، فحرر ابنها الأمير محمد في دولته أهل تلك القرية من المغارم، لاحترامهم إياه وتجديدهم لرسمه ، وهذا يعني أنها توفيت قبل تولي الأمير عبد الرحمن الإمارة سنة ٢٠٦هـ، الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ٨٤- ٨٥.

٢) ذكر ابن عذاري أن له من الذكور ثلاث وثلاثون ومن البنات إحدى وعشرون، البيان المغرب، ٩٤/٢ ؛ وعند مؤلف مجهول أن له أربع وثلاثون من الذكور ولم يذكر الإناث، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩١ ؛ وقال النويري وولد له مائة ولد ذكور، مات عن ثلاثة وثلاثين منهم، نهاية الأرب، ٣٩٢/٢٣.

٣) أشارت المصادر إلى أنه سار على مثل سيرة أبيه في إغلاظ الحجاب، واعزاز السلطان، وتفخيم المملكة، وتشريف المراتب السلطانية ، وكان لأيامه زهرة ولسلطانه جلالة، ومع ذلك كان ألين الخلفاء كنفاً، وأسراهم نفساً، وأعلاهم همماً، وله من الأناة والحلم، وقلة العجلة، مكرماً لأعلام الناس من أهل العلم، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٦؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٦؛ ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ) ص ١٢٩- ١٣٣.

٤) قال النويري: (وهو أول من اجتلب الماء العذب إلى قرطبة وأدخله قصوره وجعل لفصل الماء مصنعاً كبيراً يرده النّاس إذا خرج من قصوره)نهاية الأرب، ٣٨٧/٢٣ ؛ وذكر ابن خلدون أن الأمير محمد (اتخذ القصور والمنتزهات وجلب إليها الماء، وجعل له مصنعا اتخذه الناس شريعة) تاريخ، ١٦٧/٤.

حوادث سنة تسع وثلاثين ومائتين

وفيها سيّر محمد بن عبد الرحمن جيشاً مع أخيه الحكم إلى قلعة رباح ، وكان أهل طليطلة قد خربوا سورها وقتلوا كثيراً من أهلها وأصلح الحكم سورها وأعاد من فارقها من أهلها إليها وأصلح حالها وتقدم إلى طليطلة فأفسد في نواحيها وشعثها ، وسيّر محمد أيضاً جيشاً آخر إلى طليطلة ، فلما قاربوها خرجت عليهم الجنود من المكامن ، فانهزم العسكر ، وأصيب أكثر من فيه[١].

حوادث سنة أربعين ومائتين

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بالأندلس

وفي هذه السنة ، في المحرم ، كان بين المسلمين والفرنج حرب شديدة.

وسبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا على ما ذكرنا من الخلاف على محمد بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، وعلى أبيه من قبله ، فلما كان الآن سار محمد في جيوشه إلى طليطلة ، فلما سمع أهلها بذلك أرسلوا إلى ملك جليقية يستمدونه وإلى ملك بشكنس فأمداهم بالعساكر الكثيرة.

فلما سمع محمد بذلك ، وكان قد قارب طليطلة ، عبأ أصحابه ، وقد كمن لهم الكمناء بناحية وادي سليط[٢] ، وتقدم هو إليهم في قلة من العسكر ، فلما رأى أهل طليطلة ذلك أعلموا الفرنج بقلة عددهم ، فسارعوا إلى قتالهم ، وطمعوا فيهم ، فلما تراءى الجمعان ، وانتشب القتال ، خرجت الكمناء من كل جهة على المشركين ، وأهل طليطلة ، فقتل منهم ما لا يحصى ، وجمع من الرؤوس ثمانية آلاف رأس فرقت

---

١) قال ابن عذاري عن هذه الحادثة: (في سنة ٢٣٩ ، خرج الحكم ابن الأمير عبد الرحمن إلى طليطلة بالصائفة. وكانت قلعة رباح قد أقفرت، خوفا من أهل طليطلة. فاحتلها الحكم، وأمر ببنيان سورها ، واسترجاع من فرَّ من أهلها إليها)البيان المغرب، ٩٤/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان ، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٢٩٣- ٢٩٤ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٧/٤.

٢) وادي سليط وهو نهير يصب في نهر تاجه جنوب طليطلة، المقري، نفح الطيب، ٣٥٠/١ هامش(٤).

في البلاد ، فذكر أهل طليطلة أن عدة القتلى من الطائفتين عشرون ألف قتيل ، وبقيت القتلى على وادي سليط دهراً طويلاً[1].

حوادث سنة إحدى وأربعين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها أكثر محمد ، صاحب الأندلس ، من الرجال بقلعة رباح ، وتلك النواحي ، ليقفوا على أهل طليطلة ، وسيّر الجيوش إلى غزو الفرنج إلى موسى ، فدخلوا بلادهم ووصلوا إلى ألبة والقلاع ، وافتتحوا بعض حصونها وعادوا[2].

---

1) أورد ابن عذاري تفاصيل أكثر، قال: (في سنة ٢٤٠ ، خرج الأمير محمد بنفسه إلى طليطلة في المحرم. فلما اتصل بأهلها ذلك، أرسلوا إلى أردن بن إذفونش صاحب جليقية ، يعلمونه بحركته ويستمدون به. فبعث إليهم أخاه غثون في جمع عظيم من النصارى. فلما اتصل ذلك بالأمير محمد ، وقد كان قارب طليطلة ، أعمل الحيلة والكيد ، واستشعر الحزم، فعبأ الجيوش، وكمن الكمائن بناحية وادي سليط، ثم نصب الردود ، وطلع في أوائل العسكر في قلة من العدد. فلما رأى ذلك أهل طليطلة ، أعلموا العلج بما عاينوه من قلة المسلمين، فتحرك العلج فرحاً ، وقد طمع في الظفر والغنيمة وانتهاز الفرصة. فلما التقى الجمعان، خرجت الكمائن عن يمين وشمال، وتواترت الخيل أرسالاً على إرسال، حتى غشى الأعداء منهم ظلل كالجبال، فانهزم المشركون وأهل طليطلة ، وأخذتهم السلاح، هذا بالسيوف، وطعنا بالرماح؛ فقتل الله عامتهم، وأباد جماعتهم. وحيز من رؤوسهم مما كان في المعركة وحواليها ثمانية آلاف رأس، وجمعت ورصعت؛ فصار منها جبل علاه المسلمون، يكبرون ويهللون ويحمدون ربهم ويشكرون. وبعث الأمير محمد بأكثرها إلى قرطبة ، وإلى سواحل البحر، وإلى العدوة. وانتهى عدد من فقد منهم في هذه الوقعة إلى عشرين ألفا)البيان المغرب، ٩٤/٢- ٩٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص٢٩٥- ٢٩٧ وقال إن عدد القتلى بلغ أكثر من أحد عشر ألفاً ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٧/٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٧/٢٣- ٢٨٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٢/٢ قال بلغ عدد القتلى ثمانية آلاف ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩٢ قال إن عدد القتلى في هذه الغزوة بلغ ١٤٥ ألف ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٥٠/١ وقال إن عدد القتلى بلغ عشرين ألفاً.

2) قال ابن حيان عن هذه الغزوة: (فيها غزا بالصائفة الأمير محمد ، وقد كتب إلى موسى بن موسى وأهل الثغور بالاحشاد إليه والدخول معه إلى ألبة والقلاع، فمضوا معه، ودخل بهم إلى أرض العدو ، فبلغ أقصى بلدهم، وانتسف بسائطهم، وفتح كثيرمن حصونهم)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٠٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٥/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٨/٢٣.

حوادث سنة اثنتين وأربعين ومائتين

وفيها سيّر محمد بن عبد الرحمن بالأندلس جيشاً إلى بلد المشركين ، فدخلوا إلى برشلونة ، وحارب قلاعها وجازها إلى ما وراء أعمالها فغمنوا كثيراً وافتتحوا حصناً من أعمال برشلونة يسمى طراجة ، وهو من آخر حصون برشلونة[1].

حوادث سنة ثلاث وأربعين ومائتين

وفيها خرج أهل طليطلة بجمعهم إلى طلبيرة وعليها مسعود بن عبد الله العريف ، فخرج إليهم فيمن معه من الجنود ، فلقيهم ، فقاتلهم ، فانهزم أهل طليطلة ، وقتل أكثرهم ، وحمل إلى قرطبة سبع مائة رأس[2].

وفيها توفي شهيد بن عيسى بن شهيد الأندلسي ، وكان من العلماء[3].

حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين

ذكر خروج الكفار من الأندلس إلى بلاد الإسلام

في هذه السنة خرج المجوس من بلاد الأندلس ، في مراكب ، إلى بلاد الإسلام ، فأمر محمد بن عبد الرحمن ، صاحب بلاد الإسلام ، بإخراج العساكر إلى قتالهم ، وأحرقت المسجد الجامع ، ثم جازت إلى العدوة ، فحلت بناكور[4] ، ثم عادت إلى

---

١) قال ابن عذاري: (وفي سنة ٢٤٢ ، كتب الأمير محمد إلى موسى بن موسى بحشد الثغور والدخول إلى برشلونة ، فغزا إليها ، واحتل بها ، وافتتح في هذه الغزاة حصن طراجة ، وهي من آخر أحواز برشلونة ، ومن خمس ذلك الحصن زيدت الزوائد في المسجد الجامع بسرقسطة؛ وكان الذي أسسه ونصب محرابه حنش الصنعاني - رضي الله عنه - وهو من التابعين) البيان المغرب، ٩٦/٢.

٢) ذكرت المصادر هذه الحادثة كما هي عند ابن الأثير، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٦/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٨/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٧/٤.

٣) ذكره الحميدي والضبي، قالا هو: (شهيد بن عيسى بن شهيد من أجداد بنى شهيد بيت الوزير أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، أديب شاعر)جذوة المقتبس، ص٢٣٨ ؛ بغية الملتمس، ص٣١٧.

٤) ناكور، أسماها البكري نكور، وهي مدينة بالمغرب بقرب مدينة مليلة، وهي مدينة كبيرة بينها وبين البحر نحو عشرة أميال وقيل خمسة، المسالك والممالك، ٧٦٣/٢- ٧٦٤ ؛ ينظر=

الأندلس ، فانهزم أهل تدمير ، ودخلوا حصن أريوالة[1].

ثم تقدموا إلى حائط إفرنجة ، وأغاروا وأصابوا من النهب والسبي كثيراً ثم انصرفوا فلقيتهم مراكب محمد ، فقاتلوهم ، فأحرقوا مركبين من مراكب الكفار ، وأخذوا مركبين آخرين ، فغمنوا ما فيهما فحمي الكفرة عند ذلك ، وجدوا في القتال ، فاستشهد جماعة من المسلمين ، ومضت مراكب المجوس حتى وصلت إلى مدينة بنبلونة ، فأصابوا صاحبها غرسية الفرنجي ، فافتدى نفسه منهم بتسعين ألف دينار[2].

وفيها غزا عامل طرسونة إلى بنبلونة ، فافتتح حصن بيلسان وسبى أهله ، ثم كانت على المسلمين في اليوم الثاني وقعة استشهد فيها جماعة[3].

=أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص٥٧٦.

١) تأتي بلفظ أريولة وأوريولة، مدينة بشرق الأندلس من ناحية تدمير، العذري، ترصيع الأخبار، ص١٠ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٨.

٢) اختصر ابن عذاري رواية ابن حيان حول غزو المجوس هذه السنة قال: (وفيها، خرج المجوس أيضاً إلى ساحل البحر بالغرب، في اثني وستين مركبا، فوجدوا البحر محروساً، ومراكب المسلمين معدة، تجري من حائط إفرنجة إلى حائط جليقية في الغرب الأقصى. فتقدم مركبان من مراكب المجوس؛ فتلاقت بهم المراكب المعدة؛ فوافوا هذين المركبين في بعض كسور باجة، فأخذوهما بما كان فيهما من الذهب والفضة والسبي والعدة. ومرت سائر مراكب المجوس في الريف حتى انتهت إلى مصب نهر إشبيلية في البحر، فأخرج الأمير الجيوش، ونفر الناس من كل أوب، وكان قائدهم عيسى بن الحسن الحاجب، وتقدمت المراكب من مصب نهر إشبيلية حتى حلت بالجزيرة الخضراء؛ فتغلبوا عليها، وأحرقوا المسجد الجامع بها؛ ثم جازوا إلى العدوة، فاستباحوا أريافها، ثم عادوا إلى ريف الأندلس، وتوافوا بساحل تدمير، ثم انتهوا إلى حصن أوربولة، ثم تقدموا إلى إفرنجة، فشتوا بها، وأصابوا بها الذراري والأموال، وتغلبوا بها على مدينة سكنوها، فهي منسوبة إليهم إلى اليوم، حتى انصرفوا إلى ريف بحر الأندلس، وقد ذهب من مراكبهم أكثر من أربعين مركبا. ولقيهم مراكب الأمير محمد؛ فأصابوا منها مركبين بريف شذونة، فيها الأموال العظيمة. ومضت بقية مراكب المجوس.)البيان المغرب، ٩٦/٢- ٩٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص٣٠٧- ٢٠٩ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٨/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٧/٤ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٥٠/١- ٣٥١.

٣) لم يذكر ابن حيان وابن عذاري خبر هذه الغزوة في أحداث هذه السنة.

حوادث سنة ست وأربعين ومائتين

وفيها سار محمد بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، في جيوش عظيمة ، وأهبة كثيرة إلى بلد بنبلونة فوطئ بلادها ودوخها وخربها ونهبها وقتل فيها فأكثر ، وافتتح حصن فيروس[1] ، وحصن فالحسن[2] ، وحصن القشتل[3] ، وأصاب فيه فرتون ابن غرسية[4] ، فحبسه بقرطبة عشرين سنة ، ثم أطلقه إلى بلده ، وكان عمره لما مات ستاً وتسعين سنة[5] ، وكان مقام محمد بنبلونة اثنين وثلاثين يوماً[6].

---

١) وردت عند العذري باسم قبروش وهي من حصون مدينة تطيلة ، ترصيع الأخبار ، ص٣٦.

٢) وردت عند العذري باسم فالجش وهي من الحصون القريبة من تطيلة ، ترصيع الأخبار ، ص٣٦، ٣٨.

٣) القشتل ، حصن يبعد ستون كم إلى الشمال الشرقي من تطيلة ، ابن حيان ، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٦٠٢ تعليق ٥٠٨ ؛ العلياوي ، البشكنس ، ص٥٧- ٥٩.

٤) فرتون بن غرسيه المعروف بالأنقر زعيم البشكنس أسره أول الأمر المجوس وأطلقوا سراحه بفدية ، ثم أسره الأمير محمد بن عبد الرحمن وبقي في الأسر عشرين سنة ، وخلال الأسر ولدت له ابنته ينقه التي عادت مع أبيها بعد اطلاق سراحه فتزوجت هناك من أمير بشكنسي ، ولما توفي زوجها تزوجها الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قبل أن يتولى إمارة الأندلس فولت له ابنه محمد والد عبد الرحمن الناصر ، ينظر : ابن حيان ، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ) ص ٦٠٢ تعليق ٥٠٩ ؛ العلياوي ، البشكنس ، ص٥٧- ٥٩ .

٥) عند ابن حيان وابن عذاري كان عمره ١٢٦ سنة ، ينظر أدناه.

٦) ذكر ابن عذاري بعض التفاصيل ، قال : (وفي سنة ٢٤٦ ، أغزى الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى أرض بنبلونة أحد قوّاده؛ فخرج في هذه الغزوة خروجاً لم يخرج قبله مثله جمعاً وكثرة ، وكمال عدة ، وظهور هيبة. وكان غرسية إذ ذاك متظافراً مع أزدون صاحب جليقية ، فأقام هذا القائد يدوخ أرض بنبلوبة ، مترددا فيها اثنين وثلاثين يوما ، يخرب المنازل ، وينسف الثمار ، ويفتح القرى والحصون. وافتتح في الجملة حصن قشتيل ، وأخذ فيه فرتون بن غرسية المعروف بالأنفر ، وقدم به إلى قرطبة ، فأقام بها محبوساً نحواً من عشرين سنة؛ ثم رده الأمير إلى بلده ، وعمر فرتون مائة وست وعشرون سنة.)البيان المغرب ، ٩٧/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن حيان ، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣١٠ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٣٨٩/٢٣ ؛ العلياوي ، البشكنس ، ص٥٧- ٥٨.

حوادث سنة سبع وأربعين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سار جيش للمسلمين بالأندلس إلى مدينة برشلونة ، وهي للفرنج ، فأوقعوا بأهلها فراسل صاحبها ملك الفرنج يستمده ، فأرسل إليه جيشاً كثيفاً وأرسل المسلمون يستمدون ، فأتاهم المدد ، فنازلوا برشلونة ، وقاتلوا قتالاً شديداً فملكوا أرباضها وبرجين من أبراج المدينة ، فقتل من المشركين بها خلق كثير ، وسلم المسلمون ، وعادوا وقد غمنوا[١].

حوادث سنة ثمان وأربعين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سارت سرية في الأندلس إلى ذي تروجة[٢] ، وكان المشركون قد تطاولوا إلى ذلك الجانب فلقيتهم السرية ، فأصابوا من المشركين ، وقتلوا كثيراً منهم[٣].

حوادث سنة تسع وأربعين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سيّر محمد ، صاحب الأندلس ، جيشاً مع ابنه إلى المدينة ألبة والقلاع من بلد الفرنج ، فجالت الخيل في ذلك الثغر ، وغنمت ، وافتتحت بها حصوناً منيعة[٤].

---

١) لم يذكر ابن حيان وابن عذاري خبر هذه الغزوة في هذه السنة ، وذكرها كما النويري وردت عند ابن الأثير، نهاية الأرب، ٣٨٥/٢٣ ؛ كما أشار إليها المقري بشكل مختصر، نفح الطيب، ٣٥٠/١.

٢) ذكر العذري برجة من نواحي سرقسطة، ترصيع الأخبار، ص٣٣.

٣) لم يرد خبر هذه الغزوة في المصادر التي بين أيدينا.

٤) ذكر ابن حيان هذه الغزوة بتفصيل أكثر، قال: (فيها أغزا الأمير محمد بالصائفة ابنه عبد الرحمن بن محمد ، ورسم له بلد ألبة والقلاع من دار الحرب، وقاد معه عبد الملك بن عباس القرشي، فاقتحم على العدو ، ودوخ بلاده، وافتتح حصونه، وعرض له الطاغية أردون بن أذفنش في حماة رجاله، ونشبت الحرب بينهم، فأبلى المسلمون جدهم، وأفرغ الله صبره عليهم، فأقبلت خيلهم على العدو من كل الجهات، ومنح الله المسلمين أكتاف العدو ، فقتلوا منهم أبرح قتل، وأصيب من كبار قوادهم تسعة عشر قومساً)ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ) ص ٣١٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٨/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٨٩/٢٣- ٣٩٠.

حوادث سنة إحدى وخمسين ومائتين

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

في هذه السنة سيّر محمد بن عبد الرحمن الأموي ، صاحب الأندلس ، جيشاً مع ابنه المنذر إلى بلاد المشركين في جمادى الآخرة ، فساروا وقصدوا الملاحة ، وكانت أموال لذريق بناحية ألبة والقلاع ، فلما عمّ المسلمون بلدهم بالخراب والنهب ، جمع لذريق عساكره ، وسار يريدهم ، فالتقوا بموضع يقال له فج المركوين[1] ، وبه تعرف هذه الغزاة ، فاقتتلوا فانهزم المشركون ، إلا أنهم لم يبعدوا واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة ، فتتبعهم المسلمون ، وحملوا عليهم ، واشتد القتال ، فولى الفرنج منهزمين لا يلوون على شيء ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون.

وكانت هذه الوقعة ثاني عشر رجب ، وكان عدد ما اخذ من رؤوس المشركين ألفين وأربع مائة واثنتين وتسعين رأساً[2] ، وكان فتحاً عظيماً وعاد المسلمون[3].

---

١) عند ابن حيان فج المركويز، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣١٨، وأسماه النويري فج المركون، نهاية الأرب، ٣٩٠/٢٣، وهو موضع على بعد ١٣٠ كم غربي بنبلونة، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ) ص٦٠٥ التعليق ٥١٩.

٢) اختلف في عدد من قتل من المشركين في هذه الغزوة، فذكر ابن الأثير إنهم ٢٤٩٢ ، وقال ابن عذاري ٢٠٤٧٢ ، وقال النويري إنهم ٢٤٩٠ ، ينظر المصادر أدناه.

٣) ذكر ابن عذاري تفاصيل لم ترد عند ابن حيان ومغايرة عن ابن الأثير، قال: (وفي سنة ٢٥١ ، كانت غزوة ألبة والقلاع أيضاً (هزيمة المركويز - أخزاه الله -): خرج إلى هذه الغزاة عبد الرحمن بن محمد ، وتقدم حتى حلّ على نهر دوبر. وتوالت عليه العساكر من كل ناحية ، فرتبها. ثم تقدم، فاحتل بفج برذنش، وكانت عليه أربعة حصون، فتغلب العسكر عليها ، وغنم المسلمون جميع ما فيها وخربوها ، ثم انتقل من موضع إلى موضع، لا يمر بمسكن إلا خربه، ولا موضع إلا حرقه، حتى اتصل ذلك في جميع بلادهم. ولم يبق لرذريق صاحب القلاع، ولا اردمير صاحب توقة ، ولا لعندشلب صاحب بُرجية ، ولا لغومس صاحب مسانقة ، حصن من حصونهم إلا وعمه الخراب. ثم قصد الملاحة ، وكانت من أجل أعمال رذريق، فحطم ما حواليها وعفا آثارها.ثم تقدم يوم الخروج على فج المركويز، فصد العسكر عنه، وتقدم رذريق بحشوده وعسكره، فحل على الخندق المجاور للمركويز. وكان رذريق قد عانى توعيره أعواماً ، وسخر فيه أهل مملكته، وقطعه من جانب الهضبة، فارتفع جرفه، وانقطع مسلكه، فنزل عبد الرحمن ابن الأمير محمد على وادي إبره بالعسكر، وعبأ القائد عبد الملك للقتال، وعبأ=

حوادث سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سيّر محمد بن عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً إلى بلاد العدو، فقصدوا ألبة، والقلاع، ومدينة مايه[١] وقتلوا من أهلها عدداً كثيراً ثم قفل الجيش سالمين[٢].

=المشركون، وجعلوا الكمائن على ميمنة الدرب وميسرته. وناهض المسلمون جموع المشركين بصدورهم، فوقع بينهم جلاد شديد. وصدق المسلمون اللقاء، فانكشف الأعداء عن الخندق، وانحازوا إلى هضبة كانت تليه. ثم نزل عبد الرحمن ابن الأمير محمد، ونصب فسطاطه، وأمر الناس بالنزول وضرب أبنيتهم، فأقامت المحلة. ثم نهض المسلمون إليهم، فصدقوهم القتال، وضرب الله في وجوه المشركين، ومنح المسلمين أكتافهم، فقتلوا أبرح قتل، وأسر منهم جموع. واستمروا في الهزيمة إلى ناحية الأهزون، واقتحموا نهر إبره باضطرار في غير مخاضه، فمات منهم خلق كثير غرقا. وكان القتل والأسر فيهم من ضحى يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب إلى وقت الظهر. وسلم الله المسلمين ونصرهم على المشركين. وكان قد لجأ منهم إلى الوعر والغياض، عندما أخذتهم السيوف، جموع، فتتبعوا وقتلوا، ثم هتك الخندق وسوّى حتى سهل، وسلكه المسلمون غير خائفين ولا مضغطين. وأعظم الله المنة للمسلمين بالصنع الجميل، والفتح الجليل. والحمد لله رب العالمين. وكان مبلغ ما حيز من رؤوس الأعداء في تلك الوقيعة عشرين ألف رأس وأربعمائة رأس واثنين وسبعين رأساً.)البيان المغرب، ٩٨/٢- ٩٩؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣١٩- ٣٢٠ واختلفت روايته عن روايتي ابن الأثير وابن عذاري، بأن جعل الأمير فيها هو المنذر بن محمد والقائد هو الحاجب عيسى بن أبي عبدة ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٩٠/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٧/٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٥١/١.

١) ذكر ابن حيان أمايه في حوادث سنة ١٨٨هـ وعدها من مناطق الثغر الأعلى مع ألبة والقلاع ، المقتبس (١٨٠- ٢٣٢هـ)ص١١٩ ؛ وهو غير حصن أمايه الواقع على نهر سبير غرب الأندلس، ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٨٠.

٢) ذكر ابن عذاري هذه الغزوة باختلاف بسيط، قال: (وفي سنة ٢٥٢، خرج عبد الرحمن ابن الأمير محمد غازيا إلى ألبة والقلاع، فحارب أهلها، وأفسد زروعها، وغادرها هشيما. وكان أهل هذا الجانب في ضعف ووهن شديد ألجأهم إلى المنع من التجمع والاحتشاد، لما نالهم في العام الفارط من النهب والقتل الذريع.)البيان المغرب، ٩٩/٢.

حوادث سنة ثلاث وخمسين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سار جيش المسلمين من الأندلس إلى بلاد المشركين ، فافتتحوا حصون جِرنيق[1] ، وحاصروا فوثَبَ وغلب على أكثر أسوارها [2] .

حوادث سنة أربع وخمسين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها عاود أهل ماردة من بلاد الأندلس الخلاف على محمد بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، وسبب ذلك أنهم خالفوا قديماً على أبيه ، فظفر بهم ، وتفرق كثير من أهلها فلما كان الآن تجمع إليها من كان فارقها ، فعادوا إلى الخلاف والعصيان ، فسار محمد إليهم ، وحصرهم ، وضيق عليهم ، فانقادوا إلى التسليم والطاعة ، فنقلهم وأموالهم إلى قرطبة ، وهدم سور ماردة ، وحصن بها الموضع الذي كان يسكنه العمال دون غيرهم[3].

---

١) ورد عند ابن حيان باسم حصن جدليق، ويُعتقد إنه يقع على بعد ٧٠كم شرقي بنبلونة، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص٣٢١، والتعليق ٥٢٣ ص٦٠٦.

٢) أجمل ابن حيان الخبر بالقول: (... غزا بالصائفة الولد الحكم بن الأمير محمد وقاد بها خالد بن خالد ، فجال في أرض العدو ، وحاصر حصن جدليق، حتى فتحه قسراً ، وحوى ما فيه، وفقل عزيزاً ظاهراً)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٢٠- ٣٢١ ؛ ينظر أيضاً ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٩/٢.

٣) ذكر ابن عذاري خبر هذه الغزوة بصورة أوضح قال: (وفي سنة ٢٥٤ ، خرج الأمير محمد إلى ماردة، وأظهر أن استعداده لطليطلة. وكان بماردة قوم من المنتزين. فلما فصل من قرطبة ، وتقدم بالمحلات إلى طريق طليطلة ، نكب إلى ماردة؛ فاحتل بهم، وهم في أمن وعلى غفلة. فتحصنوا في المدينة أياما. ثم ناهض القنطرة، فوقع القتال، واشتد الحرب حتى غلبوا عليها ، فأمر الأمير بتخريب رجل منها ، فكان ذلك سبباً إذعان أهل ماردة، فطاعوا على أن يخرج فرسانهم، وهم يومئذ عبد الرحمن بن مروان، وابن شاكر، ومكحول، وغير هؤلاء؛ وكانوا أهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة. فخرج المذكورون ومن هو مثلهم إلى قرطبة بعيالهم وذراريهم.=

وفيها هلك أردون بن ردمير ، صاحب جليقية من الأندلس ، وولي مكانه أدفونش ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة[1].

وفيها كان ببلاد الأندلس قحط شديد ، تتابع عليهم من سنة إحدى وخمسين إلى سنة خمس وخمسين ، وكشف الله عنهم[2].

حوادث سنة تسع وخمسين ومائتين

ذكر ما كان هذه السنة بالأندلس

في هذه السنة سار محمد بن عبد الرحمن الأموي ، صاحب الأندلس ، إلى طليطلة فنازلها وحصرها وكان أهلها قد خالفوا عليه ، وطلبوا الأمان فأمنهم ، وأخذ رهائنهم.

وفيها خرج أهل طليطلة إلى حصن سكيان[3] ، وكان فيه سبع مائة رجل من البربر ، وكان أهل طليطلة في عشرة آلاف ، فلما التحمت بينهم الحرب انهزم أحد

=وولى عليها سعيد ابن عباس القرشي، وأمر بهدم سورها، ولم تبق إلا قصبتها لمن يرد من العمال)البيان المغرب، ١٠٠/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٢١- ٣٢٢ وقال إنها عرفت بغزوة اللبود ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩٣ وقال إن الأمير محمد خرب مدينة ماردة ودمرها وأورد أبيات شعر في ذلك.

١) تولى حكم مملكة جليقية سنة ٢٣٦- ٢٥٢هـ، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٣٥٦- ٣٥٨.

٢) وردت بعض التفاصيل عند ابن حيان، قال: (وفيها اشتد القحط، واستولى المحل، فاستسقى قاضي الجماعة بقرطبة سليمان بن أسود للزريعة يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة، وهو لسبعة أيام بقيت من شهر مارس العجمي، فلم يُسق الناس، وتمادى القحط بقية مارس وشهر أبريل، ثم نزل الغيث، فأوحى الله ما شاء من الزرع بحسب قسمته للعباد، وزاد غؤور الماء ونضوبه بآبار قرطبة وعيونها، فكان أكثر شرب أهلها من نهرهم الأكبر) المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ) ص٣٢٤.

٣) ذكره ابن حيان سكتان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ) ص ٣٣٠، وهو حصن يقع في غرب طلبيرة أو شمالها الغربي، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ) ص ٦١٣ التعليق ٥٤٢.

مقدمي أهلها وهو عبد الرحمن بن حبيب[1] ، فتبعه أهل طليطلة في الهزيمة ، وإنما انهزم لعداوة كانت بينه وبين مقدم آخر اسمه طُريشة من أهل طليطلة ، فأراد أن يوهنه بذلك ، فلما انهزموا قتلوا البرقيل[2].

وفيها عاد عمرو بن عمروس إلى طاعة محمد بن عبد الرحمن ، وكان مخالفاً عليه عدة سنين ، فولاه مدينة أمشقة[3] وحصر محمد حصون بني موسى ثم تقدم إلى بنبلونة فوطئ أرضها وعاد[4].

---

١) ورد اسمه عند ابن حيان وابن عذاري، مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب، ينظر أدناه.

٢) ذكر ابن حيان الحادثة بتفاصيل مهمة إلا أن في النص اضطراب، أما ابن عذاري فقد لخصها بشكل واضح قال: (وفي سنة ٢٥٩ ، خرج الأمير محمد بنفسه إلى الثغر، وحل في وجهته بطليطلة، وأخذ رهائنهم، وعقد أمانهم، وقاطعهم على قطيع من العشور يودونه في كل عام، وهو الأمان الثاني. واختلفت أهواؤهم في عمالهم، فطلب قوم منهم تولية مطرف بن عبد الرحمن، وطلب آخرون تولية طربيشة، فولى كل واحد منهما جانبا، وتقسما المدينة وأقاليمها على حدود مفهومة معلومة، ثم تنازعا، وأراد كل واحد منهما الانفراد بملك طليطلة. ثم غلب الداعون إلى تقديم طربيشة بن ماسوية، وتأخير مطرف المذكور...)البيان المغرب، ١٠١/٢ ؛ ويعزو ابن حيان تقسيم المدينة بين اثنين من الولاة إلى اقتراح وزيره هاشم بن عبد العزيز، قال: وذهب هاشم إلى تأجيج الخلاف بينهما لأنه يعرف أن الإمارة لا تستقيم على الشركة وأنهما لا بد أن يختلفان، فوافق أن بربر سكتان ظاهروا موسى بن ذي النون الهواري فغاروا على أطراف طليطلة، فواضعوهم الحرب، فلما التحمت بينهم تقدم طربيشة وحده...) المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص٣٢٩- ٣٣٠ ؛ ولم يشر كل من ابن حيان وابن عذاري إلى حال طريشة بعد هذه الحرب، ويرجح محمود مكي أنه قتل لأن ابنه أخذ يظهر اسمه في أحداث طليطلة بعد هذا التاريخ، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٦١٢ التعليق ٥٤١ ، ولكن العبارة الأخيرة عند ابن الأثير غير واضحة فهو أشار إلى أنهم لما انهزموا قتلوا البرقيل، ولعل هناك تصحيف جرى على الكلام، فيكون المراد أن أهل طليطلة لما انهزموا قتلوا طريشة، وقد ذكر ابن الأثير اسم ابنه محمد بن طريشة كرئيس لأهل طليطلة في حربهم ضد البربر، وهو ما يرجح ما ذهبنا إليه ؛ ونقل النويري رواية ابن الأثير، ينظر: نهاية الأرب، ٣٩١/٢٣.

٣) عند ابن حيان وشقة، ينظر أدناه.

٤) ورد تفاصيل هذا الخبر عند ابن حيان، قال: (كان عمروس بن عمرو بن عمروس قد كانت أهل مدينة وشقة وحثهم على مطرف بن موسى، وخوفهم غدره، فاستجابوا له وعاقدوه، فساوره من خارج المدينة، وثار به أهل وشقة من داخلها، فدخل عمروس مغالبة، فأسره واحتوى ماله وولده، وقبض على زوجته بنت غرسيه بن ونقة صاحب بنبلونة فملكها، وقتل بعض أصحاب=

حوادث سنة ستين ومائتين

ذكر الحرب بين أهل طليطلة وهوارة[1]

وفي هذه السنة ظهر موسى بن ذي النون الهواري[2] بشنت برية ، وأغار على أهل طليطلة ، ودخل حصن وليد[3] من شنت برية ، فخرج أهل طليطلة إليه في نحو

=عمروس، وصير مطرفاً وبنيه في جيشه، وملك مدينة وشقة، فصعد الأمير محمد إلى الثغر الأعلى من أجل عمروس وما أحدثه، فلما بلغ عمروس قربه منه لاذ بطاعته، وأظهر أن في ذاتها وثب بمطرف عدوه، فدعا دعوة الجماعة ونشر علمها، وأرسل رسالة إلى الأمير يسأله الصفح عنه وإعادته إلى ولايته، فقبل الأمير منه ذلك وشح به العقاب، فأمنه وأسجل به على وشقة وعملها، وتسلم منه مطرف وولده وأصحابه، فصاروا محبوسين في عسكره، ثم إلى قرطبة، وقد رضي عن عمروس، وسره غناؤه في أهل الخلاف، وجال الأمير في الثغر الأعلى طالاً لبني موسى منقراً عليهم، ومضيقاً عليهم إلى أن ظفر بإسماعيل بن موسى صاحب حصن منتشون وتقبض عليه عبد الله بن خلف بن راشد عامل بريطانية... وتقدم الأمير محمد إلى أرض بنبلونة فوطئها، وأذل أهلها، وخربها، ثم قفل، فحل بقرطبة، ومعه جماعة من الثوار الناكثين المفسدين. فلما أخذ راحته، أمر بقتل مطرف بن موسى وبنيه، وأمر بإطلاق كاتبهم، وكان لا ذنب له. فلما أخرج مطرف وبنوه للقتل، وأخرج كاتبهم للإطلاق، وكان يعرف بالأصبحي، قال: لا خير في العيش بعد هؤلاء، فأمر بإسعافه وإلحاقه بهم، أو قيل بدىء به قبلهم ثم قتلوا بعده، ورفعت رؤوسهم في الخشب بباب القصر فهدأوا قلوب أهل الخلاف، وأضحوا عظة لمن سمع بهم)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ) ص ٣٣١- ٣٣٣.

١) وهي أحد قبائل البربر نسبة إلى هوارة بن أوريغ بن البرنس منهم بالأندلس بنو ذي النون أمراء أقليش ووبذة، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩، ٥٠٠ ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٨٨ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٨٢/٦- ١٩٠.

٢) هو موسى بن ذي النون بن سليمان بن طوريل بن الهيثم بن إسماعيل بن السمح بن ورد حيقن الهواري الحميري بالحلف، وأن اسم جدهم ذي النون إنما هو زنون فتصحف بطول المدة إلى ذي النون، وكان أول من دخل الأندلس منهم هو جدهم إسماعيل بن السمح نزل بكورة شنت برية فكانت لهم فيها رياسة، ووافق أن اجتاز الأمير محمد بشنت مرية في بعض مغازيه واعتل له خصي من أكابر فتيانه فتركه عند ذي النون فبلغ في الإحتفاء بالفتى إلى أن برىء من علته، فكافئه الأمير محمد وقدمه على قومه، فشكر للأمير نعمته واستقام على الطاعة حتى توفي، فولي مكانه ابنه أبو الجوشن بن ذي النون، وبعد وفاته ولي أخوه موسى، ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٤١- ٣٤٢، ٦٣٠ التعليق ٥٥٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٦/٣.

٣) حصن وليد إلى الغرب من طليطلة جنوب جبل الشارات الذي يقسم الأندلس، أرسلان، الحلل السندسية، ٢٣٨/١.

عشرين ألفاً فلما التقوا بموسى واقتتلوا انهزم محمد بن طريشة[1] في أصحابه ، وهو من أهل طليطلة ، فتبعه أهل طليطلة في الهزيمة ، وانهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن ، فعمل ذلك محمد مكافأة لمطرف حين انهزم بالناس في العام الماضي ، فقتل من أهل طليطلة خلق كثير ، وقوي موسى بن ذي النون ، وهابه من حاذره[2].

ذكر عدة حوادث

وفيها كان بإفريقية وبلاد المغرب والأندلس غلاء شديد ، وعمّ غيرها من البلاد ، وتبعه وباء وطاعون عظيم هلك فيه كثير من الناس[3].

حوادث سنة إحدى وستين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها هرب ابن مروان الجليقي[4] من قرطبة ، فقصد قلعة الحنش[5] ، فملكها وامتنع بها فسار إليه محمد ، صاحب الأندلس ، فحصره ثلاثة أشهر ، فضاق به

---

١) لم يذكر ابن حيان وابن عذاري محمد بن طريشة.

٢) لم يكن خبر موسى بن ذي النون واضحا عند ابن حيان بسبب قطوع النص وضياعه، كما أن ابن عذاري لم يذكر هذا الخبر في أحداث هذه السنة، وهو ما يجعل رواية ابن الأثير هنا مكملة للحدث.

٣) قال ابن حيان: (وفيها أصابت الأندلس مجاعة شديدة أردفت الأعوام الجَداعَة التي توالت عليها في عقدة الخمسين، فأثرت عليها وعزت الخلق، فمات أكثرهم، وجرى المثل بها على ألسنة الناس دهراً: سنة ستين) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٤٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٢/٢.

٤) هو عبد الرحمن بن مروان الجليقي من أسرة من المولدين كان أبوه حاكماً لماردة أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط وقتله أهلها في ثورة سنة ٢١٣هـ، وكان عبد الرحمن طموحاً، اشترك في ثورة ماردة على الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة ٢٥٤هـ، وعندما تمكن الأمير من اخضاعها نقله إلى قرطبة مع باقي زعماء الثورة، وفيها حدثت بينه وبين الوزير هاشم بن عبد العزيز مشادة أهانه فيها وصفعه، فهرب، فكان منه ما ذكره ابن الأثير أعلاه، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٠- ١٠١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٢/٢.

٥) وهي قلعة تقع على عشرين كيلو متر جنوب شرق ماردة، ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٦٣٢ التعليق ٥٧٨.

الأمر ، حتى أكل دوابه ، فطلب الأمان ، فأمنه محمد ، فسار إلى مدينة بطليوس[1].

وفيها عصى أهل تاكرنا مع أسد بن الحارث بن رافع ، فغزاهم جيش محمد ، صاحب الأندلس ، وقاتلهم ، فعادوا إلى الطاعة[2].

حوادث سنة اثنتين وستين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سيّر محمد صاحب الأندلس ابنه المنذر في جيش إلى الجليقي ، وكان بمدينة بطليوس ، فلما سمع خبرهم فارقها ودخل حصن كركر[3] ، فحوصر فيه ، وكثر القتل في أصحابه في شوال[4].

---

١) ذكر ابن عذاري ما جرى من عبد الرحمن الجليقي في هذه السنة ، قال: (وفي سنة ٢٦١ ، هرب ابن مروان الجليقي من قرطبة مع رجال ماردة المنزلين منها ، واستقروا بقلعة الحنش. فغزاه الأمير محمد ، وحاصره حصارا قطعه وضيق عليه مدة من ثلاثة أشهر ، ألجأه فيها إلى أكل الدواب ، وقطع عنه الماء ، ورماه بالمجانيق ، حتى أذعن ، وطلب الأمان ، وشكى ثقل الظهر وضيق الحال ، فأباح له الأمير محمد الرحيل إلى بطليوس والحلول بها ، وهي يومئذ قرية ، فخرج إليها ، وقفل عنه)البيان المغرب، ١٠٢/٢ ؛ ينظر تفاصيل أوفى: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ)ص ٣٤٦- ٣٥٥.

٢) لم يرد هذا الخبر عند ابن حيان وابن عذاري ، وذكره ابن خلدون قال: (وفي سنة إحدى وستين انتقض أسد بن الحرث بن بديع بتاكرنا وهي رندة فبعث إليهم الأمير محمد العساكر وحاصروهم حتى استقاموا على الطاعة)تاريخ، ١٦٨/٤ ويبدو أن مصدره ابن الأثير.

٣) عند ابن عذاري حصن كركي، وهو حصن يقع غرب الأندلس له ذكر في أحداثها ، ففيها قتل حجاج بن عمير اللخمي سنة ٢٦٢هـ وانهزم جند الإمارة بقيادة هاشم بن عبد العزيز أيام الأمير محمد واستفحل بعدها أمر عبد الرحمن بن مروان الجليقي، ابن حيان، المقتبس (تحقيق العربي) ص٢٨ ، ٣٣، ١٤٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٢/٢، ١٢٨ ؛ كما أرسل الخليفة الناصر إليها وزيره عباس بن عبد العزيز سنة ٣٠٠هـ في أول غزواته، ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ) ص٥٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٩/٢.

٤) ذكر ابن حيان تفاصيل خبر عبد الرحمن الجليقي بشكل متصل في حوادث سنتي ٢٦٢ و٢٦٣هـ، أما ابن الأثير فقد اختصرها ولكنها سدت بعض النقص الذي تركه ضياع بعض النصوص وانقطاعها عند ابن حيان، ينظر أدناه، سنة ٢٦٣هـ.

حوادث سنة ثلاث وستين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها سيّر محمد ، صاحب الأندلس ، ابنه المنذر في جيش كثير ، وجعل طريقه على ماردة فلما جاز ماردة إلى أرض العدو تبعه تسعمائة فارس من العسكر ، فخرج عليهم جمع كثر من المشركين قد استظهر ، فاقتتلوا قتالاً كثيراً صبروا فيه ، وقتل من المشركين عدد كثير ، ثم استظهر ابن الجليقي ومن معه من المشركين على التسعمائة ، فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، وأكرمهم الله بالشهادة[1].

---

١) لم يذكر ابن الأثير حادثة أسر الوزير هاشم بن عبد العزيز وافتكاكه، قال ابن حيان: إن عبد الرحمن الجليقي عندما دخل إلى بطليوس عمرها وأقام بها طيلة سنة ٢٦١هـ، ومنها أخذ يراقب الموقف في قرطبة عن طريق جواسيسه، وفي سنة ٢٦٢هـ خرج عن الطاعة فأرسل إليه الأمير محمد ابنه المنذر والوزير هاشم بن عبد العزيز فقصدا حصن بطليوس فألفياه خالياً قد فارقه الجليقي، فتتبعا أثره وضيقا عليه الحصار، واستعمل الوزير هاشم القسوة والشدة مع السكان هناك إذ اتهمهم ممالات الجليقي الذي لجأ إلى حصن كركر قرب ماردة، فضيق هاشم الحصار عليه حتى اضطرهم إلى أكل دوابهم ثم لحوم الهوام والكلاب، عندها أرسل عبد الرحمن الجليقي إلى أحد الثائرين معه يعرف بسعدون بن غار السرنباقي يخبره بما جرى من التضييق عليه ويسأله نصرته، فخرج السرنباقي في قومه ومعه قوة من النصارى أمده بها ملك ليون يريد اعانته، فمر بمدينة قلمرية ووطأ أهلها فاستغاثوا بالوزير هاشم بن عبد العزيز، فخرج إليه الوزير بمن خفّ من جيشه، وكان السرنباقي ذا رأي وحزم وصبر في الحرب، فأوقع بهاشم وفرق جمعه وأسره وكان ذلك في شوال من سنة ٢٦٢هـ، وسلم إلى هاشم إلى الجليقي، فبره وأكرمه وأحسن إليه، ولم يعاقبه بما فعل به في قرطبة، ثم عمل السرنباقي على تسليم الوزير هاشم إلى الفونسو الثالث ملك ليون واستمر أسيراً عند لمدة عامين ثم أفرج عنه لقاء فدية كبيرة بلغت ١٥٠ ألف دينار ، أما عبد الرحمن الجليقي فقد أخضع المنطقة من بطليوس إلى باجة وأكشونية لسيطرته بعد انسحاب قوات الأمير محمد منها إلى قرطبة، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٥٦- ٣٨٧ ؛ ينظر أيضاً : ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠١- ١٠٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٢/٢- ٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٧/٤- ١٦٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٣٠٤- ٣٠٧.

حوادث سنة أربع وستين ومائتين

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سيّر محمد بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، ابنه المنذر في جيش إلى مدينة بنبلونة ، وجعل طريقه على سرقسطة ، فقاتل أهلها ثم انتقل إلى تطيلة ، وجال مع مواضع بني موسى ، ثم دخل بنبلونة ، فخرب كثيراً من حصونها وأذهب زروعها وعاد سالماً[1].

وفيها سار جمع من العرب إلى مدينة جليقية ، فكان بينهم وقعة عظيمة قتل فيها من الطائفتين كثير[2].

حوادث سنة ست وستين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها أمر محمد بن عبد الرحمن بإنشاء مراكب بنهر قرطبة ، وحملها إلى البحر المحيط ، وكان سبب عملها أنه قيل له إن جليقية ليس لها مانع من جهة البحر

---

١) قال ابن حيان: (فيها غزا بالصائفة إلى بنبلونة الولد المنذر بن الأمير محمد، وقاد بها الوزير محمد بن جهور، بدأ بسرقسطة، فجاز بها وأفسد ما ألقى من زروعها وخرب عمائرها، ثم تقدم إلى تطيلة والبلاد التي تغلب عليها بنو موسى، فانتسفها، ثم اقتحم بعد ذلك بلد بنبلونة، فذهب بزروعها وأشجارها، وخرب كثير من حصونها، وقتل كثير من أهلها)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٨٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٣/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٨/٤.

٢) قال ابن حيان: (وفيها دخل البراء بن مالك بحشود العرب إلى جليقية على باب قلمرية فكانت هناك وقعة ضرلسه)المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص ٣٨٥ ؛ أما ابن عذاري فقد اختلفت روايته قال: (وفيها ، دخل البراء بن مالك من باب قلنبرية إلى جليقية بحشود الغرب، وتردد هنالك حتى أذهب نعيمهم)البيان المغرب، ١٠٣/٢ ؛ وهكذا اختلف المصادر الرئيسية هنا في شأن هذه الغزوة، فابن حيان قال وقعة ضرسة، وابن الأثير أشار إلى خسائر الطرفين، وباب التأويل في نص ابن عذاري مفتوح، ورجح محقق ابن حيان أن الحشود كانت من الغرب وليس العرب، والراجح عندنا العرب لأن البراء بن مالك من قريش إذ ذكر العذري أن ابنه أحمد بن البراء بن مالك القرشي كان عاملاً على سرقسطة مدة حتى تغلب عليه محمد بن عبد الرحمن التجيبي وقتله سنة ٢٧٦هـ، ترصيع الأخبار، ص٣٦، ٤١.

المحيط ، وإن ملكها من هناك سهل ، فأمر بعمل المراكب ، فلما فرغت ، وكملت برجالها وعدتها ، سيّرها إلى البحر المحيط ، فلما دخلته المراكب تقطعت ، ولم يجتمع منها مركبان ، ولم يرجع منها إلا اليسير[1].

حوادث سنة سبع وستين ومائتين

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ابتدر ابن حفصون[2] بالأندلس بالخلاف على محمد بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، بناحية ريّة ، فخرج إليه جيش من تلك الناحية مع

---

1) سقط أول هذا الخبر في قطوع الصفحة عند ابن حيان، وقال: إن قائد البحر الذي خرج بالمراكب يدعى عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن عبد الحميد بن مغيث المعروف بالدك ، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ)ص٣٩٨، وذكر ابن عذاري اسم عامل البحر قال: (وفيها، أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر المحيط عبد الحميد الرُّعبطي المعروف بابن مغيث، وكان قد رَفِع إليه رافع أن جليقية من ناحية البحر المحيط لا سور لها، وأن أهلها لا يمتنعون من جيش إن غشيهم من تلك الناحية. فلما كملت المراكب بالإنشاء، قدم عبد الحميد بن مغيث عليها. فلما دخل البحر، تقطعت المراكب كلها وتفرقت، ولم يجتمع بعضها إلى بعض. ونجا ابن مغيث)البيان المغرب، ١٠٤/٢ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٣٩١/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٨/٤.

2) ذكر ابن عذاري ترجمة له وأول ظهوره قال: (هو كبير الثوار بالأندلس ونسبه: عمر بن حفص، المعروف بحفصون، بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذيبان بن فرغلوش بن إذفونش، من مسالمة الذمة، من كورة تاكرنا من عمل رندة. وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم، ففشا نسله في الإسلام. وكان له من الولد الذكور عمر وعبد الرحمن، فولد عمر بن جعفر حفصاً. وولد حفصون هذا عمر هذا الثائر الملعون، فعمر هذا هو الذي ثار على الأمير محمد أولا، ثم بلغ بعد ذلك في الشقاق والفتن مبلغاً لم يبلغه ثائر بالأندلس. واستوطن لأول نفاقه حصن بربشتر قاعدة وحضرة، وهي أمنع قلاع الأندلس قاطبة... واتصلت أيامه في ظهور وعزة حتى قدم فيها ثلاثة من خلفاء المروانيين)البيان المغرب، ١٠٦/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن عسكر وابن خميس، مطلع الأنوار، ص٣٢٥ ؛ الذهبي، سير، ٤٠٦/٢٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢- ٣٥ ؛ الإحاطة، ٢٥/٤- ٢٨ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٧٢/٤ – ١٧٤.

عاملها فقاتله ، فانهزم صاحب الأندلس ، وقوي أمر عمر بن حفصون ، وشاع ذكره ، وأتاه من يريد الشر والفساد ، فسيّر محمد ، صاحب الأندلس ، عاملاً آخر في جيش ، فصالحه عمر ، فطلب العامل كل من كان له أثر في مساعدة عمر ، فأهلكه ، وفيهم من أبعده ، فاستقامت تلك الناحية[1].

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ، ومصر ، وبلاد الجزيرة ، وإفريقية ، والأندلس ، وكان قبلها هدّة عظيمة قوية[2].

حوادث سنة ثمان وستين ومائتين

ذكر الحوادث بالأندلس...

في هذه السنة سيّر محمد بن عبد الرحمن ، صاحب الأندلس ، جيشاً مع ابنه المنذر إلى المخالفين عليه ، فقصد مدينة سرقسطة ، فأهلك زرعها وخرب بلدها وافتتح

---

١) ذكر ابن عذاري ما جرى بشكل أوضح، قال: وفيها ابتدأ أمر (عمر بن حفصون، الذي أعيى الخلفاء أمره، وطالت في الدنيا فتنته، وعظم شره، فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية ريّة. فتقدم إليه عامر بن عامر، فانهزم عامر وأسلم قبته، فأخذها ابن حفصون، وهو أول رواق ضربه، فاستكن إليه أهل الشر. وعزل الأمير عامرا عن كورة رية، وولاها عبد العزيز بن عباس، فهادنه ابن حفصون، وسكنت الحال بينهما. ثم عزل عبد العزيز، وتحرك ابن حفصون، وعاد إلى ما كان عليه من الشر. وخرج هاشم بن عبد العزيز إلى كورة ريّة يطلب كل من كشف وجهه في الفتنة وأظهر الخلاف، وأخذ رهائن أهل تاكرنا على إعطاء الطاعة.)البيان المغرب، ١٠٤/٢ ؛ينظر أيضاً: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ١٠٣- ١٠٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٩١/٢٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٨/٤.

٢) ذكر ابن عذاري تفاصيل ذلك، قال: (زلزلت الأرض بقرطبة زلزالاً شديداً، وهاجت ريح عند صلاة المغرب، فأثارت سحاباً فيه ظلمات ورعد وبرق، فصعق ستة نفر، وانقلبوا على ظهورهم، مات اثنان، وخرّ جميع الناس سجداً إلا الإمام، فإنه ثبت قائماً، وكان الرجلان اللذان ماتا أقرب الناس إلى الإمام، فاحترق شعر أحدهما واسود وجهه وشقه الأيسر، والآخر ظهر بشقه الأيمن سواد، والأربعة الصرعى مكثوا حتى فرغ الإمام، فسئلوا عما أحسوا، فقالوا: أحسسنا ناراً كأنها الموج الثقيل. ووجد أهل المسجد رائحة النار، ولم يوجد للصاعقة أثر في سقف ولا حائط. واهتزت لهذا الزلزال القصور والجبال، وهرب الناس إلى الصحارى، ضارعين إلى الله تعالى. وعمّ هذا الزلزال من البحر الشامي إلى آخر الجوف وإلى آخر أرض الشرك، لم يختلف في ذلك مختلف.)البيان المغرب، ١٠٤/٢- ١٠٥ ؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩٣.

حصن روطة[1] ، فأخذ منه عبد الواحد الروطي[2] ، وهو من أشجع أهل زمانه ، وتقدم إلى دير تروجة ، وبلد محمد بن مركب بن موسى[3] ، فهتكهما بالغارة ، وقصد مدينة لاردة[4] وقرطاجة فكان فيها إسماعيل بن موسى[5] ، فحاربه ، فأذعن إسماعيل بالطاعة ، وترك الخلاف وأعطى رهائنه على ذلك ، وقصد مدينة أنقرة[6] وهي

---

١) روطة ، قال ياقوت: هو حصن من أعمال سرقسطة بالأندلس وهو حصين على وادي شلون، الأندلس من معجم البلدان، ص١٣٣ ؛ وفيه تحصن فيه أحمد بن عبد الملك بن هود مدة ضد النصارى ثم اصطلح معهم أن يتنازل إليهم عنه مقابل تعويضه في بعض مناطق الأندلس وذلك بعد سنة ٥١٣هـ، الذهبي، سير، ٤١/٢٠- ٤٤ ؛ وهناك مكان آخر في جنوب الأندلس يدعى روطة قال الحميري: (وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطة على شاطئ البحر، بينهما ستة أميال، وهو موضع رباط ومقر للصالحين يقصد من الأقطار، وبروطة هذه بئر خصت بماء لا يعلم مثله في بقعة، وهي بئر أولية قديمة البنية، ينزل المرء فيستقي الماء بيده حيث انتهى من البئر، فكلما كثر البشر بحصن روطة واجتمعت إليه المرابطة طما الماء في البئر وزاد حتى يستقى من رأس البئر باليد دون مهانة ولا مشقة، فإذا قل الناس بها وتفرقوا نضب الماء حتى يكون بآخر دركه)صفة، ص١٠٢ ؛ ينظر أيضا: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٠/٢. ؛ وفي رواية ابن خلدون أسماه حصن ريطة، تاريخ، ١٦٩/٤.

٢) ذكر العذري أن عبد الواحد الروطي كان يمتلك روطة اليهود فابتاعها منه الوزير هاشم بن عبد العزيز سنة ٢٦١هـ، ترصيع الأخبار، ص٣٥.

٣) الصحيح محمد بن لب بن موسى ، ينظر : العذري، ترصيع الأخبار، ص٣٥- ٣٦.

٤) لاردة ، مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طرّكونة منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف، وصفها الحميري قائلا: (في ثغر الأندلس الشرقي، وهي مدينة قديمة ابتنيت على نهر يخرج من أرض جليقية يعرف بشيقر، وهو النهر الذي تلقط منه برادة الذهب الخالص، وهي بشرقي مدينة وشقة)صفة، ص١٦٨ ؛ ينظر أيضا :ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ)ص١١٠؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٤ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢، ٥٥٤ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٧ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٥٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٥٩/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٣١.

٥) هو إسماعيل بن موسى بن فرتون بن قسي ثار على الأمير محمد بن عبد الرحمن مع أخوته بتطيلة سنة ٢٥٨هـ، ثم استولى على سرقسطة، وترددت عليه جيوش الأمير، فلما كان سنة ٢٦٨هـ غزاه المنذر بن الأمير محمد والوزير هاشم بن عبد العزيز، فسعى في الصلح بعد أن ضيقوا عليه، ثم تمادى ونكث، ثم اصطدم مع محمد بن لب الذي تمكن من أسره وذلك سنة ٢٧٠هـ، ثم أطلق سراحه وبقي في حصن منت شون حتى وفاته سنة ٢٧٦هـ، العذري، ترصيع الأخبار، ص٣٢- ٣٤.

٦) لعل المقصود بها بقيرة إذ تردد اسمها في أحداث هذه الغزوات، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٣١ ؛ وهي مدينة معدودة من أعمال تطيلة بينهما إحدى عشر فرسخاً، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٨٠.

للمشركين ، فافتتح هنالك حصوناً وعاد[1].

حوادث سنة سبعين ومائتين

ذكر عدة حوادث

وفيها ابتدأ إسماعيل بن موسى بناء مدينة لاردة من الأندلس ، وكان مخالفاً لمحمد صاحب الأندلس ، ثم صالحه في العام الماضي ، فلما سمع صاحب برشلونة الفرنجي جمع وحشد وسار يريد منعه من ذلك ، فسمع به إسماعيل ، فقصده وقاتله ، فانهزم المشركون ، وقتل أكثرهم ، وبقي أكثر القتلى في تلك الأرض دهراً طويلاً[2].

حوادث سنة إحدى وسبعين ومائتين

ذكر حروب الأندلس...

في هذه السنة سيّر محمد ، صاحب الأندلس ، جيشاً مع ابنه المنذر إلى مدينة بطليوس ، فزال عنها ابن مروان الجليقي ، وكان مخالفاً ، كما ذكرنا ، وقصد حصن أشير غرة[3] فتحصن به ، فأحرق المنذر بطليوس[4].

---

1) ذكر ابن عذاري هذه الغزوة بشكل مختصر، قال: (وفي سنة ٢٦٨ ، خرج المنذر ابن الأمير محمد ، والقائد هاشم بن عبد العزيز، فقصد الثغر الأقصى، وحطم سرقسطة، وافتتح حصن روطة، ثم تقدم إلى ألبة والقلاع، وافتتح حصونا كثيرة، وأخلى حصونا كثيرة، خوفا من مهرة العسكر، وتوقعا من تغلبه.)البيان المغرب، ١٠٥/٢ ؛ ينظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ٣٩٢/٢٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٩/٤.

2) لم يذكر ابن عذاري هذا الخبر، كما أن العذري الذي تحدث عن إسماعيل بن موسى وحروبه وصراعه مع المخالفين له ومع حكومة قرطبة حتى وفاته لم يشر إلى ذلك.

3) ذكر ابن حيان حصن أشبر غيرة وقال: هو من حصون إلبيرة يسكنه قوم يعرفون ببني مهلب، المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠ هـ)، ص١٧٣، ٢٥٣، والمقتبس (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ)، ص٥٢، ومن غير المؤكد أنها المقصودة في النص أعلاه الذي يوحي أن الحصن يقع في غرب الأندلس .

4) لم يذكر ابن عذاري خبر هذه الغزوة واكتفى بالإشارة إلى عبد الرحمن الجليقي في السنة التالية، ولعله جعلها واحدة، أما ابن الأثير فذكر أن غزوة هذه السنة إلى بطليوس بقيادة المنذر بن الأمير محمد، ولم يذكر في غزوة السنة التالية اسم القائد، فيماذكر ابن عذاري أن غزوة سنة ٢٧٢ هـ كانت بقيادة عبد الله بن الأمير محمد، ينظر أدناه ؛ أما ابن خلدون فكانت روايته أكثر وضوحاً، إذ قال في حوادث سنة ٢٧١هـ: (وسار هاشم إلى عبد الرحمن بن مروان الجلّيقيّ وحاصره بحصن منت مولن، ثم رجع عنه فأغار ابن مروان على إشبيليّة ولقبت. ثم نزل منت شلوط فامتنع فيه، وصالح عليه الأمير محمدا، واستقام على طاعته إلى أن هلك الأمير محمد.)تاريخ، ١٦٩/٤.

وسيّر محمد أيضاً جيشاً مع هاشم بن عبد العزيز إلى مدينة سرقسطة ، وبها محمد بن لب بن موسى[1] ، فملكها هاشم واخرج منها محمداً ، وكان معه عمر بن حفصون الذي ذكرنا خروجه على صاحب الأندلس فصالحه ، فلما عادوا إلى قرطبة هرب عمر بن حفصون ، وقصد بربشتر مخالفاً فاهتم صاحب الأندلس به[2] على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

حوادث سنة اثنتين وسبعين ومائتين

وفيها سيّر صاحب الأندلس إلى ابن مروان الجليقي ، وهو بحصن أشير غرة ، فحصروه وضيقوا عليه[3].

---

١) ثار محمد بن لب بن موسى في منطقة الثغر وتغلب على سرقسطة سنة ٢٥٨هـ، وباشره الأمير محمد بالغزوات فلما كانت سنة ٢٦١هـ غزاه الوزير هاشم بن عبد العزيز فابتاع سرقسطة منه، وخرج منها حيث سجل له الأمير محمد على أرنيط وطرسونة وجريش، واستقامت له الأمور، وغزا بنبلونة، ثم سجل له الأمير محمد على تطيلة ولاردة، ولما تغلب محمد بن عبد الرحمن التجيبي على سرقسطة حاربه محمد بن لب وحاصره فيها وأثناء ذلك قتله أحد أتباعه وذلك سنة ٢٨٥هـ، العذري، ترصيع الأخبار، ص٣٥- ٣٦.

٢) لم يشر ابن عذاري إلى غزوة سرقسطة هذه السنة ولكنه ذكر هروب ابن حفصون من قرطبة، البيان المغرب، ٢/ ١٠٥ ، أما ابن خلدون فكانت روايته أكثر وضوحاً إذ قال: (وفي سنة إحدى وسبعين سار هاشم بن عبد العزيز في العساكر إلى سرقسطة فحاصرها هاشم وافتتحها، ونزلوا جميعا على حكمه. وكان في عسكره عمر بن حفصون واستدعاه من الثغر فحضر معه هذه الغزاة فهرب ولحق ببيشتر فامتنع به)تاريخ، ١٦٩/٤ ؛ أما أمر ابن حفصون فإنه لما أخذ بالإغارة على أطراف إقليم رية، سار إليه عاملها عامر بن عامر فهزمه ابن حفصون، وبذلك قوى أمره وكثر جمعه، فبعث الأمير محمد عاملاً آخر وهو عبد العزيز بن عباس فسار إليه فامتنع بقلاعه، عندئذٍ سير الأمير محمد وزيره هاشم بن عبد العزيز إليه بقوة كبيرة فأرغمه على التسليم وجاء به إلى قرطبة، فعفا عنه الأمير محمد وأكرمه وبالغ في ذلك وضمه إلى جيشه، ولما سار المنذر بن الأمير محمد والوزير هاشم لقتال محمد بن لب اصطحب ابن حفصون معه، ولما عاد الجيش من الثغر فرّ من قرطبة واستأنف ثورته من معقله ببشتر، وجعل ابن عذاري فراره سنة ٢٧١هـ فيما جعلها ابن الخطيب سنة ٢٧٢ هـ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٥/٢/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢.

٣) ذكر ابن عذاري خبر هذه الغزوة، قال: (وفي سنة ٢٧٢، خرج عبد الله ابن الأمير محمد، والقائد هاشم بن عبد العزيز. وقصد الغرب إلى ابن مروان، وهو بجبل اشبرغزة؛ فنازله وحاربه.) البيان المغرب، ١٠٥/٢.

وسيّر جيشاً آخر إلى محاربة عمر بن حفصون بحصن بربشتر[1].

حوادث سنة ثلاث وسبعين ومائتين

ذكر وفاة محمد بن عبد الرحمن وولاية ابنه المنذر

في هذه السنة توفي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي، صاحب الأندلس، سلخ صفر، وكان عمره نحواً من خمس وستين سنة، وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً، وكان أبيض مشرباً بحمرة ربعة، أوقص، يخضب بالحناء والكتم، وخلف ثلاثة وثلاثين ولداً ذكوراً وكان ذكياً فطناً بالأمور المشتبهة متعانياً منها[2].

ولما مات ولي بعده ابنه المنذر بن محمد، بويع له بعد موت أبيه لثلاث ليال، وأطاعه الناس، وأحسن إليهم[3].

حوادث سنة خمس وسبعين ومائتين

ذكر وفاة المنذر بن محمد الأموي

وفيها في المحرم توفي المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي، صاحب الأندلس، وقيل في صفر، وكانت ولايته سنة واحدة وأحد عشر شهراً وعشرة أيام، وكان عمره نحواً من ست وأربعين سنة[4].

---

1) لم يرد خبر هذه الغزوة في المصادر التي بين أيدينا.

2) ينظر عن سيرته: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٨- ١١٠؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٦- ١٣٢؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢١- ٢٤.

3) كان المنذر بن محمد يقاتل ابن حفصون عند حصن الحامة، فجاءه نبأ وفاة أبيه فأسرع إلى قرطبة، فلما وصل تلقاه أهلها عليهم الأردية والبياض داعين له، فكلما قابل جمعاً وقف مقابلاً لهم، متواضعاً سامعاً فيسير إلى جمع آخر حتى دخل القصر فصلى على أبيه، وقيل صلى عليه= أخوه عبد الله، فتمت له البيعة في اليوم الثاني من وصوله، الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١/١٢٠- ١٢٤؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١١٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩٤- ١٩٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٥.

4) واختلف في سبب موته، وهل أن ذلك كان بتدبير أم لا، فابن القوطية قال: عن الأمير المنذر (... ثم شمّر إلى ابن حفصون، وأخذه بالعزم، وكان قد أوفى عليه لولا أن المنية فاجأنه وهو محاصره، وكان أخوه عبد الله بن محمد، الوالي بعده، في الجيش، فأجمع من حضر الغزاة=

وكان أسمر طويلاً بوجهه أثر جدري ، جعداً كثّ اللحية ، وخلف ستة ذكور ، وكان جواداً يصل الشعراء ويحب الشعر[1].

ولما توفي بويع أخوه عبد الله بن محمد ، بويع له يوم موت أخيه ، وكنيته أبو محمد ، أمّه أم ولد اسمها عشار[2] توفيت قبل ابنها بسنة ، وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن ، وصار في كل جهة متغلب ، ولم تزل كذلك طول ولايته[3].

=من الخدم والقريشيين والموالي والأجناد عليه فبويع... ويقال: أن ميسوراً فتاه سمّ له القطن المجعول في جرح الفصد ، إذ كان قد تهدده لشيء اقتصره فيه ، أنه يوقع به عند انصرافه إلى قرطبة ، فلما هجم عليه الدم فجّرَ تفجير ضرورة ، ببشتر فعاجله الموت...)تاريخ افتتاح الأندلس ١١٣- ١١٤ ، أما ابن عذاري فقال: (... فبقى الأمير على حصن بربشتر، برومه روماً ، مدة من ثلاثة وأربعين يوماً. وكان قد أصابته علة أكرثت نفسه ، وكدرت أنسه؛ فبعث في أخيه عبد الله لينوب منابه ، وينتدب في تلك الحال انتدابه. فلما وصل إليه ، وحصل في المظلة لديه ، خرجت في الحين روحه...)البيان المغرب، ١١٨/٢ ، وقد اتهم ابن حزم أخوه عبد الله صراحة بقتله قائلاً (سمه أخوه في مبضع فصد به)رسائل ابن حزم، ١٠٤/٢ ، ونقل ابن الخطيب رواية ابن حزم مرجحاً إياها إذ قال عن عبد الله بن محمد (... فإنه احتال على أخيه المنذر لما قصده بالعسكر وأوطأ عليه حجاماً سمّ المبضع الذي فصد به)أعمال الأعلام، ٢٧/٢.

١) قال ابن عذاري: (كنيته أبو الحكم. مولده: سنة ٢٢٩. أمه: تسمى أثل، ولدته لسبعة أشهر... أسمر، جعد الشعر، بوجهه أثر جدري، يخضب بالحناء والكتم. أولاده الذكور: خمسة، والإناث: ثمان. بويع يوم الأحد لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٢٧٣ ، وهو ابن أربع وأربعين سنة، وسبعة عشر يوما ، وتوفي في غزاة له على بربشتر يوم السبت للنصف من صفر سنة ٢٧٥. عمره ستة وأربعون سنة. خلافته: سنتان إلا سبعة عشر يوما. ودفن بقصر قرطبة، وصلى عليه أخوه عبد الله، جد الناصر. واتصل به موت أبيه، وهو على حصن الحامة يقاتل المرتد اللعين عمر ابن حفصون؛ فقفل إلى قرطبة. وتمت له البيعة في اليوم الثاني من وصوله؛ ففرق العطاء في الجند، وتحبب إلى أهل قرطبة والرعايا بأن أسقط عنهم عشر العام وما يلزمهم من جميع المغرم)البيان المغرب، ١١٣/٢- ١١٤ ؛ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٢ ؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٤ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩٤ـ ١٩٥ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢٥/٢- ١٢٦.

٢) وهي جارية تزوجها الأمير محمد بن عبد الرحمن فولدت له ابنه عبد الله سنة ٢٣٠هـ، وقد اختلفت المصادر في صريح اسمها فقيل إنها عشار، وقيل أشار، وكانت وفاتها سنة ٢٩٩هـ، الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص٢٢٧.

٣) قال ابن عذاري في وصف أيامه: (وأفضت الخلافة إليه، وقد تحيفها النكث، ومزقها الشقاق، وحل عراها النفاق، والفتنة مستولية، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصى الجماعة متصدعة، والباطل قد أعلن، والشر قد اشتهر، وقد تمالا على أهل الإيمان حزب الشيطان، وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داج، لا إشراق لصباحه، ولا أقول لنجومه. وتألب على أهل=

حوادث سنة أربع وثمانين ومائتين

وفيها أيضاً توفي أبو عبد الله محمد بن الوضاح بن ربيع الأندلسي ، وكان من العلماء المشهورين[1].

ثم دخلت سنة ثلاثمائة

ذكر وفاة عبد الله بن محمّد صاحب الأندلس وولاية عبد الرحمن الناصر

وفيها توفي عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأمويّ ، صاحب الأندلس ، في ربيع الأوّل ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ، وكان أبيض ، أصهب ، أزرق ، ربعة ، يخضب بالسواد ، وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ، وخلّف أحد عشر ولداً ذكراً[2] ، أحدهم

=الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة ، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام ، فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروب ومحصور ، يعيش مجهودا ، ويموت هزلا ، قد انقطع الحرث ، وكاد ينقطع النسل. فناضل الأمير بجهده ، وحمى بجده ، وجاهد عدو الله وعدوه. وانقطع الجهاد إلى دار الحرب ، وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر المخوف ، فكان قتال المنافقين وأشباههم أوكد بالسنة ، وألزم بالضرورة.)البيان المغرب ، ١٢١/٢؛ ينظر أيضاً : مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٩٥ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢٧/٢- ٢٩.

١) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع مولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، محدث مشهور ، رحل إلى المشرق وطوف البلاد في طلب العلم ، سمع آدم بن أبي إياس ، ويحيى بن معين ، وأبا بكر ابن أبي شيبة ، وحامد بن يحيى البلخي وغيرهم ، وسمع بإفريقية من سحنون بن سعيد التنوخي وغيره ، وبالأندلس من يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك بن أنس وآخرين ، وحدث بالأندلس مدة طويلة ، وانتشر عنه بها علم جم ، وروى عنه من الأندلسيين ، وهب بن مسرة ، وابن أبي دليم ، وقاسم بن أصبغ ، وغيرهم ، توفي سنة ٢٨٨هـ وقيل سنة ٢٨٦هـ ، ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٣٠٥- ٣٠٦ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٨٣- ٨٤ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٢٦- ١٢٧.

٢) أختلف رواية ابن عذاري في صفته ومدة حكمه وعدد أولاده وعمره ، قال كان الأمير عبد الله (... أبيض ، مشرب بحمرة ، أصهب ، أزرق ، أقنى الأنف ، ربعة ، يخضب بالسواد. بنوه أحد عشر ، أحدهم محمد المقتول ، والد عبد الرحمن الناصر. بناته ثلاث عشرة. بويع في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في المحلة على بربشتر ، وذلك يوم السبت في النصف من شهر صفر سنة ٢٧٥. ثم قفل إلى قرطبة بأخيه المنذر ميتاً ، فاستتم البيعة بقرطبة ، ودفن أخاه بعدها. وتوفي عبد الله سنة ٣٠٠ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة؛ فكانت خلافته خمساً وعشرين سنة ، وخمسة عشر=

محمّد المقتول ، قتله في حدّ من الحدود[1] ، وهو والد عبد الرحمن الناصر.

ولّما توفي ولِيَ بعده ابن ابنه هذا محمّد ، واسمه عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هِشام بن عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس بن معاوية بن هِشام بن عبد الملك بن مَروان بن الحكم الأمويّ ، وأمّه أمّ ولد تسمّى مزنة[2] ، وكان عمره لّما قُتل أبوه عشرين يوماً.

وكانت ولايته من المستطرف لأنّه كان شاباً ، وبالحضرة أعمامه وأعمام أبيه ، فلم يختلفوا عليه[3] ، ووُلِّيَ الإمارة والبلاد كلّها ، وقد اختلف عليهم قبله ، وامتنع حصون

=يوماً)البيان المغرب، ١٢١/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧/٢- ٢٩ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص١٩٧- ١٩٩.

١) اختلف المصادر الأندلسية في ذلك، والراجح أن قتل الأمير عبد الله لابنه محمد والد عبد الرحمن الناصر كان بسبب التنافس بين ولدي الأمير عبد الله وهما محمد والمطرف، فكان الأمير عبد الله قد رشح ابنه محمداً لولاية عهده، فعظم الأمر على أخيه المطرف، وبَعُد ما بينهما، وقابل الواحد الثاني بالهجران والصد والحسد، فوجد المطرف يوماً فارساً من فرسان أخيه محمد فاغتاله، وعندما خاف من أبيه ولم يأمنه، سار إلى السجن وفتقه، وأخرج من فيه من أهل الدعارة والفساد، ولحق ببشتر وصار عند ابن حفصون، فخاطبه أباه الأمير عبد الله بالأمان، فقبل من أبيه، ورجع إلى قرطبة، ولكنه لم يكف عن عداوة أخيه محمد، واتهمه أنه يخاطب ابن حفصون ويداخله، ويداهنه على القيام على أبيه ويواصله. فسجن الأمير عبد الله ابنه محمدا، وراقبه فلما لم تصح التهمة عليه أطلق سراحه، فدخل المطرف إليه وقتله، فلما علم ذلك الأمير عبد الله، أعظم ذلك منه، وهم بقتله، فصرفه بعض حاشيته، وكان ذلك في سنة ٢٧٧هـ، ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٠/٢، وأشار ابن خلدون إلى أن الأمير عبد الله بعد أن آمن ابنه المطرف خرج في غزوة له، فعدا المطرف على أخيه في محبسه وقتله، تاريخ ابن خلدون، ١٧٦/٤.، وتختلف رواية ابن الأبار عن الرواية أعلاه إذ ذكر أن عبد الرحمن بن محمد والد الناصر ولاه أبوه إشبيلية ثم هرب إلى عمر بن حفصون، فحبسه أبوه بسبب ذلك، وقتله أخوه المطرف في السنة أعلاه، الحلة السيراء، ٣٦٧/٢- ٢٦٨، ويبدو أن الدسائس لعبت دورها في اتهام هذا الطرف أو ذاك فذهب الاثنان ضحيتها.

٢) وهي جارية أسبانية نصرانية كانت تدعى ماريا، وعلى عادة العرب إذا كانت له جارية غيّر اسمها، فسميت مزنة، تزوجها الأمير محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط فولدت له ابنه عبد الرحمن الناصر وكانت ولادته بعد مقتل أبيه بإحدى وعشرين يوماً في رمضان سنة ٢٧٧هـ، ينظر ترجمتها : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص٢٩٢.

٣) أشار السامرائي إلى أن من الأسباب التي دفعت إلى تولية عبد الرحمن دون أعمامه هو أن الدولة في الأندلس (كانت في وضع عجزت معه عن ردع المغيرين على أطراف العاصمة قرطبة=

بكورة رَيّة وحصن بُبَشْتَر[1] فحاربه ، حتّى صلحت البلاد بناحيته ، وكان مَن بطُليطُلة أيضاً قد خالفوا ، فقاتلهم حتّى عادوا إلى الطاعة ، ولم يزل يقاتل المخالفين حتّى أذعنوا له ، وأطاعوه نيّفاً وعشرين سنة ، فاستقامت البلاد ، وأمنت في دولته ، ومضى لحال سبيله[2].

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة

ذكر عدّة حوادث

وفيها ظفر عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله الناصر لدين الله الأمويُّ ، صاحب الأندلس ، بأهل طُليطُلة وكان قد حصرها مدّة لخلاف كان عليه فيها ، فلّما

=نفسها بعد أن تجاذبتها الأعاصير من كل صوب، وتفاقم أمر التحدي الداخلي للسلطة مما أعطى للتحديات الخارجية فرصاً سانحة وسهلة لتحقيق ما كانت تبغيه من التوسع على حساب سيادة الدولة العربية، وهذه الظروف العصيبة التي عاشتها الدولة العربية في الأندلس لم تكن بغية الطامعين في الحكم، فقد كانوا تواقين بالإجماع ودون اتفاق مسبق إلى مساندة كل شخصية يتوسمون فيها الخصال التي تعيد مكانة الدولة السابقة داخلياً وخارجياً، فكان عبد الرحمن أقرب الشخصيات إلى هذه المواصفات) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٥٤ ؛ فضلاً عن ذلك ، يبدو أن من بين الأسباب التي دعت أبناء البيت الأموي إلى مبايعة عبد الرحمن بن محمد الناصر دون منازع هو كثرة من قتل منهم بسبب النزاع على السلطة في عهد الأمير عبد الله بن محمد ما جعلهم يحجمون عنها ويزهدون فيها.

١) ببشتر ذكره ابن غالب بضم التاء وقال: (هو الحصن المنفرد بالامتناع، والواحد في الحصانة والانقطاع، صخرة صمّاء من جميع النواحي وإذا توصل المتوصل إلى أعلاه ألفاه سهلا منفسحا ورحبا منبسطا، كثير الكرم والزيتون والرمان واللوز)فرحة الأنفس، ٢٢٦ ؛ ووصفة الحميري بالقول: إنه (حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً، وهو حصن تزل عنه الأبصار، فكيف الأقدام، على صخرةٍ صماء منقطعةٍ، لها بابان يتوصل إلى أعلاهما من شعب يسلكه الراجل الخفيف، وطريقه عند الطلوع والهبوط على النهر، وأعلى الصخرة سهلة مربعة ذات مياهٍ كثيرةٍ تقطع الحجر، فينبعث الماء العذب، وينبط فيها الآبار بأيسر عملٍ وكدٍ. وحصن ببشتر كان قاعدة العجم، كثير الديارات والكنائس والدواميس، ولهذا الحصن قرى كثيرة، وحصون خطيرة، وما حوله كثير المياه، والأشجار، والثمار، والكروم، وشجر التين، وأصناف الفواكه، والزيتون)صفة، ص٣٧ ؛ ينظر أيضا: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢.

٢) ينظر عن جهود عبد الرحمن الناصر في محاربة المخالفين وتأمين البلاد: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٣٧٣ – ٣٩١ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٥٥- ١٦٣.

ظفر بهم أخرب كثيراً من عماراتها وشعّثها ، وكانت حينئذ دار إسلام[1].

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خرجت الفرنج إلى بلاد الأندلس التي للمسلمين ، فنهبوا وقتلوا وسبوا[2] ، وممّن قُتل من المشهورين جحّاف بن يُمن[3] قاضي بلنسية.

---

١) يبدو أن خبر ابن الأثير عن غزوة طليطلة هذه السنة غير دقيق، ولم يرد عند ابن حيان وابن عذاري وابن خلدون أنه غزا طليطلة هذا العام وإنما ذكروا أن غزوة طليطلة كانت سنة ٣١٨هـ وهو في هذه الغزوة عمل على انتسافها وتخريبها ثم أمر ببناء مدينة إلى جنبها أسماها مدينة الفتح، ينظر: ابن حيان (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)ص٢٨٠- ٢٨٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٠٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٨١/٤.

٢) في هذه السنة تحالف محمد بن هاشم التجيبي حاكم سرقسطة ومطرف بن منذر التجيبي حاكم قلعة أيوب مع ملك ليون راميرو الثاني، ثم انضمت إليهم الملكة طوطة ملكة البشكنس، فجهز الخليفة الناصر لدين الله جيشاً قصد قلعة أيوب وتمكن من الاستيلاء عليها وقتل مطرف التجيبي بعدها توجهة إلى ألبة فدانت له، ثم انطلق إلى سرقسطة وحاصرها وتمكن من القاء القبض على محمد بن هاشم التجيبي الذي طلب الأمان فأمنه، بعدها توجه الناصر لمحاربة من تبقى من هذا التحالف وهم البشكنس، حيث تمكن من اقتحام عاصمتها بنبلونة وتدميرها والحاق الخراب بها ، عندها توجهت الملكة طوطة إلى الخليفة الناصر طالبة العفو وتجديد الصلح وكان ذلك سنة ٣٢٦هـ، ابن حيان (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ) ص٤٠٤- ٤٠٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٨٢/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٣٨٧ ؛ العليلوي، البشكنس، ص١٣١- ١٣٣ ؛ هذا ما حدث في الثغر الأعلى تلك السنة ويبدو أن ابن الأثير خلط ما بين هذه الحادثة وغزوة الخندق التي حدثت باجماع المصادر الأندلسية سنة ٣٢٧هـ، وهي التي استشهد فيها القاضي جحاف بن يمن.

٣) جحاف بن يمن من أهل بلنسية محدث وفقيه، ولاه الناصر لدين الله قضاء بلنسية، واستشهد في غزوة الخندق سنة ٣٢٧هـ، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٩٢ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٦٧ ؛ عياض، ترتيب المدارك، ١٧٨/٦ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٤٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٣١/٧ ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

ذكر الفتنة بالأندلس

وفي هذه السنة عصى أمية بن إسحاق[1] ، بمدينة شنترين[2] ، على عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس.

وسبب ذلك أنه كان له أخ اسمه أحمد[3] ، وكان وزيراً لعبد الرحمن ، فقتله

---

١) هو أمية بن إسحاق بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن الوليد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مروان الأموي، سكن إشبيلية أيام الفتنة عند بني حجّاج ، ولما وليها أحمد بن مسلمة بن الحجاج اتهمه، وقبض عليه وعلى ولده وصهره يحيى بن حكم بن هشام بن خالد بن أبان بن خالد بن عبد الله بن عبد الملك بن الحارث بن مروان فقتل الولد والصهر، وكان عنده سفير لابن حفصون فشفع في الشيخ إسحاق وولده أحمد ، ولما ملك عبد الرحمن الناصر إشبيلية من يد ابن مسلمة، رحل إسحاق إلى قرطبة واستوزره الناصر واستوزر بنيه أحمد ومحمد وعبد الله وقربهم وعلت مكانتهم في الدولة ، وتوفي أبوهم إسحاق فورثوا مكانه في كل رفيعة ، وكان عبد الله مقدمهم عند الناصر، واستوزره ثم اتهمه الناصر بالخلاف وكثرت فيهم السعايات، وصاروا في مجال الظنون فسطا بهم الناصر وفرقهم في النواحي، فانزوى أمية منهم في شنترين سنة ٣٢٥هـ وخلع الطاعة، ابن خلدون، تاريخ ، ١٧٨/٤.

٢) شنترين وصفها الحميري بالقول: (مدينة معدودة في كور باجة، وهي مدينة على جبل عال كثير العلو جداً، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها، وبأسفلها ربض على طول النهر، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه ومباقل، وبينها وبين بطليوس أربع مراحل، وهي من أكرم الأرضين، ونهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر فيزدرع أهلها على ثراه عند انقطاع الزريعة في البلاد وذهاب أوانها فلا يقصر عن نمائه الطيب ولا يتأخر إناه وإدراكه ،ومن أقاليمها صقلب، وهي أطيب بقاع الأرض يرفع في أرضه عند توسط الرياع للحبة مائة، وعند كماله للحبة مائتان. ولشنترين جزائر في البحر مسكونة. وكانت جباية شنترين ألفين وتسعمائة دينار، وأحوازها متصلة بأحواز باجة) صفة، ١١٣- ١١٤؛ ينظر أيضاً: الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٥ ؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٨٨ ؛ ابن الخراط، مختصر اقتباس الأنوار، ص١٩٨ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٨٠/١ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، (تحقيق بوباية)ص٩٩- ١٠٠ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٢٣ قال سنترين ولعل ذلك تصحيفا.

٣) أحمد بن إسحاق القرشي كان في جملة الناصر، فلما تحرّك إلى سرقسطة نمي عنه، ففرّ ولقي في مفرّه جماعة من أهل سرقسطة فقتلوه، المسعودي، مروج الذهب، ٢٧٧/٢ الذي قال: إنه بدر منه أمر استحق عليه في الشريعة العقوبة فقتله ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ) ص٣٩٠ ؛ ابن خلدون، تاريخ ، ١٧٨/٤.

عبد الرحمن ، وكان أمية بشنترين ، فلما بلغه ذلك عصى فيها ، والتجأ إلى ردمير ملك الجلالقة ، ودله على عورات المسلمين ، ثم خرج أمية في بعض الأيام يتصيد ، فمنعه أصحابه من دخول البلد ، فسار إلى ردمير فاستوزره.

وغزا عبد الرحمن بلاد الجلالقة ، فالتقى هو وردمير هذه السنة ، فانهزمت الجلالقة ، وقتل منهم خلق كثير ، وحَصَّرَهُم عبد الرحمن.

ثم إن الجلالقة خرجوا عليه وظفروا به وبالمسلمين ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأراد اتباعهم ، فمنعه أمية وخوفه المسلمين ورغبه في الخزائن والغنيمة[1].

---

١) هذه إشارة سريعة من ابن الأثير إلى غزوة الخندق، والتي لم يشر إليها أيضا ابن عذاري، وذكرها صاحب كتاب أخبار مجموعة بشكل مقتضب عند حديثه عن نجدة الصقلبي وتقليد الناصر إليه أمور عسكره إذ حمّله سبب الهزيمة وأسماها غزوة القدرة وجعلها سنة ٣٢٦هـ، مؤلف مجهول، ص١٣٧ ؛ أما ابن خلدون فذكرها باختصار شديد جداً ، تاريخ، ١٨٣/٤، وأحسن التفاصيل عنها جاءت عند ابن حيان إذ أشار إلى أنه في سنة ٣٢٥هـ خلع أمية بن إسحاق القرشي المرواني الطاعة في مدينة شنترين فأخرج إليه قائده نجدة الصقلبي فيما توجه هو إلى سرقسطة، فتوجه أمية إلى ملك ليون وتحالف معه، فأرسل الناصر مرة أخرى القائد أحمد بن محمد بن إلياس الذي تمكن من هزيمة ملك ليون وحليفه أمية، ثم أرسل الناصر مدداً له قائده عبد الحميد بن بسيل، وفي الوقت نفسه سير سفن في البحر لغزو شنترين المناصرين لأمية وتمكن من الاستيلاء عليها، فيما انسحب أمية مع حليفه ملك ليون، عندها عزم الناصر على توجيه ضربة قوية إلى ملك ليون، فحشد جيشاً كبيراً إذ أرسل إلى عماله في أنحاء الأندلس قائلاً: (وليكن حشدك حشرٌ لا حشداً)، وعهد بقيادة ذلك الجيش إلى نجدة بن حسين الصقلبي، وهو ما أثار استياء العرب، وفي صيف سنة ٣٢٧هـ عبر نهر تاجة ثم نهر دويرة متجهاً نحو قلعة شنت منكش، وتأهب له عدوه ملك ليون ومعه أمية بن إسحاق القرشي المرواني، كما انضمت إليه الملكة طوطة ملكة البشكنس، وعلى باب شنت مانكش دارت معركة كبيرة سقط فيها أولاً محمد بن هاشم التجيبي أسيراً بيد النصارى فانهزم المسلمون وتراجعوا إلى خندق عميق تردى فيه عدد كبير منهم واليه تنسب الوقعة ومن قتل فيها على قول ابن حيان (جدنا حيان الأمثل طريقة، أبا سعيد مروان بن حيان بن محمد بن حيان، رحمه الله)، ويعزو ابن حيان سبب الهزيمة بقوله (وبدا من قوم من وجوه الجند في هذا اليوم النفاق، لأضغان احتملوها على السلطان، ففتقوا الصفوف، وسارعوا في الهرب، وجروا على المسلمين الهزيمة)، فاضطر الناصر إلى الانسحاب نحو مدينة وادي الحجارة ومنها إلى قرطبة، ولم يحاول ملك ليون تعقب المسلمين، ويقال إن الذي أشار عليه بالاكتفاء بالغنيمة وخوفه منهم هو أمية بن إسحاق إذ حذره من الكمين، ينظر التفاصيل: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)ص٤٢٥، ٤٣١- ٤٣٨ ؛ وعن دور أمية بن إسحاق ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٢٧٧/٢ ؛ المقري، نفح=

وعاد عبد الرحمن بعد هذه الوقعة فجهز الجيوش إلى بلاد الجلالقة ، فألحوا عليهم بالغارات ، وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا من المسلمين[1] ، ثم إن أمية استأمن إلى عبد الرحمن ، فأكرمه[2].

=الطيب، ٣٥٤/١- ٣٥٥ ؛ ورواية ابن الأثير هنا مهمة لأنها أشارت إلى دور أمية بن إسحاق القرشي في معركة الخندق إذ لم يشر إلى ذلك ابن حيان والراجح إن مصدرها هو المسعودي الذي أشار إلى دور أمية بن إسحاق وتحالفه مع ملك الجلالقة.

١) أشار ابن حيان إلى أن الخليفة الناصر عمد إلى تغيير سياسته بعد غزوة الخندق إذ قال: (و اشتدت على الناصر لدين الله نكبته في غزوته هذه، لم تكن لها أخت فيما سلف من مدته، فاتهم سعده، واعتكر بكره، حتى خاف على نفسه، فأشير عليه بعكس همه إلى أغلب اللذة عليه، وكانت البنيان، فعاج عليه، زعموا، من يومئذ، وقصد الاستغراق فيه، فأنشأ مدينة الزهراء بأسفل قرطبة، ووغل من سعة مبانبها... وأقصر من وقته ذلك عن الغزو بنفسه، فوكله إلى كفاته حزمة قواده وشجعانهم، يجردهم بالصوائف كل عام لا يخل بها، ويقتصر في تقليد مدن الثغر الأعلى، الممانعة للدروب، على أكابر ساكنيها وورّاثها عن الأجداد والآباء، صُلاة البأس ومعاودي المراس، آل تجيب، وآل ذى النون، وآل زروال، وآل غزوان، وآل الطويل، وآل رزين، وأشبابهم المؤمرين قديماً بثغورهم، الذابين عن حريمهم، فقسم بلادهم بينهم حصصاً، وجدد لهم ولأعقابهم بعدهم على أقسامهم منها كل عام سجلاتهم تضميناً وترفيهاً، ثم لا يغبّهم بالصلات إذا وفدوا، وبالهدايا إذا بعدو، ... ثم لا يأتي هو، مع سدهم لثغرهم، ووقمهم لعدوهم وصلتهم مغاورته أكثر أوقاتهم، عن ارسال صوائفه الثقال، الجالبة من دار مملكته صيف كل عام من طبقات أجناده مستنفري مطوعته، مزيحة عللهم، إلى أنأى ثغورهم وأهم فروجهم.. فلا تزال الفتوح تترى عليه، والظفر يصحبه، والسعد يعجله، إلى أن توفي...)المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)ص ٤٣٧- ٤٣٨.

٢) قال المسعودي: (ثم إن أمية بعد ذلك استأمن إلى عبد الرحمن، وتخلص من رذمير، فقبله عبد الرحمن أحسن قبول)مروج الذهب، ٢٧٧/٢ ؛ ينظر أيضاً: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٨٦/٢ ؛ ابن الوردي، تاريخ، ٢٦٢/١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٥/١١ ؛ وأشار عنان (عن ابن حيان)إلى أنه أسبغ عليه لقب الوزارة، وجعله قائداً للثغر، وعاد إلى سرقسطة، وكان يزور قرطبة من آن لآخر، واستمر والياً لسرقسطة حتى توفي في سنة ٣٣٨ هـ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٤٢١- ٤٢٢.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

ذكر عدة حوادث

وفيها أنشأ عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس مركباً كبيراً لم يعمل مثله ، وسيّر فيه أمتعة إلى بلاد الشرق ، فلقي في البحر مركباً فيه رسول من صقلية إلى المعز[1] ، فقطع عليه أهل المركب الأندلسي ، وأخذوا ما فيه ، وأخذوا الكتب التي إلى المعز ، فبلغ ذلك المعز ، فعمّر أسطولاً واستعمل عليه الحسن بن علي[2] صاحب صقلية ، وسيّره إلى الأندلس ، فوصلوا إلى المرية[3] ، فدخلوا المرسى ، وأحرقوا جميع

---

١) هو أبو تميم معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي الفاطمي الملقب بالمعز لدين الله ولي الدولة الفاطمية للمدة من ٣٤١-٣٦٥هـ، وفي أيامه تمكن الفاطميون من دخول مصر ونقل عاصمتهم إلى القاهرة، ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ٩١/١-٢٣٥ ؛حسن، تاريخ الإسلام، ١٤٧/٣- ١٥١.

٢) هو الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي رئيس أسرة الكلبيين ومن أنصار الدولة الفاطمية في صقلية، تولى صقلية للخليفة المنصور الفاطمي سنة ٣٣٦هـ حتى سنة ٣٤١هـ حيث عزله الخليفة المعز وولى مكانه ابنه أحمد بن الحسن الكلبي، النويري، نهاية الأرب، ٣٦٩/٢٤ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٥٩/٤ ؛ الدوري، صقلية، ص١٠٨- ١٠٩.

٣) المريّة، قال الحميري: (مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة أربع وأربعين وثلثمائة... وهي اليوم أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ومن أجل أمصارها وأشهرها، وعليها سور حصين منيع... والبحر بقبلي مدينة المرية، وقصبتها بجوفيها، وهو حصن منيع لا يرام، مديد من المشرق إلى المغرب، ...، وبها من كل الصناعات كل غريبة، وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز، وتعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة والعتابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير، وكانت فيما تقدم تصنع بها من صنوف آلات النحاس والحديد ما لا يحد، وكان بها من فواكه واديها الكثير الرخيص. وكانت المريّة تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالاً؛ والمريّة في ذاتها جبلان بينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، وفي الجبل الثاني ربضها، والسور يحيط بالمدينة والربض، ولها أبواب عدة، والمدينة كبيرة كثيرة الخيرات، وفيها ألف فندق إلا ثلاثين فندقاً، وكان الروم ملكوها فغيروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها)صفة، ص١٨٣- ١٨٤ ؛ ينظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٢/٢- ٥٦٣ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٥٩ ؛ الزهري، الجغرافية، ص١٠١ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١٩٣/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص١٣٨- ١٣٩.

ما فيه من المراكب ، وأخذوا ذلك المركب ، وكان قد عاد من الإسكندرية ، وفيه أمتعة لعبد الرحمن ، وجوارٍ مغنيات ، وصعد من في الأسطول إلى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدية[1].

ولما سَمِعَ عبد الرحمن الأموي سيّر أسطولاً إلى بعض بلاد إفريقية ، فنزلوا ونهبوا ، فقصدتهم عساكر المعز فعادوا إلى مراكبهم ، ورجعوا إلى الأندلس وقد قتلوا وقُتِلَ منهم خلق كثير[2].

ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة

ذكر وفاة عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس، وولاية ابنه الحاكم

في هذه السنة توفي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله صاحب الأندلس ، الملقب بالناصر لدين الله ، في رمضان ، فكانت إمارته خمسين سنة وستة أشهر ، وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، وكان أبيض ، أشهل ، حسن الوجه ، عظيم الجسم ، قصير الساقين ، كان ركاب سرجه يقارب الشبر ، وكان طويل الظهر[3] ، وهو أول من

---

١) ذكر أبو الفدا الرواية نفسها كما وردت عند ابن الأثير، المختصر في أخبار البشر، ١٠٠/٢-١٠١ ؛ وذكر ابن خلدون الرواية بشكل مختصر، قال: (وبعث إلى الحسين بن علي عامل صقلّيّة سنة أربع وأربعين أن يخرجه بأسطوله إلى ساحل المرية من بلاد الأندلس، فعاث فيه وغنم وسبى، ورجع فأخرج الناصر صاحب الأندلس أسطوله إلى سواحل إفريقية مع غالب مولاه فمنعتهم العساكر، وأقلعوا. ثم عاودوا سنة خمس وأربعين في سبعين مركبا فأحرقوا مرسى الخزر وعاثوا في جهات سوسة، ثم في نواحي طبرنة ورجعوا.)تاريخ، ٥٩/٤ ؛ ينظر أيضاً: عارف تامر، المعز لدين الله، ٨٩- ٩٠.

٢) ذكر ابن عذاري الرواية بشكل مختصر، قال: (ورد كتاب يعلى بن حميد قائد العدوة من قبل الناصر بما فتح الله عليه في قائد الشيعي معد بن إسماعيل صاحب إفريقية من هزيمته له وقتله من قتل من رجاله)البيان المغرب، ٢٢٠/٢.

٣) هو أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل، لقب الناصر لدين الله، وليّ في اليوم الذي توفي فيه جده الأمير عبد الله وبويع فيه، وذلك يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠هـ وتوفي يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم سنة ٣٥٠هـ وعمره ثلاث وسبعون سنة وسبعة أشهر، فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام، صفته، أبيض، ربعة، أشهل، حسن الجسم، جميل، بهي، يخضب بالسواد، قصير الساقين، كان ركاب سرجه نحو شبر لقصر ساقيه، ينظر: الحميدي، =

تلقب من الأمويين بألقاب الخلفاء ، وتسمى بأمير المؤمنين[1] ، وخلف أحد عشر ولداً ذكراً[2] ، وكان من تقدمه من آبائه يخاطبون ويخطب لهم بالأمير وأبناء الخلائف[3].

وبقي هو كذلك إلى أن مضى من إمارته سبع وعشرون سنة[4] ، فلما بلغه

=جذوة المقتبس، ص١٨ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٦/٢ ؛ الذهبي، سير، ٢٨٧/٧- ٢٨٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٠/٢- ٣١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٠١؛ المقري، نفح الطيب، ٣٥٣/١.

١) نقل ابن عذاري نص المنشور الذي عممه عبد الرحمن الناصر بالدعوة له بأمير المؤمنين قال: في سنة ٣١٦هـ (وفي هذه السنة ، رأى الناصر أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكره فيه، بأمير المؤمنين... بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد ، فإنا أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به، وأظهر أثرتنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسر على أيدينا إدراكه، وسهل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا ، وعلو أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم إلينا ، واستبشارهم بدولتنا. والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه! وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتسم بما لا يستحقه. وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه)البيان المغرب، ١٩٦/٢؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ)ص ٢٤١- ٢٤٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢.

٢) قال ابن حيان ورثه من الذكور تسعة ومن النساء خمس، المقتبس(الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ) ص ١٨.

٣) لم يفكر الأمراء الأمويون في الأندلس قبل الناصر في اتخاذ لقب خلافي وقيل في تعليل ذلك أن الخلافة قاصرة على من يملك الحجاز والحرمين، ولما كان أيام عبد الرحمن الناصر كانت هناك مستجدات سياسية داخلية وخارجية دفعته إلى اتخاذ اللقب الخلافي، منها ضعف الخلافة العباسية أيام المقتدر بالله، ثم ظهور الخلافة الفاطمية في المغرب، يقول الحميدي: (وكل من ذكرنا من الأمراء أجداده إلى عبد الرحمن بن محمد هذا ، فليس منهم أحد تسمى بإمرة المؤمنين، وإنما كان يُسلم عليهم بالإمارة فقط، وجرى على ذلك عبد الرحمن بن محمد إلى آخر السنة السابعة عشر من ولايته، فلما بلغه ضعف الخلافة بالعراق في أيام المقتدر، وظهور الشيعة بالقيروان، تسمى عبد الرحمن بأمير المؤمنين)جذوة المقتبس، ص١٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢/ ١٩٤ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٦ ؛ فضلاً عن ذلك هناك عوامل داخلية ربما أسهمت في اتخاذ هذا القرار منها: إنه بعد ستة عشر سنة من مقارعة الخارجين عليه وعلى رأسهم ابن حفصون فرأى ضرورة اتخاذ هذا اللقب بعد أن تلقب بالأمير معظم الخارجين عليه، كما إن هذا اللقب يهيء لقرطبة دوراً أكثر مركزية على أنحاء الدولة، ينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٥٧.

٤) يبدو أن هناك تصحيف ربما بسبب النسخ، والصحيح هو بعد أن مضى من إمارته سبعة عشر تلقب بأمير المؤمنين، ينظر أعلاه.

ضعف الخلفاء بالعراق وظهور العلويين بإفريقية ، و مخاطبتهم بأمير المؤمنين ، أمر حينئذ أن يلقب الناصر لدين الله ، ويخطب له بأمير المؤمنين ؛ ويقول أهل الأندلس إنه أول خليفة ولي بعد جده ، وكانت أمّه أم ولد اسمها مزنة ، ولم يبلغ أحد ممن تلقب بأمير المؤمنين مدته في الخلافة غير المستنصر العلوي[1] صاحب مصر ، فإن خلافته كانت ستين سنة[2].

ولما مات ولي الأمر بعده ابنه الحكم بن عبد الرحمن ، وتلقب بالمستنصر ، وأمّه أم ولد تسمى مرجانة[3] ، وخلف الناصر عدة أولاد منهم عبد الله ، وكان شافعي المذهب عالماً بالشعر والأخبار وغيرهما ، وكان ناسكاً[4].

---

١) هو أبو تميم محمد بن الطاهر الملقب بالمستنصر بالله، تولى الخلافة الفاطمية سنة ٤٢٧ هـ وتوفي سنة ٤٨٧هـ فكان أطول الخلفاء عهداً، ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٨٤/٢ وما بعدها؛ حسن، تاريخ الإسلام، ١٥٤/٣- ١٥٥.

٢) روي أن الخليفة الناصر وجد(بخطه تأريخ قال فيه: (أيام السرور التي صفت لي دون تكدير في مدة سلطاني يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا.)فعدت تلك الأيام، فوجد فيها أربعة عشر يوماً. فأعجب أيها الغافل لهذه الدنيا، وعدم صفائها، وبخلها بكمال الأحوال لأولائها. إن الخليفة الناصر ملك خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام، ولم يصف له من الدنيا إلا أربعة عشر يوما! فسبحان ذي العزة العالية، والمملكة الباقية، تبارك اسمه وتعالى جده)ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٢/٢ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١٨٢/١ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، سير، ٢٨٧/٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٤١/٢ ؛ الإحاطة، ٣٥٥/٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٧٩/١ ؛ أزهار الرياض، ٢٨٢/٢ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٦٥/٤.

٣) وهي جارية رومية تزوجها عبد الرحمن الناصر فولدت له ابنه الحكم المستنصر سنة ٣٠٢هـ، كانت أديبة ولطيفة، توفيت آخر أيام الناصر، ينظر ترجمتها: الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص٢٧٩-٢٨٣.

٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ولد سنة ٣٠٤هـ وصفه ابن الأبار بقوله: (كان من نجباء أولاد الخلفاء، محباً في العلم والعلماء، سمع من جملة منهم، وحدّث في اللف عنهم، وله تواليف تدل على علمه وفهمه، وتشهد بشرف ذاته وكمال أدواته، منها كتاب العليل والقتل في أخبار ولد العباس انتهى به إلى خلافة الراضي بن المقتدر، ومنها السكتة في فضائل بقي بن مخلد... كان فقيهاً شافعياً شاعراً أخبارياً متنسكاً)الحلة السيراء، ٢٠٦/٢ ؛ وتشير الروايات إلى أن من المتآمرين على عبد الرحمن الناصر ابنه عبد الله، إذ سبق أن عهد الناصر إلى ابنه الحكم بولاية العهد، فحسده أخوه عبد الله على ذلك، واجتمع على رأيه قوم وأرادوا قتل الحكم فافتضحوا وقتلوا جميعاً، أما عبد الله بن الناصر فقد أخرجه أبوه في ثاني يوم عيد الأضحى=

ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة

ذكر وفاة القاضي منذر البلوطي

في هذه السنة ، في ذي القعدة ، مات القاضي منذر بن سعيد البلوطي[1] ، أبو الحكم قاضي قضاة الأندلس ، وكان إماماً فقيهاً ، خطيباً ، شاعراً ، فصيحاً ، ذا دين متين ، دخل يوماً على عبد الرحمن الناصر ، صاحب الأندلس ، بعد أن فرغ من بناء الزهراء[2] وقصورها ، وقد قعد في قبة مزخرفة بالذهب ، والبناء البديع الذي لم يسبق

=فذبح بين يديه وذلك سنة ٣٣٨هـ، ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١٧/٢، ٢٢٨ ؛ وأورد الرواية أيضاً ابن حيان بشكل مقتضب فذكر أن أباه قتله لأنه سعى عليه، ينظر: المقتبس، (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٣)، ص ١٨، وفي رواية أخرى إن سبب قتله أنه أراد القيام عليه، وبايعه أكثر أهل قرطبة على القيام بالخلافة لفضله ودينه وأدبه وكرمه، وجمعه لعلوم الفقه والحديث واللغة والشعر والحساب والطب، فبايعه الناس على إنكار جور أبيه وسفكه للدماء، فاكتشف أمره قبل استحكامه، فحبسه، ثم أخرجه وذبح بين يديه ، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)، ص ٢٠٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٠٧/٢.

١) هو أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلوطى ثم الكزنى من أهل قرطبة، وينسب في البربر في فخذ منهم يقال لهم كزنة، سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى وغيره، ورحل حاجاً سنة ٣٣٨هـ فأقام في رحلته أربعين شهراً، فأخذ بمكة من ابن المنذر كتابه المؤلف في الاختلاف المسمى كتاب الأشراف وأخذ من غيره، روى بمصر كتاب العين، وسمع من ابن النحاس، كان عالماً يميل إلى رأى داود بن على بن خلف الظاهري، وولى قضاء مدينة ماردة، ثم ولى قضاء الثغور الشرقية ثم قدم إلى قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٣٩هـ وولى الصلاة بمدينة الزهراء، فلم يزل قاضياً إلى أن توفى، وله كتب مشهورة كثيرة مؤلفة في القران والفقه والرد أخذها الناس عنه وقرؤوها عليه، وكان خطيباً بليغاً شاعراً ولد سنة ٢٧٣هـ وتوفي هذه السنة، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٠٤- ٤٠٥ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣١٥- ٣١٦ ؛ ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص ٢٢٧- ٢٥٩ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٣١ ؛ ياقوت، معجم الأدباء، ٢٧١٧/٦- ٢٧٢٢ ؛ الذهبي، سير، ٢٣٨/١٢- ٢٤٠ ؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص٦٦- ٧٥ ؛ الفيروزآبادي، البلغة، ٢٩٧/١- ٢٩٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٦/٢- ٢٢.

٢) وهي مدينة صغيرة قرب قرطبة اختطها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥هـ وعملها منتزهاً له، بينها وبين قرطبة ستة أميال، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٣٩ ؛ وأشار المقري إلى قصة طريفة عن سبب بناء الزهراء قائلاً: (أخبرني بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء، أنّ الناصر ماتت له سُريّة، وقد تركت مالا كثيرا، فأمر أن يُفك بذلك المال أسرى المسلمين، وطلب في بلاد الفرنج أسيرا فلم يوجد، فشكر الله تعالى على ذلك، فقالت له جاريته الزهراء ـ وكان يحبها حبا شديدا ـ إشتهيت لو بنيت لي مدينة تسميها باسمي، وتكون خاصة=

إليه ، ومعه جماعة من الأعيان ، فقال عبد الرحمن الناصر: هل بلغكم أن أحداً بنى مثل هذا البناء؟ فقال له الجماعة: لم نر ، ولم نسمع بمثله ؛ وأثنوا ، وبالغوا ، والقاضي مطرق ، فاستنطقه عبد الرحمن ، فبكى القاضي ، وانحدرت دموعه على لحيته ، وقال: والله ما كنت أظن أن الشيطان ، أخزاه الله تعالى ، يبلغ منك هذا المبلغ ، ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين ، مع ما آتاك الله ، وفضلك به ، حتى أنزلك منازل الكافرين.

فقال له عبد الرحمن: انظر ما تقول ، وكيف أنزلني منزل الكافرين؟ فقال: قال الله تعالى: (وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النّاس أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضّة ، وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُون ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ، وَزُخْرُفاً) ، إلى قوله: (وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) الزخرف: ٣٣ - ٣٥.

فوجم عبد الرحمن وبكى ، وقال: جزاك الله خيراً ، وأكثر في المسلمين مثلك ، وأخبار هذا القاضي كثيرة حسنة جداً ، ومنها: أنه قحط الناس وأرادوا الخروج للاستسقاء ، فأرسل إليه عبد الرحمن يأمره بالخروج ، فقال القاضي للرسول: يا ليت شعري ما الذي يصنعه الأمير يومنا هذا؟ فقال: ما رأيته قط أخشع منه الآن ، قد لبس خشن الثياب ، وافترش التراب ، وجعله على رأسه ولحيته ، وبكى ، واعترف بذنوبه ، ويقول: هذه ناصيتي بيدك ، أتراك تعذب هذا الخلق لأجلي؟ فقال القاضي: ياغلام احمل الممطر معك ، فقد أذن الله بسقيانا ، إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء ؛ فخرج واستسقى بالناس ، فلما صعد المنبر ورأى الناس قد شخصوا إليه بأبصارهم قال: (سَلامٌ عَلَيْكُمْ ، كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِه الرَّحْمَةَ أَنَّهُ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً

=لي، فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل، وشمال قرطبة، وبينه وبين قرطبة اليوم ثلاثة أميال ٢ أو نحو ذلك، وأتقن بناءها، وأحكم الصنعة فيها، وجعلها متنزها ومسكنا للزهراء وحاشية أرباب دولته، ونقش صورتها على الباب، فلما قعدت الزهراء في مجلسها نظرت إلى بياض المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل الأسود، فقالت: ياسيدي، ألا ترى حُسن هذه الجارية الجميلة في حجر ذلك الزنجي، فأمر بزوال ذلك الجبل، فقال بعض جلسائه، أعيذ أمير المؤمنين أن يخطر له ما يشين العقل سماعه، ولو اجتمع الخلق ما أزالوه حفرا ولا قطعا، ولا يزيله إلا من خلقه، فأمر بقطع شجره وغرسه تينا ولوزا، ولم يكن منظر أحسن منها، لاسيما في زمان الأزهار وتفتح الأشجار)، نفح الطيب، ٢/٥٥- ٥٦.

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ) الأنعام: ٥٤ الآية ، وكررها ، فضج الناس بالبكاء والتوبة ، وتمم خطبته فسقي الناس[١].

ذكر وفاة الحكم وولاية ابنه هشام

وفي هذه السنة توفي الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المستنصر بالله الأموي ، صاحب الأندلس ، وكانت إمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ، وعمره ثلاثاً وستين سنة وسبعة أشهر ، وكان أصهب أعين ، أقنى ، عظيم الصوت ، ضخم الجسم ، أفقم[٢] ، وكان محباً لأهل العلم ، عالماً ، فقيهاً في المذاهب ، عالماً بالأنساب والتواريخ ، جماعاً للكتب والعلماء ، مكرماً لهم ، محسناً إليهم ، أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم[٣].

ولما توفي ولي بعده ابنه هشام بعهد أبيه ، وله عشر سنين ، ولقب المؤيد بالله ،

---

١) ينظر مواعظ القاضي البلوطي: ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٢٥٨ ؛ ابن بشكوال، المستغيثين بالله، ص١٥٨- ١٥٩ ؛ ياقوت، معجم الأدباء، ٢٧٢٠/٦ – ٢٧٢١ ؛ الذهبي، سير، ٢٤٠/١٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٩٨/٢٣ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٠٧.

٢) قال ابن عذاري في صفته أيضاً : (الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. كنيته: أبو المُطرف. أمّه اسمها مرجان. عمره ثلاثة وستون سنة وسبعة أشهر. بويع بعد موت أبيه لثلاث خلون لرمضان سنة ٣٥٠. وتوفى ليلة الأحد لثلاث خلون من صفر من سنة ٣٦٦ ، فكانت دولته خمس عشرة سنة ، وسبعة أشهر ، وثلاثة أيام. لقبه: المستنصر بالله. صفته ، أبيض مشرب بحمرة ، أعين ، أقنى ، جهير الصوت ، قصير الساقين ، ضخم الجسم ، غليظ العنق ، عظيم السواعد ، أفقم)البيان المغرب ، ٢٣٣/٢ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)ص٢١٠.

٣) ذُكر أنه: كان حسن السيرة ، جامعا للعلوم مكرماً لأهلها ، وجمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لم يجمعه غيره من الملوك قبله ، واشتراها من سائر الأقطار ، وغالى في أثمانها ، فحملت إليه من كل جهة ، وكان قد رام قطع الخمر ، من الأندلس ، وأمر بإراقتها وشدّد في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله. فقيل له: إنها تعمل من التين وغيره ، فتوقف في ذلك ، ينظر: الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٩ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٢٧ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٢٠١/١- ٢٠٣ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٤٠٠/٢٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٤٢/٢ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢١١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٨٥/١.

واختلفت البلاد في أيامه[1] ، وأخذ وحبس ، ثم عاد إلى الإمارة[2].

---

١) توفي الحكم المستنصر تاركاً العهد لولده هشام المؤيد ولم يبلغ بعد الحلم، إذ كان عمره يومئذٍ عشر سنوات وقيل إحدى عشرة سنة، ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٣/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٤٤/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس ٢١٦ ، وهو ما فتح الباب على مصراعيه للتدخل في شؤون الحكم مع وجود الأعمام ورجالات بني أمية الكبار، وقد وصف ابن الخطيب المشهد بقوله: (ووقع الاتفاق على تعيين هشام للخلافة مع وجود الأعمام الكهول، وبني الأعمام الفحول أسود الهياج وغيوث المحول، وهشام يومئذٍ صبي يناهز عشر سنين، مع ضعف في الأصل، وعدو في الخصل، والكل على علم أنه لم يبلغ الحلم) أعمال الأعلام، ٤٥/٢ ، وعلى الرغم من أن المتحكمين في الأمر هم رجالات الدولة والبلاط إلا أنه لا بد من شخصية أموية يقومون بها ويلتفون حولها ، وقد انقسموا قسمين، قسم تزعمه الوزير جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر الناظر الخاص والقائد غالب بن عبد الرحمن، ورأى هؤلاء ضرورة التمسك بوصية الخليفة الحكم المستنصر ومبايعة هشام، فيما مثل القسم الآخر كبار رجالات الصقالبة الذين يمتلكون قوة كبيرة في القصر قادرة على تنفيذ ما يريدون، وكان هؤلاء الصقالبة يميلون لمبايعة المغيرة بن عبد الرحمن الناصر وأن يكون هشام بن الحكم ولي عهده، وهكذا بدأ صراع بين الإتجاهين، فلما (توفى الحكم، خُفِيَ موته على وزيره جعفر وسائر أهل المملكة لطول تردده في العلة، وتفرد بعلم ذلك في وقته خادماه الخاصان به: فائق وجوذر، فاستظهرا بكتمان ذلك، وتقدما في ضبط الدار، وخلوا للتشاور، وقد عزما على رد الأمر للمغيرة بن الناصر، أخي مولاهما الحكم، خشية من انتثاره على ابنه هشام، لصغر سنه، وإنكار الناس لتقديمه على أن يقر ابن أخيه هشاما على العهد بعده، فيمنا على المغيرة بسوق الخلافة إليه، وبقيا لمولاهما بارتقاب كبر ولده، ويكون الملك في أيديهما بحاله...) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٠/٢.، ثم اقترح جؤذر على فائق بقتل جعفر المصحفي ليتم الأمر لهما ، فرفض فائق اقتراحه وأخبره أن لا أحد يمكنه مخالفتهما لامتلاكهما القوة والنفوذ في القصر، فأرسلا إلى جعفر وأخبراه بتدبيرهما ، فوعدهما بالمساعدة، ثم خرج مسرعاً وأحضر ابن أبي عامر وبعض قواد الأجناد (وعرفهم مذهب الصقالبة في نكث بيعة هشام، وأقبل بثبت أصحابه، وقال لهم: إن حبسنا الدولة على هشام، أمناً على أنفسنا ، وصارت الدنيا في أيدينا ، وإن انتقلت إلى المغيرة، استبدل بنا وطلب شفاء أحقاده، فأشار عليه أصحابه بقتل المغيرة قبل أن يبلغه موت أخيه...) وأوكلوا إلى ابن أبي عامر تنفيذ المهمة، فأسرع من ساعته إلى دار المغيرة وأحاط رجاله به، ثم اقتحم عليه الدار وأبلغه بموت أخيه الحكم ومبايعة الناس لهشام، فذعر المغيرة من ذلك، ثم استرجع، وأعطاهم الطاعة لهشام، وناشدهم دمه، فرّق له ابن أبي عامر، إلا أن الوزير المصحفي حذرهم منه فقتله خنقاً وأشاعوا أنه خنق نفسه لما أكرهوه على الركوب لابن أخيه، ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦١/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن سعيد، المغرب، ٢٠٠/١- ٢٠١ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٨٨/٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٩٦/١.، وعليه فقد كان نتيجة ذلك الصراع أن ذهب المغيرة بن الناصر ضحية له فيما أصبح هشام المؤيد في حِجْر محمد بن أبي عامر وتحت قبضته.

٢) سيأتي الحديث عن ذلك عند انتهاء الدولة العامرية.

وسببه أنه لما ولي المؤيد تحجب له المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري[1] ، وابناه المظفر[2] والناصر[3] ، فلما حجب له أبو عامر حجبه عن الناس ، فلم يكن أحد يراه ، ولا يصل إليه[4] ، وقام بأمر دولته القيام المرضي ، وعدل في الرعية ، وأقبلت الدنيا إليه[5] ، واشتغل بالغزو ، وفتح من بلاد الأعداء كثيراً ،

---

١) أخرّ ابن الأثير الكلام عن نسب ابن أبي عامر كما سيأتي.

٢) تولى عبد الملك المظفر بن محمد بن أبي عامر الحجابة للخليفة هشام المؤيد للمدة من ٣٩٢-٣٩٩هـ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٨١/٢- ٨٤.

٣) هو عبد الرحمن الناصر بن محمد بن أبي عامر تولى الحجابة للخليفة هشام المؤيد للمدة شهر صفر سنة ٣٩٩هـ إلى شهر رجب من السنة نفسها ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٨٤/٢- ٩٢.

٤) قال الحميدي: (وكان له إذ ولى عشرة أعوام وأشهر، فلم يزل مُتغلباً عليه، لا يظهر ولا ينفذ له أمر، وتغلب عليه أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور، فكان يتولى جميع الأمور إلى أن مات، فصار مكانه ابنه عبد الملك بن محمد الملقب بالمظفر، فجرى على ذلك أيضا إلى أن مات، فصار مكانه أخوه عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر، فخلط وتسمى ولي العهد، وبقي كذلك أربعة أشهر، إلى أن قام عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار يوم الثلاثاء لثمان عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة، فخلع هشام بن الحكم وأسلمت الجيوش عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي عامر، فقتل وصلب، وبقي كذلك إلى أن قتل محمد بن هشام بن عبد الجبار وصرف هشام المؤيد إلى الأمر، وذلك يوم الأحد السابع من ذي الحجة سنة أربع مائة، فيبقى كذلك وجيوش البربر تحاصره مع سليمان بن الحكم بن سليمان، واتصل ذلك إلى خمس خلون من شوال سنة ثلاث وأربع مائة، فدخل البربر مع سليمان قرطبة، ...، وقتل هشام، وكان في طول دولته متغلباً عليه لا ينفذ له أمر وتغلب عليه في هذا الحصار واحد بعد واحد من العبيد، ولم يولد له قط)جذوة المقتبس، ص٢١ ؛ ينظر أيضاً: الضبي، بغية الملتمس، ص. ٢٩

٥) قال المراكشي عن ابن أبي عامر: (ولم تزل حاله تعلو منذ ورد قرطبة إلى أن تعلق بوكالة السيدة: صُبح أم هشام المؤيد بن الحكم والنظر في أموالها وضياعها، فزاد أمره في الترقي معها إلى أن مات الحكم المستنصر؛ وكان هشام صغيرًا...، وخِيف الاضطراب، فضمن لصبح سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها. وكان قوي النفس، وساعدته المقادير، وأمدته المرأة بالأموال، فاستمال العساكر إليه، وجرت أحوال علت قدمه فيها، حتى صار صاحب التدبير والمتغلب على الأمور؛ وحجب هشامًا المؤيد، وتلقب هو بالمنصور، فأقام الهيبة، فدانت له أقطار الأندلس كلها وأمنت به، ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته؛ لعظم هيبته وفرط سياسته) المعجب، ص٣١.

وامتلأت بلاد الأندلس بالغنائم والرقيق ، وجعل أكثر جنده منهم كواضح الفتى وغيره من المشهورين ، وكانوا يعرفون بالعامريين[1].

وأدام الله له الحال ستاً وعشرين سنة ، غزا فيها اثنتين وخمسين غزاة ما بين صائفة وشاتية ، وتوفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، وكان حازماً ، قوي العزم ، كثير العدل والإحسان ، حسن السياسة[2].

فمن محاسن أعماله: أنه دخل بلاد الفرنج غازياً ، فجاز الدرب إليها ، وهو مضيق بين جبلين ، وأوغل في بلاد الفرنج يسبي ، ويخرب ، ويغنم ، فلما أراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب ، وهم عليه يحفظونه من المسلمين ، فأظهر أنه يريد المقام في بلادهم ، وشرع هو وعسكره في عمارة المساكن وزرع الغلات ، وأحضروا الحطب ، والتبن ، والميرة ، وما يحتاجون إليه ، فلما رأوا عزمه على المقام مالوا إلى السلم ، فراسلوه في ترك الغنائم والجواز إلى بلاده ، فقال: أنا عازم على المقام ؛ فتركوا له الغنائم ، فلم يجبهم إلى الصلح ، فبذلوا له مالاً ، ودواب تحمل له ما غنمه من

---

١) كان ابن أبي عامر يصطنع المماليك من الصقالبة ويضمهم إلى خدمته ويجزل لهم العطايا وشكلوا فرقة كبيرة عرفت بالفتيان العامرية أو المماليك العامرية نسبة إليه، وقد ظل أغلب هؤلاء في ولائهم للعامرين حتى بعد سقوط الدولة العامرية إذ التجأوا إلى شرق الأندلس مكونين إمارات لهم هناك، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٥/٣- ١٦٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩٩/٢- ٢٠٧.

٢) قال الحميدي: (كان ذا همة ونية في الجهاد ، مواصلاً لغزو الروم، حتى أنه كان ربما يخرج إلى المصلى يوم العيد ، فتقع له نية في ذلك، فلا يرجع إلى قصره ويخرج بعد انصرافه من الصلاة كما هو من فوره إلى الجهاد ، فتتبعه العساكر، وتلحق به أولاً فأولا ، فلا يصل إلى أوائل الدروب إلا وقد لحقه كل من أراد من العساكر، غزا نيفاً وخمسين غزوة... وفتح فتوحاً كثيرة، ووصل إلى معاقل جمة امتنعت على من كان قبله، وملأ الأندلس بالغنائم والسبى، وكان في أكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة، وكان كلما انصرف من قتال العدو إلى سرادقه يأمر بأن ينفض غبار ثيابه التي حضر فيها معركة القتال، وأن يجمع ويحتفظ به، فلما حضرته المنية أمر بما اجتمع من ذلك أن ينثر على كفنه إذا وضع في قبره)جذوة المقتبس، ص٦٩- ٧٠ ؛ ينظر أيضاً: المراكشي، المعجب، ص٣٧ ؛ وقيل إن عدد غزواته بلغت ٥٦ غزوة لم يهزم قط في غزوة منها، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٢٦.

بلادهم ، فأجابهم إلى الصلح ، وفتحوا له الدرب ، فجاز إلى بلاده[1].

وكان أصله من الجزيرة الخضراء ، وورد شاباً إلى قرطبة ، طالباً للعلم والأدب وسماع الحديث ، فبرع فيها وتميز ، ثم تعلق بخدمة صبح والدة المؤيد ، وعظم محله عندها ، فلما مات الحاكم المستنصر كان المؤيد صغيراً ، فخيف على الملك أن يختل ، فضمن لصبح سكون البلاد ، وزوال الخوف ، وكان قوي النفس ، وساعدته المقادير ، وأمدته الأمراء بالأموال ، فاستمال العساكر ، وجرت الأمور على أحسن نظام[2].

وكانت أمّه تميمية[3] ، وأبوه معافرياً[4] ، بطن من حمير ، فلما توفي ولي بعده ابنه

---

١) لم نجد ذلك في المصادر التي بين أيدينا.

٢) ما أورده ابن الأثير هنا مشابه إلى حد كبير ما ذكره الحميدي في ترجمة ابن أبي عامر، قال: (كان أصله، فيما يقال، من الجزيرة الخضراء، وله بها قدر وأبوة، وورد شاباً إلى قرطبة، فطلب العلم والأدب، وسمع الحديث، وتميز في ذلك، وكانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالي الأمور ويزيد في ذلك، حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك، وله في ذلك أخبار كثيرة عجيبة، ...، ثم علت حاله، وتعلق بوكالة صبح أم هشام المؤيد، بن الحكم المستنصر، والنظر في أموالها وضياعها، وزاد أمره في الترقي معها إلى أن مات الحكم المستنصر، وكان هشام صغيراً، وخيف الاضطراب، فضمن لصبح سكون الحال، وزوال الخوف، واستقرار الملك لابنها)جذوة المقتبس، ص٦٩- ٧٠.

٣) وهي بريهة بنت يحيى بن زكريا، تنتسب إلى قبيلة تميم العربية، وقد سكن الأندلس منهم أعداد كثيرة، وهي أمّ المنصور محمد بن أبي عامر المعافري والى ذلك أشار الشاعر أحمد بن الدراج القسطلي يمدح ابن أبي عامر قائلاً:

تلاقت عليه من تميم ويعرب   شموس تلألأ في العلا وبدور

من الحميريين الذين أكفهم   كتائب تهمى بالندى وبحور

فهو يشير هنا إلى أن المنصور قد حاز الشرف من طرفيه، من جهة أمّه التميمية وأبيه القحطاني، ولم تشر المصادر إلى سنة وفاتها ولكن أخاها محمد بن يحيى بن زكريا بن برطال توفي سنة ٣٩٤هـ، فهي من أبناء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص٧٧- ٧٨.

٤) هو محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، دخل جده عبد الملك مع طارق بن زياد، ونزل بالجزيرة، وخدم منهم أبو عامر بن الوليد وابنه عامر في الدولة الأموية، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٥٦/٧ ؛ ابن الأبار، التكملة، ٢٨٧/١ ؛ الحلة السيراء، ٢٦٨/١ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٦٣/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٨٩/٤ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢١٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٩٩/١.

عبد الملك الملقب بالمظفر ، فسار كسيرة أبيه ، وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فكانت ولايته سبع سنين.

وكان سبب موته أن أخاه عبد الرحمن سمّه في تفاحة قطعها بسكين كان قد سم أحد جانبيها ، فناول أخاه ما يلي الجانب المسموم ، وأخذ هو ما يلي الجانب الصحيح ، فأكله بحضرته ، فاطمأنّ المظفر ، وأكل ما بيده منها فمات[1].

فلما توفي ولي بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بالناصر ، فسلك غير طريق أبيه وأخيه ، وأخذ في المجون ، وشرب الخمور ، وغير ذلك ، ثم دسّ إلى المؤيد من خوفه منه إن لم يجعله ولي عهده ، ففعل ذلك ، فحقد الناس وبنو أمية عليه ذلك ، وأبغضوه ، وتحركوا في أمره إلى أن قتل.

وغزا شاتية ، وأوغل في بلاد الجلالقة ، فلم يقدم ملكها على لقائه ، وتحصن منه في رؤوس الجبال ، ولم يقدر عبد الرحمن على اتباعه لزيادة الأنهار ، وكثرة الثلوج ، فأثخن في البلاد التي وطئها[2] ، وخرج موفوراً ، فبلغه في طريقه ظهور محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله بقرطبة ، واستيلاؤه عليها ، وأخذه المؤيد أسيراً ، فتفرق عنه عسكره ، ولم يبق معه إلا خاصته ، فسار إلى قرطبة ليتلافى ذلك الخطب ، فخرج إليه عسكر محمد بن هشام فقتلوه وحملوا رأسه إلى قرطبة فطافوا به ؛ وكان قتله سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، ثم صلبوه[3].

---

١) قال ابن عذاري عن تلك التهمة : (وما ترك الناس لأول وفاة عبد الملك وسرعة فجأتها أن قالوا أنه أحتيل عليه بشربة دسّت له مسمومة من قبل أخيه عبد الرحمن بيد أحد خدم عبد الملك المظفر فاضت نفسه منها على اختلافهم في وجه الحقيقة في سقيها والله أعلم)البيان المغرب، ٣٧/٣ ؛ وقال ابن الخطيب: (فلما توفي المظفر كان من قدر الله أن اتهمته الزلفى حظية المنصور بالتدبير عليها وقتله بالسم أخاه عبد الرحمن المتأمر بعده)أعمال الأعلام، ١٠٣/٢.

٢) قال ابن عذاري: إن عبد الرحمن بن أبي عامر (عزم على الغزو وخاطب جميع البلاد يستنفرهم للجهاد فأجابه جميع المرتزقة ويسير من المطوعة، وخرج من قرطبة فترك الطريق الذي كان أبوه وأخوه يسلكانه وأخذ على الطريق المدعو بالعريان، فتفآل له قوم من الناس وقالوا أعريَ هذا الفتى فكان كذلك)البيان المغرب، ٣٩/٣.

٣) عندما تولى عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر شنجول الحجابة للخليفة هشام المؤيد بعد وفاة أخيه عبد الملك المظفر وذلك في صفر من سنة ٣٩٩هـ سعى لدى الخليفة هشام حتى=

ذكر ظهور محمد بن هشام بقرطبة

وفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ظهر بقرطبة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي ، ومعه اثنا عشر رجلاً ، فبايعه الناس ، وكان ظهوره سلخ جمادى الآخرة ، وتلقب بالمهدي بالله ، وملك قرطبة ، وأخذ المؤيد فحبسه معه في القصر ، ثم أخرجه وأخفاه ، وأظهر أنه مات.

وكان قد مات إنسان نصراني يشبه المؤيد ، فأبرزه للناس في شعبان من هذه السنة ، وذكر لهم أنه المؤيد ، فلم يشكوا في موته ، وصلوا عليه ، ودفنوه في مقابر

=استخلص منه أمراً بتوليته العهد ، ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٢/٣ ، وهو ما أثار استياء الأمويين خاصة والمسلمين في الأندلس عامة فأخذوا يدبرون للتخلص منه ، وكان محور المؤامرة تدور حول شخصين، أولهما محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر الأموي وكان ناقماً على العامرين بسبب قتل عبد الملك المظفر لأبيه سنة ٣٩٨هـ ، وثانيهما الذلفاء والدة عبد الملك المظفر وكانت تتهم عبد الرحمن شنجول بأنه دسّ السم له ، وكانت ذكية كثيرة المال والوجاهة ، فعملت على الإيقاع به انتقاماً منه لابنها ، فقد اتصلت بوجوه بني أمية وأخذت تحثهم على ضرورة استرجاع دولتهم من بني عامر ، وكان الذي تولى ذلك بينها وبينهم أحد الفتيان الصقالبة ، وتعهدت الذلفاء بأن تمد المتآمرين بالمال ، فأُرشِد إلى محمد بن هشام بن عبد الجبار الذي يُعرف بفاتك بني مروان وكان ثاراً جسوراً يطلب الأمر منذ قتل أبوه وتألف شرار الناس ، فالتقت أهداف الطرفين، واستظهر محمد بن عبد الجبار(... بسائر ولد أبيه الناصريين وقومهم المروانيين فجدوا في معونته ، وكلمتهم يومئذٍ في بغضاء العامريين متفقة ونفوسهم من مخافته مختلة ، فلاذوا بمحمد بن هشام وبايعوه سراً ، وقد كان له ولأبيه قبل دعاة من أهل قرطبة فابتعثم الآن محمد بن هشام في الاجتراء على عبد الرحمن بن أبي عامر ، فاستملوا له خلقاً منهم وبايعوه ، وكان يلقاه من يثق به من وجوههم بأحواز قرطبة وبسفح جبلها في اكتتام وخفية وقد أعهم لوقت الوثوب...) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٢/٣ ، ثم جاءت الفرصة المناسبة ، ذلك أن عبد الرحمن شنجول قرر القيام بغزوة إلى جليقية ، وما أن جاءت أنباء وصوله إلى هناك حتى شرع محمد بن عبد الجبار بتنفيذ خطته ، ففي ١٦ جماد الأولى سنة ٣٩٩هـ فهاجم قصر قرطبة وأخرج عبد الله بن أبي عامر المعروف بعسكلاجة خليفة عبد الرحمن شنجول وأعدمه ، تقدم بعدها إلى الخليفة هشام المؤيد وعاتبه على تقريب العامريين ودعاه إلى خلع نفسه وأشهد عليه ، ثم أعلن نفسه خليفة وتلقب بالمهدي ، وانهالت الجموع من الناس ملتفة حوله مؤيدة بيعته ، واعتبروه بطلاً منقذاً ، ولم يخطر ببالهم أن هذا التحول هو نذير فتنة أتت على الدولة الأموية في الأندلس بالسقوط وعلى قرطبة بالخراب ، أما عبد الرحمن بن أبي عامر فما أن سمع بما جرى في قرطبة حتى ارتد مسرعاً وفي الطريق تفرق عنه معظم أتباعه فأرسل إليه محمد المهدي من قتله ، ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٣.

المسلمين[1] ،ثم إنه أظهره ، على ما نذكره ، وأكذب نفسه ، فكانت مدة ولاية المؤيد هذه إلى أن حبس ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، ونقم الناس على ابن عبد الجبار أشياء منها أنه كان يعمل النبيذ في قصره ، فسموه نباذاً ، ومنها فعله بالمؤيد ، وأنه كان كذاباً ، متلوناً ، مبغضاً للبربر[2] ، فانقلب الناس عليه[3].

ذكر خروج هشام بن سليمان عليه

لما استوحش أهل الأندلس من ابن عبد الجبار ، وأبغضوه ، قصدوا هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، فأخرجوه من داره وبايعوه ، فتلقب بالرشيد ، وذلك لأربع بقين من شوال سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، واجتمعوا بظاهرة قرطبة ، وحصروا ابن عبد الجبار ، وترددت الرسل بينهم ليخلع ابن عبد الجبار من

---

١) قال ابن عذاري: (لما استوسق الملك لابن عبد الجبار وتم له مراده ورأى الملك في يده والخلافة قد انتظمت له والمؤيد بالله في قبضته أخرجه من قصره وأسكنه في دار الحسن بن حي وشخص رجلاً نصرانياً وقيل يهودياً ميتاً وكان يشبه المؤيد وأدخل الوزراء والخدمة عليه فعاينوه ميتاً ولم يشكوا أنه المؤيد فدفن يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان من السنة، وهذه هي الميتة الأولى الواقعة عليه من ميتاته)البيان المغرب، ٧٧/٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٠٦/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٣٨.

٢) قال ابن عذاري: (وكان محمد بن هشام بن عبد الجبار لما أراد الله من خذلانه مظهراً البغض للبربر لا يقدر أن يستر ذلك يتكلم في مجالسه بسوء الثناء عليهم...)البيان المغرب، ٧٨/٣ ؛ينظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٠٦/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٣٨.

٣) رواية ابن عذاري أن محمد بن عبد الجبار المهدي أظهر من الخلاعة والمجون وأطلق شهواته (واستعمل له من الخمر مائة خابية واستعمل له مائة بوق للزمر ومائة عود للضرب واشترى له صقلبي كان يتعشقه... وبعث إلى نساء كان يصاحبهن منهن جارية أبي القاسم المصري الخيالي التي يقال لها بستان وامرأة ابن الشرح التي يقال لها واجد فظهر من فسقه واختلال عقله ودينه أمر لا يظهر إلا من أهل الدعارة المهتكين فيها، فكان هذا من جملة أسباب القيام عليه واشتعال الفتنة لديه، ولم يزل طول مدته مشتهراً بالفسق مظهراً للخلاعة لا يفيق عن سكر ولا يرع عن منكر بالنساء والصقالبة والملاهي...)البيان المغرب، ٨٠/٣.

الملك على أن يؤمنه وأهله وجميع أصحابه.

ثم إن ابن عبد الجبار جمع أصحابه وخرج إليهم فقاتلهم ، فانهزم هشام وأصحابه ، وأخذ هشام أسيراً ، فقتله ابن عبد الجبار ، وقتل معه عدة من قواده ، واستقر أمر ابن عبد الجبار ، وكان عمّ هشام[1].

ذكر خروج سليمان عليه أيضاً

ولما قتل ابن عبد الجبار هشام بن سليمان بن الناصر وانهزم أصحابه انهزم معهم سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ، وهو ابن أخي هشام المقتول ، فبايعه أصحاب عمّه ، وأكثرهم البربر ، بعد الوقعة بيومين ، ولقبوه المستعين بالله ، ثم لقب بالظاهر بالله[2] ، وساروا إلى النصارى فصالحوهم واستنجدوهم وأنجدوهم وساروا معهم إلى قرطبة ، فاقتتلوا هم وابن عبد الجبار بقنتيج[3] ، وهي الوقعة المشهورة غزوا فيها ، وقتل ما لا يحصى ، فانهزم ابن عبد الجبار ، وتحصن بقصر قرطبة ، ودخل سليمان

---

١) لم يكن محمد المهدي رجل المرحلة ، فقد تتبع البربر والصقالبة وأبعدهم وقتل العديد منهم وهو ما أثار سخطهم عليه فالتف قسم منهم حول هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر وكان محمد المهدي قد جعل أباه سليمان ولي عهده ثم نقم عليه وسجنه ، فبايع الناقمين على المهدي هشام بن سليمان ولقبوه الرشيد ، ثم حدثت مواجهات بين الجانبين انتهت بتغلب المهدي وألقي القبض على سليمان الرشيد وأعدم في الحال، المراكشي، المعجب، ص٣٩ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦/٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٣- ٦٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤١٩/٢٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٠٢/٢- ١٠٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٩٣/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ٦٣٢- ٦٣٥.

٢) قال ابن الأبار: إن سليمان المستعين لما دخل قرطبة بويع له بالخلافة في النصف من شهر ربيع الأول وتسمى حينئذٍ بالظافر بحول الله مضافاً ذلك إلى لقب المستعين بالله، الحلة السيراء، ٧/٢.

٣) وذكرت أيضاً بلفظ قنتيش، وقطليش، وهي موضع على نهر الوادي الكبير كانت فيه معركة بين محمد المهدي وسليمان المستعين، قال ابن بشكوال: وقعة قتل بها سعيد بن عثمان بن القزاز سنة٤٠٠هـ في أحداث الفتنة بعد سقوط الدولة العامريّة، الصلة، ص٢٠٦ ؛ ينظر أيضاً : ابن بسام، الذخيرة، ٤٣/١ ؛ ابن الأبار، التكملة، ١٥٤/٤؛ عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص١٧٧.

البلد ، وحصره في القصر.

فلما رأى ابن عبد الجبار ما نزل به أظهر المؤيد ظناً منه أنه يخلع هو وسليمان ويرجع الأمر إلى المؤيد ، فلم يوافقه أحد ظناً منهم أن المؤيد قد مات[1]. فلما أعياه الأمر احتال في الهرب ، فهرب سراً واختفى ، ودخل سليمان القصر ، وبايعه الناس بالخلافة في شوال سنة أربعمائة ، وبقي بقرطبة أياماً ؛ وكان عدة القتلى بقنتيج نحو خمسة وثلاثين ألفاً ، وأغار البربر والروم على قرطبة فنهبوا وسبوا وأسروا عدداً عظيماً[2].

---

١) روى ابن بسام نقلاً عن ابن حيان قال: (وكان المهدي، إذ دخل قرطبة منتصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وقتل عبد الرحمن بن أبي عامر، أظهر موت هشام المؤيد في رمضان من العام، وورى الشخص الذي موه به وقسم تراثه. فلما كان غداة الأحد ثاني وقعة قنتيش، أظهر المهدي هشاماً المؤيد رجاء أن يستميل البرابرة به. لما كانوا يكثرون من الترحم عليه والطلب بدمه، فأبرزه للناس وعجبوا من ذلك، فقال له البربر: الله محمود على سلامته، ونحن فلا حاجة لنا في إمامته، ولا نرضى بغير سليمان...) الذخيرة ، ٤٥/١ ؛ وذكر ابن عذاري أن محمد بن عبد الجبار المهدي لما رأى هزيمة (أهل قرطبة أظهر هشام بن الحكم وأقعده حيث يراه الناس في منظر يشرف على باب الشكال والقنطرة وأرسل إلى القاضي ابن ذكوان فأتاه وبعثه إلى البربر يقول لهم عنه إنما أنا قائم دون هشام بن الحكم ونائب عنه ، كالخليفة والحاجب وهو أمير المؤمنين ، فمضى ابن ذكوان إلى البربر وأدى لهم رسالته ، فقال له البربر : سبحان الله يا قاضي يموت هشام بلامس وتصلي عليه أنت وغيرك واليوم يعيش وترجع الخلافة إليه ، وجعلوا يتضاحكون إليه فاعتذر ابن ذكوان لهم من ذلك ...) البيان المغرب ، ٨٩/٣ ؛ ينظر أيضاً : النويري، نهاية الأرب، ٤٢١/٢٣- ٤٢٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٠٧/٢ .

٢) ذكر المراكشي الرواية قال : لما قتل المهدي عمّه هشام بن سليمان (اجتمع البربر عند ذلك فقدموا على أنفسهم سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وهو ابن أخي هشام القائم المذكور. فنهض بالبربر إلى الثغر، واستجاش النصارى وأتى بهم إلى باب قرطبة، فبرز إليه جماعة أهل قرطبة، فلم تكن إلا ساعة حتى قتل من أهل قرطبة نيف وعشرون ألف رجل، في جبل هنالك يعرف بجبل قنطش، وهي الوقعة المشهورة، ذهب فيها من الخيار والفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين خلق كثير. واستتر محمد بن هشام المهدي أيامًا ، ثم لحق بطليطلة؛ وكانت الثغور كلها=

ذكر عود ابن عبد الجبار وقتله وعود المؤيد

لما اختفى ابن عبد الجبار سار سراً إلى طليطلة ، وأتاه واضح الفتى العامري في أصحابه ، وجمع له النصارى وسار بهم إلى قرطبة ، فخرج إليهم سليمان فالتقوا بقرب عقبة البقر[1] ، واقتتلوا أشد قتال ، فانهزم سليمان ومن معه منتصف شوال سنة أربعمائة ، ومضى سليمان إلى شاطبة[2] ، ودخل ابن عبد الجبار قرطبة وجدد البيعة لنفسه وجعل الحجابة لواضح وتصرف بالاختيار.

ثم إن جماعة من الفتيان العامريين ، منهم عنبر ، وخيرون ، وغيرهما ، كانوا مع سليمان ، فأرسلوا إلى ابن عبد الجبار يطلبون قبول طاعتهم ، وأن يجعلهم في جملة رجاله ، فأجابهم إلى ذلك ، وإنما فعلوا ذلك مكيدة به ليقتلوه ، فلما دخلوا قرطبة استمالوا واضحاً فأجابهم إلى قتله ، فلما كان تاسع ذي الحجة سنة أربعمائة اجتمعوا في القصر فملكوه ، وأخذوا ابن عبد الجبار أسيراً ، وأخرجوا المؤيد بالله فأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه ، وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه ، فعدد ذنوبه عليه ، ثم

=من طَرْطُوشة إلى الأشبونة باقية على طاعته ودعوته، واستجاش بالإفرنج وأتى بهم إلى قرطبة ...) المعجب ، ص٤٠ ؛ ينظر أيضاً : ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ٦/٢؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٥/٣- ٩١ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٤٢٠/٢٣- ٤٢٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ١٩٣/٤ .

١) وهو موضع يبعد عن قرطبة بضعة عشر ميلاً، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٢.

٢) شاطبة، قال الإدريسي: (شاطبة مدينة حسنة ولها قصاب يضرب بها المثل في الحسن والمنعة ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشارق والمغارب ومن شاطبة إلى دانية خمسة وعشرون ميلاً وكذلك من شاطبة إلى بلنسية اثنان وثلاثون ميلاً)، نزهة المشتاق، ٥٥٦/٢ ؛ ووصفها العذري بالقول: (ومدينة شاطبة من عمل بلنسية، وهي قديمة وبها آثار الأوَل بينة، وحصنها منيع لا نظير له، ويخرق بطاحها واد قد اتخذ عليه النواعر، ولها بساتين جميلة وأرضون فسيحة، ولها الزرع والضرع والثمرة، ومدينتها في سند جبل، وحصنها في أعلاه وفيها يتجهز التجار بالأمتعة إلى غانة وبلاد السودان والى جميع البلاد)ترصيع الأخبار، ص١٨- ١٩ ؛ ينظر أيضاً: القزويني، آثار البلاد، ص٥٣٩ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٣٧ ؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٩ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، (تحقيق بوباية)ص١٣٤ ؛ وقد استولى عليها النصارى سنة ٦٤٥هـ، ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٣٢٤.

قتل ، وطيف برأسه في قرطبة ، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة[1] ، وأمّه أم ولد[2].

وكان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث متأخرة ، وإنما قدمناها لتعلق بعضها ببعض ، ولأن كل واحد منهم ليس له من طول المدة ما تؤخر أخباره وتفرق.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

ذكر انتقال بعض صنهاجة من إفريقية إلى الأندلس وما فعلوه

في هذه السنة انتقل أولاد زيري بن مناد ، وهم زاوي وجلالة وماكسن إخوة بلكين ، إلى الأندلس[3].

---

١) ذكر الحميدي أنه لما ظهر سليمان المستعين والبربر على محمد المهدي (استتر محمد بن هشام المهدي أياماً ثم لحق بطليطلة ، وكانت الثغور كلها من طرطوشة إلى الأشبونة باقية على طاعته ودعوته ، فاستجاش بالأفرنج ، وأتى بهم إلى قرطبة ، فبرز إليه سليمان بن الحكم مع البربر إلى موضع بقرب قرطبة على نحو بضعة عشر ميلاً يدعى عقبة البقر ، فانهزم سليمان والبربر ، واستولى المهدي على قرطبة ، ثم خرج بعد أيام إلى قتال جمهور البربر ، وكانوا قد صاروا بالجزيرة فالتقوا بواد في آره فكانت الهزيمة على محمد بن هشام ، وانصرف إلى قرطبة فوثب عليه العبيد مع واضح الصقلبي ، فقتلوه وصرفوا هشاماً المؤيد كما ذكرنا قبل ، فكانت مدة ولاية محمد المهدي مذ قام إلى أن قتل ستة عشر شهراً من جملتها الستة الأشهر التي كان فيها سليمان بقرطبة ، وكان هو بالثغر...)جذوة المقتبس ، ص٢٢ ؛ ينظر أيضاً : الضبي ، بغية الملتمس ، ص٣٠ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص٤٠ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣/٩٢-١٠٠ حيث ذكر تفاصيل هروب محمد المهدي واستنجاده بالنصارى ثم الحرب بينه وبين البربر ودخوله قرطبة ثانية وتآمر الفتيان الصقالبه عليه وقتله ؛ النويري ، ٢٣/٤٢٢-٤٢٥ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢/١٠٩-١١٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/١٩٤.

٢) أمّه أمّ ولد رومية اسمها مزنة ولقبها كبارة وتدعى أيضاً العرجاء لخلع كان بها ، ولدت محمد بن عبد الجبار المهدي سنة ٣٦٦هـ ، وكانت حيّة عند مقتل ابنها ، الدرويش ، أعلام نساء الأندلس ، ص٢٩٢.

٣) جعل ابن خلدون لجوء أولاد زيري بن مناد إلى الأندلس سنة ٣٩١هـ ، إذ قال : لما انصرف الخليفة المعز بالله الفاطمي إلى مصر أوكل مهمة ادارة المغرب إلى زعيم صنهاجة بلكين بن زيري بن مناد سنة ٣٦١هـ ، فاضطلع بولاية المغرب فحارب بجموع صنهاجة الموالية للفاطميين قبائل زناتة التي كانت موالية للأمويين بالأندلس ، وتمكن من ضم مدينة فاس وسجلماسة والبصرة=

وسبب ذلك أنهم وقع بينهم وبين أخيهم حماد حروب وقتال على بلاد بينهم ، فغلبهم حماد ، فتوجهوا إلى طنجة ومنها إلى قرطبة ، فأنزلهم محمد بن أبي عامر وسرّ بهم ، وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم ، وسألهم عن سبب انتقالهم ، فأخبروه ، وقالوا له: إنما اخترناك على غيرك ، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله. فاستحسن ذلك منهم ، ووعدهم ووصلهم ، فأقاموا أياماً[1].

ثم دخلوا عليه وسألوه إتمام ما وعدهم به من الغزو ، فقال: انظروا ما أردتم من الجند نعطكم ؛ فقالوا: ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا إلا الذين معنا من بني عمنا ، وصنهاجة وموالينا ؛ فأعطاهم الخيل والسلاح والأموال ، وبعث معهم دليلاً ، وكان الطريق ضيقاً ، فأتوا أرض جليقية ، فدخلوها ليلاً ، وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة ، وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره. فلما أصبحوا خرج جماعة من البلد

=المغربية إلى نفوذه، وعندما توفي سنة ٣٧٣هـ خلفه ابنه المنصور بن بلكين بن زيري الذي استمر في ولائه للفاطميين ومحاربة الأمويين وأتباعهم في المغرب حتى وفاته سنة ٣٨٥هـ، فتولى بعده ابنه باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي الذي أرسل عمّيه يطوفت وحماد لحرب زناته فانهزما إلى مدينة أشير، فسار هو بنفسه سنة ٣٨٩ هـ لحرب زيري بن عطية الزناتي، وخلف عمّه يطوفت على مدينة تاهرت وأشير، فخالف عليه عمومته ماكسن وزاوي وحلال ومعتز، فنازلهم حمّاد أياماً ثم عقد لهم السلم على الإجازة إلى الأندلس فلحقوا بابن عامر سنة ٣٩١هـ ، تاريخ، ٢٠٦/٦- ٢٠٩ ؛ أما ابن الخطيب فقد وافق روايته رواية ابن الأثير، إذ ذكر بأن زاوي بن زيري جاز إلى الأندلس وصحبه أبناء أخيه ماكس وحباسة وحبوس وكان ذلك أيام المنصور الذي رحب بهم ووسع عليهم وأكرمهم، أعمال الأعلام، ٢١٠/٢، ٣٢١.

١) ذكر ابن خلدون هذه الرواية قائلاً: إنهم نزلوا (على المنصور بن أبي عامر صاحب الدولة وكافل الخلافة الأموية، فأحسن نزلهم وأكرم وفادتهم، واصطنعهم لنفسه واتخذهم بطانة لدولته وأوليائه على ما يرومه من قهر الدولة والتغلّب على الخلافة، ونظّمهم في طبقات زناتة وسائر رجالات البربر الذين أدال بجموعهم من جنود السلطان وعساكر الأموية وقبائل العرب، واستغلظ أمر صنهاجة بالأندلس واستفحلت إمارتهم، وحملوا دولة المنصور بن أبي عامر وولديه المظفر والناصر من بعده على كاهلهم)تاريخ، ٢٣٨/٦؛ ينظر أيضاً مع بعض الاختلاف: النويري، نهاية الأرب، ١٩٠/٢٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٩٤/١، ٢٣٨، ذكر أنهم استأذنوا عبد الملك المظفر بن أبي عامر الجواز إلى الأندلس للجهاد.

فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم ورجعوا.

وتسامع العدو ، فركبوا في أثرهم ، فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة ، فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من وراءهم ، وضربوا في ساقتهم وكبروا ، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير ، فانهزموا ، وتبعهم صنهاجة ، فقتلوا خلقاً كثيراً ، وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا إلى قرطبة ، فعظم ذلك عند ابن أبي عامر ، ورأى من شجاعتهم ما لم يره من جند الأندلس ، فأحسن إليهم وجعلهم بطانته[1].

ذكر غزو ابن أبي عامر إلى الفرنج بالأندلس

لما رأى أهل الأندلس فعل صنهاجة حسدوهم ، ورغبوا في الجهاد ، وقالوا للمنصور بن أبي عامر: لقد نشطنا هؤلاء للغزو. فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الأقطار ، وخرج إلى الجهاد ، وكان رأى في منامه ، تلك الليالي ، كأن رجلاً أعطاه الأسبراج ، فأخذه من يده وأكل منه ، فعبره على ابن أبي جمعة[2] ، فقال له: اخرج إلى بلد إليون فإنك ستفتحها ؛ فقال: من أين أخذت هذا؟ فقال: لأن الأسبراج يقال له في المشرق الهليون[3] ، فملك الرؤيا قال لك: ها ليون.

فخرج إليها ونازلها ، وهي من أعظم مدائنهم ، واستمد أهلها الفرنج ، فأمدوهم بجيوش كثيرة ، واقتتلوا ليلاً ونهاراً ، فكثر القتل فيهم ، وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً ، ثم خرج قومص كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله ، فجال بين الصفوف وطلب البراز ،

---

١) لم نجد غزوة لصنهاجة بمفردها إلى جليقية في عهد المنصور ابن أبي عامر في المصادر التي بين أيدينا.

٢) يبدو أنه كان مشهوراً بتعبير الرؤيا ، قال ابن عذاري عن المنصور بن أبي عامر (محمد بن أبي جمعة ، بلغه عنه قول من الإرجاف في القطع على انقراض دولته ، فقطع لسانه ، ثم قتله وصلبه) البيان المغرب، ٢/٢٩٣.

٣) الهليون قال الفراهيدي هو الكراث، العين، ٣٤٩/٥، وذهب ابن سيده إلى أن الهليون نبات يؤكل مسلوقاً، المحكم والمحيط الأعظم، ٥٩٨/٧ ؛ وأشار دوزي إلى الكلمة الاسبانية (Esparragador هي صفة المُغَليّ والتغلية ولا يمكن طبخ الهليون وإعداده إلا بأن يرفع من النار قبل انضاجه)، ٣٠٥/٦؛ فربما يكون الاسبراج(الهليون عند المشارقة)هو الكراث عند الأسبان.

فبرز إليه جلالة بن زيري الصنهاجي فحمل كل واحد منهما على صاحبه، فطعنه الفرنجي فمال عن الطعنة وضربه بالسف على عاتقه فأبان عاتقه، فسقط الفرنجي إلى الأرض، وحمل المسلمون على النصارى، فانهزموا إلى بلادهم، وقتل منهم ما لا يحصى وملك المدينة.

وغنم ابن أبي عامر غنيمة عظيمة لم ير مثلها، واجتمع من السبي ثلاثون ألفاً، وأمر بالقتلى فنضدت بعضها على بعض، وأمر مؤذناً أذن فوق القتلى المغرب، وخرب مدينة قامونة[1]، ورجع سالماً وهو وعساكره[2].

ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري بالأندلس، والد الإمام أبي عمر بن عبد البر[3].

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

ذكر حادثة غريبة بالأندلس

في هذه السنة سيّر المنصور محمد بن أبي عامر، أمير الأندلس لهشام المؤيد، عسكراً إلى بلاد الفرنج للغزاة، فنالوا منهم وغنموا، وأوغلوا في ديارهم، وأسروا غرسية[4]، وهو ملك للفرنج ابن ملك من ملوكهم يقال له شانجة، وكان من أعظم ملوكهم وأمنعهم، وكان من القدر أن شاعراً للمنصور، يقال له أبو العلاء صاعد بن

---

1) لعلها مدينة الكامبو الواقعة في ليون، ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ٣٣٤/١.

2) ذكر العذري أن غزوة ليون الأولى كانت سنة ٣٧٢هـ، ترصيع الأخبار، ص٧٨؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٢٨.

3) هو عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري والد الحافظ أبي عمر، من أهل قرطبة، سمع من أحمد بن مطرف، وأحمد بن سعيد بن حزم، وأحمد بن دحيم بن خليل، وأبي بكر بن الأحمر، وغيرهم، ولم يسمع منه ابنه لصغره وإنما حدث عن خطه، وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٨٠هـ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٢٤؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٢٣٧- ٢٣٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣١٣.

4) هو غرسيه بن شانجة الثاني تولى حكم البشكنس سنة ٣٨٥هـ وتوفي سنة ٣٩١هـ، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٥٤٧- ٥٤٨؛ العلياوي، البشكنس، ص٦٦ - ٦٧.

الحسن الربعي[1] ، قد قصده من بلاد الموصل[2] ، وأقام عنده ، وامتدحه قبل هذا التاريخ ، فلما كان الآن أهدى أبو العلاء إلى المنصور أيلاً[3] ، وكتب معه أبياتاً منها:

يا حرز كلّ مخوّفٍ، وأمان كلّ مشرّدٍ، ومعزّ كلّ مذلّل

جدواك إن تخصص به فلأهله وتعمّ بالإحسان كلّ مؤمّل

يقول فيها:

مولاي مؤنس غربتي، متخطّفي من ظفر أيّامي، ممنّع معقلي

عبدٌ رفعت بضبعه، وغرسته في نعمةٍ أهدى إليك بأيّل

سمّيته غرسيّة، وبعثته في حبله ليتاح فيه تفاؤلي

فلئن قبلت، فتلك أسنى نعمةٍ أسدى بها ذو نعمةٍ وتطوّل

فسمى هذا الشاعر الأيل غرسية تفاؤلاً بأسر ذلك غرسية ، فكان أسره في اليوم الذي أهدى فيه الأيل ، فانظر إلى هذا الاتفاق ما أعجبه[4].

---

١) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي، من أهل الموصل كان عالماً باللغة والآداب والأخبار وفد إلى الأندلس أيام الخليفة هشام المؤيد، فأكرمه المنصور بن أبي عامر، ثم غادر الأندلس أيام الفتنة بعد سقوط الدولة العامرية وتوفي في صقلية سنة ٤١٧هـ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢١١- ٢١٤ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٩٥- ٢٩٩.

٢) وهي مدينة قديمة على طرف دجلة شرقي نينوى بينها وبين بغداد أربعة وسبعون فرسخاً، ياقوت، معجم البلدان، ٢٣٢/٥- ٢٢٥.

٣) الأيل هو الذكر من الأوعال وهو التيس الجبلي، الفيومي، المصباح المنير، ٣٣/١ (مادة ء ي ل).

٤) ينظر القصة كما جاءت عند ابن الأثير: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢١١- ٢١٤ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٩٥- ٢٩٩ ؛ المراكشي، المعجب، ص٣٦- ٣٧ ؛ وذكر مؤلف مجهول أن هذه الغزوة هي الثالثة والأربعون وتدعى غزوة قشتيلة، قال: وكان غرسيه قد خرج في خاصة من قومه يتطلع=

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

ذكر وفاة المنصور بن أبي عامر[1]

في هذه السنة توفي أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري، الملقب بالمنصور، أمير الأندلس مع المؤيد هشام بن الحكم، وقد تقدم ذكره عند ذكر المؤيد، وكان أصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها، وقدم قرطبة طالباً للعلم، وكانت له همة، فتعلق بوالدة المؤيد في حياة أبيه المستنصر.

فلما ولي هشام كان صغيراً فتكفل المنصور لوالدته القيام بأمره، وإخماد الفتن الثائرة عليه، وإقرار الملك عليه، فولته أمره؛ وكان شهماً، شجاعاً، قوي النفس، حسن التدبير، فاستمال العساكر وأحسن إليهم، فقوي أمره، وتلقب بالمنصور، وتابع الغزوات إلى الفرنج وغيرهم، وسكنت البلاد معه، فلم يضطرب منها شيء.

وكان عالماً، محباً للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه، وصنفوا لها تصانيف كثيرة، ولما مرض كان متوجهاً إلى الغزو، فلم يرجع، ودخل بلاد العدو فنال منهم وعاد وهو مثقل، فتوفي بمدينة سالم[2]، وكان قد جمع الغبار الذي وقع على درعه في غزواته شيئاً صالحاً، فأمر أن يجعل في كفنه تبركاً به[3].

=على أحواز بلاده فأسروه هو وأصحابه وأتوا به إلى المنصور مقيداً في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد بهديته وشعره إلى المنصور، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٣٢- ٢٣٣.

١) ذكرت بعض المصادر أن وفاته كانت سنة ٣٩٢هـ، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٧٣/١؛ ابن سعيد المغرب، ٢٠١/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٩٣/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)ص٢٣٥؛ فيما ذكرت مصادر أخرى إلى أن وفاته كانت سنة ٣٩٣هـ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٧٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١١٠؛ المراكشي، المعجب، ص٣٧؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٠٥/٢٣؛ المقري، نفح الطيب، ٤٠٢/١.

٢) وجد نقشاً في رخامة على قبره هذين البيتين:

آثـارُهُ تُنْبِيـكَ عَـنْ أخْبَـارِهِ   حَتَّـى كأنَّـكَ بـالعُيُونِ تـرَاهُ

تَـاللّهِ مـا مَلَـكَ الجَزيـرَةَ مِثْلُـهُ   حَقّـا ولاَ قَـادَ الجُيُـوشَ سِـوَاهُ

ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢.

٣) ذكر أنه كان إذا خرج إلى الغزو تنفض أثوابه عشي كل يوم على أنطاع من الجلد، ويضم ما يقع فيها من الغبار، فلما مات لُحد به، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٧٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ١١٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٣٦.

وكان حسن الاعتقاد والسيرة ، عادلاً ، وكانت أيام أعياداً لنضارتها ، وأمن الناس فيها ، رحمة الله. وله شعر جيد ، وكانت أمّه تميمية ، ولما مات ولي بعده ابنه المظفر أبو مروان عبد الملك ، فجرى مجرى أبيه.

ذكر عدة حوادث

وفيها توفي... الوليد بن بكر بن مخلد الأندلسي الفقيه المالكي ، وهو محدث مشهور[1].

ثم دخلت سنة أربع مائة

ذكر عود المؤيد إلى إمارة الأندلس وما كان منه[2]

قد ذكرنا سبب خلعه وحبسه ، فلما كان هذه السنة أعيد إلى خلافته ، واسمه هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، وكان عوده تاسع ذي الحجة ، وكان الحكم في دولته هذه إلى واضح العامري ، وأدخل أهل قرطبة إليه ، فوعدهم ومناهم ، وكتب إلى البربر الذين مع سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ودعاهم إلى طاعته ، والوفاء ببيعته ، فلم يجيبوه إلى ذلك ، فأمر أجناده وأهل قرطبة بالحذر والاحتياط ، فأحبه الناس.

---

١) هو أبو العباس الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمري من أهل سرقسطة ، عالم فاضل ومحدث ، رحل إلى إفريقية ، وسمع بأطرابلس المغرب أبا الحسن علي بن أحمد بن زكرياء ، وبمصر الحسن بن رشيق ، وسافر في طلب العلم إلى الشام ، والعراق ، وخراسان ، وما وراء النهر ، و بهراة ، وله كتاب في تجويز الإجازة سماه كتاب الوجازة ، وعاد إلى بغداد فحدث بها ، وكان ثقة أميناً ، توفي بالدينور في رجب سنة٣٩٢هـ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٣٢٦-٣٢٧ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٤٤٥.

٢) ذكر ابن الأثير خبر خلع هشام المؤيد وثورة محمد بن عبد الجبار المهدي ، ثم قيام هشام بن سليمان الرشيد على محمد المهدي ومقتله ، بعدها ثورة سليمان المستعين مع البربر ودخوله قرطبة وإعلان نفسه خليفة وهروب محمد المهدي إلى الثغر واستغاث بالنصارى الذين انجدوه وتمكن من طرد سليمان المستعين من قرطبة ودخلها هو ثانية ، ثم مقتله على يد الصقابة الذين أخرجوا هشام المؤيد وبايعوه ثانية إلا أن سليمان المستعين والبربر رفضوا الخضوع له ، كل تفاصيل هذه الأحداث ذكرها في سنة٣٦٦هـ عند حديثه عن بيعة هشام المؤيد.

ثم نقل إليه أن نفراً من الأمويين بقرطبة قد كاتبوا سليمان ، وواعدوه ليكون بقرطبة في السابع والعشرين من ذي الحجة ليسلموا إليه البلد ، فأخذهم وحبسهم ، فلما كان الميعاد قدم البربر إلى قرطبة ، فركب الجند وأهل قرطبة وخرجوا إليهم مع المؤيد ، فعاد البربر وتبعتهم عساكره ، فلم يلحقوهم ، وترددت الرسل بينهم فلم يتفقوا على شيء.

ثم إن سليمان والبربر راسلوا ملك الفرنج يستمدونه ، وبذلوا له تسليم حصون كان المنصور بن أبي عامر قد فتحها منهم ، فأرسل ملك الفرنج إلى المؤيد يعرفه الحال ، ويطلب منه تسليم هذه الحصون لئلا يمد سليمان بالعساكر. فاستشار أهل قرطبة في ذلك ، فأشاروا بتسليمها إليه خوفاً من أن ينجدوا سليمان ، واستقر الصلح في المحرم سنة إحدى وأربعمائة. فلما أيس البربر من إنجاد الفرنج رحلوا ، فنزلوا قريباً من قرطبة في صفر سنة إحدى وأربعمائة ، وجعلت خيلهم تغير يميناً وشمالاً ، وخربوا البلاد.

وعمل المؤيد وواضح العامري سوراً وخندقاً على قرطبة أمام السور الكبير ، ثم نزل سليمان قرطبة خمسة وأربعين يوماً فلم يملكها ، فانتقل إلى الزهراء وحصرها ، وقاتل من بها ثلاثة أيام. ثم إن بعض الموكلين بحفظها سلم إليه الباب الذي هو موكل بحفظه ، فصعد البربر السور وقاتلوا من عليه حتى أزالوهم ، وملكوا البلد عنوةً ، وقتل أكثر من به من الجند ، وصعد أهله الجبل ، واجتمع الناس بالجامع ، فأخذهم البربر وذبحوهم ، حتى النساء والصبيان ، وألقوا النار في الجامع والقصر والديار ، فاحترق أكثر ذلك ونهبت الأموال.

ثم إن واضحاً كاتب سليمان يعرفه أنه يريد الانتقال عن قرطبة سراً ، ويشير عليه بمنازلتها بعد مسيره عنها ، ونمى الخبر إلى المؤيد ، فقبض عليه وقتله ، واشتد الأمر بقرطبة ، وعظم الخطب ، وقلت الأقوات ، وكثر الموت ، وكانت الأقوات عند البربر أقل منها بالبلد ، لأنهم كانوا قد خربوا البلاد ، وجلا أهل قرطبة ، وقتل المؤيد كل من مال إلى سليمان.

ثم إن البربر وسليمان لازموا الحصار والقتال لأهل قرطبة ، وضيقوا عليهم ، وفي مدة هذا الحصار ظهر بطليطلة عبيد الله بن محمد بن عبد الجبار ، وبايعه أهلها ، فسيّر إليهم المؤيد جيشاً ، فحصروهم ، فعادوا إلى الطاعة ، وأخذ عبيد الله أسيراً ،

وقتل في شعبان سنة إحدى وأربعمائة[1].

ثم إن أهل قرطبة قاتلوا في بعض الأيام البربر فقتل منهم خلق كثير، وغرق في النهر مثلهم، فرحلوا عنها، وساروا إلى إشبيلية فحصروها، فأرسل المؤيد إليها جيشاً فحماها، ومنع البربر عنها، وراسل سليمان نائب المؤيد بسرقسطة وغيرها يدعوهم إليه، فأجابوه وأطاعوه، فسار البربر وسليمان عن إشبيلية إلى قلعة رباح، فملكوها، وغنموا ما فيها، واتخذوها داراً، ثم عادوا إلى قرطبة فحصروها، وقد خرج كثير من أهلها وعساكرها من الجوع والخوف، واشتد القتال عليها، وملكها سليمان عنوة وقهراً، وقتلوا من وجدوا في الطرق، ونهبوا البلد وأحرقوه، فلم تحص القتلى لكثرتهم.

ونزل البربر في الدور التي لم تحرق، فنال أهل قرطبة من ذلك ما لم يسمع بمثله، وأخرج المؤيد من القصر وحمل إلى سليمان، ودخل سليمان قرطبة منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة وبويع له بها[2].

---

١) لم نجد هذا الخبر في المصادر التي بين أيدينا.

٢) قال ابن عذاري: لما قتل الصقالبة وعلى رأسهم واضح محمد المهدي أظهروا هشام المؤيد وبايعوه كتب المؤيد إلى سليمان المستعين والبربر ليبايعوه فرفض البربر ذلك، وعمل المؤيد على تحصين قرطبة تحسباً للمواجهة مع البربر، فيما أخذ البربر من أطراف قرطبة يغيرون عليها وحاصروها، واستمرت الحرب بينهم مدة وكثر القتل بين الطرفين، وإثناء ذلك كان البربر ينهبون ويخربون ويحرقون ويقتلون، وإذا خرج إليهم واضح بالخيل تجنبوه، ثم عملوا على الإغارة على مناطق جنوب قرطبة حتى مالقة، وقطعوا الميرة عن قرطبة فاشتد بها الجوع وعدمت المآكل، قال: وكان أهل قرطبة وهم على هذه الحال من الشدة إذا تكلم أحد من أهل العلم بالصلح قتلوه، وفي هذا الأثناء وصل سفير أمير قشتالة يطالب هشام المؤيد بضرورة تسليم الحصون الواقعة على الحدود وهددهم فاضطر المؤيد بعد أن شاور أن يتنازل عن أكثر من مائتي حصن وذلك ثمن عدم وقوفهم مع البربر، واستمر البربر في حصارهم لقرطبة، وكانت الحالة من سيء إلى أسوأ، وأمام هذه الحالة قرر واضح الصقلبي الهرب سراً فانكشف أمره وأخذ وقتل، ومع سوء الأحوال وانتشار الجوع كان أهل قرطبة مصرون على مقارعة البربر، فكتب إليهم سليمان المستعين يحذرهم الفتنة فلم يستمعوا له، ونزل البربر حول قرطبة على الزروع والبساتين وهو ما زاد من حراجة الموقف في قرطبة، فمال بعضهم إلى الصلح ورفض آخرون، فذهبوا إلى هشام المؤيد وقالوا له (قد بلغ الأمر منتهاه ولا طاقة لنا بهؤلاء القوم والناس مختلفون منهم من يريد الصلح ومنهم من لا يريده وليس عندنا مال وقد أجحفنا برعيتنا في المغارم... فبكى هشام فيما زعموا بكاءً شديداً وقال اصنعوا ما أردتم ودعوني بمعزل فلست أقدر لكم...) فكتب أهل قرطبة إلى البربر وسليمان أنه سيكون ولي عهده، فلما قرأ الكتاب رفضه وقيل قطعه بسكين وقال أنا أمير المؤمنين وليس هشام، عندها اشتد القتال بين الطرفين=

ثم إن المؤيد جرى له مع سليمان أقاصيص طويلة ؛ ثم خرج إلى شرق الأندلس من عنده. وكان ممن قتل في هذا الحصر أبو الوليد بن الفرضي[1] مظلوماً ، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة

ذكر ولاية سليمان الأندلس الدولة الثانية

في هذه السنة ملك سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، ولقب المستعين ، وهذه غير ولايته ، منتصف شوال ، على ما ذكرناه سنة أربعمائة[2] وبايعه الناس وخرج أهل قرطبة إليه يسلمون عليه ، فأنشد متمثلاً:

=فاقتحم البربر قرطبة ، وعملوا مقتلة عظيمة ، ودخل سليمان المستعين القصر وأحضر هشاماً ووبخه فاعتذر أنه مغلوب ، فخلع نفسه ، وجددت البيعة لسيمان المستعين ، وغاب عن الناس خبر هشام المؤيد ، فقيل أنه قضى عليه عند دخوله القصر ، وقيل فرَّ بين يديه وذلك في شوال سنة ٤٠٣هـ. البيان المغرب، ١٠٠/٣-١١٣؛ ينظر أيضاً : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١١٠/٢- ١١٢.

١) هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضى القاضي، كان حافظاً متقاناً عالماً ذا حظ من الأدب وافر، سمع بأندلس من جماعة منهم أبو زكريا يحيى بن مالك بن عايد ، ومحمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القاضي، ومحمد بن محمد بن أبي دليم وغيرهم، وبإفريقية من أبي عبد الله بن عبد الرحمن النفري المعروف بابن أبي زيد ، وأبي الحسن علي بن محمد ابن خلف المعروف بالقابسي، وبمصر من أبي بكر احمد بن محمد بن إسماعيل المهندس، وأبي محمد بن الضرار ، وبمكة من أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل الصيدلاني المكي وغيره؛ وله كتاب تاريخ في العلماء والرواة للعلم بالأندلس، وكتاب كبير في المؤتلف والمختلف، ومات مقتولاً في الفتنة أيام دخول البرابر قرطبة سنة أربعمائة ، قال الحميدي (أخبرني أبو محمد علي بن أحمد ، قال: أخبرني أبو الوليد بن الفرضى، قال: تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله الشهادة، ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت، وهممت أن أرجع فأستقيل الله ذلك فاستحييت. قال أبو محمد فأخبرني من رآه بين القتلى فدنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف، وهو في آخر رمق: لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً، اللون لون الدم، والريح ريح المسك"؛ كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك، قال: ثم قضى نحبه على إثر ذلك)جذوة المقتبس، ص٢٢٣- ٢٢٤ ؛ ينظر أيضاً : الضبي، بغية الملتمس، ص٣١١.

٢) قال ابن بسام نقلاً عن ابن حيان: (بويع بقرطبة منتصف ربيع الأول سنة أربعمائة بعد وقعة كانت له على أميرها قبله محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي القائم على الدولة العامرية؛ ثم خلعه المهدي بوقعةٍ كانت له عليه، ثم عاد إليها سليمان ثانيةً...، فملك سليمان قرطبة في دولتيه ست سنين وعشرة أشهر، وكانت كلها... شداداً نكدات، صعاباً مشئومات، كريهات المبدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والخاتمة؛ لم يعدم فيها حيف، ولا فورق فيها خوف؛ ولا تم سرور، ولا فقد محذور، =

إذا مـــا رأونـــي طالعـــاً مـــن ثنيّـــةٍ

يقولـــون مـــن هـــذا، وقـــد عرفـــوني

يقولـــون لـــي أهـــلاً وســـهلاً ومرحبـــاً

ولـــو ظفـــروا بـــي ســـاعةً قتلـــوني[١]

وكان سليمان أديباً شاعراً بليغاً[٢] ، وأريق في أيامه دماء كثيرة لا تحد ، وقد تقدم ذكر ذلك سنة أربعمائة ، وكان البربر هم الحاكمين في دولته لا يقدر على خلافهم ، لأنهم كانوا عامة جنده ، وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه ، وقد تقدم ذكر ذلك.

ذكر عدة حوادث

وفيها قتل أبو الوليد عبد الله بن محمد ، المعروف بابن الفرضي الأندلسي بقرطبة ، قتله البربر[٣].

ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة

ذكر ابتداء الدولة العلوية بالأندلس وقتل سليمان

وفي هذه السنة ولي الأندلس علي بن حمود بن أبى العيش بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب[٤] ، عليه السلام ، وقيل في نسبه غير ذلك مع

=مع تغير السيرة، وخرق الهيبة، واشتعال الفتنة، واعتلاء المعصية، وظعن الأمن، وحلول المخافة دولة كفاها ذماً أن أنشأها شانجه، فقشعها أرمقند، وثبتتها الجلالقة، ومزقتها الإفرنجية، ودبرها فاجر شقي، ووزر لها خب دني، فتمخضت عن الفاقرة الكبرى، وآلت بمن أتى إلى ما كان أعضل وأدهى، مما طوى بساط الدنيا، وعفى رسمها، وأهلك أهلها...)الذخيرة، ٣٦/١.

١) ينظر الرواية نفسها: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٤٠.

٢) ذكر ابن بسام نقلاً عن ابن حيان أن سليمان المستعين (كان أديباً شاعراً، مجموع خلال فاضلة، أصيل الرأي، راجح العقل، ثبتا. ولي الخلافة غلاباً، وقعصاً، ومنازعة...)الذخيرة، ٢٢٨/٤.

٣) ينظر أعلاه.

٤) ساق ابن حزم نسبه قائلاً: القاسم المسمى، المأمون، والمأمون، المسمى الناصر، تسميا بالخلافة بالأندلس، ابنا حمود بن ميمون بن حمود، واسمه أحمد، بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، جمهرة أنساب=

اتفاق على صحة نسبه إلى أمير المؤمنين علي ، عليه السلام.

وكان سبب ذلك أن الفتى خيران العامري[1] لم يكن راضياً بولاية سليمان بن الحكم الأموي لأنه كان من أصحاب المؤيد على ما ذكرناه قبل[2] ، فلما ملك سليمان قرطبة انهزم خيران في جماعة كثيرة من الفتيان العامريين ، فتبعهم البربر وواقعهم ، فاشتد القتال بينهم ، وجرح خيران عدة جراحات ، وترك على أنه ميت ، فلما فارقوه قام يمشي ، فأخذه رجل من البربر إلى داره بقرطبة وعالجه فبرأ ، وأعطاه مالاً ، وخرج منها سراً إلى شرق الأندلس ، فكثر جمعه ، وقويت نفسه ، وقاتل من هناك من البربر ، وملك المرية ، واجتمع إليه الأجناد ، وأزال البربر عن البلاد المجاورة له ، فغلظ أمره وعظم شأنه[3].

وكان علي بن حمود بمدينة سبتة ، بينه وبين الأندلس عدوة المجاز مالكاً لها ، وكان أخوه القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء مستولياً عليها ، وبينهما المجاز ، وسبب ملكهما أنهما كانا من جملة أصحاب سليمان بن الحكم ، فقودهما على المغاربة ، ثم ولاهما هذه البلاد[4] ، وكان خيران يميل إلى دولة المؤيد ، ويرغب فيها ، ويخطب له

=العرب، ص٥٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن عسكر وابن خميس، مطلع الأنوار، ص٢٩٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢١/٢.

١) خيران العامري من موالي المنصور ابن أبي عامر حكم المرية في أيام الفتنة بين سنة ٤٠٥-٤١٨هـ، ابن سعيد، المُغرب، ١٩٤/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩٩/٢- ٢٠١.

٢) ينظر أعلاه.

٣) خبر جرح خيران عند دخول سليمان المستعين إلى قرطبة لم يذكره ابن عذاري، وإنما ذكر قصة هروبه من قرطبة مختصراً، إذ قال: (لما استولى البربر مع سليمان على قرطبة خاف العبيد العامريون على أنفسهم فهربوا إلى شرق الأندلس واستولوا على بلنسية وشاطبة ودانية...) البيان المغرب، ١١٥/٣؛ أما ابن الخطيب فذكر أن خيران (نال بباب هشام الرياسة والقيادة على الصقلب والمشاركة في جماعة الفحول التائبين على الدولة، فخلص من الحضرة مفلتاً بعد أن تضمر بها وخفي مكانه، وقد اتصل به افتراء أصحابه بشرق الأندلس فذهب إليهم عن تؤدة...) أعمال الأعلام، ١٩٩/٢.

٤) ذكر ابن بسام نقلاً عن ابن حيان: (ومن الاتفاق الغريب على سليمان أنه لما استوسق له الأمر بعد فراغه من خبر هشام المؤيد، أنفذ عزمه من بين قواد جيوشه في اختيار علي بن حمود المذكور، فقدمه على مدينة سبتة، رأياً ذهل عنه، ونبذها إلى ضد له مكاشح شريك في الدعوى والقرابة، فتلقفها عليّ تلقف الأكياس المقبلين، ودب لمغبونه سليمان من قبلها الضراء دبيب الحنق الموتور، حتى هجم عليه وسلبه ملكه، وحول دولته ومزق عترته، وكانت غلطة سليمان التي لم يستقلها هو ولا من بعده)الذخيرة، ٣٨/١.

على منابر بلاده التي استولى عليها لأنه كان يظن حياته حيث فقد من القصر، فحدث لعلي بن حمود طمع في ملك الأندلس لما رأى من الاختلاف، فكتب إلى خيران يذكر له أن المؤيد كان كتب له بولاية العهد والأخذ بثأره إن هو قتل، فدعا لعلي بن حمود بولاية العهد[1].

وكان خيران يكاتب الناس، ويأمرهم بالخروج على سليمان. فوافقه جماعة منهم عامر بن فتوح وزير المؤيد[2]، وهو بمالقة، وكاتبوا علي بن حمود، وهو بسبتة، ليعبر إليهم ليقوموا معه ويسيروا إلى قرطبة، فعبر إلى مالقة في سنة خمس وأربعمائة، فخرج عنها عامر بن فتوح، وسلمها إليه، ودعا له بولاية العهد وسار خيران ومن أجابه إليه، فاجتمعوا بالمنكب[3]، وهي ما بين المرية ومالقة، سنة ست وأربعمائة، وقرروا ما يفعلونه، وعادوا يتجهزون لقصد قرطبة، فتجهزوا وجمعوا من وافقهم، وساروا إلى قرطبة وبايعوا علياً على طاعة المؤيد الأموي.

فلما بلغوا غرناطة وافقهم أميرها، وسار معهم إلى قرطبة، فخرج سليمان والبربر إليهم، فالتقوا واقتتلوا على عشرة فراسخ من قرطبة، ونشب القتال بينهم، فانهزم سليمان والبربر، وقتل منهم خلق كثير، وأخذ سليمان أسيراً، فحمل إلى علي بن حمود ومعه أخوه وأبوه الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، ودخل علي بن

---

١) ذكر ابن بسام نقلاً عن ابن حيان أن الخليفة هشام المؤيد(عند ما رآه من اضطراب أمره، وتيقنه من انصرام دولته، بما مني به قديماً وحديثاً، من تمالؤ بني عمه آل الناصر عليه، وقيامهم واحداً بعد واحد في خلعه، صيّر إلى علي بن حمودٍ ولاية عهده، وأوصى إليه بالخلافة من بعده وراسله بذلك إلى سبتة، أيام تردده عليها، بمعنى الاستمداد، وجمعه طوائف البرابرة للجهاد، وولاه طلب ذحله، واستكتمه السر فيه إلى أوانه، وبلوغ زمانه، هائجاً للحفائظ القرشية، ومحركاً للطوائل الطالبية، فرماهم يومئذ من عليّ هذا بثالثة الأثافي، طوى كشحه منها على مستكنةٍ أرجأها لوقتها)الذخيرة، ٣٧/١- ٣٨؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٠/٣.

٢) عامر بن فتوح الفائقي مولى فائق الصقلبي مولى الخليفة الحكم المستنصر، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٣.

٣) المنكب بلد على ساحل إلبيرة بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٠ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٤/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٧٧.

حمود قرطبة في المحرم سنة سبع ودخل خيران وغيره إلى القصر طمعاً في أن يجدوا المؤيد حياً ، فلم يجدوه ، ورأوا شخصاً مدفوناً فنبشوه ، وجمعوا له الناس ، وأحضروا بعض فتيانه الذين رباهم وعرضوه عليه ، ففتشه ، وفتش أسنانه لأنه كان له سن سوداء كان يعرفها ذلك الفتى ، فأجمع هو وغيره على أنه المؤيد خوفاً على أنفسهم من علي ، فأخبروا خيران أنه المؤيد ، وكان ذلك الفتى يعلم أن المؤيد حيّ ، فأخذ علي بن حمود سليمان وقتله سابع المحرم سنة سبع ، وقتل أباه وأخاه.

ولما حضر أبوه بين يدي علي بن حمود قال له: ياشيخ قتلتم المؤيد ؛ فقال: والله ما قتلناه ، وإنه لحي[1] ؛ فحينئذ أسرع في قتله ، وكان شيخاً صالحاً منقبضاً لم يتدنس بشيء من أحوال ابنه. واستولى علي بن حمود على قرطبة ، ودعا الناس إلى بيعته ،

---

١) أشار ابن خميس وابن عسكر إلى قصة هشام المؤيد في عهد الفتنة بعد زوال الدولة العامرية، فقالا: إن الخليفة هشام المؤيد أخفاه محمد المهدي عندما تم له الأمر في بيت الحسن بن يحيى وأظهر للناس نصرانياً ميتاً كان يشبه هشام المؤيد ، وأشهد الوزراء وأهل الخدمة على ذلك، ثم إنه أظهره بعد ذلك حين غلب سليمان بن الحكم، ودخل قرطبة وقتل هشاما المؤيد ، وذكر آخرون أنه لم يقتله وإنما فرّ منه، وعندما دخل علي بن حمود قرطبة ومعه عدد من الفتيان العامري منهم خيران كان اتفاقهم معه أن يخرج هشام المؤيد ليكون خليفة وهو ولي عهده، وكان عليَ يطمع في الخلافة فأشاع أن هشام المؤيد قتله المستعين وأخرجه من قبره وأشهد عليه أنه هو، وقيل إن الفتيان شهدوا بموته خوفاً من علي بن حمود ، وحُكي أن رجلاً يدعى عبد الرحمن المقرئ، وكان من شيوخ قرطبة، قال: كنت حاضراً ، فلما رأيتهم قد صححوا موت المؤيد، خرجت باكيا، فلقيني الفتى الذي شهد بذلك، فقال لي: وما يبكيك؟ فقلت: موت المؤيد. فقال لي: والله إنه لحي، وإني لأعلم الناس بحياته وبحيث هو، وإنما شهدت بما رأيت خوفا على نفسي، وقيل إنه ذهب إلى مالقة ثم إلى المرية في سنة ٤٢٥هـ، ولما أراد إسماعيل بن عباد التخلص من نفوذ بني حمود ، أعلن في سنة ٤٢٦هـ أن الخليفة هشام حي وأعلن طاعته وخلع بني حمود ، وقيل إن الذي أخرجه ابن عباد هو شخص دعيّ كان أشبه الناس بهشام المؤيد ، ودُعيَ له على المنابر حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ، وقد أنكر ابن خميس وابن عسكر أن يكون هشام المؤيد هو نفسه الذي بايع له ابن عباد ، وقالا إنه دعيّ بقولهما: ومما يقوي أنه الدعي أن المؤرخين قد ذكروا أن المؤيد بالله بويع سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن عشرين سنة وثلاثة أشهر، وقيل: عشرة أشهر. وأنه مات وهو ابن ست وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وقيل عشرة أيام أو ثلاثة عشر يوماً. فهذا يقتضي أن تكون وفاته سنة اثنين وأربعمائة أو نحوها. وهشام الذي بايعه القاضي ابن عباد سنة ست وثلاثين وأربعمائة، فكيف يصح أن يكون المؤيد بالله أمير المؤمنين، مطلع الأنوار، ص٣٥٨- ٣٦٠.

فبويع ، واجتمع له الملك ، ولقب المتوكل على الله[١].

ثم إن خيران أظهر الخلاف عليه لأشياء منها أنه كان طامعاً أن يجد المؤيد فلم يجده ، ومنها أنه نقل إليه أن علياً يريد قتله فخرج عن قرطبة وأظهر الخلاف عليه[٢].

ذكر ظهور عبد الرحمن الأموي

لما خالف خيران علياً أرسل يسأل عن بني أمية ، فدل على عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي[٣] ، وكان قد خرج من قرطبة مستخفياً ، ونزل بجيّان ، وكان أصلح من بقي من بني أمية ، فبايعه خيران وغيره ، ولقبوه المرتضى ، وراسل خيران منذر بن يحيى التجيبي[٤] أمير سرقسطة والثغر

---

١) ذكر ابن الأثير خبر مقتل سليمان المستعين بتفصيل أكثر وأوفى، فيما نقل ابن بسام عن ابن حيان هذا الخبر باختصار قال: إن المستعين (بلغه نجوم عليّ بن حمود الفاطمي بسبتة، فسقط في يديه، وتفرقت الظباء عليه، وكان على أجلّ من الحرش، وأخذ في استدفاع ذلك جهده، فلم يغنه شيئاً، وجاءه عليّ في جموعه بعد أن اجتمع بالمرية مع خيران صاحب المرية وغيره من الفتيان، فخرج إليهم سليمان واقتتلوا، فانهزم سليمان وقبض عليه وعلى أخيه وأبيه وسيقوا أسارى إلى عليّ بن حمود. ودخل القصر وخيران يطمع أن يجد هشاماً المؤيد حياً، فلم يوجد، وذكر أنه قتل وعرض عليه قبره. فأمر عليّ بنبشه، فأخرج الشخص، وشهد أنه هشام، وسليمان يتبرأ من دمه، وما كان في جسده شيء من أثر السلاح، فتوهم فيه الخنق، وأمر عليّ بتجهيزه إلى أهله، وأنذر طبقات الناس للصلاة عليه، فدفن لزيق أبيه الحكم. ثم دعا عليّ بسليمان وذويه فضرب عنقه بيده، وظهر منه جزع شديد عند ملاحظته السيف، خارت منه قواه، فجثا على ركبتيه، ثم ضربت عنق الشيخ أبيه وعنق عبد الرحمن ابنه، وجعلت الرؤوس الثلاثة في طست، وأخرجت من القصر إلى المحلة ينادي عليها: هذا جزاء من قتل هشاماً المؤيد... وحكي أن والد سليمان حين عاين قتل ابنيه بين يديه قال له عليّ: أهكذا يا شيخ قتلتم هشاماً، قال: لا والله ما قتلناه وإنه لحي يرزق! فحينئذ عجل عليّ بقتل الشيخ، وكان رحمه الله تقياً صالحاً لم يتشبث بشيء من أمر ابنه) الذخيرة، ٤١/١- ٤٢ ؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٣ ؛ ابن عسكر وابن خميس، مطالع الأنوار، ص٢٩٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٦/٣- ١١٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١١٥/٢- ١١٦.

٢) ينظر الرواية نفسها: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢١/٣-١٢٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢٤/٢.

٣) اسمه عند ابن عذاري:عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الناصر الأموي، البيان المغرب، ١٢١/٣.

٤) هو منذر بن يحيى بن هاشم بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد=

الأعلى ، وراسل أهل شاطبة ، وبلنسية ، وطرطوشة ، والبنت[1] ، فأجابوا كلهم إلى بيعته ، والخلاف على علي بن حمود ، فاتفق عليه أكثر الأندلس ، واجتمعوا بموضع يعرف بالرياحين في الأضحى سنة ثمان وأربعمائة ، ومعهم الفقهاء والشيوخ ، وجعلوا الخلافة شورى ، وأصفقوا على بيعته ، وساروا معه إلى صنهاجة والنزول على غرناطة.

وأقبل المرتضى على أهل بلنسية ، وشاطبة ، وأظهر الجفاء لمنذر بن يحيى التجيبي ، ولخيران ، ولم يقبل عليهما ، فندما على ما كان منهما ، وسار حتى وصل إلى غرناطة ، فوصل إليها ، ونزل عليها ، وقاتلوها أياماً قتالاً شديداً ، فغلبهم أهل غرناطة ، وأميرهم زاوي بن زيري الصنهاجي ، وانهزم المرتضى وعسكره ، واتبعتهم صنهاجة يقتلون ويأسرون ، وقتل المرتضى في هذه الهزيمة وعمره أربعون سنة[2] ، وهو

=الله بن المهاجر التجيبي حكمت أسرته سرقسطة منذ القرن الثالث الهجري، وكانت وفاته سنة ٤١٠هـ، العذري، ترصيع الأخبار، ص٤٨.

١) البنت، ذكر الرشاطي أن بنّة من قرى بلنسية، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٢٨ ؛ أما ابن الخراط في اختصار اقتباس الأنوار فقال: البت (بالتاء الطويلة) ص١٠٩ ؛ وذكر الضبي أن بتة هي قرية من قرى بلنسية، بغية الملتمس، ص١٨٠ ؛ ينظر كذلك ابن سعيد، المغرب، ٣٥٧/٢ ؛ وفي ترجمة أبي جعفر أحمد بن عبد الولي نسبه ابن خاقان إلى البني أي نسبة إلى بنه، مطمح الأنفس، ص١٩٧ ؛ ونسبه ابن سعيد في رايات المبرزين إلى البتي، ص٢٣٥ ؛ كذلك ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٩٠/٥.

٢) ذكر ابن بسام نقلاً عن ابن حيان تفاصيل مهمة عن خروج المرتضى قال: (كان عبد الرحمن بن محمد من ولد الناصر لدين الله قد نصب خليفةً بشرقي الأندلس، وسمي المرتضى، فزحف بمن تألف معه من الموالي العامريين وغيرهم إلى غزو البرابرة المنتزين بقرطبة وأعمالها، وأميرها يومئذ القاسم بن حمود، وعقدوا مع المرتضى على غزو قرطبة، فخرجوا بجملتهم سنة تسع وأربعمائة، فعرجوا به في طريقهم إلى غرناطة ليبدأوا بحرب ذلك الفريق من صنهاجة لما ارتأوه من الغدر بسلطانهم، ...، فجاءوا معهم، في جملتهم منذر التجيبي وخيران الصقلبي وقطعة من خيل الإفرنجة. ولما حلوا غرناطة وأميرها يومئذ زاوي بن زيري بن مناد، ارتاعت صنهاجة واعصوصبوا بأميرهم زاوي كبش الحروب، فأحكم لهم التدبير، ...، فاقتتلوا أياماً إلى أن أنهزم الأندلسيون، وطاروا على وجوههم، مسلموهم وإفرنجهم، لا يلوي أحد على أحد، والخيل تطردهم في تلك المضايق، وصرع المرتضى في ضنك ذلك المأزق، ...، وأول من انهزم من ذلك العسكر منذر بن يحيى وخيران الصقلبي، وكان منذر قد أوقع في نفوس مدده من رجال الإفرنجة الذعر من غدر الموالي العامريين، فشغل بذلك بالهم. فلما انهزم لم يعرفوا السر، وأجفل منذر في أصحابه الثغريين، فمر بسليمان بن هود صاحبه وهو مثبت للإفرنجة لا يريم=

أصغر من أخيه هشام ، وسار أخوه هشام إلى البنت ، وأقام بها إلى أن خوطب بالخلافة ، ولم يزل علي بن حمود بعد هذه الهزيمة يقصد بلاد خيران والعامريين مرة بعد أخرى.

ذكر قتل علي بن حمود العلوي

فلما كان في ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة تجهز علي بن حمود للمسير إلى جيّان لقتال من بها من عسكر خيران ، فلما كان الثامن والعشرون منه برزت العساكر إلى ظاهر قرطبة بالبنود والطبول ووقفوا ينتظرون خروجه ، فدخل الحمام ومعه غلمانه ، فقتلوه ، فلما طال على الناس انتظاره بحثوا عن أمره ، فدخلوا عليه ، فرأوه مقتولاً ، فعاد العسكر إلى البلد[1].

وكان لقبه المتوكل على الله ، وقيل الناصر لدين الله[2] ، وكان أسمر ، أعين ،

=موقفه. فصاح به: النجاة يا ابن الفاعلة ، فلست أقف عليك؛ فقال له سليمان: جئت والله بها صلعاء ، وفضحت أهل الأندلس ثم انقلع وراءه ببقية عسكره ، وانقلع أيضاً خيران برجاله. وصبر الموالي العامريون قليلاً حول صاحبهم المرتضى ، على أحر من جمر الغضا ، وهو مع جبنه حسن الثبات ، حتى استحر القتل في أصحابه ، وصرع كثير منهم حوله ، فانكشفوا عنه ، وخاف أن يقبض عليه فولى ، فوضع عليه خيران عيوناً لئلا يخفى أثره ، فلحقوه بقرب وادي آش وقد أمن على نفسه ، فهجموا عليه وقتلوه ، وجاءوا برأسه إلى خيران ومنذر ، وقد لحقا بالمرية ،... ، ففقد المرتضى على هذه السبيل ، ونجا من تلك الملحمة أخوه أبو بكر ابن هشام ، ولحق بالموالي العامريين فزهدوا فيه ، فاستقر عند ابن القاسم صاحب حصن البونت ، وكان شيعة المروانية على سوء ما أسلفوه في سلفه ، فأجاره وضيفه ، ولم يزل مقيماً عنده إلى أن كان من تقديمه للخلافة ما كان.قال ابن حيان: فحل بهذه الوقعة على جماعة من الأندلس مصيبة سوداء أنست ما قبلها ، ولم يجتمع لهم على البربر جمع بعد ، وأقروا بالإدبار ، وباءوا بالصغار.) الذخيرة ، ٤٥٣/١- ٤٥٥؛ ينظر أيضاً: ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٥٨/٢ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٢٤- ٢٥؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٢٥/٣- ١٣٠؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٢٤/٢- ١٢٥؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٨٤/١- ٤٨٦.

١) ينظر خبر مقتله: الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٢٢/٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٢٣/٢؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٤٣ وروايته مطابقة لرواية ابن الأثير أعلاه.

٢) قال ابن عذاري: كان يلقب بالناصر لدين الله ، البيان المغرب ، ١٢٢/٣.

أكحل ، خفيف الجسم ، طويل القامة ، حازماً ، عازماً ، عادلاً ، حسن السيرة ، وكان قد عزم على أن يعيد إلى أهل قرطبة أموالهم التي أخذها البربر ، فلم تطل أيامه ، وكان يحب المدح ، ويجزر العطاء عليه[١].

ثم ولي بعده أخوه القاسم ، وهو أكبر من علي بعدة أعوام[٢] ، وكان عمر علي ثمانياً وأربعين سنة ؛ بنوه يحيى ، وإدريس ، وأمّه قرشية[٣] ، وكنيته أبو الحسن ، وكانت ولايته سنة وتسعة أشهر[٤].

ذكر ولاية القاسم بن حمود العلوي بقرطبة

قد ذكرنا قتل أخيه علي بن حمود سنة سبع وأربعمائة ، فلما قتل بايع الناس أخاه القاسم ، ولقب المأمون ، فلما ولي ، واستقر ملكه ، كاتب العامريين واستمالهم ، وأقطع زهيراً جيّان ، وقلعة رباح ، وبياسة[٥] ، وكاتب خيران واستعطفه ، فلجأ إليه واجتمع به ،

---

١) قال ابن عذاري: كان (أسمر أعين تتسد عينه الواحدة المرة بعد المرة وكان أنحل نحيف الجسم طويل القامة حاد الذهن عازماً حازماً)البيان المغرب، ١٢٠/٣ ؛ ذكر مؤلف مجهول صفته قائلاً: (أسمر،أعين، أكحل، أقنى، نحيف الجسم، تام القامة، داهية شرس الأخلاق، عدل في أحكامه ورعيته، محمود المذهب)تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٤٣.

٢) ذكر الحميدي أن القاسم أسن من أخيه عليّ بعشرة أعوام، جذوة المقتبس، ص٢٥ ؛ فيما قال ابن عذاري: إن القاسم أكبر من أخيه عليّ بأربعة أعوام، البيان المغرب، ١٢٠/٣.

٣) أمّه اسمها البيضاء وهي قرشية حرة وتلقب بالعلوية ، وهي من المعرقات بالخلافة لأن اثنين من ولدها سُلم عليهم بالخلافة وهما علي والقاسم، ينظر ترجمتها: الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص٨٥.

٤) قال الحميدي: كانت مدته عامين غير شهرين، جذوة المقتبس، ص٢٥.

٥) بياسة قال الحميري: هي مدينة (بالأندلس أيضاً ، بينها وبين جَيّان عشرون ميلاً ، وكل واحدة منهما تظهر من الأخرى. وبياسة على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات، ومستغلات الزعفران بها كثيرة. وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ملك الروم بياسة يوم عرفة من ذي حجتها ،) ص٥٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٨/٢- ٥٦٩ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، (تحقيق بوباية)ص٩١.

ثم عاد عنه إلى المرية. وبقي القاسم مالكاً لقرطبة وغيرها إلى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة[1].

وكان وادعاً ، ليناً ، يحب العافية ، فأمن الناس معه ، وكان يتشيع إلا أنه لم يظهر شيئاً من ذلك[2] ، فسار عن قرطبة إلى إشبيلية ، فخالفه يحيى ابن أخيه فيها.

ذكر دولة يحيى بن علي بن حمود
وما كان منه ومن عمّه

لما سار القاسم بن حمود عن قرطبة إلى إشبيلية سار ابن أخيه يحيى بن علي من مالقة إلى قرطبة ، فدخلها بغير مانع ، فلما تمكن بقرطبة دعا الناس إلى بيعته ، فأجابوه ، فكانت البيعة مستهل جمادى الأولى من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، ولقب بالمعتلي ، وبقي بقرطبة يدعى له بالخلافة ، وعمّه القاسم بإشبيلية يدعى له بالخلافة إلى ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. فسار يحيى عن قرطبة إلى مالقة[3].

---

١) تميز ابن الأثير بذكر هذه الرواية ، فلم تشر المصادر الأندلسية التي بين أيدينا إلى أن القاسم بن حمود تقرب إلى العامرين وأعطاهم الولايات ، فقد أشارت إلى أنه (لما بويع القاسم بن حمود بعد ست ليالٍ من مقتل أخيه أحسن تلقي الناس وأجمل مواعيدهم وأخرج النداء في أقطار البلد بأمان الأحمر والأسود وبراءة الذمة ممن تسور على أحد ، وأقرّ الثلاثة الذين فتكوا بأخيه بجريمتهم ونفوا عن جميع الناس المواطأة والتدليس فقتلهم... ، وأقر القاضي والحكام والخدمة على منازلهم ، وزاد كلف القاسم بإتخاذ السودان وقوّدهم على أعماله إلى أن ضعف أمره وتسلطت البرابرة عليه حتى احتقروه...)البيان المغرب ، ١٣٠/٣ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٢٥- ٢٦ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٣٣- ٣٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٢٣/٢- ١٢٤ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٤٤.

٢) قال الحميدي: كان يُذكر عنه أنه يتشيع ، ولكنه لم يظهر ذلك ، ولا غير للناس عادة ولا مذهباً ، جذوة المقتبس ، ص٢٥ ؛ ينظر أيضاً: المراكشي ، المعجب ، ص٤٦.

٣) قال ابن عسكر وابن خميس: إن علي بن حمود لقبَ (بالمعتلي. خاطبه البربر عند فرار عمّه القاسم من قرطبة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. فوصل إلى قرطبة غرة جمادى الأولى يوم الاثنين من عام اثني عشر. ثم إنه خرج في عام أربعة عشر على الجزيرة الخضراء فدخلها غدوة. ولما دخل قرطبة أساء إلى البربر. وخرج منها إلى مالقة.... ، وكان أشجع بني حمود وأكرمهم وأجملهم. ثم إن أهل قرطبة تخاذلوا عليه. فأطلق النار في القصر. فاشتعلت فيه ثلاثة أيام. ولم يعد بعد لما كان. وانصرف إلى مالقة...) مطلع الأنوار ، ص٣٦١ ؛ ينظر أيضاً: ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٢٠١/٢ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٢٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٣٢/٣- ١٣٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٢٦/٢- ١٢٧.

ووصل الخبر إلى عمّه ، فركب وجدّ في السير ليلاً ونهاراً إلى أن وصل إلى قرطبة فدخلها ثامن عشر ذي القعدة سنة ثلاثة عشرة ، وكان ، مدة مُقامه بإشبيلية ، قد استمال العساكر من البربر وقوي بهم ، وبقي القاسم بقرطبة شهوراً[1] ، ثم اضطرب أمره بها ، وسار ابن أخيه يحيى بن علي إلى الجزيرة الخضراء ، وغلب عليها ، وبها أهل عمّه وماله ، وغلب أخوه إدريس بن علي ، صاحب سبتة ، على طنجة ، وهي كانت عدة القاسم التي يلجأ إليها إن رأى ما يخاف بالأندلس ، فلما ملك ابنا أخيه بلاده طمع فيه الناس ، وتسلط البربر على قرطبة فأخذوا أموالهم ، فاجتمع أهلها وبرزوا إلى قتاله عاشر جمادى الأولى سنة أربع عشرة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم سكنت الحرب ، وأمن بعضهم بعضاً إلى منتصف جمادى الأولى من السنة ، والقاسم بالقصر يظهر التودد لأهل قرطبة ، وأنه معهم ، وباطنه مع البربر.

فلما كان يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة صلى الناس الجمعة ، فلما فرغوا تنادوا: السلاح! السلاح! فاجتمعوا ولبسوا السلاح ، وحفظوا البلد ودخلوا قصر الإمارة ، فخرج عنها القاسم ، واجتمع معه البربر ، وقاتلوا أهل البلد وضيقوا عليهم ، وكانوا أكثر من أهله ، فبقوا كذلك نيفاً وخمسين يوماً والقتال متصل ، فخاف أهل قرطبة ، وسألوا البربر في أن يفتحوا لهم الطريق ويؤمنوهم على أنفسهم وأهليهم ، فأبوا إلا أن يقتلوهم ، فصبروا حينئذ على القتال ، وخرجوا من البلد ثاني عشر شعبان ، وقاتلوهم قتال مستقتل ، فنصرهم الله على البربر ، {وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ}[2] ، وانهزم البربر هزيمة عظيمة ، ولحق كل طائفة منهم ببلد فاستولوا عليه.

وأما القاسم بن حمود فإنه سار إلى إشبيلية ، وكتب إلى أهلها في إخلاء ألف دار

---

١) قال ابن عذاري: (دخل قرطبة في دولته الثانية يوم الثلاثاء لاثني عشر ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ثلاث عشر المذكورة، وسبب ذلك أن يحيى ابن أخيه خرج منها إلى مالقة فطرق عمّه القاسم من إشبيلية إلى قرطبة وجددت له البيعة بها فبقي بها يتسمى بأمير المؤمنين ولم يزل القاسم مالكاً قرطبة سبعة أشهر وأياماً إلى أن خلعه أهل قرطبة باجماع منهم...) البيان المغرب، ١٣٣/٣- ١٣٤.

٢) جزء من الآية ٦٠ من سورة الحج قوله تعالى: (ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) (٦٠)

ليسكنها البربر ، فعظم ذلك عليهم ، وكان بها(ابناه محمد والحسن)[1] ، فثار بهما أهلها ، فأخرجوهما عنهم ومن معهما ، وضبطوا البلد ، وقدموا على أنفسهم ثلاثة من شيوخهم وكبرائهم وهم: القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، ومحمد بن يريم الإلهاني[2] ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي[3] ، وكانوا يدبرون أمر البلد والناس.

ثم اجتمع ابن يريم والزبيدي ، وسألوا ابن عباد أن ينفرد بتدبير أمورهم ، فامتنع وألحوا عليه ،فلما خاف على البلد بامتناعه أجابهم إلى ذلك ،وانفرد بالتدبير وحفظ البلد.

فلما رأى القاسم ذلك سار في تلك البلاد ، ثم إنه نزل بشريش[4] ، فزحف إليه يحيى ابن أخيه علي ، ومعه جمع من البربر ، فحصروه ثم أخذوه أسيراً ، فحبسه يحيى ، فبقي في حبسه إلى أن توفي يحيى ، وملك أخوه إدريس ، فلما ملك قتله ، وقيل: بل مات حتف أنفه ، وحمل إلى ابنه محمد ، وهو بالجزيرة الخضراء ، فدفنه.

وكانت مدة ولاية القاسم بقرطبة مذ تسمى بالخلافة إلى أن أسره ابن أخيه ، ستة أعوام ، وبقي محبوساً ست عشرة سنة إلى أن قتل سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكان له ثمانون سنة ، وله من الولد محمد والحسن ، أمّهما أميرة بنت الحسن[5] بن القاسم المعروف بقتون بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس ابن

---

١) في الأصل(ابنا محمد والحسن)والتصحيح من الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥.

٢) أسماه ابن خلدون محمد بن برمخ الالهاني وهو من وجوه أهل قرطبة الذين كانوا محل مشاورة محمد بن عباد، تاريخ، ٢٠١/٤.

٣) هو أبو الوليد محمد بن محمد بن الحسن الزبيدي قال الحميدي: أحد من تقدم لضبط إشبيلية مع ابن عباد ثم خرج عنها ورحل إلى القيروان، ثم استوطن المرية وولي القضاء بها، قال: شاهدته بعد الأربعين والأربعمائة، وكان من أهل الأدب سمع مختصر كتاب العين من أبيه، جذوة المقتبس، ص٣٥ ؛ ينظر أيضاً: الضبي، بغية الملتمس، ص٤٦- ٤٧.

٤) شريش، قال الإدريسي: (...من مدينة إشبيلية إلى شريش مرحلتان كبيرتان جداً ومدينة شريش مدينة متوسطة حصينة مسورة الجنبات حسنة الجهات وقد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين والحنطة بها ممكنة وأسعارها موافقة)نزهة المشتاق، ٥٧٢/٢- ٥٧٣ ؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٢ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥ وقال: إنها قاعدة كورة شذونة؛ الحميري، صفة، ص١٠٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١١٦ ؛ أرسلان، الحلل، ١٣٣/١-١٣٤.

٥) وهي عربية قرشية هاشمية تزوجها القاسم بن حمود الحسني فولدت له محمد والحسن، ينظر=

إدريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عليه السلام[1]، وكان أسمر، أعين، أكحل، مصفر اللون، طويلاً، خفيف العارضين[2].

=ترجمتها: الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص٦٨- ٦٩.

١) ذكر الحميدي خبر ولاية القاسم بن حمود ومقتله ببعض الإختلاف عمّا ذكره ابن الأثير، قال: لما (قام عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود بمالقة، فهرب القاسم عن قرطبة بلا قتال، وصار بإشبيلية، وزحف ابن أخيه المذكور من مالقه بالعساكر، فدخل دون مانع، وتسمى بالخلافة، وتلقب بالمعتلى، فبقي كذلك إلى أن اجتمع للقاسم أمره، واستمال البربر، وزحف بهم إلى قرطبة، فدخلها في سنة ثلاث عشرة وأربع مائة، وهرب يحيى بن علي إلى مالقة فبقى القاسم بقرطبة شهوراً اضطرب أمره، وغلب ابن أخيه يحيى على الجزيرة المعروفة بالجزيرة الخضراء، وهي كانت معقل القاسم وبها كانت امرأته وذخائره، وغلب ابن أخيه الثاني إدريس بن علي صاحب سبتة على طنجة، وهي كانت عدة القاسم ليلجأ إليها إن رأى ما يخاف بالأندلس، وقام عليه جماعة أهل قرطبة في المدينة، وأغلقوا أبوابها دونه، فحاصرهم نيفاً وخمسين يوماً، وأقام الجمعة في مسجد ابن أبي عثمان، ثم إن أهل قرطبة زحفوا إلى البربر، فانهزم البربر عن القاسم، وخرجوا من الأرباض كلها في شعبان سنة أربع عشرة وأربع مائة، ولحقت كل طائفة من البربر ببلد غلبت عليه، وقصد القاسم إشبيلية، وبها كان ابناه محمد والحسن، فلما عرف أهل إشبيلية خروجه عن قرطبة، ومجيئه إليهم، طردوا بنيه ومن كان معهما من البربر، وضبطوا البلد، وقدموا على أنفسهم ثلاثة رجال من شيوخ البلد وأكابرهم، وهم القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، ومحمد بن يريم الإلهاني، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي، ومكثوا كذلك أياماً مشتركين في سياسة البلد وتدبيره، ثم انفرد القاضي أبو القاسم بن عباد بالأمر، واستبد بالتدبير، وصار الآخران في جملة الناس، ولحق القاسم بشريش، واجتمع البربر على تقديم ابن أخيه يحيى، وزحفوا إلى القاسم فحصروه حتى صار في قبضة ابن أخيه يحيى، وانفرد ابن أخيه يحيى بولاية البربر، وبقى القاسم أسيراً عنده وعند أخيه إدريس بعده، إلى أن مات إدريس، فقتل القاسم خنقاً سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة، وحمل إلى ابنه محمد ابن القاسم بالجزيرة، فدفنه هنالك، فكانت ولاية القاسم مذ تسمى بالخلافة بقرطبة، إلى أن أسره ابن أخيه ستة أعوام، ثم كان مقبوضاً عليه ست عشرة سنة عند ابني أخيه إلى أن قتل كما ذكرنا في أول سنة إحدى وثلاثين، ومات وله ثمانون سنة، وله من الولد محمد والحسن، أمهما أميرة بنت الحسن بن قنون بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب)جذوة المقتبس، ص٢٥- ٢٦؛ ينظر أيضاً: ابن بسام، الذخيرة، ٤٨١/١- ٤٨٤؛ المراكشي، المعجب، ص٤٦- ٤٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣١/٣- ١٣٥؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٣٢/٢٣- ٤٣٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢٣/٢- ١٢٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٩٧/٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٤٤- ٢٤٥؛ المقري، نفح الطيب، ٤٣١/١- ٤٣٢.

٢) ينظر صفته: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٥/٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٤٤.

ذكر عود بني أمية إلى قرطبة وولاية المستظهر[١]

لما انهزم البربر والقاسم بن علي من أهل قرطبة ، على ما ذكرناه ، اتفق رأي أهل قرطبة على رد بني أمية ، فاختاروا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي[٢] ، فبايعوه بالخلافة ثالث عشر رمضان من سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة ، وتلقب بالمستظهر بالله ، فكانت ولايته شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً وقتل.

وكان سبب قتله أنه أخذ جماعة من أعيان قرطبة فسجنهم لميلهم إلى سليمان ابن المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وأخذ أموالهم ، فسعوا عليه من السجن ، وألبوا الناس ، فأجابهم صاحب الشرطة وغيره ، واجتمعوا وقصدوا السجن فأخرجوا من فيه.

وكان ممن وافقهم على ذلك أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الأموي في جماعة كثيرة ، فظفروا بالمستظهر ، فقتلوه في ذي القعدة[٣] ، ولم يعقب ، وكنيته

---

١) المستظهر بالله أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر أخو المهدي، ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٥٠/٢ ؛ وذكر ابن الخطيب أنه لقب بالظافر بالله، أعمال الأعلام، ١٢٩/٢.

٢) عن كيفية وصول المستظهر إلى الخلافة يحكي ابن حيان ذلك وكان شاهد عيان فيها وقد حضرها، قال: (وكنت في من حضر المقصورة يومئذٍ، فكان أول من وافى منهم سليمان بن المرتضى، جاء مع عبد الله بن مخامس الوزير في أبهةٍ وشارة دلت على المراد فيه، فدخل من باب الوزراء الغربي والسرور بادٍ عليه، فاستقبله أصحابه وقدموه إلى بهو الساباط، فأجلس هنالك على مرتبةٍ لا تصلح لأحد سواه، وهو بهج جذلان، لا يشك في تمام الأمر له، وأصحابه يرتقبون مجيء ابني عمه المذكورين... فبينما نحن على ذلك، والقلق على القوم باد، إذ غشيتنا ضجة وزعقة هائلة ارتج لها الجامع واضطرب لها من بالمقصورة، فإذا عبد الرحمن بن هشام قد وافى شرقي الجامع، في خلقٍ رجالهما، شاهرين سيفيهما أمامه، لهيجن باسمه، فراع الوزراء ذلك وألقوا للوقت بأيديهم وخذلتهم حيلهم، ودخل المقصورة عبد الرحمن فبويع لوقته، واستدعي سليمان بن المرتضى وجيء به مبهوتاً فقبل يده وهنأه، فأجلسه إلى جنبه، ثم وافى محمد بن العراقي أيضاً فقبل يده وبايعه، ثم عقدت له البيعة، وذلك اليوم الرابع من شهر رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة) الذخيرة، ٤٩/١-٥٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢٠١/٢ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٧ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٦/٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ٦٦٤.

٣) هناك بعض التفاصيل عن سبب مقتله فضلاً عما ذكره ابن الأثير، منها أنه (مما حرك الناس عليه استهدافه إلى أهل بيته من ولد الناصر، ومبادرته لحبس سليمان بن المرتضى وابن العراقي المذكورين، وتجاوزهما إلى نفر غيرهما، اعتقل بعضاً وطلب بعضاً، حتى شملهم الخوف، فبعث=

أبو المطرف ، وأمّه أم ولد ، وكان أبيض أشقر ، أعين ، شثن الكفين ، رحب الصدر ، وكان أديباً ، خطيباً ، بليغاً ، رقيق الطبع ، له شعر جيد[1] ، وكان وزيره أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم[2] ،

=الله عليه من جرأة صاحبه بكر بن محمد بن المشاط الرعيني أدنته من حمامه، وسعى إلى أن وثب عليه محمد بن عبد الرحمن المستكفي، وأحس المستظهر بشيء من ذلك فطلبه، فأعجزه، ولم يزل السعي عليه حتى قتل...وكان ورد عليه قبل إطلاقه بيومين فوارس من البربر، فكرم مثواهم وأنزلهم معه في دار الملك، فاهتاج لذلك الدائرة وقالوا للعامة: نحن الذين قهرنا البرابرة وطردناهم عن قرطبة، وهذا الرجل يسعى في ردهم إلينا، وتمكينهم من نواصينا؛ فهاجوا العامة، فوثبوا عليه بالقصر، وقتل البرابرة حيث وجدوا. ولم يشعر عبد الرحمن إلا والرجالة قد انتشروا على سقف القصر، وسمع المسجونون عنده هتاف الناس فاستغاثوهم، فدقوا الأغلاق دونهم، واختلط بالحرم، فعلم عبد الرحمن أنه مقتول. وأحيط به من كل جهة، فاستغاث الوزراء: ابن جهور ولمته، فلم يجدوا له مناصاً ولا خلاصاً، ولا يصدقون بنجاة أنفسهم وقد ضهلوا عنه بالحيلة في تخليصهم، فأشار عليهم الدائرة الفسقة بتركه، والذهاب عنه، فجعل الوزراء يتسللون عنه واحداً بعد واحد إلى أن أفردوه. فنجا عامة من تعجل القرار من الوزراء وأهل الخدمة على باب الحمام من القصر فاهتدى إليه الدائرة، وأحلوا بمن خرج منه الفاقرة... وافتقد عبد الرحمن المستظهر فوجدوه في ابزن الحمام قد انطوى انطواء الحية في مكان حرجٍ، فأخرج في قميص مسود بحالٍ قبيحة؛ وجيء به إلى محمد بن عبد الرحمن المستكفي وقد بويع يوم السبت الثالث من ذي قعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة، فبطش به بعض الرجالة القائمين على رأسه، فتهلل وجه ابن عمّه القائم عليه، وأخذ في تدبير سلطانه. فكانت إمارة المستظهر. إلى أن قتل ـ سبعة وأربعين يوماً، لم تنتشر له فيها طاعة، ولا التأمت عليه جماعة، ولا تجاوزت دعوته قرطبة. وكان سنه يوم قتل ثلاثاً وعشرين سنة)ابن بسام، الذخيرة، ٤٨/١ـ٥٥؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٧/٣ـ١٣٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٢٩/٢ـ١٣٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٤٥ـ٢٤٦ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٨٨/١ - ٤٨٩.

١) قال عنه ابن حزم: (كان في غاية الأدب والبلاغة والفهم ورقة النفس)، رسائل ابن حزم، ٢٠١/٢؛ ووصفه ابن بسام عن ابن حيان بقوله: (كان عبد الرحمن هذا لبقاً ذكياً، وأديباً لوذعياً؛ لم يكن في بيته يومئذ أبرع منه منزلة)الذخيرة، ٤٨/١ ؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٧ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٦ ؛ المراكشي، المعجب، ص٤٩؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٣/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٣٠/٢.

٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي كان جده يزيد أول من أسلم من أجداده، وجده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه، ولد بقرطبة سنة٣٨٤هـ، وزر أبوه للمنصور بن أبي عامر وابنه المظفر عبد الملك، ووزر ابنه أبو محمد علي للخليفة المستظهر، ولما قتل المستظهر ألقي في السجن مدة، ثم وزر ثانية للخليفة هشام المعتد آخر خلفاء بني أمية في الأندلس، بعدها اعتزل السياسة واتجه نحو طلب=

وكان سليمان بن المرتضى قد مات قبل قتله بعشرة أيام[1].

ذكر ولاية محمد بن عبد الرحمن[2]

لما قتل المستظهر بايع الناس بقرطبة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر، وكنيته أبو عبد الرحمن الأموي، في ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة، وخطبوا له بالخلافة، ولقبوه المستكفي بالله[3]، وكان همّه لا يعدو فرجه وبطنه،

=العلم فنال شهرة واسعة، وكانت وفاته بلبلة سنة ٤٥٦هـ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٧٧- ٢٧٩ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٨٦- ٣٨٨ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٣٢٥- ٣٣٠ ؛ الذهبي، سير، ١٣/٣٧٣- ٣٨٨.

١) قال ابن حزم: (ثلاثة ترشحوا للخلافة، ماتوا في أربعين يوماً: عبد الرحمن المستظهر وسليمان بن المرتضى ومحمد بن عبد الرحمن المعروف بالعراقي بن هشام بن سليمان بن الناصر، قتل المستظهر يوم السبت لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة، ومات سليمان بن المرتضى بعده بعشرة أيام حتف أنفه، وقتل العراقي بعده خنقاً لثلاث عشرة ليلة خلت لذي الحجة)رسائل ابن حزم، ٢/٧٣.

٢) قال ابن حزم من باب المقارنة والاتفاق بين المستكفي العباسي والمستكفي الأندلسي: (المستكفي: أبو القاسم عبد الله بن المتقي، ثم أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر المرواني - وكانا رذلي قومهما، ومن العجب اتفاقهما في الأخلاق الرذلة، وفي غلبة من لا خير فيه من النساء عليهما، وفي كمية العمر: كلاهما عاش اثنتين وخمسين سنة، وفي مدة ولايتهما: فإن كل واحد منهما ملك سنة واحدة وخمسة أشهر، وفي أن كل واحد منهما متغلب عليه، وفي أن كل واحد منهما خلع، وفي أن كل واحد منهما تركه أبوه صغيراً) رسائل ابن حزم، ٢/٤٧ ؛ وذكر ابن بسام عن ابن حيان (... فتسمى بالمستكفي بالله، اسماً ذكر له فاختاره لنفسه، وحكم به سوء الاتفاق عليه، لمشاكلته لعبد الله المستكفي العباسي، أول من تسمى به، في أفنه ووهنه وتخلفه وضعفه، بل كان هذا زائداً عليه في ذلك، مقصراً عن خلال ملوكية كانت في المستكفي سميه، لم يحسنها محمد هذا لفرط تخلفه، على اشتباههما في سائر ذلك كله: من توثبهما في الفتنة، واستظهارهما بالفسقة، واعتداء كل واحد منهما على ابن عمّ ذي رحم ماسة، وتوسط كل واحد منهما في شأنه بامرأة خبيثة، فلذلك حسناء الشيرازية، ولهذا بنت سكرى المورورية فأصبحا في ذلك على فرط التنائي عبرة)الذخيرة، ١/٤٣٣- ٤٣٥؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٥٤- ٥٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٤١ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٣٠- ١٣١.

٣) قال ابن عذاري: كان يلقب بالخويفية، ولقب أيضاً بأبي زكيرة، البيان المغرب، ٣/١٤٢ ؛ وقال مؤلف مجهول: يلقب بالخريبية، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)ص٢٤٧ وقال محقق الكتاب إن ذلك اللقب لعله ينطبق على ما وصفه به المؤرخون من أن في أيامه استؤصلت قصور جده الناصر=

وليس له همّ ولا فكر في سواهما ، وبقي بها ستة عشر شهراً وأياماً ، وثار عليه أهل قرطبة في ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة[1] ، فخلعوه وخرج عن قرطبة ومعه جماعة من أصحابه ، حتى صار إلى أعمال مدينة سالم ، فضجر منه بعض أصحابه ، فشوى له دجاجة ، وعمل فيها شيئاً من البيش[2] ، فأكلها فمات في ربيع الآخر من هذه السنة[3].

وكان في غاية التخلف ، وله أخبار يقبح ذكرها[4] ، وكان ربعةً ، أشقر ، أزرق ،

=وطمست أعلام الزاهرة، ص٢٤٧ هامش(٤).

١) قال ابن بسام عن ابن حيان: إنه في سنة ٤١٦هـ اتصل بأهل قرطبة تحرك يحيى بن علي بن حمود إليهم من مالقة فدخلوا عليه وأغلظوا عليه الكلام، وقالوا له اضطررنا إلى مكافحة عدونا ونحن خارجون إليه فاخرج معنا ، فأجمل الرد عليهم، وخرج فاراً بنفسه، الذخيرة، ٤٣٦/١ ؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٣١/٢ ؛ وذكر أنه لما اجتمع (الناس على خلعه، وعلم ذلك منهم فجرى في حل ما عقدوه، وتكفل لهم بما أملوه حتى ردهم عن مرادهم وتركهم قليلاً، ثم دعاهم إلى طعام، وأحضر الرجال بالسلاح، وأراد قتل أشياخهم، فلما قعدوا بين يديه، واحتفل المجلس قال لهم وعليه ثياب فتوحية، وقد تسوك واكتحل وارتدى، وهو كالمازح: يا أهل قرطبة لما تكرهون السلطان، وتبادرون بالعصيان ، وتعصون ولا تطيعون، وتسعون في الفتنة ولا تستحيون من الله ولا من خليفتكم، ...، فأنتم ما تستحقون إلا السيف السيف، ولوح بيده كالضارب بالسيف ويده مخضوبة بالحناء، فبادره أحد السفال من العامة، فقال له: يا ولي العهد نفعل ذلك لأنكم تجورون ولا تعدلون، وتفسدون ولا تصلحون، وتغدرون ولا توفون فما لكم إلا النيك النيك، وذلك لأجل التأنيث الذي في لسانه، فاختفى في الناس، وقام أهل قرطبة مغضبين وانقمع المستكفي...)مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٤٨.

٢) البيش وهو السم، الجوهري، الصحاح، ٩٩٦/٣ (مادة بيش).

٣) ينظر الخبر أعلاه: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢٠٢/٢- ٢٠٣ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٨ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٦- ٣٧ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٥٤/١- ٥٥ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٣٠/٢- ١٣١ ؛ وأضاف ابن عذاري إلى ذلك بقوله (... ثم إنه عزم على الهروب فخرج على وجهه ولبس ثياب الغانيات متنقباً بين امرأتين لم يميّز منهنّ وخرج من قرطبة ومات بأقليج من الثغر بعد سبعة وعشرين يوماً من خلعه مقتولاً وقيل مسموماً...) البيان المغرب، ١٤٢/٣.

٤) أوغل ابن بسام عن ابن حيان في ذمّه بقوله (... أنه لم يجلس في الإمارة مدة تلك الفتنة أسقط منه ولا أنقض، إذ لم يزل معروفاً بالتخلف والركاكة، مشتهراً بالشرب والبطالة، سقيم السر والعلانية، أسير الشهوة، عاهر الخلوة، ضداً لقتيله عبد الرحمن المستظهر في اللب والمعرفة. وكان افتتح هذه السنة المؤرخة القاسم بن حمود بخلافته، واختتمها هذا المستكفي المذكور.=

مدور الوجه ، ضخم الجسم ، وكان عمره نحو خمسين سنة[1]. ولما توفي أعاد أهل قرطبة دعوة المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود العلوي بها.

ذكر عود يحيى العلوي إلى قرطبة وقتله

لما مات أبو عبد الرحمن الأموي ، وصح عند أهل قرطبة خبر موته ، سعى معهم بعض أهلها ليحيى بن علي بن حمود العلوي ليعيدوه إلى الخلافة ، وكان بمالقة يخطب لنفسه بالخلافة ، فكتبوا إليه وخاطبوه بالخلافة ، وخطبوا له في رمضان سنة ست عشرة وأربعمائة ، فأجابهم إلى ذلك ، وأرسل إليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني والياً عليهم ، ولم يحضر هو باختياره ، فبقي عبد الرحمن فيها إلى محرم سنة سبع عشرة[2] ، فسار إليه مجاهد وخيران العامريان ، في ربيع الأول منها ، في جيش كثير ، فلما قاربوا قرطبة ثار أهلها بعبد الرحمن فأخرجوه ، وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة ، ونجا الباقون.

=وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر القتيل، فتصرمت تلك السنة النكدة عن ثلاثة خلفاء، وهذا من غريب الأنباء، ولله البقاء السرمدي. وقلد هذا المستكفي الأمر ولم يكن من أهله، فتلقى جميع الناس بالإيناس، واستمالهم بالأهوية، ورأى أن المال عزيز، فظن البشر الرخيص يقوم مقامه أو ينوب منابه، فكان يقول للناس أجمعين: ارتعوا كيف شئتم، وتسموا بما أحببتم من الخطط...)الذخيرة، ٤٣٤/١- ٤٣٥.

١) قيل عن صفته: إنه كان ربعة أشقر أزرق أشم مدور الوجه واللحية ضخم الوجه والجسم كبير البطن صاحب أكل وشرب وجماع، ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٢/٣ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٤٧.

٢) الرواية الأندلسية فيها شيء من الاختلاف عن رواية ابن الأثير، قال ابن حزم (... سعى قوم من المفسدين في رد دعوته إلى قرطبة في سنة ست عشرة فتم لهم ذلك، إلا أنه تأخر عن دخولها باختياره، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطاف اليفرني، فبقي الأمر كذلك إلى سنة سبع عشرة، ثم قُطعت دعوته عن قرطبة...)رسائل ابن حزم، ٢٠١/٢ ؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٦ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٣٤/٢٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٣٢/١؛ وينظر التفاصيل عن بني يفرن: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص١٥٢- ١٥٣.

وأقام خيران ومجاهد بها نحو شهر ، ثم اختلفا ، فخاف كل واحد منهما صاحبه ، فعاد خيران عن قرطبة لسبع بقين من ربيع الآخر من السنة إلى المرية ، وبقي بها إلى سنة ثماني عشرة وتوفي ، وقيل سنة تسع عشرة ، وصارت المرية بعده لصاحبه زهير العامري ، فخالف حبوس بن ماكسن الصنهاجي البربري[1] وأخوه على طاعة يحيى بن علي العلوي ، وبقي مجاهد مدةً ثم سار إلى دانية ، وقطعت خطبة يحيى منها ، وأعيدت خطبة الأمويين ، على ما نذكره فيما بعد إن شاء الله ، وبقي يتردد عليها بالعساكر ، واتفق البربر على طاعته ، وسلموا إليه ما بأيديهم من الحصون والمدن ، فقوي وعظم شأنه وبقي كذلك مدة.

ثم سار إلى قرمونة فأقام بها محاصراً لإشبيلية طامعاً في أخذها ، فأتاه الخبر يوماً أن خيلاً لأهل إشبيلية قد أخرجها القاضي أبو القاسم بن عباد إلى نواحي قرمونة ، فركب إليهم ولقيهم وقد كمنوا له ، فلم يكن بأسرع من أن قتل ، وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة[2] ، وخلف من الولد الحسن وإدريس لأمّي ولد ، وكان

---

١) هو حبوس بن ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي أحد أمراء بني زيري في غرناطة للمدة من٤١٤ هـ – ٤٢٩هـ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢١٠/٢.

٢) خبر خلافة يحيى بن علي بن حمود المعتلي الثانية وردت عند ابن الأثير أكثر تفصيلاً، وذكر الرواية ابن عذاري بشيء من الاختصار قال: كان يحيى بن علي بعد خلع المستكفي بمالقة، فسار إلى قرطبة فدخلها في رمضان من سنة ٤١٦هـ ، ثم خرج منها في محرم من سنة ٤١٧هـ إلى مالقة وترك بها وزيره أبو جعفر أحمد بن موسى إلى أن أتى مجاهد وخيران العامريان من قبل حبوس بن ماكس، وعندما علم أهل قرطبة بذلك ثاروا بالبربر فقتلوهم، ودخل خيران ومجاهد قرطبة ولحق الوزير أحمد بن موسى بمالقة، وكان عمّه القاسم بن حمود بشريش فزحف إليه وحاصره وأخذه أسيراً إلى أن قتله خنقاً، وصارت شريش ومالقة وسبتة في طاعته، ثم طمع في ملك إشبيلية فزحف إلى قرمونة مضيقاً على إسماعيل بن عباد، فوجه إليه ابن عباد جيشاً فطرقوه ليلاً، وكان صاحب شراب، فلما أحس بهم بادر بالخروج إليهم فتفرق أصابه وقتل وذلك سنة ٤٢٧هـ، البيان المغرب، ١٤٣/٣- ١٤٤؛ ينظر أيضاً: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢٠١/٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٣٤/٢٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٣١/٢- ١٣٢؛ المقري، نفح الطيب، ٤٣٢/١ وجعل مقتله سنة٤٢٩هـ.

أسمر ، أعين ، أكحل ، طويل الظهر ، قصير الساقين[١] ، وقوراً ، هيناً ، ليناً ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ، وأمّه بربرية[٢].

ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه

وغيرهم وقتل ابن عمار

نذكر ها هنا ما كان من أخبار أولاده ، وأولاد أخيه ، وغيرهم من العلويين ، متتابعاً ، لئلا ينقطع الكلام ، وليأخذ بعضه ببعض.

لما قتل يحيى بن علي رجع أبو جعفر أحمد بن أبي موسى المعروف بابن بقية[٣] ، ونجا الخادم الصقلبي ، وهما مدبرا دولة العلويين ، فأتيا مالقة ، وهي دار مملكتهم ، فخاطبا أخاه إدريس بن علي ، وكان له سبتة وطنجة ، وطلباه فأتى إلى مالقة ، وبايعاه بالخلافة على أن يجعل حسن بن يحيى المقتول مكانه بسبتة ، فأجابهما إلى ذلك ، فبايعاه ، وسار حسن بن يحيى ونجا إلى سبتة وطنجة ، وتلقب إدريس بالمتأيد بالله ، فبقي كذلك إلى سنة ثلاثين ، أو إحدى وثلاثين وأربعمائة.

فسيّر القاضي أبو القاسم بن عباد[٤] ولده إسماعيل في عسكر ليتغلب على تلك البلاد ، فأخذ قرمونة[٥] ، وأخذ أيضاً أشبونة[٦] ، وإستجة ، فأرسل صاحبها إلى إدريس ، وإلى باديس بن حبوس ، صاحب صنهاجة ، فأتاه صاحب صنهاجة بنفسه ،

---

١) قيل إنه كان أبيض، أعين، أكحل، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٤٤.

٢) قال الحميدي: أمّه عربية قرشية وهي لبونة بنت محمد بن الحسن بن القاسم بن قنون القرشية الهاشمية ، جذوة المقتبس، ص٢٦ ، ينظر ترجمتها : الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص٢٧٤-٢٧٥.

٣) ورد اسمه عند الحميدي أبو جعفر أحمد بن موسى المعروف بابن بَقَنَّة ، جذوة المقتبس، ص٣٠ ؛ ينظر كذلك: الضبي، بغية الملتمس، ص٢٩.

٤) وهو أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد أحد أمراء الطوائف تولى إشبيلية حتى سنة ٤٣٣هـ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ١٤٩- ١٥٠.

٥) ذكر الحميدي أنها كانت بيد محمد بن عبد الله البرزالي، جذوة المقتبس، ص٣٠.

٦) الصحيح أشونة، عن الحميدي، وهو حصن من نواحي أستجة، البكري، جزيرة الأندلس، ص٦٤ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٣٤.

وأمدّه إدريس بعسكر يقوده ابن بقية مدبر دولته ، فلم يجسروا على إسماعيل بن عباد ، فعادوا عنه ، فسار إسماعيل مجداً ليأخذ على صنهاجة الطريق ، فأدركهم وقد فارقهم عسكر إدريس قبل ذلك بساعة ، فأرسلت صنهاجة من ردهم فعادوا ، وقاتلوا إسماعيل بن عباد ، فلم يلبث أصحابه أن انهزموا وأسلموه ، فقتل وحمل رأسه إلى إدريس.

وكان إدريس قد أيقن بالهلاك ، وانتقل عن مالقة إلى جبل يحتمي به وهو مريض[1] ، فلما أتاه الرأس عاش بعده يومين ، ومات وترك من الولد يحيى ، ومحمداً ، وحسناً ، وكان يحيى بن علي المقتول قد حبس ابني عمّه محمداً والحسن ابني القاسم بن حمود بالجزيرة ، فلما مات إدريس أخرجهما الموكل بهما[2] ، ودعا الناس إليهما ، فبايعهما السودان خاصة قبل الناس لميل أبيهما إليهم ، فملك محمد الجزيرة ، ولم يتسم بالخلافة.

وأما الحسن بن القاسم فإنه تنسك وترك الدنيا وحج[3]. وكان ابن بقية قد أقام يحيى بن إدريس[4] بعد موت والده بمالقة ، فسار إليها نجا الصقلبي من سبتة هو والحسن بن يحيى ، فهرب ابن بقية ، ودخلها الحسن ونجا ، فاستمالا ابن بقية حتى حضر ، فقتله الحسن ، وقتل ابن عمّه يحيى بن إدريس ، وبايعه الناس بالخلافة ، ولقب بالمستنصر بالله[5] ، ورجع نجا إلى سبتة ، وترك مع الحسن المستنصر نائباً له يعرف بالشطيفي[6] ، فبقي حسن كذلك نحواً من سنتين ، ثم مات سنة أربع وثلاثين

---

١) ذكر أنه احتمى بجبل ببشتر، وهو جبل ابن حفصون، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠ ؛ المراكشي، المعجب، ص٥٥.

٢) ذكر أن الموكل بهما رجل من المغاربة يعرف بأبي الحجّاج، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠.

٣) الحسن بن القاسم تنسك ولبس الصوف، وتبرأ من الدنيا وخرج إلى الحج مع أخته فاطمة بنت القاسم زوجة يحيى بن علي المعتلى، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣١.

٤) ذكر الحميدي أنه يعرف بحيون، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣١.

٥) ذكر المراكشي أنه تلقب بالمستعلي، المعجب، ص٥٥.

٦) ورد اسمه عند الحميدي بالسّطيفي، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣١.

وأربعمائة ، فقيل إن زوجته ابنة عمّه إدريس سمته أسفاً على أخيها يحيى ، فلما مات المستنصر اعتقل الشطيفي إدريس بن يحيى ، وسار نجا من ستبة إلى مالقة ، وعزم على محو أمر العلويين ، وأن يضبط البلاد لنفسه ، وأظهر البربر على ذلك ، فعظم عندهم ، فقتلوه ، وقتلوا الشطيفي[1] وأخرجوا إدريس بن يحيى ، وبايعوه بالخلافة ، وتسمى بالعالي ، وكان كثير الصدقة يتصدق كل جماعة بخمس مائة دينار ، وردّ كل مطرود عن وطنه ، وأعاد عليهم أملاكهم.

وكان متأدباً ، حسن اللقاء ، له شعر جيد إلا أنه كان يصحب الأرذال ، ولا يحجب نساءه عنهم[2] ، وكل من طلب منهم حصناً من بلاده أعطاه ، فأخذ منه صنهاجة عدة حصون ، وطلبوا وزيره ومدبر أمره صاحب أبيه موسى بن عفان ليقتلوه ، فسلمه إليهم

---

١) ذكر الحميدي تفاصيل أكثر، قال: لما مات حسن بن يحيى (... احتاط السطيفى على الأمر، واعتقل إدريس بن يحيى، وكتب إلى نجا بالخبر، وكان لحسن ابن، صغير عند نجا، فقيل إنه اغتاله أيضاً وقتله. والله أعلم. ولم يعقب حسن بن يحيى، واستخلف نجا على سبتة وطنجة من وثق به من الصقالبة عند وصول الخبر إليه، وركب البحر إلى مالقة، فلما وصل إليها زاد في الاحتياط على إدريس بن يحيى، وأكد اعتقاله، وعزم على محو أمر الحسنيين، وأن يضبط تلك البلاد لنفسه، فدعا البربر الذين كانوا جند البلد، وكشف الأمر إليهم علانية، ووعدهم بالإحسان، فلم يجدوا من مساعدته بداً في الظاهر، وعظم ذلك في أنفسهم باطناً، ثم جمع عسكره ونهض إلى الجزيرة ليستأصل محمداً بن القاسم، فحار بها أياما، ثم أحس بفتور نية من معه، فرأى أن يرجع إلى مالقة، فإذا رجع إليها، وحصل فيها نفي من خاف غائلته منهم، واستصلح سائرهم، واستدعى الصقالبة من حيث ما أمكنه ليقوى بهم على غيرهم وأحس البربر بهذا منه، فاغتالوه في الطريق قبل أن يصل إلى مالقة، فقتل وهو على دابته في مضيق صار فيه، وقد تقدمه إليه الذي أراد الفتك به، وفر من كان معه من الصقالبة بأنفسهم، ثم تقدم فارسان من الذين غدروا به يركضان حتى وردا مالقة ودخلا وهما يقولان: البشرى البشرى، فلما وصلا إلى السطيفى وضعا سيوفهما عليه فقتلاه...) جذوة المقتبس، ص٣١.

٢) قال الحميدي: إن إدريس بن يحيى الملقب بالعالي ظهرت(... منه أمور متناقضة؛ منها أنه كان أرحم الناس قلبا، كثير الصدقة، يتصدق كل يوم جمعة بخمس مائة دينار، ورد كل مطرود عن وطنه إلى أوطانهم، ورد عليهم ضياعهم وأملاكهم، ولم يسمع بغيا في أحد من الرعية، وكان أديب اللقاء، حسن المجلس، يقول من الشعر الأبيات الحسان؛ ومع هذا فكان لا يصحب ولا يقرب إلا كل ساقط رذل، ولا يحجب حرمه عنهم...)جذوة المقتبس، ص٣٢.

فقتلوه[1]. وكان قد اعتقل ابني عمّه محمداً والحسن ابني إدريس بن علي في حصن أيرش ، فلما رأى ثقته بأيرش اضطراب آرائه ، خالف عليه وبايع ابن عمّه محمد بن إدريس بن علي ، وثار بإدريس بن يحيى من عنده من السودان ، وطلبوا محمداً فجاء إليهم فسلم إليه إدريس الأمر ، وبايع له سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، فاعتقله محمد ، وتلقب بالمهدي ، وولى أخاه الحسن عهده ، ولقبه السامي.

وظهرت من المهدي شجاعة وجرأة ، فهابه البربر وخافوه ، فراسلوا الموكل بإدريس ابن يحيى ، فأجابهم إلى إخراجه ، وأخرجه وبايع له ، وخطب له بسبتة وطنجة بالخلافة ، وبقي إلى أن توفي سنة ست وأربعين.

ثم إن المهدي رأى من أخيه السامي ما أنكره ، فنفاه عنه ، فسار إلى العدوة إلى جبال غمارة[2] ، وأهلها ينقادون للعلويين ويعظمونهم ، فبايعوه.

ثم إن البربر خاطبوا محمد بن القاسم بالجزيرة ، واجتمعوا إليه وبايعوه بالخلافة ، وتسمى بالمهدي أيضاً ، فصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة ، أربعة كلهم يسمى أمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً ، فرجعت البرابر عنه ، وعاد إلى الجزيرة ، فمات بعد أيام ، فولي الجزيرة ابنه القاسم ، ولم يتسم بالخلافة ، وبقي محمد بن إدريس بمالقة إلى أن مات سنة خمس وأربعين ، وكان إدريس بن يحيى المعروف بالعالي عند بني يفرن[3] بتاكرنا ، فلما توفي محمد بن إدريس بن علي قصد

---

١) قال الحميدي: (... كتب إليه أمير صنهاجة في أن يسلم إليه وزيره ومدبره أمره وصاحب أبيه وجده، موسى بن عفان السبتي، فلما أخبره بأن الصنهاجي طلبه منه، وأنه لا بدله من تسليمه إليه، قال له موسى بن عفان: (أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)، فبعث به إلى الصنهاجي فقتله)جذوة المقتبس، ص٣٢.

٢) جبل غمارة من أخصب جبال المغرب يسكنه قبائل كثيرة من غمارة، وطوله ستة أيام وعرضه ثلاثة أيام، وهو كثير العمارة فيه غياض وأودية ومتنزهات، وأعناب وفولكه، وفيه حصون كثيرة تمتنع فيها غمارة، ينظر: مؤلف مجهول، الإستبصار، ص١٩٠- ١٩٢.

٣) بنو يفرن عائلة مغربية من زناتة، وهم بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا، أول من دخل منهم الأندلس محمد بن يدر بن محمد اليفرني الذي اختلف مع ابن عمّ له فعبر إلى الأندلس في خلافة هشام المؤيد وخدم المنصور ابن أبي عامر، ولما وقعت الفتنة سكنوا تاكرنا وقلعتها رنده، ينظر عن دورهم في الفتنة: ابن عذاري، البيان المغرب، =

إدريس بن يحيى مالقة فملكها ، ثم انتقلت إلى صنهاجة[1].

ذكر ولاية هشام الأموي قرطبة

لما قطعت دعوة يحيى بن علي العلوي عن قرطبة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، على ما ذكرناه قبل ، أجمع أهلها على خلع العلويين لميلهم إلى البربر ، وإعادة الخلافة بالأندلس إلى بني أمية ، وكان رأسهم في ذلك أبا الحزم جهور بن محمد بن جهور[2] ، فراسلوا أهل الثغور والمتغلبين هناك في هذا ، فاتفقوا معهم ، فبايعوا أبا بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، وكان مقيماً بالبنت مذ قتل أخوه المرتضى ، فبايعوه في ربيع الأول سنة ثماني عشرة ، وتلقب بالمعتد بالله ، وكان أسن من المرتضى ، ونهض إلى الثغور فتردد فيها ، وجرى له هناك فتن واضطراب شديد من الرؤساء إلى أن اتفق أمرهم على أن يسير إلى قرطبة دار الملك فسار إليها ودخلها ثامن ذي الحجة سنة عشرين وبقي بها حتى خلع ثاني ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين[3].

=٢٧٠/٣- ٢٧٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٥/٧، ٣٢.

١) ينظر التفاصيل عن أولاد يحيى بن علي الحسني: البكري، المسالك والممالك، ٣١٦/٢- ٣١٧؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠- ٣٣ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٩- ٤٣ ؛ المراكشي، المعجب، ص٥٤- ٥٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٩٨/٤-٢٠٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٣٢/١- ٤٣٨.

٢) هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغفار بن أبي عبدة الكلبي مولى بني أمية، صارت إليه رئاسة قرطبة بعد انتهاء الخلافة الأموية وكانت وفاته سنة ٤٣٥هـ، ينظر: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢٠٣/٢ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٩، ١٦٥ ؛ المراكشي، المعجب، ٥٢- ٥٣ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٥٦/١.

٣) قال ابن حزم: (لما قطعت دعوة يحيى بن علي الحسني من قرطبة سنة سبع عشرة...، أجمع رأي أهل قرطبة على رد الأمر إلى بني أمية، وكان عميدهم في ذلك الوزير أبو الحزم جهور بن محمد...، وقد كان ذهب كل من كان ينافس في الرياسة ويخب في الفتنة بقرطبة، فراسل جهور ومن معه من أهل الثغور والمتغلبين هنالك على الأمور، وداخلهم في هذا، فاتفقوا بعد مدة طويلة على تقديم أبي بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وهو أخو المرتضى... كان مقيماً بالبونت عند أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم المتغلب بها، فبايعوه في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة، وتلقب بالمعتد بالله، وكان مولده سنة أربع وستين وثلاثمائة، وكان أسن من أخيه المرتضى بأربعة أعوام؛ وأمه أم ولد اسمها عاتب، فبقي متردداً في الثغور ثلاثة أعوام غير شهرين، ودارت هنالك فتن كثيرة، واضطراب شديد=

وكان سبب خلعه أن وزيره أبا عاصم سعيداً القزاز لم يكن له قديم رئاسة ، وكان يخالف الوزراء المتقدمين ، ويتسبب إلى أخذ أموال التجار وغيرهم ، وكان يصل البربر ، ويحسن إليهم ويقربهم ، فنفر عنه أهل قرطبة ، فوضعوا عليه من قتله ، فلما قتلوه استوحشوا من هشام فخلعوه بسببه[1]. فلما خلع هشام قام أمية بن عبد

=بين الرؤساء بها إلى اتفق أمرهم على أن يصير إلى قرطبة قصبة الملك، فصار ودخلها يوم منى ثامن ذي الحجة سنة عشرين وأربعمائة، ولم يبق إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقةٌ من الجند فخلع، وجرت أمور يكثر شرحها، وانقطعت الدعوة الأموية من يومئذ فيها...) رسائل ابن حزم، ٢٠٣/٢ ؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٨- ٢٩ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧ ؛ المراكشي، المعجب، ص٥٠- ٥١ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٠٩/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٥/٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٣٧/٢٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٣٣/٢.

١) ذكر ابن بسام نقلاً عن ابن حيان تفاصيل عن سبب خلعه، قال: لما (...ضعف أمر هشام، لسوء تدبير وزيره حكم القزاز، وبلغ من الظلم والجور أن كسدت أسواق قرطبة ولم تسلك سبلها، وأسر الناس الوثوب على وزيره هذا، فسقط إليه ذرو من ذلك فانزعج وخاف على نفسه، ورحل إلى قصر السلطان بأهله ورعيله، وسكنه مدة مختلطا به، وأخذ في مداراة الناس، وكفّ عن الكلف، وكتب إلى الجماعة كتابا طويلاً وضح فيه العذر في شأن تلك الكلف، وحمل هشاماً على الازورار عن بعض مشيخة الوزراء الأقادم، وقصد منهم كبيرهم أبا الحزم ين جهور، وطلب تعثيره فلم يستطعه، وأمله يطمح لازالته، ليتمكن بالناس بعده، والله يستدرجه، إلى أن أمكن الله من هذا الجائر حكم، وذلك أنه لما خرق في تدبير سلطانه، واعتسف الأمور، وأساء السيرة والتدبير، واستفسد إلى الكافة... حتى أتاه من أمر الله ما أتاه، وقصده في وزيره هذا ما أشجاه، وأرسل الله على وزيره ودلته طائفه من فتاك الجند عرفت مراد الوزراء ووجوه الجند في إزالة هذا الخائن الحائك، فدبروا قتله تدبيرا محكماً، خفي عن حكم مع كثرة عيونه، وكان الناظم لهذه الجماعة ابن عمّ الخليفة هشام، واسمه أمية بن عبد العزيز العراقي، من أبناء الناصر، فتى شديد التهور والجهالة، فانتظم في سلك هذه الجماعة، وسولت له نفسه نيل الخلافة، وأطمعه في ذلك، سخرية به، بعض من نظم التدبير من نظم التدبير من المشيخة، علماً بأنه لا ينفذ في الوثوب على هشام إلا من ينازعه لبوسه، ويساهمه قرباه، فتهيأ أمر القوم في ستر وخفية، فرصدوا حكم الوزير في طريقه من القصر، وقاموا عليه فقتلوه وصرعوه ركن الجامع الشرقي في شديد الوحل والقذر، فكان من تمام محنته، وطافوا بالرأس وقد محا الطين رسمه، ...ووقعت الهيعة في الناس، وانقلب البلد أعلاه أسفله، واجتمع العوام وطلاب الفتنة إلى جند البلد للوقت، ووافى إليهم بن عبد العزيز العراقي، قطب القضية، فالتف الجناة به، وتقدم بهم إلى القصر لحينه، وقد وقع الخبر على المخلوع هشام وهو آخذ في بطالته مع نسائه، فبادروا الصعود إلى العلية الجديدة فوق سور القصر... فاستقبله قوم من الجناة من أسفل القصر برأس وزيره حكم، ...ينادونه هذا رأس وزيرك الذي أبليت به الأمة، =

الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر، وتسور القصور مع جماعة من الأحداث، ودعا إلى نفسه، فبايعه من سواد الناس كثير، فقال له بعض أهل قرطبة: نخشى عليك أن تقتل في هذه الفتنة، فإن السعادة قد ولت عنكم؛ فقال: بايعوني اليوم واقتلوني غداً[1]. فأنفذ أهل قرطبة وأعيانهم إليه وإلى المعتد بالله يأمرونهما بالخروج عن قرطبة، فودع المعتد أهله وخرج إلى حصن محمد بن الشور بجبل قرطبة، فبقي معه إلى أن غدر أهل الحصن بمحمد بن الشور[2] فقتلوه وأخرجوا المعتد إلى حصن آخر حبسوه فيه، فاحتال في الخروج منه ليلاً وسار إلى سليمان بن هود الجذامي[3]، فأكرمه وبقي عنده إلى أن مات في صفر سنة ثمان وعشرين، ودفن

=ويغلظون له القول وهو يستلطفهم، وهم يسبونه... والجاهل أمية العراقي في كل ذلك يحرض العامة على النهب، والارتقاء إلى البائس هشام وطلب مهجته، فلا يجدون مطلعا إليه لمنعه مكانه، وهشام مطلع رأسه إلى من تحته بداخل المدينة ينشدهم ببيعته فلا يجيبه أحد إلا بما يسوءه، إلى أن تبين له خذلانهم إياه، فانجحر في وكره إلى أن نزل بأمان، ولم يبق معه إلا أربعة غلمان له... يستعينون الناس لاستقاذهم. وكان منظراً عجيباً في سرعة استحالة حال الدنيا في نصف نهار من العز إلى الذلة...ثم اجتمع الوزراء واتفقوا على خلع هشام، وهتفوا بإبطال الخلافة جملة لعدم الشاكلة، ونفوا عن المروانية والناصرية السداد، ورجعت قرطبة إلى تدبير الوزراء... ونزل هشام إلى ساباط الجامع المفضي إلى المقصورة في من تألف إليه من ولده ونسائه... ولقد حدث بعض سدنة الجامع أن من أول ما سأل الشيوخ الداخلين إليه إحضار كسرة من خبز يسد بها جوع بنية له... فأبكى من كلمه اعتباراً بعادية الدهر، ... وبات الوزراء والناس بالجامع ليلتهم غبّ الحادثة على هشام للفراغ من شأنه، فأجمعوا على تعجيل إخراجه إلى صخرة محمود بن شرف، والثقة بحفظه، فاقتصروا على ذلك، دون أن يأخذوا خطه بالخلع ويشهدوا عليه بعجزه عن تدبير الخلافة وتخلية الأمة مما له في أعناقهم من البيعة على سبيل المعهودة، وأنساهم الله ذلك إما تهاوناً أو نسياناً، فنفذ إلى حصن ابن الشرف وحبس فيه...) الذخيرة، ١٧/٥-٢٩ ؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٨-٢٩ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧ ؛ المراكشي، المعجب، ص٥٠-٥١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٦/٣-١٥٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٣٣/٢-١٣٤.

١) يروى أن بعضاً من أهل قرطبة قالوا لأمية: (إنا نخاف عليك في هذا اليوم القتل لما نرى من انقلاب الناس عليكم فقال لهم أمية بايعوني أنتم اليوم واقتلوني غداً حرصاً منه على الخلافة، فأنفذ أهل قرطبة إلى المعتد والى أمية ألاّ يبقى واحد منهما بالقصر ولا بقرطبة وأجمعوا أمرهم على خلع بني أمية أجمعين)ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٠/٣- ١٥١ ؛ ينظر أيضاً: ابن بسام، الذخيرة، ٥٢٩/٥.

٢) عند ابن بسام حصن ابن الشرف، الذخيرة، ٥٢٩/٥.

٣) هو سليمان بن هود الجذمي أحد أمراء بني هود في سرقسطة ولاردة كانت وفاته سنة ٤٣٨هـ، =

بناحية لاردة ، وهو آخر ملوك بني أمية بالأندلس[1].

وأما أمية فإنه اختفى بقرطبة ، فنادى أهل قرطبة بالأسواق والأرباض أن لا يبقى أحد من بني أمية بها ، ولا يتركهم عنده أحد[2] ، فخرج أمية فيمن خرج ، وانقطع خبره مدةً ، ثم أراد العود إليها ، فعاد طمعاً في أن يسكنها ، فأرسل إليه شيوخ قرطبة من منعه عنها ، وقيل قتل وغيّب ، وذلك في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين[3] ، ثم انحل عقد الجماعة وانتشر وافترقت البلاد ، على ما نذكره.

ذكر تفرق ممالك الأندلس

ثم إن الأندلس اقتسمه أصحاب الأطراف والرؤساء ، فتغلب كل إنسان على شيء منه ، فصاروا مثل ملوك الطوائف ، وكان ذلك أضر شيء على المسلمين فطمع بسببه العدو الكافر ، خذله الله ، فيهم ، ولم يكن لهم اجتماع[4] إلى أن ملكه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، على ما نذكره إن شاء الله.

فأما قرطبة فاستولى عليها أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور ، المقدم ذكره ، وكان من وزراء الدولة العامرية ، قديم الرئاسة ، موصوفاً بالدهاء والعقل ، ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها ، فلما خلا له الجو ، وأمكنته

=ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٦٧/٢.

١) ينظر نهايته: المراكشي، المعجب، ص٥١ إلا أنه ذكر أن وفاته كانت سنة ٤٢٧هـ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية)ص٢٤٨- ٢٤٩.

٢) قال ابن الخطيب: (ومشى البريد في الأسواق، والأرباض، بأن لا يبقى بقرطبة أحد من بني أمية ولا يكنفهم أحد)، أعمال الأعلام، ١٣٥/٢؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٢/٣.

٣) ذكر ابن عذاري أن ذلك كان سنة ٤٢٥هـ، إذ قال: (وفي سنة خمس وعشرون وأربعمائة قتل أمية بن عبد الرحمن في جماد الآخرة أخرج إليه شيوخ قرطبة من قتله قبل أن يدخل قرطبة وكان منصرفاً إليها من الثغر طامعاً في سكناها فقتل بموضع يعرف بقرية راشد وخفي قتله وستر شخصه ورأسه)البيان المغرب، ١٨٧/٣.

٤) قال ابن الخطيب: (وانتهى أمر بني مروان لهذا الحد، ومحى رسم الجماعة، وتقسم البلاد، والأقطار رؤساء الطوائف، وقد استخار كل منهم استبداده بنفسه ورضي بذلك من بقواعدهم من المسلمين على وفور الفضلاء وتعدد العلماء، وانفساح الأقطار، وتزاحم الاعتمار، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)أعمال الأعلام، ١٣٥/٢.

الفرصة ، وثب عليها فتولى أمرها وقام بحمايتها ، ولم يتنقل إلى رتبة الإمارة ظاهراً ، بل دبرها تدبيراً لم يسبق إليه ، وأظهر أنه حامٍ للبلد إلى أن يجيء من يستحقه ، ويتفق عليه الناس ، فيسلمه إليه ، ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الإمارة ، ولم يتحول هو عن داره إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجالٍ رتبهم لذلك ، وهو المشرف عليهم ، وصيّر أهل الأسواق جنداً ، وجعل أرزاقهم ربح أموال تكون بأيديهم ديناً عليهم ، فيكون الربح لهم ، ورأس المال باقياً عليهم ، وكان يتعهدهم في الأوقات المتفرقة لينظر كيف حفظهم لها ، وفرق السلاح عليهم ، فكان أحدهم لا يفارقه سلاحه حتى يعجل حضوره إن احتاج إليه.

وكان جهور يشهد الجنائز ، ويعود المرضى ، ويحضر الأفراح على طريقة الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الأمر تدبير الملوك ، وكان مأمون الجانب ، وأَمِن الناس في أيامه ، وبقي كذلك إلى أن مات في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وقام بأمرها بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات ، فغلب عليها الأمير الملقب بالمأمون ، صاحب طليطلة ، فدبرها إلى أن مات بها[1].

وأما إشبيلية فاستولى عليها القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي[2] ، وهو من ولد النعمان بن المنذر ، وقد ذكرنا سبب ذلك في دولة يحيى بن

---

١) استمر بنو جهور في حكم قرطبة وما يجاورها من٤٢٢هـ حتى سنة٤٦٢هـ، ينظر التفاصيل عن دولة بني جهور: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢/٢٠٣ـ٢٠٤؛ ابن بسام، الذخيرة، ٢/٦٠٢ـ٦٠٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٨ ؛ المراكشي، المعجب، ص٥٢ـ٥٣؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/٣٠ـ٣٤ ؛ ابن سعيد ، المغرب، ١/٥٦- ٥٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٨٥ـ١٨٧؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٣٩ـ٤٤٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٤٠ـ١٤٧ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٤/٢٠٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٢٠ـ٣٠.

٢) هو أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمر بن عطاف بن نعيم اللخمي، دخل جده عطاف بن نعيم مع موسى بن نصير وولي قضاء إشبيلية سنة ١١٣هـ ، وفي سنة ٤١٤هـ ثار القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد على القاسم بن حمود الحسني وتغلب على المدينة فكانت بداية ملكهم، واستمر محمد بن عباد في حكم إشبيلية حتى وفاته سنة ٤٣٣هـ، المراكشي، المعجب، ص٧٢- ٧٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٩٣ـ١٩٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٤٢ - ٤٤٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٤٨- ١٥١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٦٠- ٢٦١.

علي بن حمود قبل هذا. وفي هذا الوقت ظهر أمر المؤيد هشام بن الحكم[1] ، وكان قد اختفى وانقطع خبره ، وكان ظهوره بمالقة ، ثم سار منها إلى المرية ، فخافه صاحبها

---

١) أشار المؤرخون إلى أن محمد بن إسماعيل لما استولى على الأمر في سنة ٤٢٤هـ وتعاظم أمره، حسده أمثاله وكثر الكلام فيه وقالوا : قتل يحيى بن على الحسنى من أهل البيت وقتل يحيى بن ذى النون، واتّسع القول فيه فبقى يفكر فيما يفعله ، فبينما هو كذلك إذ جاءه رجل من أهل قرطبة فقال له : إني رأيت هشاماً المؤيد في قلعة رباح، فقال له محمد : انظر ما تقول، فقال: إني والله رأيته وهو هشام بلا شك! وكان عند محمد بن إسماعيل عبد من عبيد هشام يسمى تومرت، وهو الذي كان يقوم على رأس هشام، فقال له محمد : إذا رأيت مولاك تعرفه؟ فقال: نعم ولى فيه علامات فأرسل محمد رجلين من الذين ذكروا أنهم رأوا هشاماً وقال:توجّها إلى قلعة رباح وائتياني بهشام وأسرعا ، فتوجّها فوجداه في مسجد في قلعة رباح، فدخلا عليه وأعلماه أنهما رسولا القاضي محمد بن إسماعيل إليه. فسار معهما إلى إشبيلية. فلما دخل على القاضي قام إليه وسلم عليه وأنزله ووكل بخدمته تومرت مولاه. فلما رآه تومرت قبل يديه ورجليه وقال للقاضي: هو والله مولاي هشام ابن الحكم، فعند ذلك قام إليه القاضي محمد بن إسماعيل وقبّل رأسه ويديه ، وسلم عليه بالخلافة ، وأخرجه في يوم الجمعة إلى الجامع بمدينة إشبيلية ، ومشى هو وبنوه بين يديه رجّالة حتى أتى المسجد ، فخطب الناس وصلى بهم الجمعة. وبايعه محمد بن إسماعيل وبنوه وجميع أهل البلد ، وتولّى محمد بن إسماعيل الخدمة بين يديه وجرى في ذلك على طريقة ابن أبى عامر ، غير أنه يخرج إلى الجمعة والأعياد ويصلى طول مدته ، ومحمد في رتبة الوزارة آمراً وناهياً عنه ، فهذا كان سبب قيام دعوته ، وقيل إن المستعين بالله سليمان بن الحكم لما فتح قرطبة المرة الثانية في شوّال سنة ٤٠٣هـ أحضره ووبّخه ، وأن المؤيد فقد لخمس خلون من شوال، وقيل بل هرب بنفسه إلى المشرق مستخفيا حتى وصل إلى مكة ، وكان معه كيس فيه جوهر وياقوت ونفقة ، فشعر به حرّابة مكة ، فأخذوه منه ، فمال إلى جهة من الحرم وأقام يومين لم يطعم طعاماً ، فمضى إلى المروة فأتاه رجل فقال له تحسن عمل الطين؟ قال: نعم، فمضى به إلى تراب ليعجنه ووافقه على درهم وقرصة ، فقال له : عجّل القرصة فإني جائع، فأتاه بها فأكلها ، ثم عمد إلى التراب فكان مرة يعجن ومرة يجلس ثم ترك العمل ومضى هاربا على وجهه ، وخرج مع قافلة إلى الشام على أسوأ حال، فوصل إلى بيت المقدس، فمشى في السوق فرأى رجلا يعمل الحصر الحلفاء فنظر إليه فقال له الحصري: كأنّك تحسن هذه الصناعة، قال: لا ، قال: فتقيم عندي تناولني الحلفاء وأجعل لك أجرة على ذلك. قال: أفعل، فأقام عنده يناوله ويعاونه على ما يأمره به من أمور صناعته، فتعلم هشام صناعة الحصر، فصار يعملها ويتقوّت منها ، وأقام ببيت المقدس أعواماً كثيرة لم يعلم به أحد ، ثم رجع إلى الأندلس في سنة ٤٢٤هـ، قال ابن حزم في هذه الحكاية : أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها ، وإنما ظهر رجل يقال له خلف الحصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد وادّعى أنه هشام، وبويع له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى، ينظر: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٩٧/٢- ٩٨، ٢٠٤ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٩-٣٠ ؛ المراكشي، المعجب، ص٧٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٤٥/٢٣- ٤٤٧.

زهير العامري[1] فأخرجه منها ، فقصد قلعة رباح ، فأطاعه أهلها ، فسار إليهم صاحبه إسماعيل بن ذي النون وحاربهم ، فضعفوا عن مقاومته ، فأخرجوه ، فاستدعاه القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد إليه بإشبيلية ، وأذاع أمره ، وقام بنصره ، وكان رؤساء الأندلس في طاعته ، فأجابه إلى ذلك صاحب بلنسية ونواحيها ، وصاحب قرطبة ، وصاحب دانية والجزائر ، وصاحب طرطوشة ، وأقروا بخلافته ، وخطبوا له ، وجددت بيعته بقرطبة في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

ثم إن ابن عباد سيّر جيشاً إلى زهير العامري لأنه لم يخطب للمؤيد ، فاستنجد زهير حبوس بن ماكسن الصنهاجي[2] صاحب غرناطة ، فسار إليه بجيشه ، فعادت عساكر ابن عباد ، ولم يكن بين العسكرين قتال ، وأقام زهير في بياسة ، وعاد حبوس إلى مالقة ، فمات في رمضان من هذه السنة ، وولي بعده ابنه باديس[3] ، واجتمع هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحبوس ، فلم تستقر بينهما قاعدة ، واقتتلا ، فقتل زهير وجمع كثير من أصحابه أواخر سنة تسع وعشرين.

ثم في سنة إحدى وثلاثين التقى عسكر ابن عباد وعليهم ابنه إسماعيل مع باديس بن حبوس ، وعسكر إدريس العلوي ، على ما ذكرناه عند أخبار العلويين فيما تقدم ، إلا أنهم اقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل إسماعيل ، ثم مات بعده أبوه القاضي أبو القاسم سنة ثلاث وثلاثين ، وولي بعده ابنه أبو عمرو عباد بن محمد ، ولقب بالمعتضد بالله[4] ، فضبط ما ولي ، وأظهر موت المؤيد.

هذا قول ابن أبي الفياض[5] في المؤيد ، وقال غيره: إن المؤيد لم يظهر خبره منذ

---

1) زهير العامري من موالي المنصور بن أبي عامر فرّ إلى شرق الأندلس أيام الفتنة وحكم مدينة المرية وما جاورها مدة عشر سنوات ثم قتل في غرناطة سنة ٤٢٩هـ أثناء محاولته السيطرة عليها من بني مناد ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٠١- ٢٠٢.

2) هو حبوس بن ماكس بن زيري بن مناد حكم دولة بني مناد في غرناطة للمدة من سنة ٤١٤هـ حتى وفاته سنة ٤٢٨هـ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢١٠.

3) هو باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري بن مناد حكم دولة غرناطة بعد أبيه حتى سنة ٤٦٥هـ وأصبحت هذه الدولة من أقوى دول الطوائف في عهده، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢١٢- ٢١٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص١٢٧- ١٤٠.

4) هو عباد بن محمد بن عباد الملقب بالمعتضد بالله ولي دولة بني عباد من سنة ٤٣٣هـ حتى وفاته سنة ٤٦١هـ، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/ ٣٩-٥٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ١٥١-١٥٤.

5) هو أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد بن أبي الفياض، أصله من أستجة وسكن المرية، سمع=

عُدِمَ من قرطبة عند دخول علي بن حمود إليها ، وقتله سليمان ، وإنما كان هذا من تمويهات ابن عباد وحيله ومكره ، وأعجب من اختفاء حال المؤيد ، ثم تصديق الناس ابن عباد فيما أخبر به من حياته ، أن إنساناً حضرياً ظهر بعد موت المؤيد بعشرين سنة وادعى أنه المؤيد ، فبويع بالخلافة ، وخطب له على منابر جميع بلاد الأندلس في أوقات متفرقة ، وسفكت الدماء بسببه ، واجتمعت العساكر في أمره [1].

ولما أظهر ابن عباد موت هشام المؤيد ، واستقل بأمر إشبيلية وما انضاف إليها ، بقي كذلك إن أن مات من ذبحة لحقته لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وولي بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد ابن القاضي أبي القاسم ، ولقب بالمعتمد على الله[2] ، فاتسع ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك كثيراً من الأندلس ، وملك قرطبة أيضاً ، وولى عليها ابنه الظافر بالله ، فبلغ خبر ملكه لها إلى يحيى بن ذي النون ، صاحب طليطلة ، فحسده عليها ، فضمن له جرير بن عكاشة[3] أن يجعل ملكها له ، وسار إلى قرطبة وأقام بها يسعى في ذلك وهو ينتهز الفرصة.

فاتفق أن في بعض الليالي جاء مطر عظيم ومعه ريح شديدة ورعد وبرق ، فثار جرير فيمن معه ، ووصل إلى قصر الإمارة ، فلم يجد من يمانعه ، فدخل صاحب الباب إلى الظافر وأعلمه ، فخرج بمن معه من العبيد والحرس ، وكان صغير السن ، وحمل عليهم ، ودفعهم عن الباب ، ثم إنه عثر في بعض كراته فسقط ، فوثب بعض من يقاتله وقتله ،

=بأستجة من يوسف بن عمروس، وبالمرية من أبي عمّ الطلمنكي، وأبي عمر ابن عفيف، والمهلب بن أبي صفرة وغيرهم. وله تأليف في الخبر والتاريخ. وتوفي سنة ٤٥٩هـ، ابن بشكوال، الصلة، ص٦٣.

١) رواية ابن الأثير هذه لا تختلف كثيراً عما ذكره ابن عسكر وابن خميس في كتابهما مطلع الأنوار، تحت عنوان: هشام الدعي، ص٣٥٨- ٣٦٠.

٢) حكم المعتمد بن عباد دولة إشبيلية من سنة ٤٦١هـ حتى دخول المرابطين إليها واعتقاله سنة ٤٨٤هـ، وكانت وفاته ٤٨٨هـ، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٥٢/٢- ٦٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٤/٢- ١٦٢.

٣) أسماه ابن الأبار حكم بن عكاشة وقال: إنه كان من خاصة ابن جهور وبعد ذلك انتقل إلى خدمة بني ذي النون حكام طليطلة وولي لهم بعض الحصون المجاورة لطليطلة، وعمل إلى ضمّ قرطبة إلى دولة بني ذي النون فهاجمها وقتل سراج الدولة بن المعتمد بن عباد وبعث برأسه إلى المأمون بن ذي النون، وبعد وفاة المأمون انتقل إلى طاعة القادر بن ذي النون، إلا أن المعتمد بالله حاكم إشبيلية قرر الثأر لولده فتوجه نحو قرطبة وهزم حكم بن عكاشة وقتله سنة ٤٦٧هـ، الحلة السيراء، ١٧٦/٢- ١٧٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٤/٢- ١٥٥.

ولم يبلغ الخبر إلى الأجناد وأهل البلد إلاّ والقصر قد ملك ، وتلاحق بجرير أصحابه وأشياعه ، وترك الظافر ملقىً على الأرض عرياناً ، فمر عليه بعض أهل قرطبة ، فأبصره على تلك الحال ، فنزع رداءه وألقاه عليه ، وكان أبوه إذا ذكره يتمثل:

ولم أدر مـــــن ألقـــــى عليـــــه رداءه

علـى أنّـه قـد سـلّ عـن ماجـدٍ محـض

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها ، حتى عاد ملكها ، وترك ولده المأمون[١] فيها ، فأقام بها حتى أخذها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وقتل فيها بعد حروب كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى سنة أربع وثمانين ، وأخذت إشبيلية من أبيه المعتمد في السنة المذكورة ، وبقي محبوساً في اغمات[٢] إلى أن مات بها ، رحمه الله ، وكان هو وأولاده جميعهم الرشيد[٣] ، والمأمون ، والراضي[٤] ، والمعتد[٥] ، وأبوه ، وجده علماء فضلاء شعراء[٦].

---

١) هو أبو نصر الفتح بن المعتمد بن عباد الملقب بالمأمون قتل في قرطبة في آخر دولة بني عباد ، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/ ٦٢، ٦٨.

٢) وصف ابن حوقل أغمات بقوله: (اغمات وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة إلى سجلماسه وغيرها ، ومن سجلماسه إلى اغمات نحو ثماني مراحل ومثلها إلى فاس، ومن ورائها إلى ناحية البحر المحيط السوس الأقصى وليس بالمغرب كلّه بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيرا منها قد جمعت فنون المآكل كلّها ذات الصرود والجروم فيها الأترجّ والجوز واللوز والنخل وقصب السكّر والسمسم والقنّب وسائر البقول التي لا تكاد تجتمع بغيرها)صورة الأرض، ص٩١.

٣) عبيد الله الرشيد بن محمد بن عباد المعتمد ولاه أبوه عهده كما قلده قضاء إشبيلية، وكان دمثا رقيق حاشية الطبع، له أدب وشعر، وعندما سقطت دولة بني عباد نقل الرشيد إلى المغرب في قلعة مهدي وتوفي هناك في حدود سنة ٥٣٠هـ، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦٨/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٧١/٤- ٢٧٢.

٤) هو أبو خالد يزيد بن المعتمد بن عباد ولاه أبوه الجزيرة الخضراء أمّه اعتماد الرميكية، وكان من أهل الأدب والعلم وله شعر، قتله يوسف بن تاشفين صبراً عند دخوله الأندلس سنة ٤٨٤هـ، ابن الأبار، الحلة السيراء ن ٧٠/٢- ٧٥.

٥) هو أبو بكر عبد الله وقيل عبيد الله المعتد بن المعتمد على الله أمّه اعتماد الرميكية، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦٢/٢، ٧٠.

٦) ينظر التفاصيل عن دولة بني عباد في إشبيلية: المراكشي، المعجب، ص٧٢- ٧٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩٣/٣- ٢١٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٤٢/٢٣- ٤٦٥ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٤٧/٢- ١٦٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٠٠/٤- ٢٠٤ ؛مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس(حقيق بوباية) ص٢٦٠- ٢٦٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٢٦/٤ وما بعدها ؛عنان، دولة الإسلام في الأندلس، =

وأما بطليوس فقام بها سابور الفتى العامري[1] ، وتلقب بالمنصور ، ثم انتقلت بعده إلى أبي بكر محمد بن عبد الله بن سلمة ، المعروف بابن الأفطس[2] ، أصلُه من بربر مكناسة ، لكنهُ وُلِدَ أبوه بالأندلس ، ونشأوا بها ، وتخلقوا تخلق أهلها ، وانتسبوا إلى تجيب[3] ، وشاكلهمَ الملك ، فلما توفي صارت بعده إلى ابنه أبي محمد عمر بن محمد[4] واتسع ملكه إلى أقصى المغرب ، وقتل صبراً مع ولدين له عند تغلب أمير المسلمين على الأندلس[5].

وأما طليطلة فقام بأمرها ابن يعيش[6] ، فلم تطل مدته[7] ، وصارت رئاسته إلى

=عصر الطوائف، ص٣١- ٨٠.

١) هو سابور الفتى الفارسي العامري أحد فتيان فائق الصقلبي مولى الخليفة الحكم المستنصر، وعند انهيار الخلافة استبد سابور في بطليوس وكان فارساً شجاعاً ولكنه ليس له خبرة في شؤون الحكم فاعتمد في ذلك على وزيره عبد الله بن محمد بن مسلمة، وعندما توفي سابور سنة ٤١٣هـ ترك ولدين صغيرين فاستولى الوزير ابن مسلمة على الأمور وأصبح السيد الحقيقي لدولة بطليوس، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٠/٢- ١٨١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٨١- ٨٢.

٢) حكم عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس بطليوس سنة ٤١٣هـ وتوفي سنة ٤٣٧هـ، وخلفه في الحكم ولده المظفر محمد بن عبد الله بن مسلمة الذي استمر في الحكم حتى سنة ٤٦١هـ، فتولى الحكم بعده ولده يحيى الملقب بالمنصور الذي حكم ثلاث سنوات قضاها في حرب مع أخيه عمر الثائر عليه، وتوفي سنة ٤٦٤هـ ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨١/٢- ١٨٢.

٣) تجيب بطن من كندة، وهم بنو اشرس بن شيب بن السكون بن كندة، وتجيب أمّهم نسبوا إليها، سكن قسم منهم الأندلس، ودارهم فيها سرقسطة، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٩- ٤٣٠ ؛ القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص١٨٥.

٤) وهو عمر بن محمد بن الأفطس الملقب بالمتوكل تولى الحكم في بطليوس بعد أخيه المنصور سنة ٤٦٤هـ الذي استمر حتى مقتله على يد المرابطين سنة ٤٨٨هـ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٢/٢- ١٨٣.

٥) ينظر التفاصيل عن دولة بطليوس: ابن بسام، الذخيرة، ٦٤١/٤- ٦٥٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٥/٣- ٢٤٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٠/٢- ١٨٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٨١- ٩٣.

٦) هو أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش السدي، من أهل طليطلة، روى عن أبيه وغيره، وله رحلة إلى المشرق، وكانت له عناية كبيرة بالعلم. وكان حافظاً للفقه، ذاكراً للمسائل. وتولى الأحكام ببلده، ثم صار إليه تدبير الرياسة به، ثم خلع عن ذلك وصار إلى قلعة أيوب. وتوفي بها سنة ٤١٨هـ وقيل ٤١٩هـ، ابن بشكوال، الصلة، ص٦٥٠- ٦٥١.

٧) أشارت المصادر الأندلسية إلى أن طليطلة عندما وقعت الفتنة تصرف فيها القاضي يعيش بن محمد=

إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذي النون ، ولقبه الظافر بحول الله ، وأصله من البربر وولد بالأندلس ، وتأدب بآداب أهلها ، وكان مولد إسماعيل سنة تسعين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وكان عالماً بالأدب ، وله شعر جيد ، وصنف كتاباً في الآداب والأخبار.

وولي بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون ، وأكثر مهاداة الفرنج ومصانعتهم ليتلذذ باللعب ، وامتدت يده إلى أموال الرعية ، ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئاً بعد شيء ، حتى أخذت طليطلة في سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وصار هو ببلنسية ، وأقام بها إلى أن قتله القاضي ابن جحاف[1] الأحنف[2] ، وفيه يقول الرئيس أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر[3]:

=ثم عُزل وتولى أمورها عبد الرحمن بن منيوة، فلما أدركته منيته ورث عمله ابنه عبد الملك بن عبد الرحمن بن منيوة فأساء السيرة فخلعوه واستدعوا عبد الرحمن بن ذي النون صاحب شنت برية، فأرسل إليهم ابنه إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون فأحسن إلى أهلها وضبط البلد حتى وفاته سنة ٤٣٥هـ، فولي بعده ابنه يحيى بن إسماعيل الملقب بالمأمون الذي حكم ثلاثة وثلاثون عاماً قضى معظمها في الحروب والخصومات مع جيرانه من دويلات الطوائف حتى وفاته سنة ٤٦٧هـ، وخلفه في حكم دولة طليطلة حفيده يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر الذي شهد عهده أحداث جسام منها سقوط طليطلة بيد الأسبان سنة ٤٧٨هـ ففر القادر إلى بلنسية فاصطدم هناك بالقاضي ابن جحاف الذي قتله سنة ٤٨٥هـ، ينظر التفاصيل عن دولة بني ذي النون في طليطلة: ابن بسام، الذخيرة، ١٤٢/٧- ١٦٩ عن ابن حيان ؛ ابن سعيد، المغرب، ١١/٢- ١٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٦/٣- ٢٨٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٥/٢- ١٨٠ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٠٦/٤- ٢٠٩ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٥٩- ٢٦٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٤٠/١- ٤٤١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٩٤- ١١٦.

١) هو أبو أحمد جَعْفَر بْن عَبْد اللَّه بن جَعفَر بن عَبْد الرَّحْمَن بْن جحاف الْمعَافِرِي، من أَهْلَ بلنسية وقاضيها ورئيسها فِي الفتنة، سَمِعَ أَبَا عُمَر بْن عَبْد الْبر وَأَبا الْعَبَّاس العذري، وَولي قَضَاء، وَصَارَت الرياسة إِلَيْهِ بعد خلع الْقَادِر بن ذِي النُّون وَقَتله على يَدَيْهِ فَلم تحمد سيرته، وَكَانَ أحيف، وامتحن بالكنبيطور المتغلب على بلنسية إِذْ ذَاك فاستصفى مَاله ثمَّ أحرقه بالنَّار سنة ٤٨٨هـ، ابن بشكوال، الصلة، ص١٩٤ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٢٥/٢- ١٢٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩٢/٢- ١٩٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٥٥/٤.

٢) ورد في المصادر الأندلسية: كان أخيف، الضبي، بغية الملتمس، ص٥٠ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٢٥/٢ ؛ وأخيف من خَيْف وهو من كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء، ينظر: الفراهيدي، العين، ٣١٢/٤ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٠١/٩ (مادة خيف).

٣) هو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي من أهل مرسية تغلب=

أيّهـــا الأحنـــف مهـــلاً فلقـــد جئـــت عويصـــا

إذ قتلـــت الملـــك يحيـــى وتقمّصـــت القميصـــا

ربّ يـــومٍ فيـــه تجـــري إن تجـــد فيـــه محيصـــا[1]

وأما سرقسطة[2] والثغر الأعلى فكان بيد منذر بن يحيى التجيبي ، ثم توفي وولي بعده ابنه يحيى ، ثم صارت بعده لسليمان بن أحمد بن محمد بن هود الجذامي وكان يلقب بالمستعين بالله ، وكان من قواد منذر على مدينة لاردة ، وله وقعة مشهورة بالفرنج بطليطلة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة[3].

=عليها مدة ثم نازعه عليها ابن عباد فأخرجه منها فلجأ إلى بلنسية وتوفي بها سنة ٥٠٨هـ وكان من أهل العلم والأدب والبلاغة والبيان ، ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص٥٠ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١١٦/٢- ١٢٧ ؛ التكملة، ٤٧/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩١/٢- ١٩٢.

١) البيت الأخير جاء مختلفاً بعض الشيء عند الضبي وابن الأبار جاء فيه:

رب يَوْم فِيهِ تجزى... لم تَجِد عَنَهُ محيصا

بغية الملتمس، ص٥٠ ؛ الحلة السيراء، ١٢٤/٢.

٢) كانت مدينة سرقسطة تحت حكم يحيى بن عبد الرحمن التجيبي إذ تولاها سنة ٣٧٩هـ بإقرار من المنصور بن أبي عامر وبقي على ولائه للدولة فيها إلى سنة ٤٠٨هـ، وفي عهد الفتنة حافظ بنو تجيب على نفوذهم في سرقسطة ودافعوا عنها ضد الطامعين بها سواءً من عمال الثغر المسلمين المجاورين لهم أم من عدوان النصارى، وبعد وفاة عبد الرحمن التجيبي خلفه ابنه المنذر الملقب بالمنصور الذي زجّ نفسه في أحداث الفتنة ودخل في صراع مع البربر الذين كانوا بقيادة زاوي بن زيري الصنهاجي وخرج المنذر من الصراع خاسراً، فبالغ في التقرب من أمراء وملوك النصارى واستخدمهم في جيشه مما أثار سخط العامة عليه، وتوفي سنة ٤١٤هـ فخلفه في الحكم ابنه يحيى بن المنذر الملقب بالمظفر وفي أيامه انتزع أمير برشلونة منه العديد من الحصون والقلاع، وعندما توفي سنة ٤٢٠هـ خلفه ابنه المنذر بن يحيى وتلقب بمعز الدولة واستمر إلى سنة ٤٣٠هـ حيث قتل على يد أحد رجاله فاستولى على حكم سرقسطة بعده سليمان بن هود منهياً بذلك حكم بني تجيب، ينظر التفاصيل عن بني تجيب في سرقسطة: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٣٠- ٤٣١ ؛ ابن بسام، الذخيرة، ١٨٣/١- ١٨٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢١/٣- ٢٢٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٩/٢- ١٩٠ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)ص٢٥٤- ٢٥٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٢٦٤- ٢٧٠ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٣٦- ٢٣٧.

٣) لم نقع على هذا الخبر في المصادر الأندلسية التي بين أيدينا ، سوى أن سليمان بن هود بعد استيلائه على أملاك المنذر بن يحيى التجيبي امتدت مناطق نفوذه إلى حدود طليطلة حيث دولة=

ثم توفي وولي بعده ابنه المقتدر بالله ، وولي بعده ابنه يوسف بن أحمد المؤتمن ، ثم ولي بعده ابنه أحمد المستعين بالله على لقب جده ، ثم ولي بعده ابنه عبد الملك عماد الدولة ، ثم ولي بعده ابنه المستنصر بالله ، وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمس مائة[1] ، فصارت بلادهم جميعاً لابن تاشفين.

=بني ذي النون وكان بني ذي النون أخوال التجيبي فكان عاملاً في استجلاب الصراع بين الجانبين، ووقعت بينهم العديد من المعارك، وكان كل طرف منهم يستعين بملوك النصارى على الآخر، ففي سنة ٤٣٦هـ عندما وقعت الهزيمة على المأمون بن ذي النون التجأ إلى فرناندو الأول ملك قشتالة فأمده بالجند وعاث في أراضي سرقسطة، عندها التجأ ابن هود إلى ملك قشتالة نفسه وبذل له أموالاً أكثر فعاث في أراضي طليطلة، فرد المأمون بن ذي النون عليه بأن التجأ إلى ملك نافار فأغار على سرقسطة، ولم تنتهي تلك الحروب حتى وفاة ابن هود سنة ٤٣٨هـ، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٩٨- ٩٩، ٢٧١- ٢٧٢.

١) ينتمي بنو هود إلى جذام من قبيلة الأزد العربية، وكان عميدهم أيام الفتنة سليمان بن محمد بن هود حاكماً على لاردة وعندما قتل معز الدولة المنذر بن يحيى التجيبي في سرقسطة هرع إليها سليمان بن هود واستولى عليها سنة ٤٣١هـ وتلقب بالمستعين ودخل في صراع مرير مع المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة كان يغذيه في أغلب الأحيان ملوك النصارى من أجل إضعاف حكام الطوائف واستمر الصراع حتى وفاته سنة ٤٣٨هـ، وكان قد قسم دولة سرقسطة بين أولاده، فكان يوسف في لاردة، وأحمد في سرقسطة، ومحمد في قلعة أيوب، ولب في وشقة، والمنذر في تطيلة، وقد دخل الأخوة بعد وفاة أبيهم في نزاع مرير كان نتيجته أن تغلب أحمد بن هود الملقب بالمقتدر على جميع أخوته عدا يوسف صاحب لاردة، ونكل بهم جميعاً، ومن الأحداث الجسام في أيامه سقوط مدينة بربشتر بيد النورماند سنة ٤٥٦هـ الذين استباحوها ودمروها ولم يهب المقتدر بن هود للدفاع عنها لأنها كانت تابعة لأخيه يوسف فكانت سقطة حُسبت عليه، وهو ما دفعه بعد ذلك إلى مهاجمتها وطرد النورماند منها، توفي المقتدر بن هود سنة ٤٧٤هـ، وارتكب نفس خطأ أبيه من قبل إذ قسم دولته بين ولديه فجعل سرقسطة لابنه يوسف المؤتمن، ولاردة وطرطوشة ودانية لابنه المنذر، فدارت الحرب بين الأخوين للاستحواذ على أملاك الآخر واستعانوا بالنصارى مما أضعف الطرفين، وفي سنة ٤٧٨هـ توفي المؤتمن بن هود فخلفه ابنه أحمد المستعين على حكم سرقسطة، ودخل هو الآخر في صراع مع حكام الطوائف من جهة والنصارى من جهة أخرى حتى سنة ٥٠٣هـ حيث قتل في أحد المعارك مع قوات أراغون النصرانية، فخلفه ابنه عبد الملك بن أحمد الملقب بعماد الدولة الذي لم يدم حكمه لسرقسطة طويلاً إذ سقطت دولته بيد المرابطين في نفس السنة، ينظر التفاصيل عن دولة بني هود في سرقسطة: ابن بسام، الذخيرة، ١٨٦/١- ١٨٧، ٤٢٣/٥- المراكشي، المعجب، ص٥٩- ٦٠ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٤٧/٢- ٢٤٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢١/٣- ٢٢٩، ٥٣/٤- ٥٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٦٥/٢٣- ٤٦٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال=

ورأيت بعض أولادهم بدمشق سنة تسعين وخمسمائة ، وهو فقير جداً ، وهو قيم الربوة ، فسبحان من لا يزول ، ولا تغيره الدهور.

وأما طرطوشة فوليها لبيب الفتى العامري[1].

وأما بلنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد ابن المنصور بن أبي عامر المعافري[2]. ثم انضاف إليه المرية وما كان إليها ، وبعده ابنه

=الأعلام، ١٦٧/٢- ١٧٥ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٤٩/٤- ٤٥٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٢٦٤- ٢٨٤.

١) لما سقطت الدولة العامرية تفرق الفتيان العامريين في مناطق شرق الأندلس، فكان منهم لبيب العامري الصقلبي الذي فرّ إلى طرطوشة وتغلب عليه سنة ٤٠٨هـ واستمر في حكمها حتى وفاته سنة ٤٣٣هـ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٤/٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢٧٣.

٢) بعد سقوط الدولة العامرية وتفرق الفتيان العامريين في شرق الأندلس كان مجاهد العامري على بلنسية، ثم ثار به اثنان من الفتيان وهما مبارك ومظفر العامريان فغادر مجاهد إلى دانية، وحكم مبارك ومظفر بلنسية سوية وعملا على تحصينها وإشاعة الأمن والهدوء فيها فغدت ملجأ معظم الفارين من الصقالبة والعامريين، وبعد وفاة مظفر العامري انفرد مبارك في إدارتها، إلا أنه توفي هو الآخر عندما كبا به فرسه وهو خارج للنزهة وذلك سنة ٤٠٨هـ، فتنازع مجاهد العامري ولبيب العامري السيادة عليها، إلا أن المتحكمين فيها من الفتيان رفضوهما وقاموا باستدعاء عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن المنصور محمد ابن أبي عامر وهو حفيد سيدهم ومولاهم وعقدوا له البيعة سنة ٤١١هـ وتلقب بالمنصور وكان فتاً يبلغ عمره نحو خمس عشرة عاماً، فعمل عبد العزيز على جمع المشردين من أهل بيته وآواهم، ثم عمل على توسيع نفوذه، فلما توفي خيران العامري صاحب المرية سنة ٤١٩هـ قام بمد سلطته عليها، ثم ضمّ شاطبة إليه، وكانت علاقته مع الممالك النصرانية طيبة، وذلك بحكم أن جدته أم أبيه عبد الرحمن الناصر شنجول كانت بشكنسية، فكان يستعين بهم في محاربة خصومه، وطال عهده، إذ توفي سنة ٤٥٢هـ فخلفه ولده عبد الملك ولقب بنظام الدولة وكان حدثاً فتولى تدبير دولته وزيره محمد بن مروان بن عبد العزيز الشهير بابن رويش وزير أبيه، فأحسن التدبير وساد الأمن والنظام، إلا أن صهره أبا امرأته المأمون بن ذي النون كان يطمع في الاستيلاء على بلنسية وكان عبد الملك يسيء معاملة ابنته فاستغل ذلك المأمون وسار إلى بلنسية بمعاونة جند من قشتالة واقتحمها وأسر صهره وبعثه إلى إحدى القلاع وذلك سنة ٤٥٧هـ، وعهد المأمون في تسيير الأمور في بلنسية إلى الوزير ابن رويش فلما خرج المأمون منها ثار بها أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن المنصور بن أبي عامر وقتل ابن رويش، وفي سنة ٤٧٧هـ عقد مصاهرة مع أحمد بن المؤتمن بن هود وزفّ ابنته إليه إلا أنه توفي في نفس السنة، فبويع بعده لابنه عثمان بن أبي بكر محمد بن عبد العزيز، وبقي في الحكم أقل من عام إذ سقطت بلنسية بيد القادر بن ذي النون=

محمد ، ودام فيها إلى أن غدر به صهره المأمون بن إسماعيل بن ذي النون ، وأخذ منه رئاسة بلنسية في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فانتزح إلى المرية ، وأقام بها إلى أن خُلع ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وأما السهلة[1] فملكها عبود بن رزين ، وأصله بربري ، ومولده بالأندلس ، فلما هلك ولي بعده ابنه عبد الملك ، وكان أديباً شاعراً ، ثم ولي بعده ابنه عز الدولة ، ومنه ملكها الملثمون[2].

وأما دانية والجزائر فكانت بيد الموفق أبي الحسن مجاهد العامري ؛ وسار إليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله المعيطي[3] ومعه خلق كثير ، فأقامه مجاهد شبه

=وحليفه الفونسو السادس سنة ٤٧٨هـ ، ينظر: ابن سعيد، المغرب، ٢٩٩/٢ - ٣٠١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٣- ٣٠٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٨/٢- ، ١٨٩، ١٩٢؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٠٧/٤- ٢٠٨ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٦٦/٢٣ وروايته مشابهة لرواية ابن الأثير وهي مقتضبة أيضاً ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢١٧- ٢٢٨.

١) السهلة وتدعى سهلة بني رزين تقع بين بلنسية وسرقسطة وحاضرتها مدينة شنتمرية، ابن سعيد، المغرب، ٢٢٧/٢ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٠٨/٢.

٢) بنور زين نسبة إلى جدهم رزين البرنسي أحد رجالات البربر الداخلين إلى الأندلس، وكانوا يسكنون قرطبة ثم خرجوا إلى الثغر واستقروا بأرض السهلة، فلما كانت الفتنة استقل كبيرهم أبو محمد هذيل بن عبد الملك بن خلف بن لب بن رزين البربري المعروف بابن الأصلع في تلك الأراضي وذلك سنة ٤٠٣هـ وتلقب بعز الدولة واتبع سياسة الحياد ولم يدخل في صراع مع أمراء الطوائف المجاورين له وهو ما جعله يحافظ على الهدوء والسلام في دولته، وكان ولعاً باتخاذ الجواري حتى أنه اشترى جارية بثلاثة آلاف دينار بعد أن تعذر على الكثير من الأمراء شراؤها، وقد استمر في الحكم حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ، فخلفه ابنه أبو مروان عبد الملك بن هذيل وتلقب بذي الرياستين الحاجب جبر الدولة وطالت مدة حكمه حتى سنة ٤٩٦هـ استطاع أن يحافظ فيها على ملكه على الرغم من الأحداث الجسام التي اجتاحت مناطق الأندلس عامة والشرق خاصة وذلك عن طريق دفع الجزية للنصارى الذين عاثوا في تلك المناطق، وبعد وفاته خلفه ابنه يحيى الملقب بحسام الدولة الذي خلعه المرابطين سنة ٤٩٧هـ بعد أن دخلوا مدينة شنتمرية وأصبحت تابعة لهم، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ١٠٩/٥- ١٢٣ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٢٧/٢- ٤٣٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠٧/٣- ٣١١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٦٦/٢٣ وهو ينقل عن ابن الأثير ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩٤/٢- ١٩٦ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٠٣/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢٥٣- ٢٥٩.

٣) هو أبو عبدالرحمن عبد الله بن عبيد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد=

خليفة يصدر عنه رأيه ، وبايعه في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة ، فأقام المعيطي بدانية مع مجاهد ومن انضم إليه نحو خمسة أشهر ، ثم سار هو ومجاهد في البحر إلى الجزائر التي في البحر ، وهي ميورقة[1] بالياء ، ومنورقة[2] بالنون ، ويابسة[3].

=العزيز بن عمرو بن عثمان بن محمد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط بن أبان بن عامر بن أمية بن عبد شمس المعيطي، من أهل قرطبة، محدث روى عن أبي محمد الباجي وغيره، وكان من أهل النبل والذكاء والشرف، وبويع له بالخلافة بشرق الأندلس وخطب له على المنابر الشرقية، ثم خلع وصار في آخر عمره إلى كتامة وتوفي بها سنة ٤٣٢هـ، ابن بشكوال، الصلة، ص٢٦١- ٢٦٢.

١) ميورقة، قال الحميري: (هي جزيرة في البحر الزقاقي، تسامتها من القبلة بجاية من بر العدوة، بينهما ثلاثة مجار، ومن الجوف برشلونة من بلاد أرغون، وبينهما مجرى واحد، ومن الشرق إحدى جزيرتيها منرقة، وبينهما مجرى في البحر طوله أربعون ميلاً، وشرقي ميورقة هذه جزيرة سردانية، بينهما في البحر مجريان، وغربيها جزيرة يابسة، بينهما مجرى في البحر طوله سبعون ميلاً، وغربي يابسة مدينة دانية من بر الأندلس بينهما في البحر سبعون ميلاً. وميورقة أمّ هاتين الجزيرتين وهما بنتاها، وإليها مع الأيام خراجهما. وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً، وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلاً. فتحها المسلمون سنة تسعين ومائتين إلى أن تغلب عليها العدو البرشلوني وخربها سنة ثمان وخمسمائة، وهي المرة الأولى ، ... إلى أن كانت المصيبة العظمى والحادث الشنيع بهزيمة العقاب عليه سنة تسع وستمائة، ثم إن الطاغية البرشلوني تحرك إلى ميورقة عازماً عليها فنزل عليها أسطوله في شوال سنة ست وعشرين وستمائة، فأراها من القتال وشدة الحصار وأنواع المحن ما لم يجر مثله في زمان وحكم عليها عنوة بعد طول الحصار والقتل والسبي، ثم أخذ واليها ابن يحيى فعذبه أشد العذاب حتى مات، واستولى الشرك على الجزيرة في عام سبعة وعشرين وستمائة) صفة، ص١٨٨- ١٩١ ؛ ينظر أيضاً: البكري، جزيرة الأندلس، ص٦٦ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص١٥ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٨٢/٢ ؛ الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ١٣٤ ؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٨٢ ؛ الزهري، الجغرافية، ١٢٨- ١٢٩ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٦٦/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، (تحقيق بوباية)ص١٣٥.

٢) منورقة وهي جزيرة تقابل الساحل الشرقي للأندلس، قال الإدريسي: هي (جزيرة تقابل مدينة برشلونة وبينهما مجرى ومن منورقة إلى جزيرة سردانية أربعة مجار) نزهة المشتاق، ٥٨٢/٢ ؛ ينظر أيضاً: البكري، جغرافية الأندلس ص٦٦ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٦٩/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٣٥.

٣) يابسة قال الحميري: (هي جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب، وبها مدينة حسنة صغيرة خضرة، وأقرب بر إليها مدينة دانية، بينهما مجرى، والمجرى مائة ميل، وفي شرقي يابسة=

ثم بعث المعيطي بعد ذلك مجاهداً إلى سردانية في مائة وعشرين مركباً بين كبير وصغير ومعه ألف فارس ، ففتحها في ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وقتل بها خلقاً كثيراً من النصارى ، وسبى مثلهم ، فسار إليه الفرنج والروم من البر في آخر هذه السنة ، فأخرجوه منها ، ورجع إلى الأندلس والمعيطي قد توفي ، فغاص مجاهد في تلك الفتن إلى أن توفي ، وولي بعده ابنه علي بن مجاهد ، وكانا جميعاً من أهل العلم والمحبة لأهله والإحسان إليهم ، وجلباهم من أقاصي البلاد وأدانيها ، ثم مات ابنه عليٌّ فولي بعده ابنه أبو عامر ، ولم يكن مثل أبيه وجده[1]. ثم إن دانية وسائر

=جزيرة ميورقة بينهما مجرى، وبجزيرة يابسة عشرة مراس، وبها أنهار جارية. وقرى كثيرة وعمائر متصلة، وأرضها تنبت الصنوبر الجيد العود للانشاء وعدد المراكب، وبها ملّاحة لا ينفد ملحها، ويتصل بها في القبلة جزيرتان بينهما وبينها مجازات تسمى الأبواب.) صفة، ص١٩٨ ؛ ينظر أيضاً: البكري، جغرافية، ص٦٦ ؛ ابن الشراط، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص٩٤ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٧٠/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص١٣٥.

١) كان مجاهد بن يوسف العامري من كبار الفتيان العامريين، وعندما قامت الفتنة اشترك في بعض أحداثها، والتجأ إلى شرق الأندلس كبقية الفتيان العامريين، وتشير بعض الروايات إلى أنه كان والياً على الجزائر الشرقية فلما كانت الفتنة استقل بها، وقيل إنه كان ببلنسية فغلبه عليها مبارك ومظفر العامريان فخرج إلى دانية وتغلب عليها وكان ذلك في سنة ٤٠٥هـ، وهناك كي يواجه مدعي الخلافة بني حمود وغيرهم استدعى عبد الله بن عبيد الله المعيطي وبايعه بالخلافة وسماه أمير المؤمنين، وساعده الموقع البحري على انشاء أسطول كبير قرر أن يغزو به جزيرة سردينية التي كانت آنذاك تحت حكم اللومبارد، فتمكن من افتتاحها سنة ٤٠٦هـ، فأقلق ذلك الدول النصرانية وخصوصاً الايطالية منها لأنه سيعمل على تهديد مصالحها، وقد تزعمت البابوية الدعوة إلى الحرب، فزحفت أساطيل الدول النصرانية على الجزيرة، أما مجاهد فان أسطوله الكبير تعرض لعواصف قذفت بمراكبه فوقع أغلب جيشه وسفنه أسرى وقتل وغرق العديد منهم واستولى العدو على ولده ونسائه وبناته، وذلك سنة ٤٠٧هـ، عاد بعدها مجاهد إلى دانية فوجد المعيطي قد استبد بالحكم فقبض عليه ونفاه إلى العدوة حيث توفي مغموراً، ولم يستطع مجاهد النأي بنفسه عن أحداث الأندلس بعد عودته إلى دانية فاشترك في بيعة عبد الرحمن المرتضى والقتال معه وهزيمته على يد البربر سنة ٤٠٩هـ، كما دخل في صراع مع عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور صاحب بلنسية ولم يفلح في الاستيلاء عليها بسبب مساعدة ملك قشتالة له فرجع مجاهد دون أن يحصل على شيء، وامتد حكمه إلى وفاته سنة ٤٣٦هـ بعد أن حكم زهاء ثلاثين عاماً، فخلفه ولده علي الملقب باقبال الدولة فنافسه في حكمها أخوه سعد الدولة حسن الذي استعان بالمعتضد بن عباد إلا أن المحاولة فشلت، عمل=

بلاد بني مجاهد صارت إلى المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة[1].

وأما مرسية فوليها بنو طاهر ، واستقامت رئاستها لأبي عبد الرحمن منهم ، المدعو بالرئيس ، ودامت رئاسته إلى أن أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبي بكر بن عمار المهري[2] ، فلما ملكها عصى على المعتمد فيها ، فوجه إليه عسكراً مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق القشيري ، فحصروه وضيقوا عليه حتى هرب منها ، فلما دخلها القشيري عصى فيها أيضاً على المعتمد ، إلى أن دخل في طاعة الملثمين[3] ، وبقي أبو عبد الرحمن بن طاهر بمدينة بلنسية إلى أن مات بها سنة

=بعدها على توثيق علاقته بدويلات الطوائف عن طريق المصاهرة إذ كانت له بنات جميلات فزوج إحداهما للمعتمد بن عباد وأخرى للمعتصم بن صمادح صاحب المرية وتزوج هو من ابنه أحمد بن هود المقتدر، واستمر علي بن مجاهد في الحكم زهاء ثلاثين عاماً حتى اصطدم بصهره أحمد بن هود المقتدر صاحب سرقسطة الذي طمع في الاستيلاء على دانية فهاجمها وتمكن من دخولها وأخذ علي وأهله إلى سرقسطة، وبقي محجوراً عليه حتى وفاته سنة ٤٧٤هـ، وقد حاول ابنه سراج الدولة استرداد ملك أبيه واستعان بملك برشلونة إلا أن المقتدر بن هود دسّ إليه من اغتاله بالسم سنة ٤٦٩هـ، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٢٢/٥- ٢٤، ٦٥/٧- ٦٧ ؛ المراكشي، المعجب، ص٦١ ؛ ابن الأبار، ٤٣/٢، ١٤٩، ٢٤٨ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٠١/٢- ٤٠٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٥/٣- ١٥٧ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٦٦/٢٣- ٤٦٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠٢/٢- ٢٠٦ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢١٠/٤- ٢١١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ١٨٧- ٢١٣.

١) أشارت المصادر الأندلسية أعلاه إلى أن استيلاء ابن هود على دانية واعتقال علي بن مجاهد كان سنة ٤٦٨هـ .

٢) هو أبو بكر بن عمار بن حسين المهري من شلب، كان واحداً من كبار شعراء الأندلس طاف على ملوك الطوائف ثم اختص بالمعتمد بن عباد الذي استوزره ثم تقلبت به الأحوال فغضب عليه وقتله سنة ٤٧٧هـ، ابن بسام، الذخيرة، ٢٧٨/٢- ٣٢٦ ؛ ابن الأبار، الحُلة السُّيراء، ١٣١/٢- ١٦٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص٨٥- ٩٧.

٣) قيل إنما قيل لَهم الملثمون لأَنهم يتلثمون وَلَا يكشفون وُجوههم، واللثام سنة لَهم يتوارثونها خلفا عَن سلف، وَسبب ذَلِك على ما قيل شدَّة الْحر وَالبرد تَفْعلهُ الْخَواص منهُم فَكثر ذَلِك حَتَّى صَار تَفْعَلهُ عامتهم، وَقيل كَانَ سَببه أَن قوماً من أعدائهم كَانُوا يقصدون غفلتهم إِذا غَابوا عن بُيوتهم فيطرقون الْحَيّ فَيَأْخذُونَ المَال والحريم فَأَشَارَ عَلَيْهِم بعض مشايخهم أَن يبعثوا النِّسَاء فِي زِيّ=

سبع وخمسمائة ، ودفن بمرسية ، وقد نيف على تسعين سنة[1].

=الرِّجال إِلَى نَاحيَة ويقعدوا هم فِي الْبيُوت مُتَلَثِّمِينَ فِي زِيّ النِّسَاء فَإِذا أَتَاهُم الْعَدو وظنوهم نسَاء خَرجُوا عَلَيْهِم فَفَعَلُوا ذَلِك وثاروا عَلَيْهِم بِالسُّيُوفِ فَقَتَلُوهُم فلزموا اللثام تبركا بِهِ بِمَا حصل لَهُم من الظفر بالعدو، وَقيل فِي سَبَب تلثمهم أَن طَائِفَة من لمتونة خَرجُوا مغيرين على عَدو لَهُم فخالفهم الْعَدو إِلَى بُيُوتهم وَلم يكن بهَا إِلَّا الْمَشَايخ وَالصبيان وَالنِّسَاء فَلَمَّا تحقق الْمَشَايخ أَنه الْعَدو أمروا النِّسَاء أَن يلبسن ثِيَاب الرجل ويتلثمن ويضيقنه حَتَّى لَا يعرفن ويلبسن السِّلَاح ففعلن ذَلِك وتقدم الْمَشَايخ والصبيان أمامهن واستدار النِّسَاء بِالْبُيُوتِ فَلَمَّا أشرف العَدو رأى جمعا عَظِيما فَظَنَهُ رجَالًا وَقَالُوا هَؤُلَاءِ عِنْد حريمهم يُقَاتلُون عَنْهُن قتال الْمَوْت والرأي أَن نسوق النعم ونمضي فَإِن اتبعونا قاتلناهم خَارِجا عَن حريمهم فَبَيْنَمَا هم فِي جمع النعم من المراعي إِذْ أقبل رجال إِلَى الْحَيّ فَبَقِيَ الْعَدو بَينهم وَبَين النِّسَاء فَقتلُوا من الْعَدو خلقا كثيرا وَكَانَ من قتل النِّسَاء أَكثر، فَمن ذَلِك الْوَقْت جعلُوا اللثام سنة يلازمونه فَلَا يعرف الشَّيْخ من الشَّاب وَلَا يزيلونه لَيْلًا وَلَا نَهَاراً، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٢٩/٧- ١٣٠؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١٢٧/٣ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٧٨/٢٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٣٧/١٠ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٤/٢ ؛ السلاوي، الإستقصا، ٣/٢- ٤ ؛ الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ص٩ - ١٠.

١) كانت مدينة مرسية عندما قامت الفتنة تحت تدبير خيران العامري الذي استولى عليها وضبطها سنة ٤٠٣هـ، ثم خلف عليها زميله زهير العامري واستقر هو في المرية، وعندما توفي خيران سنة ٤١٩هـ خلفه في حكم المرية ومرسية زهير العامري واستمر في الحكم حتى سنة ٤٢٩هـ عندما قتله باديس بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة، وكان زهير قد استقر في المرية بعد وفاة خيران وترك على مرسية نائبه أبو بكر أحمد بن إسحاق بن طاهر، وبعد وفاة زهير استطاع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر صاحب بلنسية من ضم المرية ومرسية إليه وأقر أبا بكر أحمد بن طاهر على مرسية لما رأى من حزمه ومكانته واستمر ابن طاهر في حكمها حتى وفاته سنة ٤٥٥هـ، فخلفه ابنه أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر الذي استمر على سياسة أبيه في التبعية لصاحب بلنسية عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر الذي خلف هو الآخر أباه سنة ٤٥٢هـ، وفي سنة ٤٥٧هـ استولى المأمون بمساعدة ملك قشتالة على بلنسية منهياً بذلك حكم عبد الملك بن أبي عامر عندها استقل أبو عبد الرحمن بن طاهر في حكم مرسية حتى سنة ٤٧١هـ حينها طمع المعتمد بن عباد في ضمها إلى دولته فأرسل إليها وزيره أبا بكر بن عمار وعبد الرحمن بن رشيق القشيري حاكم حصن بلج فدخلوها وقبضوا على أبي عبد الرحمن بن طاهر فادخل السجن، فقيل إنه شُفِع له عند المعتمد بن عباد فأطلقه وسار إلى بلنسية وقيل إنه نجح في الفرار من السجن فلحق ببلنسية، أما ابن عمار فعندما صفت له مرسية جنح إلى الاستقلال عن=

وأما المرية فملكها خيران العامري ، وتوفي كما ذكرنا ، ووليها بعده زهير العامري ، واتسع ملكه إلى شاطبة ، إلى ما يجاور عمل طليطلة ، ودام إلى أن قتل ، كما تقدم ، وصارت مملكته إلى المنصور أبي الحسن عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر ، فولي بعده ابنه محمد ، فلما توفي عبد العزيز ببلنسية أقام ابنه محمد بالمرية ، وهو يدبر بلنسية ، فانتهز الفرصة فيها المأمون يحيى بن ذي النون وأخذها منه ، وبقي بالمرية إلى أن أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الأحوص المعتصم معن ابن صمادح التجيبي ، ودانت له لورقة ، وبياسة ، وجيان ، وغيرها إلى أن توفي سنة ثلاث وأربعين ، وولي بعده ابنه أبو يحيى محمد بن معن وهو ابن أربع عشرة سنة ، فكفله عمه أبو عتبة بن محمد إلى أن توفي سنة ست وأربعين ، فبقي أبو يحيى مستضعفاً لصغره ، وأخذت بلاده البعيدة عنه ، ولم يبق له غير المرية وما يجاورها.

فلما كبر أخذ نفسه بالعلوم ، ومكارم الأخلاق ، فامتد صيته ، واشتهر ذكره ، وعظم سلطانه ، والتحق بأكابر الملوك ، ودام بها إلى أن نازله جيش الملثمين ، فمرض في أثناء ذلك ، وكان القتال تحت قصره ، فسمع يوماً صياحاً وجلبة ، فقال: نغص علينا كل شيء حتى الموت! وتوفي في مرضه ذلك لثمان بقين من ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، ودخل أولاده وأهله البحر في مركب إلى بجاية ، قاعدة مملكة

=المعتمد ، وأخذ يتصرف فيها كحاكم مستقل وهجا المعتمد وزوجته اعتماد الرميكية وهو ما أثار حفيظة قائد الجيش ورفيقه في فتح المدينة عبد الرحمن بن رشيق، وعندما أحس ابن عمار بتحرك الجند فرّ عنها، واستولى ابن رشيق على مرسية وضبطها، ولكنه هو الآخر استبد بحكمها وخلع طاعة ابن عباد واستمر يتصرف بها حتى استيلاء المرابطين عليها سنة ٤٨٤هـ، أما عبد الرحمن بن طاهر فقد تقلبت به الأحوال في بلنسية بسبب اضطراب الشرق الأندلسي فاضطر إلى مغادرتها عندما اجتاحها الجند القشتالي سنة ٤٧٨هـ إلى شاطبة ثم عاد إليها بعد استعادتها من قبل المرابطين، وقد أثقلته السنون، حتى وفاته سنة ٥٠٧هـ، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٢٤/٥- ٣٦، ٩١ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١١٦/٢- ١٢٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص٩٢- ٩٧ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٢٤٧/٢- ٢٥٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩١/٢- ١٩٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ١٧٤- ١٨٦.

بني حماد[1] من إفريقية ، وملك الملثمون المرية وما معها[2].

وأما مالقة فملكها بنو علي بن حمود[3] ، فلم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم فيها إلى أن أخذها منهم إدريس بن حبوس صاحب غرناطة سنة سبع وأربعين ،

---

١) بني حماد نسبة إلى حماد بن بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي الذي اختلف مع ابن أخيه باديس فخرج إلى المغرب وبنى القلعة المنسوبة إليه عند مدينة بجاية وهناك أسس دولة توارثها بنيه من بعده حتى سقوطها بيد الموحدين سنة ٥٤٧هـ، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢٨/٢- ٣٣٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١١/٢٤ وما بعدها ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٢٧/٦- ٢٣٣ ؛ الهادي روحي إدريس، الدولة الصنهاجية، ص١٩٠- ١٩٨، ٢٨٥- ٢٩٢.

٢) لما وقعت الفتنة بالأندلس كان على المرية أحد الفتيان العامريين يدعى أفلح الصقلبي وكان كبير السن فهاجمه خيران العامري سنة ٤٠٥هـ واتخذها قاعدة له في شرق الأندلس وعمل على تحصينها وضبطها وبناء أسوارها ، وبعد وفاته سنة ٤١٩هـ خلفه عليها زهير العامري واستمر حتى مقتله على يد حبوس بن باديس الصنهاجي سنة ٤٢٩هـ، فكتب أهلها إلى عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية بحكمها فدخلها واستولى على أموالها وذخائرها ، ثم ترك عليها والياً من قبله وهو صهره ووزيره أبو الاحوص معن بن صمادح التجيبي، إلا أنه سرعان ما تنكر لابن عبد العزيز بتحريض من باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، فخلع طاعته ودعا الناس لنفسه وذلك سنة ٤٣٣هـ واستمر في حكم المرية حتى وفاته سنة ٤٤٣هـ فخلفه ابنه أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح وتلقب بالمعتصم بالله وزج نفسه في الفتن والحروب مع ملوك الطوائف ولكنه تمكن من المحافظة على دولته حتى دخول المرابطين المرية سنة ٤٨٤هـ، وهناك روايتين بخصوص دخول المرابطين المرية ووفاة المعتصم بن صمادح أشار ابن الأثير إلى أحدهما أعلاه، أما الأخرى فأشارت إلى أن المعتصم بن صمادح توفي قبل دخول المرابطين وأنه أوصى ابنه معز الدولة أحمد بأنه إذا سقطت إشبيلية بيد المرابطين عليه أن ينتقل بأهله وماله إلى العدوة عند أمراء بني حماد ، فلما سقطت إشبيلية خرج بأهله وماله سنة ٤٨٤هـ فأكرم بنو حماد وفادته حتى وفاته، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٧٢٩/٢- ٧٦٩ ؛ المراكشي، المعجب، ص٦١ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٧٨/٢- ٩٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١٩٥/٢- ٢٠٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٦٩/٢٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٣/٢- ١٨٦ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٠٨/٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٦٦/٣- ٣٦٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ١٥٨- ١٧٣.

٣) سبق أن ذكر ابن الأثير بني حمود العلويين في أحداث سنة ٤٠٧هـ تحت عنوان (ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه وغيرهم)، ينظر أعلاه.

وانقضى أمر العلويين بالأندلس.

وأما غرناطة فملكها حبوس بن ماكسن الصنهاجي ، ثم مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وولي بعده ابنه باديس ، فلما توفي ولي بعده ابن أخيه عبد الله بن بلكين ، وبقي إلى أن ملكها منه الملثمون في رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة[1] ، وانقرضت دول جميعهم ، وصارت الأندلس جميعها للملثمين ، وملكهم أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين ، واتصلت مملكته من المغرب الأقصى إلى آخر بلاد المسلمين بالأندلس ؛ نعود إلى سنة سبع وأربعمائة.

---

١) عبر بنو مناد إلى الأندلس برسم الجهاد أيام المنصور بن أبي عامر وكان شيخهم آنذاك زاوي بن زيري ومعه أبناء أخيه ماكسن وحباسة وحبوس سنة ٣٩١هـ فأكرمهم المنصور وأنزلهم، وبعد سقوط الدولة العامرية واشتعال الفتنة بالأندلس وما جرى بين البربر وأهل قرطبة من حروب أيام محمد المهدي وسليمان المستعين عمل سليمان على تفريقهم فأقطع صنهاجة وزعمائها من بني زيري غرناطة، فكان زاوي بن زيري أول أمرائها وذلك سنة ٤٠٣هـ، ولم يكن زاوي بعيداً عن الأحداث، فعندما بويع عبد الرحمن المرتضى بالخلافة من قبل الفتيان العامريين مناوئين بذلك خلافة علي بن حمود العلوي الحسني بقرطبة، زحف المرتضى بقواته نحو غرناطة فلقيهم زاوي وأنزل بهم الهزيمة، وعلى الرغم من النصر الذي حققه إلا أنه رأى أن ذلك بداية الشر، فقرر الخروج إلى العدوة وذلك سنة ٤١٠هـ، فتولى غرناطة مكانه ابن أخيه حبوس بن ماكسن واستمر فيها حتى وفاته سنة ٤٢٨هـ، فخلفه في حكم غرناطة ابنه باديس الذي دخل في حروب عديدة مع أمراء الأندلس الآخرين مثل زهير العامري وبني عباد، وكانت على يديه نهاية بني حمود العلويين في مالقة وذلك سنة ٤٤٩هـ واستطال حكمه حتى وفاته سنة ٤٦٥هـ، فتولى بعده حفيده عبد الله بن بلقين الذي استمر في حكم غرناطة حتى دخول المرابطين إليها سنة ٤٨٣هـ، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٦٥٦/٢- ٦٧٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١٠٦/٢- ١٠٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦١/٣- ٢٦٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠٨/٢- ٢١٤ ؛ الإحاطة، ٢٣٨/١- ٢٤٦، ٢٨٩/٣- ٢٩٠ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٠٦/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ١٢٠- ١٤٦.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة توفي أحمد بن كليب[1] ، الأديب ، الشاعر الأندلسي ، وحديثه مع

---

١) شاعر وأديب ونحوي أندلسي توفي سنة ٤٢٦هـ اشتهر بهواه لأسلم بن أحمد بن سعيد ، روى محمد بن الحسن المذحجي قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحويّ، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد ابن قاضي الجماعة ، وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب: أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع والشعر الرائق، فاشتدّ كلفه بأسلم وفارق صبره، وصرّف فيه القول متستراً بذلك إلى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الألسنة وتنوشدت في المحافل، منها قوله في أسلم:

أسلمني في هـوا	ه أسلم هـذا الرشـا
غـزال لـه مقلـة	يصيب بـها مـن يشـا
وشـى بيننـا حاسـد	سيسـأل عـمّا وشـى
ولـو شـاء أن يرتشـي	علـى الوصـل روحـي ارتشـى

فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلّا المرور على باب أسلم سائراً ومقبلاً نهاره كلّه، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً ، فإذا صلّى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحاً وجلس على باب داره، فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيّل في بعض الليالي ولبس جبة من جباب أهل البادية ، واعتمّ بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجاً وبالأخرى قفصاً فيه بيض، وتحيّن جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبّل يده وقال: يأمر مولاي بأخذ هذا ، فقال له أسلم: ومن أنت؟ قال: صاحبك في الضيعة الفلانية ، وقد كان تعرّف أسماء ضياعه وأصحابه فيها ، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه ، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة ، فلما جاوبه أنكر الكلام، وتأمله فعرفه، فقال: يا أخي وهنا بلغت بنفسك وإلى هاهنا تبعتني ، أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على باب داري نهارا حتى قطعت عليّ جميع ما لي فيه راحة، قد صرت في سجنك، والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي ولا قعدت ليلاً ولا نهاراً على بابي، ثم قام. وانصرف أحمد بن كليب حزيناً كئيباً. قال محمد بن الحسن المذحجي: واتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب: قد خسرت دجاجك وبيضك، فقال: هات كلّ ليلة قبلة يده وأخسر أضعاف ذلك، قال: فلما يئس من رؤيته ألبتة نهكته العلة وأضجعه المرض، قال: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعدته فوجدته بأسوأ حال، فقلت له: ولم لا تتداوى؟ فقال: دوائي معروف، وأما الأطباء فلا حيلة لهم في البتة ، فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرة من أسلم، فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله أجرك، وكان هو والله أيضاً يؤجر.قال: فرحمته وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى أسلم، فتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة قال:=

أسلم بن أحمد بن سعيد[1] مشهور ، وكان يهواه ، فقال فيه:

أســـــــلمني في هـــــــواه أســـــلمُ هـــذا الرّشـــــــا[2]

=وما هي؟ قلت له: قد علمت ما جمعك مع أحمد من ذمام الطلب عندي، فقال: نعم ولكن قد تعلم أنه أشهر اسمي وآذاني، فقلت له: كلّ ذلك مغتفر في الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلّفني هذا، فقلت له: لا بدّ، فليس عليك في ذلك شيء، فإنما هي عيادة مريض، قال : ولم أزل به حتى أجاب، فقلت: فقم الآن فقال لي: لست والله أفعل ذلك، ولكن غداً، فقلت له: ولا خلف، فقال: نعم. قال:فانصرفت إلى أحمد بن كليب وأخبرته بوعده بعد تأبيه، فسرّ بذلك وارتاحت نفسه.قال: فلما كان من الغد بكّرت إلى أسلم وقلت له: الوعد، فوجم وقال: والله لقد تحملني على خطّة صعبة، وما أدري كيف أطيق ذلك، فقلت له: لا بد من أن تفي بوعدك. فأخذ رداءه ونهض معي راجلاً، فلما أتينا منزل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، فلما توسط الدرب وقف واحمرّ وخجل وقال لي: الساعة والله أموت وما أستطيع أن أنقل قدمي ولا أن أعرض هذا على نفسي، فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل تنصرف، قال: لا سبيل والله إلى ذلك البتة، قال:ورجع مسرعا فاتبعته وأخذت بردائه فتمادى وتمزّق الرداء وبقيت قطعة منه في يدي، ومضى ولم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل إليه إذ رآنا من أول الدرب مبشّراً، فلما رآني دونه تغير لونه وقال: وأين أبو الحسن ؟ فأخبرته بالقصة فاستحال من وقته واختلط، وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الترجع، فاستبشعت الحال وجعلت أترجّع وقمت، فثاب إليه ذهنه وقال لي يا أبا عبد الله: اسمع، وأنشد:

أســـلم يـــا راحـــــة العليـــــل رفقـــا علـــى الهـــائم النحيـــل

وصـــلك أشـــهى إلى فـــؤادي مـــن رحمـــة الخـــالق الجليـــل

فقلت له: اتق الله، ما هذه العظيمة، فقال لي: قد كان ما كان. فخرجت عنه، فو الله ما توسطت الدرب حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا، ينظر القصة: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٢٥- ١٢٨ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٨٩- ١٩٠ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢٤٦/١٥- ٢٤٩ ؛ السراج، مصارع العشاق، ٢٩٧/١- ٣٠٠ ؛ ياقوت، معجم الأدباء، ٤٢٢/١- ٤٢٥ ؛ القفطي، أنباه الرواة، ١٣١/١- ١٣٢ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٩٦/٧- ١٩٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٧/١٢- ٤٨ ؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢٨١/٤- ٢٨٢ ؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٣٥٤/١- ٣٥٥.

١) هو أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبد العزيز، من أهل قرطبة، أخذ النحو عن محمد بن خطاب وسمع الحديث من أبي عبد الله بن مفرج، ينظر: ابن الأبار، التكملة، ١٧٤/١.

٢) الرشا ولد الظبية إذا قوى ومشى مع أمّه، ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٩٧/٢ ؛ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٨٧/٨ (مادة ر ش أ).

غـــــزال لـــــه مقلـــــــة يصـــيبُ بهـــا مـــن يشـــا

وشـــى بيننـــا حاســـد سيســـأل عمـــا وشـــى

ولـــو شـــاء أن يرتشـــي علــى الوصــل روحــي ارتشــى

ومات كمداً من هواه.

وتوفي في جمادى الأولى منها أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الأديب الأندلسي[1] ، ومن شعره:

إن الكـــريم إذا نالتـــه مخمصـــة أبـدى إلى النـاس شـبعاً، وهـو طيـان

يحني الضلوع على مثل اللظى حرقاً والوجــه غمــر بمــاء البشــر مــلآن

وله أيضاً:

كتبـــت لهـــا انـــني عاشـــق علــى مهــرق اللــثم بالنــاظر

فــردت علـــي جـــواب الهـــوى بـــأحور عـــن مائـــه حـــائر

منعمـــة نطقـــت بـــالجفون فــدلت علــى دقــة الخــاطر

كــأن فــؤادي، إذا أعرضـــت تعلـــق في مخلـــبي طـــائر

---

١) هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ، الأشجعي، من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط، من العلماء بالأدب ومعاني الشعر وأقسام البلاغة، قال الحميدي: له كتاب (حانوت عطار) ، وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد، كثيرة الهزل، وشعره كثير مشهور، توفي سنة ٤٢٦هـ، جذوة المقتبس، ص١١٧- ١٢٠ ؛ ينظر أيضاً: الثعالبي، يتيمة الدهر، ٤١/٢- ٥٨ ؛ ابن بسام، الذخيرة، ١٩١/١ وما بعدها ؛ ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص١٨٩- ٢٠١ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٧٧- ١٧٩ ؛ ابن دحية، المطرب، ص١٥٨- ١٦٤ ؛ ياقوت، معجم الأدباء، ٣٥٨/١- ٣٥٩ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٧٨/١- ٨٥ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١٦/١- ١١٨.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

ذكر ابتداء دولة الملثمين

في هذه السنة كان ابتداء أمر الملثمين ، وهم عدة قبائل ينسبون إلى حمير[١] ، أشهرها: لمتونة[٢] ، ومنها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين[٣] ، وجدالة[٤] ولمطة[٥].

وكان أول مسيرهم من اليمن ، أيام أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، فسيّرهم إلى الشام وانتقلوا إلى مصر ، ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير ، وتوجهوا مع طارق إلى طنجة ، فأحبوا الانفراد ، فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية[٦].

---

١) قال ابن حزم عند كلامه عن نسب البربر: (قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح- عليه السلام وادّعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل ، لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر أصلاً. ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرّخي اليمن...) جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٥.

٢) لمتونة وهم أحد بطون صنهاجة البربرية قال البكري: وهم (ضواعن رحالة في الصحراء، مراحلهم فيه مسير شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام)، المسالك والممالك، ٣٥١/٢.

٣) علي بن يوسف بن تاشفين حكم دولة المرابطين في المغرب والأندلس للمدة بين ٥٠٠- ٥٣٧هـ، ينظر: المراكشي، المعجب، ١٣٠- ١٣٦ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٧- ١٦٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٤٥/٣٦- ٤٤٧ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٢٠٥/٣ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٦١/٢- ٦٩.

٤) جدالة هم أحد بطون قبيلة صنهاجة البربرية قال البكري: وهم يجاورون البحر وليس بينه وبينهم أحد ، المسالك والممالك، ٣٥١/٢.

٥) ذكر ابن حزم أن صنهاج ولمط ابنا امرأة تدعى تزكى لا يعرف لها أب تزوجها أوريغ برنس ، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨ ؛ وقال ابن خلدون: إن لمطة وجزولة وهكسورة أخوة صنهاجة وأمّهم تدعى تصكي العرجاء بنت زحيك بن مادغيس، ولمطة مجاورون الملثمين من صنهاجة، وأكثرهم ظواعن أهل وبر ومنهم بالسوس قبيلتا زكن ولخس، تاريخ ابن خلدون، ٢٧٠/٦.

٦) قال ابن حزم: (وزعم قومٌ في أوريغ أنه ابن خبور بن المثنى بن المسور، من السكاسك من كندة؛ وذلك كله باطل)، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٧.

فلما كان هذه السنة[1] توجه رجل منهم ، اسمه الجوهر ، من قبيلة جدالة إلى إفريقية[2] ، طالباً للحج ، وكان محباً للدين وأهله ، فمر بفقيه بالقيراون ، وعنده

---

١) اختلفت المصادر في السنة التي التقى فيها يحيى بن إبراهيم الجدالي بالفقيه أبي عمران الفاسي فقيل ٤٢٧هـ، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٢٢ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٦/٢، وقيل سنة ٤٤٠هـ، ابن عذاري، البيان المغرب، ٧/٤ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٢٤٢/٦.

٢) رواية ابن الأثير هنا جاءت مختلفة عن ما ورد في بعض المصادر الأندلسية والمغربية، إذ أن الذي ذهب إلى الحج هو زعيم قبيلة جدالة البربرية يحيى بن إبراهيم الجدالي وليس الجوهر، ذلك أن يحيى بن إبراهيم الجدالي عزم الذهاب إلى الحج سنة ٤٢٧هـ، وعند عودته التقى في مدينة القيروان بالفقيه أبي عمران الفاسي وحضر بعض دروسه فأعجب به وأدرك ما عليه قومه من الجهل بالدين فطلب من الفقيه الفاسي أن يرسل معه من تلامذته من يعلم قومه تعاليم الدين الصحيحة والقرآن، فندب الفاسي تلامذته فأشفقوا من دخول الصحراء، فأرشده أن يذهب إلى بلدة نفيس من بلاد السوس وحمله رسالة إلى أحد أصحابه وهو الشيخ وجاج بن زلو اللمطي لمساعدة الأمير يحيى، فأرسل معه الأخير أحد تلامذته وهو عبد الله بن ياسين الجزولي، فدخل معه ديار جدالة فرحبوا به وأكرموه، وهناك أخذ عبد الله بن ياسين يعلمهم وبدأ بزعيمهم يحيى بن إبراهيم الذي كان متزوجاً تسع نساء فأمره أن يمسك عنده أربع ويسرح الباقين، ثم ندب الآخرين إلى ذلك بما يوافق تعاليم الإسلام، فلما رآه شدد عليهم في ترك ما هم عليه من المنكرات نافروه وثقل عليهم، إذ أن الكثير منهم لا يصلون أو يزكون ولا يعرفون من الإسلام إلا الشهادة، فلما رأى إعراضهم قرر الرحيل عنهم إلى بلاد السودان، فقال له يحيى بن إبراهيم لا أتركك فيمن ضلّ من قومي ولكن أشير عليك أن نذهب إلى جزيرة في البحر قريبة من الساحل فنعبد الله حتى نموت، فأجابه عبد الله بن ياسين، فدخلا الجزيرة مع عدد قليل من أصحابه وبنوا لهم رباط هناك، فمكثوا هناك مدة ثلاثة أشهر فتسامع الناس بهم فالتحقوا بهم حتى بلغ عددهم نحو ألف فسماهم المرابطين، ثم دعاهم إلى الجهاد فغزا بهم قبيلة جدالة فأخضعهم ثم عدا إلى لمتونة وضمهم إلى طاعته، وأخذ يحارب من عصاه بمن أطاعه حتى غلب على الكثير من بلاد المغرب، ثم توفي يحيى بن إبراهيم الجدالي، فبايع عبد الله بن ياسين مكانه يحيى بن عمر اللمتوني، وطاعت لهم معظم بلاد الصحراء، وأخضعوا مدينة سجلماسة وجعلوا عليها عاملاً من لمتونة، ثم انصرفوا إلى الصحراء، وفي سنة ٤٤٨هـ توفي يحيى بن عمر اللمتوني فقدم عبد الله بن ياسين أخاه أبا بكر بن عمر كزعيم حرب، فغزا بلاد السوس ثم بلاد برغواطة، وجرت بينهم حروب عديدة سقط خلالها عبد الله بن ياسين الذي توفي متأثراً بجراحه سنة ٤٥١هـ، فانتقلت الرياسة العامة للمرابطين إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني الذي غزا برغواطة وكسر شوكتهم، ثم فتح بلاد زناتة ومكناسة، وكان أبو بكر بن عمر رجلاً صالحاً يحب الغزو فقرر الخروج إلى الصحراء برسم الجهاد وترك ابن عمّه يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب وذلك سنة ٤٥٣هـ، فمكث مدة هناك فيما عزز يوسف من نفوذه ومكانته في المغرب، فلما رجع تلقاه يوسف وهو راكب ورأى ما معه من الجيوش، فسأله ما جاجتك لهذه=

جماعة يتفقهون، قيل: هو أبو عمران الفاسي[1] في غالب الظن، فأصغى الجوهر

=الجيوش فقال يوسف: أقاتل بها من خالفني عندها استراب أبو بكر بن عمر منه، فنظر إلى ألف بعير موقورة فقال له: ما تفعل بالإبل، قال: جئت بها إليك تستعين بها على حرب الصحراء فازداد ارتياباً منه، عندها قرر الرجوع إلى الصحراء فأقام يجاهد الكفار هناك حتى وفاته سنة ٤٨٠هـ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٧/٤- ٢٤ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٢٢- ١٣٦ ؛ ابن خلدون، ٢٤٢/٦- ٢٤٥ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٥/٢- ٢٤ ؛ أما الجوهر الذي أشار إليه ابن الأثير أعلاه، فقد ورد بشكل مختلف عند البكري وابن عذاري، فذكر البكري أن عبد الله بن ياسين عندما حلّ بجدالة (... وهم يسمعون له ويطيعون إلى أن نقموا عليه أشياء يطول ذكرها، وكأنهم وجدوا في أحكامه بعض التناقض، فقام عليه فقيه منهم اسمه الجوهر بن سكم مع رجلين من كبرائهم يقال لأحدهما أيار وللآخر ايتتكوا، فعزلوه عن الرأي والمشورة وقبضوا منه بيت مالهم وطردوه وهدموا داره وانتهبوا ما كان فيها من أثاث وفرش فخرج مستخفياً من قبائل صنهاجة إلى أن أتى وجاج بن زلوى فقيه ملكوس، فعاتبهم وجاج على ما كان منهم إلى عبد الله فأعلمهم أن من خالف أمر عبد الله فقد فارق الجماعة وأن دمه هدر، فأمر عبد الله بالرجوع إليهم فرجع وقتل الذين قاموا عليه... واستولى على الصحراء كلها...)المسالك والممالك، ٢٥٣/٢ ؛ أما ابن عذاري فقال: (وبقي فيهم عبد الله بن ياسين يمتثلون كل ما أمر به يأمرهم منقادين لأمره ونهيه، إلى أن نقض عليه شخص منهم اسمه الجوهر بن سحيم شيئاً من أحكامه وجد فيها تناقضاً فتوافق مع بعض رجال من كبرائهم فعزلوه من الرأي والمشورة، وقطعوا منه مالهم، وانتهبوا داره وهدموها، وأخذوا ما كان فيها، وخرج عبد الله بن ياسين منهم خائفاً، ...)البيان المغرب، ٨/٤- ٩ ؛ وجاءت رواية القاضي عياض أقرب إلى رواية ابن الأثير إذ قال: كان عبد الله بن ياسين (من طلبة أوكاد بن زلوه اللمطي، في داره، التي بناها بالسوس للعلم والخير، وسماها دار المرابطين. إلى أن مرّ به رجل من جزلة يعرف بالجوهر بن سكن، ممن كان يحب الخير، منصرفاً من الحج، فرغب إلى أوكاد، أن يوجه معه رجلاً من طلبته، ليعلم قومه العلم، إذ كان الدين عندهم قليلاً، وأكثرهم جاهلية، ليس عند أكثرهم غير الشهادتين... فوجه معه عبد الله بن ياسين، وكان موصوفاً بعلم وخير، فسار معه، ... ثم جرت له قصص، مع هذا الحاج، الجالب له ولغيره من الشدة، في إقامة الحدود، خاف منها آخراً على نفسه. قيل إنه أفتى بقتل الحاج المذكور، لأمر أوجبه عنده. وخرج عن جزولة إلى ملتونة....) ترتيب المدارك، ٨١/٨- ٨٢.

١) هو أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج البربري الزناتي الفاسي المالكي من أهل فاس نزل القيروان تفقه بأبي الحسن القابسي وفي الأندلس بأبي محمد الأصيلي كما رحل إلى بغداد وأخذ من أبي بكر الباقلاني كان محدثاً وفقيهاً، توفي بالقيروان سنة ٤٣٠هـ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٣٨ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥٧ ؛ الذهبي، سير، ٢٠٧/١٣ ؛ ابن حجر، تبصير المنتبه، ١٤١٠/٤؛ السلاوي، الاستقصا، ٢٨٣/١.

إليه ، وأعجبه حالهم.

فلما انصرف من الحج قال للفقيه: ما عندنا في الصحراء من هذا شيء غير الشهادتين ، والصلاة في بعض الخاصة ، فابعث معي من يعلمهم شرائع الإسلام! فأرسل معه رجلاً اسمه عبد الله بن ياسين الكزولي ، وكان فقيهاً ، صالحاً ، شهماً ، فسار معه حتى أتيا قبيلة لمتونة ، فنزل الجوهر عن جمله ، وأخذ بزمام جمل عبد الله ابن ياسين ، تعظيماً لشريعة الإسلام ، فأقبلوا إلى الجوهر يهنئونه بالسلامة ، وسألوه عن الفقيه فقال: هذا حامل سنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد جاء يعلمكم ما يلزم في دين الإسلام. فرحبوا بهما ، وأنزلوهما ، وقالوا: تذكر لنا شريعة الإسلام ، فعرفهم عقائد الإسلام وفرائضه ، فقالوا: أما ما ذكرت من الصلاة ، والزكاة ، فهو قريب ، وأما قولك من قتل يقتل ، ومن سرق يقطع ، ومن زنى يجلد ، أو يرجم ، فأمر لا نلتزمه ، اذهب إلى غيرنا.

فرحلا عنهم ، فنظر إليهما شيخ كبير فقال: لا بد وأن يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء شأن يذكر في العالم. فانتهى الجوهر والفقيه إلى جدالة ، قبيل الجوهر ، فدعاهم عبد الله بن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم إلى حكم الشريعة ، فمنهم من أطاع ، ومنهم من أعرض وعصى.

ثم إن المخالفين لهم تحيزوا ، وتجمعوا ، فقال ابن ياسين للذين أطاعوا: قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق ، وأنكروا شرائع الإسلام ، واستعدوا لقتالكم ، فأقيموا لكم راية ، وقدموا عليكم أميراً. فقال الجوهر: أنت الأمير! فقال: لا ، إنما أنا حامل أمانة الشريعة ، ولكن أنت الأمير. فقال الجوهر: لو فعلت هذا تسلط قبيلي على الناس ، ويكون وزر ذلك عليّ. فقال له ابن ياسين: الرأي أن نولي ذلك أبا بكر بن عمر ، رأس لمتونة وكبيرها ، وهو رجل سيد ، مشكور الطريقة ، مطاع في قومه ، فهو يستجيب لنا لحب الرئاسة ، وتبعه قبيلته ، فنتقوى بهم.

فأتيا أبا بكر بن عمر ، وعرضا ذلك عليه ، فأجاب ، فعقدوا له البيعة ، وسماه ابن ياسين أمير المسلمين ، وعادوا إلى جدالة ، وجمعوا إليهم من حسن إسلامه ، وحرضهم عبد الله بن ياسين على الجهاد في سبيل الله ، وسماهم مرابطين ، وتجمع

عليهم من خالفهم ، فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على أولئك الأشرار بالمصلحين من قبائلهم ، فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم نحو ألفي رجل من أهل البغي والفساد ، فتركوهم في مكان ، وخندقوا عليهم ، وحفظوهم ، ثم أخرجوهم قوماً بعد قوم ، فقتلوهم ، فحينئذ دانت لهم أكثر قبائل الصحراء ، وهابوهم ، فقويت شوكة المرابطين.

هذا وعبد الله مشتغل بالعلم ، وقد صار عنده جماعة من يتفقهون ، ولما استبد بالأمر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجدالي وبقي لا حكم له تداخله الحسد ، وشرع سراً في فساد الأمر ، فعلم بذلك منه وعقد له مجلس ، وثبت عليه ما نقل عنه ، فحكم عليه بالقتل لأنه نكث البيعة ، وشق العصا ، وأرد محاربة أهل الحق ، فقتل بعد أن صلى ركعتين ، وأظهر السرور بالقتل طلباً للقاء الله تعالى. فاجتمعت القبائل على طاعتهم ، ومن خالفهم قتلوه.

فلما كان سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلادهم ، فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج إلى السوس[1] وأخذ الزكاة ، فخرج منهم نحو تسعمائة رجل ، فقدموا سجلماسة[2] ، وطلبوا الزكاة ، فجمعوا لهم شيئاً له قدر وعادوا.

ثم إن الصحراء ضاقت عليهم ، وأرادوا إظهار كلمة الحق ، والعبور إلى الأندلس ليجاهدوا الكفار ، فخرجوا إلى السوس الأقصى ، فجمع لهم أهل السوس وقاتلوهم ، فانهزم المرابطون ، وقتل عبد الله بن ياسين الفقيه ، فعاد أبو بكر بن عمر فجمع جيشاً وخرج إلى السوس في ألفي راكب ، فاجتمع من بلاد السوس وزناتة اثنا عشر ألف فارس فأرسل إليهم وقال: افتحوا لنا الطريق لنجوز إلى الأندلس ونجاهد أعداء الإسلام ،

---

١) السوس قال ابن خرداذبة : (... وخلف طنجة السّوس الأدنى وهى من القيروان على ألفى ميل ومائة وخمسين ميلا وأهلها برير ، وخلف السوس الأدنى السوس الأقصى وبينهما مسيرة نيّف وعشرين يوما) المسالك والممالك، ص٨٩.

٢) قال صاحب كتاب الإستبصار: سجلماسة(مدينة عظيمة من أعظم مدن الغرب، وهي على طرف الصحراء لا يعف في قبليها ولا غربيها عمران، وبينها وبين صحراء غانة مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة قليلة الماء...) مؤلف مجهول، الإستبصار، ص٢٠٠- ٢٠١.

فأبوا ذلك ، فصلى أبو بكر ، ودعا الله تعالى ، وقال: اللهم إن كنا على الحق فانصرنا ، وإلا فأرحنا من هذه الدنيا. ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال ، فنصرهم الله تعالى ، وهزم أهل السوس ومن معهم وأكثر القتل فيهم ، وغنم المرابطون أموالهم وأسلابهم ، وقويت نفسه ونفوس أصحابه ، وساروا إلى سجلماسة فنزلوا عليها ، وطلبوا من أهلها الزكاة ، فامتنعوا عليهم ، وسار إليهم صاحب سجلماسة فقاتلهم فهزموه وقتلوه ، ودخلوا سجلماسة واستولوا عليها ، وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

ذكر ولاية يوسف بن تاشفين[1]

لما ملك أبو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني ، وهو من بني عمّه الأقربين ، ورجع إلى الصحراء ، فأحسن يوسف السيرة في الرعية ، ولم يأخذ منهم سوى الزكاة ، فأقام بالصحراء مدة ، ثم عاد أبو بكر بن عمر إلى سجلماسة ، فأقام بها سنة ، والخطبة والأمر والنهي له ، واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن إبراهيم بن عمر ، وجهز مع يوسف بن تاشفين جيشاً من المرابطين إلى السوس ففتح على يديه.

وكان يوسف رجل ديناً ، خيراً ، حازماً ، داهية ، مجرباً[2] ، وبقوا كذلك إلى سنة

---

١) ساق ابن أبي زرع نسبه، قال: هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي بن تليت بن الحميري الصنهاجي وأمّه فاطنة بنت سير بن يحيا بن وجاج بن ورتانطق ولد سنة ٤٠٠هـ بالصحراء وتوفي سنة ٥٠٠هـ روض القرطاس، ص١٣٦، ١٣٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤.

٢) قال ابن الخطيب عن سيرة يوسف بن تاشفين: (كان، رحمه الله، خائفا لربّه، كتوما لسرّه، كثير الدعاء والاستخارة، مقبلاً على الصلاة، مديماً للاستغفار، أكثر عقابه لمن تجرأ أو تعرض لانتقامه الاعتقال الطويل، والقيد الثّقيل، والضرب المبرّح، إلّا من انتزى أو شقّ العصا، فالسيف أحسم لانتشار الداء. يواصل الفقهاء، ويعظّم العلماء، ويصرف الأمور إليهم، ويأخذ فيها بآرائهم، ويقضي على نفسه وغيره بفتياهم، ويحضّ على العدل، ويصدع بالحق، ويعضّد الشّرع، ويحزم في المال، ويولع بالاقتصاد في الملبس والمطعم والمسكن، إلى أن لقي الله، مجدّا في الأمور، ملقنا للصواب، مستحبّا حال الجد، مؤدّيا إلى الرعايا حقّها، من الذّب عنها، =

اثنتين وستين وأربعمائة ، وتوفي أبو بكر بن عمر بالصحراء[1] ، فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين ، وملكوه عليهم ، ولقبوه أمير المسلمين ، وكانت الدولة في بلاد المغرب لزناتة[2] الذين ثاروا في أيام الفتن ، وهي دولة ردية ، مذمومة ، سيئة السيرة ، لا سياسة ولا ديانة ، وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة ، واتباع الشريعة ، فاستغاث به أهل المغرب ، فسار إليها وافتتحها حصناً حصناً ، وبلداً بلداً بأيسر سعي ، فأحبه الرعايا ، وصلحت أحوالهم.

ثم إنه قصد موضع مدينة مراكش[3] ، وهو قاع صفصف ، لا عمارة فيه ، وهو

=والغلظة على عدوها ، وإفاضة الأمن والعدل فيها. يرى صور الأشياء على حقيقتها) الإحاطة ، ٣٠٣/٤ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٣٢/١٠.

١) ذهبت معظم المصادر المغربية إلى أن الأمير أبا بكر بن عمر توفي سنة ٤٨٠هـ، ذلك أنه بعد فتح سجلماسة وتوغله كثيراً في بلاد المغرب أتته الأنباء عن اختلال أمر الصحراء بسبب خلاف حدث بين لمتونة وجدالة، فقرر الخروج إلى الصحراء حيث موطنهم الأصلي بثلثي الجيش وترك ثلث مع ابن عمّه يوسف بن تاشفين كما نزل له عن زوجته زينب بنت إسحاق النفزاوية، وبقي هناك مدة تمكن خلالها من القضاء على الفتنة وإصلاح الأمر، ثم ترامت إليه أنباء الانتصارات التي حققها يوسف بن تاشفين، فعاد إلى مدينة أغمات التي اتخذها المرابطون عاصمة لهم قبل مراكش، وخلال مدة غيابه تمكن يوسف من تعزيز نفوذه في بلاد المغرب الأوسط والجنوبي واستطاع أن يخضع زناتة ومغراوة إلى نفوذه، عندها شعر يوسف بحراجة الموقف بين الاستبداد بالسلطة التي بناها بنفسه أو الخضوع للحاكم الشرعي الذي ولاه البلاد، وقد تمكن من التخلص من ذلك الموقف بتدبير زوجته زينب النفزاوية إذ أشارت عليه أن يريه الاستبداد في أحواله وأن يعدّ له متاع الصحراء، ففطن لذلك الأمير أبو بكر، وسلّم له الأمر، ورجع إلى الصحراء حتى توفي سنة ٤٨٠هـ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠/٤- ٢٦ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٣٣- ١٣٦ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤- ٣٠٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٤٥/٦ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٢١/٢- ٢٢ ؛ وقد وافق النويري ابن الأثير في سنة وفاة أبي بكر بن عمر إذ أنه نقل عنه، نهاية الأرب، ٢٦١/٢٤.

٢) قامت دولة زناتة البربرية منذ منتصف القرن الرابع الهجري حتى قضى عليها المرابطون سنة ٤٦١هـ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٥٢/١- ٣٥٥ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠٢- ١١٩ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٣/٧- ٤٨ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٢٦٢/١- ٢٨١.

٣) وصف الإدريسي مراكش قال: إنها (... مدينة بناها يوسف بن تاشفين في صدر سنة سبعين وأربع=

موضع متوسط في بلاد المغرب كالقيراون في إفريقية ، ومراكش تحت جبال المصامدة الذين هم أشد أهل المغرب قوة ، وأمنعهم معقلاً ، فاختط هناك مدينة مراكش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال إن هموا بفتنة ، واتخذها مقراً[1] ، فلم يتحرك أحد بفتنة ،

=مائة بعد أن اشترى أرضها من أهل اغمات بجملة أموال، واختطها له ولبني عمّه وهي في وطاء من الأرض ليس حولها شيء من الجبال إلا جبل صغير يسمى ايجليز، ومنه قطع الحجر الذي بني منه قصر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وهو المعروف بدار الحجر، وليس في موضع مدينة مراكش حجر البتة إلا ما كان من هذا الجبل وإنما بناؤها بالطين والطوب والطوابي المقامة من التراب، وماؤها الذي تسقى به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة استخرج ذلك عبيد الله بن يونس المهندس، وسبب ذلك أن ماءهم ليس ببعيد الغور موجود إذا احتفر قريبا من وجه الأرض، وذلك أن هذا الرجل المذكور وهو عبيد الله بن يونس جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبي الفضل مولى أمير المسلمين المقدم ذكره فقصد إلى أعلى الأرض مما يلي البستان فاحتفر فيه بئرا مربعة كبيرة التربيع ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض ومر يحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض متدرجا إلى أسفله بميزان حتى وصل الماء إلى البستان وهو منسكب مع وجه الأرض يصب فيه فهو جار مع الأيام لا يفتر، وإذا نظر الناظر إلى مسطح الأرض لم ير بها كبير ارتفاع يوجب خروج الماء من قعرها إلى وجهها وإنما يميز لك عالم بالسبب الذي به استخرج ذلك الماء والسبب هو الوزن للأرض...)نزهة المشتاق، ٢٣٤/١ ؛ وقال ابن خلكان عن مراكش هي: (مدينة عظيمة بناها الأمير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش، معناه: امش مسرعاً بلغة المصامدة، كان ذلك الموضع مأوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعرف الموضع بها) وفيات الأعيان، ١٢٤/٧.

1) اختلفت المصادر في السنة التي بنى فيها يوسف بن تاشفين مدينة مراكش، فجعلها صاحب كتاب الإستبصار سنة ٤٥٩هـ، ص٢٠٨ ؛ والإدريسي وياقوت والحميري ذكروا أنها بنيت سنة ٤٧٠هـ، نزهة المشتاق، ٢٣٣/١ ؛ معجم البلدان، ٩٤/٥ ؛ الروض المعطار، ص٥٤٠ ؛ فيما ذهب ابن عذاري أنها بنيت سنة ٥٦٢هـ، البيان المغرب، ١٩/٤- ٢٠ ولكنه أشار إلى أن أبا بكر بن عمر هو الذي شرع ببنائها ؛ وقال ابن أبي زرع وابن الخطيب وابن خلدون إنها بنيت سنة ٤٥٤هـ، الروض القرطاس، ص١٣٨ ؛ أعمال الأعلام، ٣٨٦/٢، وقال في الحلل الموشية: إن الذي بناها أبو بكر بن عمر سنة٤٠٢هـ،ص٦، وهو تاريخ مستبعد لأن المرابطين لم يظهروا على مسرح الأحداث إلا بعد منتصف القرن الخامس الهجري، ويبدو أن فيه تصحيف كما أن هذا التاريخ ناقض ما جاء في كتابه أعمال الأعلام.

وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة ، وطنجة ، وسلا[1] ، وغيرها ، وكثرت عساكره.

وخرجت جماعة قبيلة لمتونة وغيرهم ، وضيقوا حينئذ لثامهم ، وكانوا قبل أن يملكوا يتلثمون في الصحراء من الحر والبرد ، كما يفعل العرب ، والغالب على ألوانهم السمرة ، فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام.

وقيل كان سبب اللثام[2] لهم أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم ، فخالفهم العدو إلى بيوتهم ، ولم يكن بها إلا المشايخ ، والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن يلبسنّ ثياب الرجال ، ويتلثمنّ ، ويضيقنه ، حتى لا يعرفنّ ، ويلبسن السلاح. ففعلن ذلك ، وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن ، واستدار النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعاً عظيماً ، فظنه رجالاً ، فقال: هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهنّ قتال الموت ، والرأي أن نسوق النعم ونمضي ، فإن اتبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم.

فبينما هم في جمع النعم من المراعي إذ قد أقبل رجال الحي ، فبقي العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو فأكثروا ، وكان من قتل النساء أكثر ، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه ، فلا يعرف الشيخ من الشاب ، فلا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً ، ومما قيل في اللثام:

قوم لهم درك العلى في حمير ... وإن انتموا صنهاجةً فهم هم

لما حووا إحراز كل فضيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثموا[3]

---

1) سلا هي مدينة بينها وبين البحر مسيرة يوم وليلة ويقابلها من مراسي بر الأندلس وادي شلب، مؤلف مجهول، الإستبصار، ص١٤٠- ١٤١.

2) ينظر عن سبب اللثام: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٢٩/٧- ١٣٠ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١٢٧/٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٦٣/٢٤- ٢٦٤ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٧٨/٢٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٣٧/١٠ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٤/٢ ؛ السلاوي، الإستقصا، ٣/٢- ٤؛ الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ص٩ - ١٠ ؛ تقدم الحديث عن ذلك عند الكلام عن أحداث الأندلس سنة ٤٠٧هـ، ينظر ذلك والتعليق عليها.

3) البيتين من نظم أبي بكر يحيى بن سهل اليكي المعروف بهجّاء المغرب المتوفى في حدود ٥٦٠هـ، ينظر: ابن سعيد، المغرب، ٢٦٨/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٠٥/٣ ؛وذكر السلاوي أن قائل البيتين أبو محمد بن أحمد الكاتب، الإستقصا، ٤/٢.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة

في هذه السنة استولى الفرنج ، لعنهم الله ، على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس ، وأخذوها من المسلمين ، وهي من أكبر البلاد وأحصنها.

وسبب ذلك أن الأذفونش ، ملك الفرنج بالأندلس ، كان قد قوي شأنه ، وعظم ملكه ، وكثرت عساكره ، مذ تفرقت بلاد الأندلس ، وصار كل بلد بيد ملك ، فصاروا مثل ملوك الطوائف ، فحينئذ طمع الفرنج فيهم ، وأخذوا كثيراً من ثغورهم.

وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذي النون ، وعرف من أين يؤتى البلد[1] ، وكيف الطريق إلى ملكه. فلما كان الآن جمع الأذفونش عساكره وسار إلى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين ، وأخذها من القادر ، فازداد قوة إلى قوته[2].

---

١) كان فرناندو الأول (٤٢٩هـ - ٤٥٨هـ) قد قسم المملكة الاسبانية بين أولاده فكانت قشتالة من نصيب سانشو وليون من حصة الفونسو وجليقية والبرتغال من حصة غرسية، وبعد وفاته نشب النزاع بين الأخوة حول مناطق النفوذ، فهاجم سانشو ليون واضطر أخوه الفونسو إلى الفرار والتجأ إلى طليطلة سنة ٤٧١هـ فرحب به ملكها المأمون بن ذي النون وأنزله بجوار قصره، وبقي بضيافة المأمون تسعة أشهر كان خلالها يتربص بجنبات المدينة ويفكر في وسائل اقتحامها إذا سنحت له الفرصة، وفعلاً شاءت الأقدار أن تتطور الأحداث في قشتالة، ذلك أن سانشو طمع في الاستيلاء على أملاك أخيه الأصغر غرسية، وكان الأخير قد أساء السيرة في معاملة الرعية حتى ضاقوا به ذرعاً، ولهذا لم يجد سانشو صعوبة في الإطاحة به، ثم توجه نحو مدينة سمورة وأثناء حصارها قتل من قبل أحد الجنود وذلك سنة ٤٦٥هـ، عندها قرر القشتاليون استدعاء الفونسو ليتولى الحكم مكان أخيه، فلما وصل النبأ إلى المأمون بن ذي النون أبدى سروره واستعداده لمساعدته على أن يقطع عهداً له بأن يحترم صداقته، فقطع له الفونسو له ما شاء من الوعود، فقدم له المأمون الهدايا وأوصله إلى حدود بلاده واعتلى العرش في كل من ليون وجليقية وبذلك أعاد توحيد أسبانيا النصرانية، ولم تمض مدة يسيرة حتى توفي المأمون بن ذي النون وتولية حفيده القادر بالله الحكم في طليطلة عندها عمل الفونسو السادس على تنفيذ مشروعه الذي خطط له عندما كان لاجئاً بالاستيلاء على طليطلة، وهكذا أخذ يغير على أراضيها وينتسف زروعها مما اضطر حاكمها القادر إلى الخضوع له ودفع الجزية وذلك سنة ٤٧٤هـ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٥٠- ٥٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٣٨٩- ٣٩٧ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٣٤- ٣٣٥ ؛ نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص٢١٢- ٢١٤.

٢) يصف لنا ابن الكردبوس سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس بقوله: (...وزحف كل ثائر إلى بلاد=

وكان المعتمد على الله أبو عبد الله محمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين ، وكان يملك أكثر البلاد مثل: قرطبة وإشبيلية ، وكان يؤدي إلى الأذفونش ضريبة كل سنة. فلما ملك الأذفونش طليطلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته ، فردها عليه ولم يقبلها منه[1] ، فأرسل إليه يتهدده ويتوعده أنه يسير إلى مدينة قرطبة

=القادر طمعاً في تملكها ، والحصول على قطب فلكها ، فابن عباد يشن عليه الغارات من الغرب ، وابن هود يذيقه من الشرق غصص الكرب ، فلما تحقق القادر أنه لا طاقة له على الدفاع ، ولا سبيل له عنهم في امتناع ، كتب إلى الفنش ، وتخلى له عن طليطلة وأنظارها ، فطار إليها الفنش بجناح ، ووصل العدو بالرواح ، فحين وافاه أخلى له البلد ، وحصل فيها بالأهل والولد ، بعد أن شرط عليه من فيها من المسلمين أن يؤمنهم في أنفسهم وأموالهم وبنيهم ، وأن من أحب منهم الخروج لم يمنع منه ، ومن أحب المقام لم يلزمه سوى أداء الجزية على عدد ما عنده من الأشخاص ، وان رجع بعد رحيله نزل على ما كان بيده من عقار دون تعرض عليه لا في كثيرة ولا في قليلة ، فعاهدهم على ذلك ، وأعطاهم صفقة يمين ، وأقسم أن لا يغدر في ذلك ولا يمين ، وكان تملكه لها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وكان استفتاح طارق لها سنة تسعين (الصحيح ٩٢هـ) ، فأقامت دار الإسلام ثلاثمائة سنة وثمانية وثمانين من الأعوام ، فخرج المسلمون من جميع الأقطار حين تملكها العدو ولم يكن لهم قرار ، ولا هدوّ ولا طمع في التخلص من يد اللعين سوى أنباء طرأت عليهم من قبل المرابطين ، وأنهم قد ملكوا مغرب العدوة وطردوا عنه الزناتيين ، فكأنهم أنسوا بأنبائهم ، ورجوا الفرج من تلقائهم... ولما حصل الطاغية الفنش لعنه الله بطليطلة ، شمخ بأنفه ، ورأى زمام الأندلس قد حصل في كفه ، حتى فاز باستخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستأصالها ، وذلك ثمانون منبراً سوى البُنَيّات ، والقرى المعمورات ، وحاز من وادي الحجارة إلى طلبيرة ، وفحص اللج وأعمال شنتمرية كلها ، فلم يكن بالجزيرة مَن يلقى أقلّ كلب من كلابه ، فعند ذلك وجه كل رئيس بالأندلس رسله إلى الفنش مهنئين ، وبأنفسهم وأموالهم مفتدين ، وفي أن يشركهم في بلادهم له عاملين ، ولأموالهم إليه جابين ، حتى إن صاحب شنتمرية حسام الدين ابن رزين نهض إليه بنفسه وتحمّل هدية عظيمة القدر سنية متقرباً إليه وراغباً أن يقره في بلده عاملاً بين يديه ، فجازاه على هديته بقرد وهبه إياه ، فجل ابن رزين يفخر به على سائر الرؤساء ويعتقد أنه جُنّتُه مما كان يحذر من الفنش من وقوع البأساء ، وانتحى الفنش انتحاء الجبابرة ، وأنزل نفسه منازل القياصرة ، وداخله الإعجاب ما احتقر به كل ماش على التراب ، وتسمى بالإمبراطور ، وهو بلغتهم أمير المؤمنين ، وجعل يكتب في كتبه الصادرة عنه من الإمبراطور ذي الملتين وأقسم لأرْسال الرؤساء ، أنه لا يترك في الجزيرة من الثوار أحداً ، ولا يبقى لهم ملتحدا ، سوى ما اكتنفته رعايتي ، وشملته عنايتي) تاريخ ابن الكردبوس ، ص٨٤- ٨٩ ؛ ينظر أيضاً : عبد الله بن بلقين ، مذكرات ، ص٥٥ ؛ ابن بسام ، الذخيرة ، ١٥٦/٤- ١٦٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٧٩/٢- ١٨٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢٠٧/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٤٧/٤- ٤٤٨.

١) ذكر ابن الكردبوس أن رسول المعتمد إلى الفونسو رجل يهودي يعرف بابن مشعل فقال له الفونسو (كيف أترك قوماً مَجَّانين ، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم=

ويتملكها إلا أن يسلم إليه جميع الحصون التي في الجبل ، ويبقي السهل للمسلمين ، وكان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس ، فأنزله محمد بن عباد ، وفرق أصحابه على قواد عسكره ، ثم أمر كل من عنده منهم رجل أن يقتله ، وأحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه ، وسلم من الجماعة ثلاثة نفر ، فعادوا إلى الأذفونش فأخبروه الخبر[1] ، وكان متوجهاً إلى قرطبة ليحاصرها ، فلما بلغه الخبر عاد إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ، ورحل المعتمد إلى إشبيلية.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

ذكر وقعة الزلاقة[2] بالأندلس وهزيمة الفرنج

قد تقدم ملك الفرنج طليطلة ، وما فعله المعتمد بن عباد برسول الأذفونش ، ملك الفرنج ، وعود المعتمد إلى إشبيلية. فلما عاد إليها ، وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ، ورأوا قوة الفرنج ، وضعف المسلمين ، واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على

=المعتد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يسل في الذبّ عن نفسه سيفاً، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً، قد أظهروا الفسوق والعصيان، واعتكفوا على المغاني والعيدان، وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً، وأن يدعها بين أيديهم سدىً) تاريخ الأندلس، ص٨٩.

١) أشار الحميري إلى هذه الحادثة بقوله: (وكان السبب في ذلك فساد الصلح المنقعد بين الطاغية وبين المعتمد، فإن المعتمد اشتغل عن أداء الضريبة في الوقت الذي صارت عادته يؤديها فيه، بغزو ابن صمادح صاحب المرية، واستنفاده ما في يديه بسبب ذلك، فتأخر لأجل ذلك أداء الإتاوة عن وقتها، فاستشاط الطاغية غضباً، وتشطط فطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة، وأمعن في التجنى، فسأل في دخول امرأته القمطيجة إلى جامع قرطبة لتلد فيه من حملٍ كان بها، حيث أشار إليه بذلك القسيسون والأساقفة، لمكان كنيسةٍ كانت في الجانب الغربي منه، ومعظمةٍ عندهم، عمل المسلمون عليها الجامع الأعظم؛ وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة، تنزل بها فتختلف منها إلى الجامع المذكور، حتى تكون تلك الولادة بين طيب نسيم الزهراء، وفضيلة ذلك الموضع الموصوف من الجامع، وزعم أن= الأطباء، أشاروا عليه بالولادة في الزهراء، كما أشار عليه القسيسون بالجامع، وسفر بذلك بينهما يهودي، وكان وزيراً لابن فرذلند، فتكلم بين يدي المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه، فأيأسه ابن عباد من جميع ذلك، فأغلظ له اليهودي في القول، وشافهه بما لم يحتمله، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه، فأنزلها على رأس اليهودي، فألقى دماغه في حلقه، وأمر به فصلب منكوساً بقرطبة) صفة، ص٨٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٢١/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٥٧/٤ ؛ نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص٢١٦- ٢١٧.

٢) الزلاقة قال الحميري: هي بطحاء من إقليم بطليوس غرب الأندلس، صفة، ص٨٣.

بعض ، اجتمعوا وقالوا: هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج ، ولم يبق منها إلا القليل ، وإن استمرت الأحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت.

وساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم[1] ، فقالوا له: ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصّغار والذلة ، وعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها ، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك. قال: ما هو؟ قالوا: نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم ، فإذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا ، وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله. قال: نخاف ، إذا وصلوا إلينا يخربون بلادنا ، كما فعلوا بإفريقية ، ويتركون الفرنج ويبدءون بكم ، والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا.

قالوا له: فكاتب أمير المسلمين ، وارغب إليه ليعبر إلينا ، ويرسل بعض قواده.

وقدم عليهم المعتمد بن عباد ، وهم في ذلك ، فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه ، فقال له ابن عباد: أنت رسولي إليه في ذلك ، فامتنع ، وإنما أراد أن يبريء نفسه من تهمة ، فألح عليه المعتمد ، فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فأبلغه الرسالة ، وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش[2].

---

١) قال ابن بشكوال: هو أبو بكر عبيد الله بن محمد بن أدهم تولى قضاء قرطبة للمعتمد بن عباد ، وصفه بأنه كان من أهل الصرامة في تنفيذ الحق ، مظهر له ، مقصياً للباطل وحزبه ، قامعاً لأهله ، لا يخاف في الله لومة لائم. جامد اليد عن أموال الناس ، قليل الرغبة فيما عندهم نزهاً متصاوناً ، توفي سنة ٤٨٦هـ ، الصلة ، ص٣٩٢.

٢) يرجع بعض المؤرخين الدعوة إلى التوحد إلى ما قبل سقوط طليطلة فقد أدرك العديد من العلماء والمفكرين في الأندلس حراجة موقف أهل الأندلس بسبب التناحر بين أمراء الطوائف وازدياد تمدد النصارى وطمعهم في أراضي المسلمين وخضوع أغلب الأمراء لهم ودفعهم الجزية ، ويرى الحجي أن حادثة سقوط بربشتر سنة٤٥٦هـ نبهت المسلمين في الأندلس إلى الخطر الكامن ، ومن الذين سعوا في ذلك أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) والمتوكل بن الأفطس حاكم بطليوس(ت ٤٨٧هـ)وأبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت٤٥٦هـ)وأبو عمر يوسف بن عبد البر (ت٤٦٣هـ)ولكن هذه الدعوات لم توقظ أمراء الطوائف من غيّهم حتى جاء سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ فأذهل بعضهم وأحسوا بالخطر الجسيم الذي يهددهم ، عندها اتفق أمراء الأندلس على الاستنصار بالمرابطين يلتمسون منهم الغوث لأن الأمر غدا أمامهم مسألة حياة أو موت لذلك فإن المعتمد بن عباد عندما حذره البعض من مغبة هذه السياسة التي قد تؤدي بملكه قال كلمته المشهورة (رعي الجمال خير من رعي الخنازير) وقوله أيضاً (لأن أموت راعياً بالمغرب خير عندي من أن أرد الأندلس دار كفر فتكون اللعنة عليّ من المسلمين أبد الدهر) ، ولهذا بعث المعتمد بن عباد والمتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس وعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة ، على يد أبي بكر عبيد الله بن أدهم قاضي قرطبة ، وأبي إسحاق بن مقانا قاضي بطليوس=

وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة ، ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس ، وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره ، فأقبلت إليه تتلو بعضها بعضاً ، فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار ،فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية ،وكان قد جمع عساكره أيضاً ، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير. وقصده المتطوعة من سائر بلاد الأندلس.

ووصلت الأخبار إلى الأذفونش ، فجمع فرسانه وسار من طليطلة ، وكتب إلى أمير المسلمين كتاباً كتبه به بعض أدباء المسلمين ، يغلظ له القول ، ويصف ما عنده من القوة والعدد والعُدد ، وبالغ الكاتب في الكتاب.

فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة[1] أن يجيبه ، وكان كاتباً مفلقاً ، فكتب فأجاد ، فلما قرأه على أمير المسلمين قال: هذا كتاب طويل ، أحضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره الذي يكون ستراً له[2].

=وأبي جعفر القليعي قاضي غرناطة سفراء الأندلس إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين واستعطفوه راجون الغوث، فاتفقوا أن يتعاون الجميع على محاربة النصارى على أن يُسلم إلى ابن تاشفين ثغر الجزيرة ليتمكن من العبور، ينظر عن الدعوة إلى التوحد: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ١٤٤- ١٤٥ ؛ الحميري، صفة، ٨٤- ٨٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٤/٣٢- ٢٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٥٤/٢٣- ٤٥٥ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٢٢/٢- ٢٢٣ ؛ الحلل الموشية، ٢٠-٢٢، ٢٨ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٣٨/٢- ٣٩ ؛ محمد المصري، الزلاقة معركة من معارك الإسلام، ص١٨٢-١٨٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٣١٤- ٣١٨ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٣٦- ٣٥٣.

١) هو أبو بكر محمد بن سليمان بن القصيرة كان كاتباً بارع الخط والنثر عالماً بالبلاغة كتب ليوسف بن تاشفين وابنه علي وتوفي سنة ٥٠٨هـ، ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ١٠٣/١-١٠٦؛ ابن الأبار، أعتاب الكتاب، ص٢٢٢-٢٢٣ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٦٧/٢-٣٧٠.

٢) ذكر ابن الخطيب نص كتاب أدفونش(الفونسو السادس)إلى يوسف بن تاشفين قال: (... من أمير النصرانية أدفونش بن فردلند إلى يوسف بن تاشفين أما بعد: فإنك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب، وسلطانهم، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقاتلتي، وقد أذللتهم بأخذ الجزية منهم وبالقتل والأسر والذل والقهر، وأنا لا أقنع إلا بأخذ البلاد، وقد وجب عليك نصرهم لأنهم أهل ملتك فإما أن تجوز إليّ، وإما أن ترسل اليّ المراكب أجوز إليك، فإن غلبتني كان ملك الأندلس والمغرب إليك، وإن غلبتك إنقطع طمع الأندلس من نصرك إيّاهم فإن نفوسهم متعلقة بنصرهم لك. فلما وصل إليه كتابه أمر أن يكتب له على ظهر كتابه، من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، إلى أدفونش، أما بعد: فإن الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك (والسلام على من اتبع الهدى)، وأردف الكتاب ببيت أبي الطيب:

ولا كُتْبَ إلا المشـرفيَّة والقنـا ولا رسل إلاّ الخمس العَرَمْرَم=

فلما عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك ، وعلم أنه بلي برجل له عزم وحزم ، فازداد استعداداً ، فرأى في منامه كأنه راكب فيل ، وبين يديه طبل صغير ، وهو ينقر فيه ، فقص رؤياه على القسيسين ، فلم يعرفوا تأويلها ، فأحضر رجلاً مسلماً ، عالماً بتعبير الرؤيا ، فقصها عليه ، فاستعفاه من تعبيرها ، فلم يعفه ، فقال: تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز ، وهو قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(١)"[1] ، وقوله تعالى: "فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ(٨)فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(٩)عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ(١٠)"[2] ، ويقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه.

فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته ، فأحضر ذلك المعبِّر[3] ، وقال له: بهذا

=أعمال الأعلام، ٣٨٩/٢ ؛ ينظر أيضاً تفاصيل أوفى عن الكتاب: ابن الخطيب في كتابه الحلل الموشية، ص٢٦- ٢٧؛ وذكره ابن الكردبوس مختصراً، تاريخ الأندلس، ص٩١.

١) سورة الفيل.

٢) سورة المدثر.

٣) ذكر ابن الخطيب رؤيا الفونسو السادس قائلاً: وقد كان (وهو بطليطلة رأى رؤيا وذلك أنه كان يرى في النوم في بعض الليالي كأنه راكب على فيل والى جانبه طبق معلق وهو يضربه فاستيقظ فزعاً مرعوباً مذعوراً، فلما أصبح بعث إلى النصارى وأحبار اليهود وقال لهم: إني رأيت رؤيا أفزعتني وذكر لهم نصها، وقال لهم: وما هالني وأفزعني إلا إن الفيل ليس في بلادنا ولا عايناه قط ومن أين لنا فانظروا في تأويل هذه الرؤيا، فسروها لي فقد أفزعني وما عاينت منها، فقالوا له القسيسون والأحبار: أيها الملك تأول رؤيتك على أن تغرم جميع المسلمين وتغنم أموالهم وتسبي محلتهم وتأخذ بلادهم، وترجع إلى وطنك عزيزاً ظافراً، وأما الفيل الذي كنت تركبه فهو هذا الملك القادم صاحب البر الكبير المشترط للقائك تركبه بالرغم وتذل له بمثل ذلك الفيل لعظمه ولكون الفيل من الصحراء وهذا من الصحراء، يعنون أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مثل لك به، فقال: نفسي تحدثني وهي صادقة إنكم في تفسيركم لمنامي على باطل وما تعرفون شيئاً، ثم رد رأسه على جماعة المسلمين ممن حضر مجلسه من بقايا الساكنين ببلاده، فقال لهم: تعلمون هنا أحداً من العلماء المسلمين، فقالوا له: نعم هنا رجل من فضلاء المسلمين وعلماؤهم يعرف بمحمد بن عيسى المغامي يقرأ في مسجده، فقال لهم: انطلقوا إليه وأتوني به، فانطلقوا له وقالوا إن الملك يدعوك، فقال لهم: وما حاجته بي، فقالوا له إنه رأى رؤيا أفزعته وقد فسرها له أسقفة النصارى وأحبار اليهود فلم يرض بقولهم ولا صدقهم، فقال لهم: والله لا آتي كافراً أبدا، فقالوا له: اتق الله على نفسك من سطوته، فقال لهم: إن الله وليي وحافظي والخير والشر بيده فطمعوا به ليصل إليه فأبي، وردعوا إلى أدفنش فقال لهم: وأين الرجل الذي توجهتم إليه، فحسنوا له اللفظ واعتذروا عنه، وقالوا له: أيها الملك إن الرجل عابد وورع ونحن المسلمون عبادنا ما يرون في دينهم أن يغشوا أبواب الملوك، فإن رأى الملك أن يلقي=

الجيش ألقى إله محمد ، صاحب كتابكم. فانصرف المعبِّر ، وقال لبعض المسلمين: هذا الملك هالك وكل من معه ، وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث مهلكات" الحديث ، وفيه: "وإعجاب المرء بنفسه"[1].

وسار أمير المسلمين ، والمعتمد بن عباد ، حتى أتوا أرضاً يقال لها الزلاقة ، من بلد بطليوس ، وأتى الأذفونش فنزل موضعاً بينه وبينهم ثمانية عشر ميلاً ، فقيل لأمير المسلمين: إن ابن عباد ربما لم ينصح ، ولا يبذل نفسه دونك. فأرسل إليه أمير المسلمين

=إلينا من الكلام ما نأتيه من عنده بجواب شاف فعل، فقال كنت أرى كذا وكذا وقص عليهم رؤياه، فانطلقوا إلى الفقيه أبي عبد الله المغامي، فوجدوه يقرأ بمسجده داخل طليطلة ومن بقي بها من المسلمين، فقصوا عليه الرؤيا، وقالوا له: دبرها في نفسك حتى تلقي ألينا نصها نفسرها له، فقال لهم: الأمر فيها قريب، اعلموا أنه سيهزمه الملمون هزيمة قبيحة يخرج منها فملولا في نفر يسير من أصحابه، والدليل على ذلك من كتاب الله العزيز في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣)تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥))عني بها الباري جلّ وعز ابرهة الحبشي، وأما الطبل الذي كان يضربه فمن قوله تعالى (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩)عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠))فرجعوا إليه وأعلموه بنص ما عبّر لهم، فقطب وجهه وقال: ودين المسيح لإن كذب لأمثلن به، فبلغ الخبر للفقيه المغامي، فقال: والله ما يقدر على ذرة إلاّ بإذن الله وقضائه وأنا واثق بالله ربي ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأن ادفنش لعنه الله نسي تلك الرؤيا وأخذ في جمعه وحشده وتأهب للقاء المسلمين واحتفل في الاستعداد وخرج ومعه ثمانون ألف فارس منها أربعين ألفاً لابسين الدروع، وكان بها من فرسان المسلمين أربعة وعشرون ألف فارس ما بين دارعٍ وحاسر...) الحلل الموشية، ص٣٥- ٣٨ ؛ وذكر الحميري الرواية بشيء من الاختلاف قال: (ورأى ابن فرذلند في نومه كأنه راكب على فيلٍ، فضرب نقيرة طبلٍ فهالته روياه، وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد ! ودس يهودياً إلى من يعلم تأويلها من المسلمين، فدل على عابر فقصها عليه، ونسبها إلى نفسه، فقال له العابر: كذبت! ما هذه الرؤيا لك، ولا بد أن تخبرني من صاحبها وإلا لم أعبرها لك! فقال له: اكتم، ذلك هو الفنش بن فرذلند! فقال العابر: قد علمت أنها رؤياه ولا ينبغي أن تكون لغيره، وهي تدل على بلاء عظيمٍ، ومصيبةٍ فادحة، تؤذن بصلبه عما قريب، أما الفيل فقد قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) السورة، وأما ضرب النقيرة فقد قال الله تعالى: (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ(٨)فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(٩) الآية؛ فانصرف اليهودي إلى ابن فرذلند وجمجم له وذكر له ما وافق خاطره ولم يفسرها له) صفة، ص٨٨- ٨٩.

١) نص الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه من الخيلاء)، الطبراني، المعجم الأوسط، ٣٢٨/٥ ؛ البيهقي، شعب الايمان، ٢٠٣/٢؛ القضاعي، مسند الشهاب، ٢١٤/١.؛ وقال العراقي إسناده ضعيف، المغني، ٢٣/١.

يأمره أن يكون في المقدمة ، ففعل ذلك ، وسار ، وقد ضرب الأذفونش خيامه في لحف جبل ، والمعتمد في سفح جبل آخر ، يتراءون ، وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد ، وظن الأذفونش أن عساكر المسلمين ليس إلا الذي يراه.

وكان الفرنج في خمسين ألفاً[1] ، فتيقنوا الغلب ، وأرسل الأذفونش إلى المعتمد في ميقات القتال ، وقصده الملك ، فقال: غداً الجمعة ، وبعده الأحد ، فيكون اللقاء يوم الاثنين ، فقد وصلنا على حال تعب ، واستقر الأمر على هذا[2] ، وركب ليلة الجمعة

---

١) قال ابن الخطيب: كان مع الفونسو السادس ثمانون ألفاً ، الحلل الموشية ، ص٣٨ ؛ وذكر ابن خلكان أن عددهم ستون الف ، وفيات الأعيان ، ٨/٧.

٢) قال الحميري: (أخذ ابن فرذلند في إعمال الحيلة ، فبعث لابن عباد يقول: غداً يوم الجمعة وهو عيدكم ، وبعده الأحد وهو عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك يوسف ، فقال: نعم ، فقال له المعتمد: هذه خديعة من ابن فرذلند! إنما يريد غدر المسلمين! فلا تطمئن إليه ، وليكن الناس على استعدادٍ له طول يوم الجمعة كل النهار! وبات الناس ليلتهم على أهبةٍ واحتراسٍ بجميع المحلات ، خائفين من كيد العدو ، وبعد مضي جزءٍ من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي وكان في محلة ابن عباد فرحاً مسروراً ، يقول إنه رأى النبي " صلى الله عليه وسلم " فبشره بالفتح والشهادة له في صبيحة غدٍ وتأهب ودعا ودهن رأسه وتطيب ، وانتهى ذلك إلى ابن عباد ، فبعث إلى يوسف فخبره بها تحقيقاً لما توقعه من غدر ابن فرذلند ، فحذروا أجمعين ، ولم ينفع ابن فرذلند ما حاوله من الغدر. ثم جاء في الليل فارسان من طلائع المعتمد ، يخبران أنهما أشرفا على محلة ابن فرذلند وسمعا ضوضاء الجيوش ، واضطراب الأسلحة. ثم تلاحق بقية الطلائع محققين بتحرك ابن فرذلند ، ثم جاءت الجواسيس من داخل محلة ابن فرذلند يقولون: استرقنا السمع الساعة فسمعنا ابن فرذلند يقول لأصحابه: ابن عباد مسعر هذه الحروب ، وهؤلاء الصحراويون ، وإن كانوا أهل حفاظٍ وذوي بصائر في الجهاد ، فهم غير عارفين بهذه البلاد ، وإنما قادهم ابن عباد ، فاقصدوه واهجموا عليه ، واصبروا ، فإن انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن صدقتموه الحملة! وعند ذلك بعث ابن عبد كاتبه أبا بكر بن القصيرة إلى يوسف يعرفه بإقبال ابن فرذلند ، ويستحث نصرته ، فمضى ابن القصيرة يطوي المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين ، فعرفه بجلية الأمر ، فقال له: قل له إني سأقرب منك إن شاء الله تعالى. وأمر يوسف بعض قواده أن يمضي بكتيبةٍ رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها ناراً ، ما دام ابن فرذلند مشتغلاً مع ابن عباد. وانصرف ابن القصيرة إلى المعتمد ، فلم يصله إلا وقد غشيته جنود ابن فرذلند ، فصدمها ابن عباد صدمةً قطعت آماله ، ولم ينكشف له ، فحميت الحرب بينهما ، ومال ابن فرذلند على المعتمد بجموعه ، وأحاطوا به من كل جهةٍ فاستحر القتل فيهم ، وصبر ابن عبادٍ صبراً لم يعهد مثله لأحد ، واستبطأ يوسف وهو يلاحظ طريقه ، وعضته الحرب ، واشتد البلاء ، وأبطأ عليه الصحراويون ، وساءت ظنون أصحابه ، وانكشف بعضهم... ثم أقبل يوسف بعد ذلك ، وطبولة تصدع الجو ، فلما أبصره ابن فرذلند وجه أشكولته إليه ، وقصده بمعظم جنوده ، وقد كان عمل حساب=

سحراً ، وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة ، غدراً ، وظناً منه أن ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين ، فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون ، فأشرفوا على الهزيمة.

وكان المعتمد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب ، فقال: احملوني إلى خيام الفرنج ، فسار إليها ، فبينما هم في القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج ، فنهبها ، وقتل من فيها ، فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا ، وأخذهم السيف ، وتبعهم المعتمد من خلفهم ، ولقيهم أمير المسلمين من بين أيديهم ، ووضع فيهم السيف ، فلم يفلت منهم أحد ، ونجا الأذفونش في نفر يسير[1] ، وجعل المسلمون من رؤوس القتلى كوماً كثيرةً ، فكانوا يؤذنون عليها إلى أن جيفت فأحرقوها.

وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين ، وأصاب المعتمد جراحات في وجهه ، وظهرت ذلك اليوم شجاعته. ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلاثمائة فارس ، وغنم المسلمون كل ما لهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك.

وعاد ابن عباد إلى إشبيلية ، ورجع أمير المسلمين إلى الجزيرة الخضراء ، وعبر إلى سبتة ، وسار إلى مراكش ، فأقام بها إلى العام المقبل[2] ، وعاد إلى الأندلس ، وحضر معه

=ذلك من أول النهار، وأعد له هذه الأشكولة، وهي معظم جنوده، فبادر إليه يوسف وصدمهم بجمعه فردهم إلى مركزهم، وانتظم به شمل ابن عباد، ووجد ريح الظفر، وتباشر بالنصر، ثم صدقوا جميعاً الحملة، فتزلزلت الأرض بحوافر خيلهم، وأظلم النهار بالعجاج والغبار، وخاضت الخيل في الدماء، وصبر الفريقان صبراً عظيماً؛ ثم تراجع ابن عباد إلى يوسف وحمل معه حملةً نزل معها النصر، وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين، فصدقوا الحملة، فانكشف الطاغية، ومر هارباً منهزماً، وقد طعن في إحدى ركبتيه طعنةً بقي أثرها بقية عمره...) صفة، ص٩٠-٩٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٢-٩٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١٦/٧-١١٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ١٤٥-١٤٩؛ الذهبي، سير، ٤٤٥/١١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٥٥/٢٣-٤٥٨ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ٣٦-٤٤ ؛ أعمال الأعلام، ٣٨٩/٢-٣٩١ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٣٩/١.

١) قال ابن أبي زرع: ونجا الفونسو في مئة فارس، روض القرطاس، ص١٤٩.

٢) قال ابن أبي زرع: (واتصل بأمير المسلمين يوسف في ذلك اليوم وفاة ولده أبي بكر، وكان تركه مريضاً بسبته، فاغتم لذلك وانصرف راجعاً إلى العدوة بسبب وفاة ولده، ولولا ذلك لم يرجع) روض القرطاس، ص١٥٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٥ ؛ ابن=

المعتمد بن عباد في عسكره ، وعبد الله بن بلكين الصنهاجي ، صاحب غرناطة ، في عسكره ، وساروا حتى نزلوا على ليط[1] ، وهو حصن منيع بيد الفرنج ، فحصروه حصراً شديداً فلم يقدروا على فتحه ، فرحلوا عنه بعد مدة ، ولم يخرج إليهم أحد من الفرنج لما أصابهم في العام الماضي[2] ، فعاد ابن عباد إلى إشبيلية ، وعاد أمير المسلمين إلى غرناطة ،

=الخطيب، الحلل الموشية، ص٤٧.

١) أسماه ابن الأبار حصن أليبط وقال إنه من أعمال لورقة، الحلة السيراء، ٨٦/٢ ؛ وأسماه ابن أبي زرع حصن لبيط، روض القرطاس، ص١٥٢ ؛ وعند ابن الخطيب حصن اليط، أعمال الأعلام، ٣٩٢/٢.

٢) عندما استولى الفونسو على طليطلة بعث قوة إلى شرق الأندلس فاجتاحت المنطقة الواقعة بين مرسية ولورقة وأنشأوا هناك حصن منيع في مكان يسمى لييط بين لورقة ومرسية وشحنوه بالسلاط والمقاتلة ومنه أخذوا الإغارة على مناطق شرق الأندلس، وبثوا الرعب في المنطقة، وعجز الأندلسيون عن مواجهتهم، وكانت تلك المناطق ضمن نفوذ المعتمد بن عباد، فاعتزم ابن عباد استدعاء يوسف بن تاشفين مرة أخرى، فعبر إليه بنفسه إلى المغرب فالتمسه بإسعاف المسلمين في لورقة ومرسية من عسف النصارى وغاراتهم، فعبر يوسف سنة ٤٨١هـ وهو جوازه الثاني، وأرسل إلى أمراء الطوائف يستدعيهم للجهاد وأن يوافوه عند حصن الييط فانضم إليه المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وتميم بن بلقين صاحب مالقة وعبد الله بن بلقين صاحي غرناطة والمعتصم بن صمادح صاحب المرية وعبد الرحمن بن رشيق صاحب مرسية، وضربوا الحصار حول الحصن إلا أنهم لم يتمكنوا من اقتحامه لمناعته، وطال الحصار زهاء أربعة أشهر، وشعر أمير المسلمين من جراء ذلك بخيبة أمل، كذلك شعر باستياء بالغ لما شهده من أحوال أمراء الأندلس المشاركين في الحصار، فقد كان الخلاف والوقيعة على أشدهما بين أولئك الأمراء الطامعين المتنابذين، فكان تميم صاحب مالقة، وأخوه عبد الله صاحب غرناطة، يشكو كل منهما الآخر، وكان ابن عباد والمعتصم بن صمادح يوقع كل منهما في حق صاحبه لدى أمير المسلمين، ثم خلاف المعتمد وابن رشيق، فقد شكا ابن عباد ابن رشيق لأمير المسلمين، واتهمه باغتصاب الولاية منه على مرسية، واتهمه بما هو شر من ذلك، وهو أنه متفاهم مع ملك قشتالة سراً، وقد دفع إليه جباية مرسية، وأنه يعاون حامية الحصن في الخفاء، وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر في المعسكر المحاصر، ولما علم أمير المسلمين أن ملك قشتالة يسير في قوة كبيرة لإنجاد الحصن، آثر الانسحاب وعدم الاشتباك مع القشتاليين في معركة غير مجدية، فاتجه نحو لورقة وترك فيها حامية من أربعة آلاف مع قائده داود بن عائشة، وعبرهو إلى المغرب، ينظر عن الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٥١ – ١٥٣ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٤٧-٥٠ ؛ ويعلل الأمير عبد الله بن بلقين عبور ابن تاشفين الثاني إلى المعتمد بن عباد، إذ أن المعتمد لما رأى خلاف عبد الرحمن بن رشيق عليه بمرسية وأراد أن يضع ابنه فيها جاز إلى أمير المسلمين وعظّمَ له شأن حصن لييط، وقال له إنه في قلب البلد وأن لا راحة للمسلمين بفقده، كتاب التبيان، ص٧٣.

وهي طريقه ، ومعه عبد الله بن بلكين ، فغدر به أمير المسلمين ، وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها ، فرأى في قصوره من الأموال والذخائر ما لم يحوه ملك قبله بالأندلس ، ومن جملة ما وجده سبحة فيها أربعمائة جوهرة ، قومت كل جوهر بمائة دينار ، ومن الجواهر ما له قيمة جليلة ، إلى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها ، وأخذ معه عبد الله ، وأخاه تميماً ابني بلكين إلى مراكش ، فكانت غرناطة أول ما ملكه من بلاد الأندلس[1].

وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة إلى الأندلس ، وعود من عاد منهم إلى المعز بإفريقية ، وكان آخر من بقي منهم بالأندلس عبد الله هذا ، وأخذت مدينته ، ورحل إلى العدوة.

ولما رجع أمير المسلمين إلى مراكش أطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس ، وورغة[2] ، وقلعة مهدي[3] ، وقال له علماء الأندلس إنه ليس طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ، ويأتيه تقليد منه بالبلاد ، فأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله[4] ببغداد ، فأتاه الخلع ، والأعلام ، والتقليد ، ولقب بأمير المسلمين[5] ، وناصر الدين[6].

---

١) جعل ابن الأثير استيلاء يوسف بن تاشفين على غرناطة في جوازه الثاني بعد رجوعه من حصن لييط، فيما ذهبت المصادر الأندلسية الأخرى إلى أن ابن تاشفين استولى على غرناطة عند جوازه الثالث سنة ٤٨٣هـ، ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣-١٥٤ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٥٠-٥١ ؛ وينظر التفاصيل عن دخول ابن تاشفين غرناطة واعتقاله عبد الله بن بلقين ومصادرته الأموال: الأمير عبد الله، كتاب التبيان، ص٩٨-١٠٥.

٢) ورغة نهر في بلاد المغرب ينبع من جبل كوين ويمر بمدينة نكر التي تبعد عن البحر عشرة أميال، مؤلف مجهول، الإستبصار، ص١٣٦.

٣) قال الإدريسي: قلعة مهدي حصن حصين فوق جبل شامخ ولها أسواق وعمارات ومزارع وغلات وبقر وغنم وأحوال واسعة ومنها إلى مدينة تادلة مرحلتان ويسكن فيها قبائل زناتة، نزهة المشتاق، ٢٤٣/١.

٤) ولي المقتدي بأمر الله الخلافة العباسية سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٤٨٧هـ، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٩٩- ٥٠٢.

٥) أشار ابن الخطيب إلى أن يوسف بن تاشفين تلقب بلقب أمير المسلمين وناصر الدين في محرم من سنة ٤٦٦هـ إذ أصدر مرسوماً بذلك، الحلل الموشية، ص١٧.

٦) اختلف في تاريخ اتصال المرابطين بالخلافة العباسية، فابن الأثير هنا جعلها بعد رجوع يوسف بن تاشفين من الأندلس في جوازه الثاني أي في سنة ٤٨١هـ ؛ أما الذهبي فنقل عن ابن الأثير أن اتصال=

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

ذكر حيلة لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريباً

كان بالمغرب إنسان اسمه محمد بن إبراهيم الكزولي ، سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها ، وهو جبل شامخ ، وهي قبيلة كثيرة ، وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع ، فلما كان هذه السنة أرسل يوسف إلى محمد بن إبراهيم يطلب الاجتماع به ، فركب إليه محمد ، فلما قاربه خافه على نفسه ، فعاد إلى جبله ، واحتاط لنفسه ، فكتب إليه يوسف ، وحلف له أنه ما أراد به إلا الخير ، ولم يحدث نفسه بغدر. فلم يركن محمد إليه.

فدعا يوسف حجّاماً ، وأعطاه مائة دينار ، وضمن له مائة دينار أخرى ، إن هو سار إلى محمد بن إبراهيم واحتال على قتله. فسار الحجام ، ومعه مشاريط مسمومة ، فصعد الجبل ، فلما كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مساكن محمد ، فسمع محمد الصوت ، فقال: هذا الحجام من بلدنا؟ فقيل: إنه غريب ، فقال: أراه

=يوسف بالخليفة المقتدي كان بعد الزلاقة، تاريخ الإسلام، ٣١٩/١٠ ؛ وأشار السيوطي إلى أن يوسف بن تاشفين أرسل إلى الخليفة المقتدي يطلب منه التقليد سنة ٤٧٩هـ، تاريخ الخلفاء، ص٥٠٠ وهذا يعني أنه بعد فراغه من معركة الزلاقة ؛ أما ابن الخطيب فذهب إلى أن يوسف بن تاشفين خاطب الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧هـ - ٥١٢هـ)، أعمال الأعلام، ٣٩٣/٢ ؛ وأشار النويري إلى أن يوسف بن تاشفين قام بالدعوة للخليفة المستظهر، نهاية الأرب، ٢٦٠/٢٣ ؛ ويخلص الصلابي بالقول: (وأنا أميل إلى أن اتصال المرابطين كان قبل ذلك بكثير حيث إن واضع الخطوط العريضة لدولة المرابطين الفقيه أبو عمران الفاسى القيرواني مِن أتباع العباسية. وكلُّ الفقهاء الذين من مدرسته سُنيُّون مالكيُّون، وبذلك يكون زعماء المرابطين ساروا على نفس التعاليم السُّنيَّة المالكية.ونجد أن نقود المرابطين قد نقش عليها أسماء الخلفاء العبَّاسيين منذ عام ٤٥٠هـ، أي منذ عهد الأمير أبى بكر بن عمران، وظلَّ اسم الخليفة العباسي يذكر مقرونًا باسم أبى بكر بن عمران إلى أن توفى في عام ٤٨٠هـ، وخلفه يوسف بن تاشفين فذكر اسمه على السكة مع اسم الخليفة العبَّاسي، وهذا يدل على صلة المرابطين بالعبَّاسيين قبل الزّلاقَة، ولا شكَّ أن كتابة اسم الخليفة على عملة المرابطين تم بعد اتصالهم بالخليفة العبَّاسي، وبعد أن تلقَّوا منه إجابة بقبول طاعتهم. وتقليدًا بولايتهم) دولة المرابطين ص٢٣٧- ٢٣٨ ؛أما أن يكون علماء الأندلس هم من طلبوا منه أن يخطب للعباسيين كي تكون طاعته واجبة (أي يكتسب الشرعية)فهو أمر فيه نظر، لأن الأندلسيين لم يدينوا للعباسيين منذ عبد الرحمن الداخل.

يكثر الصياح ، وقد ارتبت بذلك ، ائتوني به. فأحضر عنده ، فاستدعى حجاماً آخر وأمره أن يحجمه بمشاريطه التي معه ، فامتنع الحجام الغريب ، فأمسك وحجم فمات ، وتعجب الناس من فطنته.

فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ، ولجّ في السعي في أذى يوصله إليه ، فاستمال قوماً من أصحاب محمد ، فمالوا إليه ، فأرسل إليهم جراراً من عسل مسموم ، فحضروا عند محمد وقالوا: قد وصل إلينا قوم معهم جرار من عسل أحسن ما يكون ، وأردنا إتحافك به ، وأحضروها بين يديه ، فلما رآه أمر بإحضار خبز ، وأمر أولئك الذين أهدوا إليه العسل أن يأكلوا منه ، فامتنعوا ، واستعفوه من أكله ، فلم يقبل منهم ، وقال: من لم يأكل قتل بالسيف ، فأكلوا ، فماتوا عن آخرهم.

فكتب إلى يوسف بن تاشفين: إنك قد أردت قتلي بكل وجه ، فلم يظفرك الله بذلك ، فكف عن شرك ،فقد أعطاك الله المغرب بأسره ، ولم يعطني غير هذا الجبل ، وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الأسود ، فلم تقنع بما أعطاك الله ، عز وجل. فلما رأى يوسف أن سره قد انكشف وأنه لا يمكنه في أمره شيء لحصانة جبله أعرض عنه وتركه[1].

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين

في هذه السنة ، في رجب ، ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، صاحب بلاد المغرب ، من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين: قرطبة وإشبيلية ، وقبض على المعتمد ابن عباد صاحبها ، وملك غيرها من الأندلس.

ولقد جرى للرشيد بن المعتمد[2] حادثة شبيهة بحادثة الأمين محمد بن هارون

---

١) لم نعثر على هذه القصة في المصادر التي بين أيدينا.

٢) هو أبو الحسن عبيد الله بن محمد المعتمد بن عباد وهو من كبار ولد المعتمد ولد سنة ٤٤٧هـ كان له أدب وشعر وشيئاً من العلوم الرياضية ولاه أبوه عهده وخطة القضاء واعتقل مع أبيه عند دخول يوسف بن تاشفين الأندلس ونفاه في قلعة مهدي بالمغرب وقي هناك حتى وفاته سنة ٥٣٠هـ، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦٨/٢ - ٧٠.

الرشيد[1]. قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الداني[2] ، من مدينة دانية: كنت يوماً عند الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، فجرى ذكر غرناطة ، وملك أمير المسلمين لها ، وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة ، فلما ذكرناها تفجع ، وتلهف ، واسترجع ، وذكر قصرها ، فدعونا لقصره بالدوام ، وللملكه بتراخي الأيام. فأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلي بالغناء فغنى:

يا دار مية بالعلياء فالسند   أقوت، وطال عليها سالف الأبد [3]

فاستحالت مسرته ، وتجهمت أسرته. ثم أمر بالغناء من ستارته فغني:

إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر   فانظر إلى أي حال أصبح الطلل[4]

فتأكد تطيّره ، واشتدّ اربداد وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى بالغناء ، فغنت:

---

1) كانت حكاية الخليفة الأمين بن الرشيد أنه أمر (أن يفرش له على دكان في الخلد ، فبسط له عليه بساط زرعي، وطرحت عليه نمارق وفرش مثله ، وهيئ له من آنية الفضة والذهب والجوهر أمر عظيم، وأمر قيمة جواريه أن تهيئ له مائة جارية صانعة ، فتصعد إليه عشراً عشراً ، بأيديهنّ العيدان يغنين بصوت واحد ، فأصعدت إليه عشراً ، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنين:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه   كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

قَالَ: فتأفف من هذا ، ولعنها ولعن الجواري، فأمر بهن فأنزلن، ثم لبث هنيهة وأمرها أن تصعد عشراً ، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنين:

من كان مسروراً بمقتل مالك   فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً ينـدبنه   يلطمن قبل تبلج الأسحار

قَالَ: فضجر وفعل مثل فعلته الأولى، وأطرق طويلاً ، ثم قَالَ:

أصعدي عشراً ، فأصعدتهن، فلما وقفن على الدكان، اندفعن يغنين بصوت واحد:

كليب لعمري كان أكثر ناصرا   وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

قَالَ: فقام من مجلسه ، وأمر بهدم ذلك المكان تطيراً مما كان) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥١٢/٨- ٥١٣.

2) أبو بكر محمد بن عيسى المشهور بابن اللبّانة كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء مدح بني عباد ومعاصريهم من ملوك الطوائف وتوفي سنة ٥٠٧هـ ، ابن بسام، الذخيرة، ٦٦٦/٣- ٧٠٢ ؛ ابن سعيد، المُغرب، ٤٠٩/٢- ٤١٤ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٠٤- ١٠٨.

3) البيت من قصيدة للنابغة الذبياني يعتذر بها للنعمان بن المنذر وكان قد جفاه، ينظر: الشيباني، شرح المعلقات التسع، ص٨٤ ؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص١٦٥ - ١٦٦.

4) البيت من قصيدة للشاعر أبي تمام، ينظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٩٥/٢ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٩٢/٦.

يــا لهــف نفســي علــى مــال أفرقــه ... علــى المقلــين مــن أهــل المــروءات

إن اعتــذاري إلى مــن جــاء يســألني ... مــاليس عنــدي مــن إحــدى المصــيبات[1]

قال ابن اللبانة: فتلافيت الحال بأن قمت فقلت:

محـــل مكرمـــة لا هـــد مبنـــاه ... وشمـــل مـــأثرة لا شـــته الله

البيـــت كالبيـــت لكـــن زاد ذا شـــرفاً ... إن الرشـــيد مـــع المعتـــد ركنـــاه

ثـــاو علـــى أنجـــم الجـــوزاء مقعـــده ... وراحـــل في ســـبيل الله مثـــواه

حـتم علـى الملـك أن يقـوى وقـد وصـلت ... بالشـــرق والغـــرب يمنـــاه ويســـراه

بـــأس توقـــد، فـــاحمرت لواحظـــه ... ونائـــل شـــب، فاخضـــرت عـــذاراه

فلعمري قد بسطت من نفسه ، وأعدت عليه بعض أنسه. على أني وقعت فيما وقع فيه الكل بقولي البيت كالبيت. وأمر إثر ذلك بالغناء فغني:

ولما قضينا مـن منـى كـل حاجـة ... ولم يبـق إلا أن تـزم الركائـب

فأيقنا أن هذه الطير، تُعقِبُ الْغِيَرَ[2] .

فلما أراد أمير المسلمين ملك الأندلس[3] سار من مراكش إلى سبتة ، وأقام بها ،

---

١) البيتان ينسبان إلى الإمام الشافعي، ينظر: نور الدين اليوسي، زهر الأكم، ٢٦٩/٢.

٢) ينظر الحكاية نفسها: ابن الصيرفي، المختار من شعر شعراء الأندلس، ص١٧- ١٨ ؛ المقري، نفح الطيب، ٩٤/٤- ٩٦.

٣) عن دوافع يوسف بن تاشفين بضم الأندلس يقول عنان: (بيد أنه يبدو على ضوء مختلف الروايات، أن يوسف قد تأثر منذ البداية بما شهده من اختلال أحوال أمراء الطوائف، وضعف عقيدتهم الدينية ، وانهماكهم في مجالي الترف والعيش الناعم، وما يقتضيه ذلك من إرهاق لشعوبهم بالمغارم الجائرة، وأدرك أن هذه الحياة الناعمة، التي انغمس فيها رؤساء الأندلس وشعوبهم اقتداء بهم، هي التي قوضت منعتهم، وفتت في رجولتهم وعزائمهم، وأضعفت هممهم عن متابعة الجهاد ، ومدافعة العدو المتربص بهم، وأن الشقاق الذي استحكم بينهم، ولم ينقطع بعد الزلاقة ، سوف يقضي عليهم جميعاً ، إذا تركت الأمور في مجراها ، وسوف يمهد لاستيلاء النصارى على جميع أنحاء شبه الجزيرة في أقرب وقت. ومن ثم فقد اعتزم أمير المسلمين أمره نحو الأندلس ونحو أمرائها العابثين المترفين... بيد أنه توجد إلى جانب ذلك بواعث معينة أخرى، منها أن ملوك الطوائف لما شعروا بتغير يوسف عليهم، توافقوا على قطع المدد والمؤن عن عساكره ومحلاته التي تركها بالأندلس، فساءه ذلك، ومنها ما وقف عليه يوسف، من رجوع بعض رؤساء الطوائف إلى مصادقة ألفونسو ملك قشتالة وممالأته ، بل واستعدائه على محاربة=

وسيّر العساكر مع سير بن أبي بكر وغيره إلى الأندلس ، فعبروا الخليج فأتوا مدينة مرسية ، فملكوها وأعمالها ، وأخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها[1] ، وساروا إلى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما[2].

وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديماً ، بعد أن حصروها سبع سنين ، فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها ، فملكها المسلمون أيضاً ، وعمروها وسكنوها ، فصارت الآن للمرابطين[3].

=يوسف نفسه، وإمداده لذلك بالأموال والهدايا، وكان هذا بالذات موقف عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة، ثم كان فيما بعد موقف المعتمد بن عباد، وقد عمد كلاهما في الواقع إلى تحصين بلاده والاستعداد للدفاع عنها) دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف، ق١، ٣٣٧- ٣٣٨.

١) لم يكن عبد الرحمن بن طاهر في مرسية عند الفتح المرابطي لها إذ أنه خرج منها قبل ذلك عندما أرسل إليه المعتمد بن عباد وزيره ابن عمار فاستولى عليها ثم إن الأخير حدثته نفسه الاستقلال بها فوجه إليه المعتمد جيشاً ساعده فيها عبد الرحمن بن رشيق فملكها، ثم هو الآخر استأثر بها لنفسه ودخل في صراع مع المعتمد وهو ما فسح المجال للمعتصم بن صمادح بالسيطرة على المنطقة وبقي حتى دخول المرابطين إليها سنة ٤٨٤هـ، أما عبد الرحمن بن طاهر فانه لما خرج من مرسية التحق عند ابن عبد العزيز صاحب بلنسية وبقي هناك حتى وفاته سنة ٥٠٧هـ، ينظر: المراكشي، المعجب، ص٩٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩١/٢- ١٩٢.

٢) بعد استيلائه على غرناطة غادر إلى العدوة في رمضان سنة ٤٨٣هـ وفوض إلى قائده سير بن أبي بكر اللمتوني التعامل مع ملوك الطوائف وأمره أن يبدأ بابن عباد ثم ابن الأفطس، ووجه قائده ابن الحاج لمنازلة المأمون بن المعتمد في قرطبة، وقائده أبا زكريا بن واسنو إلى صاحب المرية المعتصم بن صمادح، وقائده جزوراً الحبشي إلى صاحب رنده يزيد الراضي بن المعتمد، فيما أقام هو في سبتة يجهز الجيوش ويراقب الموقف، ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٥٤- ١٥٥ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٥٢- ٥٣.

٣) كانت بلنسية بعد انتهاء نفوذ الفتيان العامريين قد صفت لعبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر وذلك في سنة ٤١١هـ الذي استمر فيها حتى وفاته سنة ٤٥٢هـ، فخلفه ابنه عبد الملك حتى سنة ٤٥٧هـ إذ استولى عليها المأمون بن ذي النون وضمها إلى مملكة طليطلة حتى وفاته سنة ٤٦٧هـ، فاستقل بها نائبه أبو بكر بن عبد العزيز، وعندما خاف من بني هود في الاستيلاء عليها خاطب الفونسو السادس وانضوى تحت حمايته وبقي فيها حتى وفاته سنة ٤٧٨هـ فخلفه ابنه عثمان بن أبي بكر إلا أنه لم يدم طويلاً إذ خلعه القادر بن ذي النون بمساعدة الفونسو الذي كان وعده ببلنسية عند خروجه من طليطلة وذلك في شوال سنة ٤٧٨هـ، وبذلك عادت بلنسية إلى حكم بني ذي النون ولكن تحت وطأة القشتاليين الذين ارهقوا الناس بالضرائب فيما كان القادر إلى جانبهم ضعيفاً لا حول له ولا قوة، فثار أهلها بقيادة القاضي جعفر بن=

وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة ، فقصدوا مدينة إشبيلية ، وبها صاحبها المعتمد بن عباد ، فحصروه بها ، وضيقوا عليه ، فقاتل أهلها قتالاً شديداً ، وظهر من شجاعة المعتمد ، وشدة بأسه ، وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه ، فكان يلقي نفسه في المواقف التي لا يرجى خلاصه منها ، فيسلم بشجاعته ، وشدة نفسه ، ولكن إذا نفدت المدة ، لم تغن العدة[1].

=عبد الله بن جحاف المعافري الذي استنجد بالمرابطين وقبض على القادر بن ذي النون وقتله وذلك سنة ٤٨٥هـ، إلا أن ابن حجاف لم يستطع السيطرة على الأوضاع في المدينة فتعرضت إلى هجمات مدمرة تارة من قبل السيد الكمبيادور الذي كان لديه فرقة من الجند المرتزقة وعاث فساداً في شرق الأندلس، وتارة أخرى من قبل قوات ملك قشتالة الفونسو السادس، وتارة ثالثة من قبل بني هود الطامعين فيها، ولم يستطع المرابطون السيطرة عليها إلا في سنة ٤٩٥هـ وذلك بعد جهود مضنية، ينظر التفاصيل: ابن بسام، الذخيرة، ٩٢/٥- ١٠١ ؛ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٨- ١١٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٧/٤- ١٥١ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩٢/٢- ١٩٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف، ص٢١٦- ٢٦٠.

١) أشاد المراكشي بشجاعة المعتمد بن عباد ودفاعه، قال: (فبرز هو من قصره، سيفه بيده، وغلالته تَرِفُّ على جسده، لا دَرَقة له ولا درع عليه، فلقي على باب من أبواب المدينة يسمى باب الفرج فارسًا من الداخلين مشهور النجدة شاكي السلاح، فرماه الفارس برمح قصيرِ أنابيبِ القناة، طويلِ شفرة السنان، فالتوى الرمح بغلالته وخرج تحت إبطه، وعصمه الله منه، ودفعه بفضله عنه، وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه إلى أضلاعه فخر صريعًا، وانهزمت تلك الجموع، ونزل المتسنِّمون للأسوار عنها، وظن أهل إشبيلية أن الخناق قد تنفَّس)المعجب، ص١٠٤؛ وذكر ابن خلكان: (وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وترامیه على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله، والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سياحة ويخوضون نهرها سباحة ويترامون من شرفات الأسوار) وفيات الأعيان، ٣٠ ؛ أما ابن الخطيب فإنه أشاد بشجاعة المعتمد قائلاً:(وقد أقتُحِم البلد يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وعليه قميص يشف عن بدنه، وقد اعتزل والسيف منتظم بيده، وحمل على الداخلين، فردهم على أعقابهم، وقتل منهم فارساً، وانزعج الناس أمامه، وخلفوا الباب، فأمر بسده، وعاد إلى القصر، والى تلك الحال يشير بقوله:

كـم رمـت يـوم نزالهـم	أن لا تحصـنـي الـدروع
وبـرزت لـيس سـوى القمـي	ص عـن الحشـا شـيء دفـوع
أجلـي تـأخر لم يكـن	بهـواي ذلـي والخشـوع
مـا سـرت قـط إلى القتـال	وكـان في أملـي الرجـوع

أعمال الأعلام، ١٥٩/٢- ١٦٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن الصيرفي، المختار من شعر شعراء الأندلس، =

وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس ، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم ، فجمعوا فأكثروا ، وساروا ليساعدوا المعتمد ، ويعينوه على المرابطين ، فسمع سير بن أبي بكر ، مقدم المرابطين ، بمسيرهم ، ففارق إشبيلية وتوجه إلى لقاء الفرنج ، فلقيهم ، وقاتلهم ، وهزمهم[1] ، وعاد إلى إشبيلية فحصرها ، ولم يزل الحصار دائماً ، والقتال مستمراً إلى العشرين من رجب من هذه السنة ، فعظم الحرب ذلك اليوم[2] ، واشتد الأمر على أهل البلد ، ودخله المرابطون من واديه ، ونهب جميع ما فيه ، ولم يُبقوا على سبد ولا لبد[3] ، وسلبوا الناس ثيابهم ، فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم ، وسبيت المخدرات ، وانتهكت الحرمات[4] ، فأخذ

=ص٣٢ ؛ عماد الدين الأصفهاني، خريدة القصر، ص٣٩.

١) أشار ابن أبي زرع إلى أنه لما اشتدّ (الأمر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث إلى الفونسو السادس أخزاه الله يستغيث به ويستصرخه على لمتونة، ويعده بإعطاء البلاد، وبذل الطارف والتلاد، إن كشف عنه ما هو فيه من الحصار، فبعث إليه الفونسو قائده القومس في جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل، فلما علم سيري بقدوم الروم إليه انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة وقدم عليهم إبراهيم بن إسحاق اللمتوني وبعثهم للقاء الروم، فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور، فكانت بينهما حروب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين، ومنحهم الله تعالى النصر فهزموا الروم وقتلوهم، ولم يفلت منهم إلا القليل، ...) روض القرطاس، ص١٥٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٩/٢.

٢) أشار الأمير عبد الله بن بلقين إلى شدة مقاومة أهل إشبيلية للمرابطين بقوله: (وظهر لسير من اجتهادهم في القتال ما أعجبه ذلك، وقال: لو أني أقصد مدينة الشرك لم تمتنع هذا الامتناع) كتاب التبيان، ص١١٠.

٣) أي لم يبقوا على شعر ولا صوف، ينظر: الفراهيدي، العين، ص٤٠٦، ٨٦٤ (مادة سبد، لبد) .

٤) مثال ذلك أن بثينة بنت المعتمد عندما قام المرابطون بحصار إشبيلية واقتحم الجيش المدينة ونهبت قصور المعتمد ووقع هو وزوجته أسيرين بيد المرابطين، وأثناء اقتحام القصر ذهلت الأميرة الصغيرة الفاتنة مما شاهدت وحاولت الهرب إذ فقدت أبويها، فأخذها رجل على أنها سبية من الجواري، وذهب بها إلى السوق، فباعها في سوق الرقيق فاشتراها رجل من تجار إشبيلية، وكانت بثينة عاقلة ذكية فاستسلمت لقدرها، وعندما لاحظ التاجر جمالها وملاحتها وأدبها، وهبها لابنه كي تكون زوجة له، وخلال ذلك لم تفصح بثينة عن نسبها إلى أن حان موعد زواجهما، فلما أراد الدخول بها (امتنعت وأظهرت نسبها، وقالت: لا أحل لك إلا بعقد نكاح إن رضي أبي بذلك، وأشارت عليه بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها وانتظار جوابه فكان=

المعتمد أسيراً ، ومعه أولاده الذكور والإناث ، بعد أن استأصلوا جميع مالهم ، فلم يصحبهم من مُلكهم بُلغَة زاد.

وقيل: إن المعتمد سلم البلد بأمان ، وكتب نسخة الأمان والعهد ، واستحلفهم به لنفسه ، وأهله ، وماله ، وعبيده ، وجميع ما يتعلق بأسبابه. فلما سلم إليهم إشبيلية لم يفوا له ، وأخذوهم أسراء ، ومالهم غنيمة[1] ، وسُيّر المعتمد وأهله إلى مدينة أغمات ، فحبسوا فيها ، وفعل أمير المسلمين بهم أفعالاً لم يسلكها أحد ممن قبله ، ولا يفعلها أحد ممن يأتي بعده ، إلا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة ، وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم بهم ، حتى كانت بنات المعتمد يغزلن للناس بأجرة ينفقونها على أنفسهم ، وذكر ذلك المعتمد في أبيات ترد عند ذكر وفاته ، فأبان أمير المسلمين بهذا

=الذي كتبته بخطها ونظمها:

اسمع كلامي واستمع لمقالتي	فهي السلوك بدت من الاجياد
لاتنكروا إني سبيت وإنني	بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولّى عصره	وكذا الزمان يؤول للإفساد
لما أراد الله فرقة شملنا	وأذاقنا طعم الأسى عن زاد
قام النّفاق على أبي في ملكه	فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني أمرؤ	لم يأت في إعجاله بسداد
إذ باعني بيع العبيد فضمّني	من صانني إلا من الانكاد

ولما وصلت رسالة بثينة إلى أبيها وهو في الأسر بأغمات سُرّ هو وأمّها بحياتها ، ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها ، إذ علما مآل أمرها ، ينظر: الدرويش أعلام نساء الأندلس، ص٧٢-٧٥.

١) قال المراكشي عن أسر المعتمد: (وانتهبت قصور المعتمد نهبًا قبيحًا ، وأخذ هو قبضًا باليد ، وجُبر على مخاطبة ابنيه: المعتد بالله، والراضي بالله، وكانا بمعقلين من معاقل الأندلس المشهورة، لو شاءا أن يمتنعا بهما لم يصل أحد إليهما ، أحد الحصنين يسمى رُندَة، والآخر مارْتُلَة، فكتب إليهما - رحمه الله- ، وكتبت السيدة الكبرى أمّهما ، مستعطفينِ مسترحمين، مُعلِمينِ أن دم الكل منهم مُسترهَن بثبوتهما. فأنفا من الذل، وأبيا وضع أيديهما في يد أحد من الناس بعد أبيهما. ثم عطفتهما عواطف الرحمة، ونظرا في حقوق أبويهما المقترنة بحق الله عز وجل. فتمسك كل منهما بدينه، ونبذ دنياه، ونزلا عن الحصنين بعد عهود مبرمة، ومواثيق محكمة. فأما المعتد بالله فإن القائد الواصل إليه قبض عند نزوله على كل ما كان يملكه. وأما الراضي بالله فعند خروجه من قصره قُتل غِيلةً وأخفي جسده)المعجب، ص١٠٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٢٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢١٦/٤.

الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة[1].

وأغمات هذه مدينة في سفح جبل بالقرب من مراكش ، وسيرد من ذكر المعتمد عند موته ، سنة ثمان وثمانين ، ما يعرف به محله.

قال أبو بكر بن اللبانة: زرت المعتمد بعد أسره بأغمات ، وقلت أبياتاً عند دخولي إليه ، منها:

لم أقـل في الثقـاف كـان ثقافـاً … كنـت قلبـاً بـه، وكـان شـغافا

يمكـث الزهـر في الكمـام، ولكـن … بعـد مكـث الكمـام يـدنو قطافـا

---

١) لقد تحامل المؤرخون كثيراً على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حول المعاملة القاسية التي واجه بها المعتمد بن عباد ، ومنهم ابن الأثير بعد أن كان يشيد به ، وقد أشار عنان إلى دهشته من ذلك بقوله: (وإنه لما يثير الدهشة حقاً ما انتهى إليه أمير المسلمين من التحول من تقدير المعتمد بن عباد ، وإكباره والثناء البالغ على شجاعته ونجدته ومروءته ، في كتبه الرسمية بالفتح، إلى المبالغة في خصومته ، والعمل على سحقه ، ومعاملته بأقصى ما يعامل به عدو. ويقال في ذلك، إنه فضلا عن البواعث السياسية والعسكرية ، فقد لعبت السعاية والوشاية في علائق الرجلين دوراً لا يحمد ، وأثارت في قلب يوسف أمرّ ضروب السخط والبغض ضد المعتمد) دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٣٥٦ ؛ ويبدو لنا أن معاملة يوسف بن تاشفين للمعتمد هذه ترجع إلى مواقف المعتمد من الأحداث الأخيرة في الأندلس ولا سيما ما حصل في حصن لييط ثم تسارع أمراء الطوائف في مراسلة النصارى وهو ما حصل أولاً مع عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة ، وكان ابن تاشفين يتوقع أن يتعظ المعتمد مما جرى لصاحب غرناطة ، ولهذا عندما توجه قائده سير بن أبي بكر إلى إشبيلية كان يظن أن ابن عباد إذا سمع به خرج إليه وتلقاه عن بُعد بالضيافة – كما يقول ابن أبي زرع – ولكن الذي حصل خلاف ذلك، فأرسل ابن عباد إلى الفونسو يستعين على المرابطين، وفي تقديرنا إن السبب الرئيس الذي دفع ابن تاشفين في اهانة ابن عباد هو الأعداد الكبيرة التي سقطت من المرابطين في معركة حصن المدور مع النصارى الذين قدموا لفك الحصار المرابطي عن إشبيلية ، ومما يعزز ذلك ما ذكره ابن الكردبوس قائلاً: (وقيل إن أمير المسلمين لم يأمر بخلع المعتمد – إذ كان أقسم له أن لا يغدره ولا يخلعه – إلا بعد أن اجتمع معه فقهاء إشبيلية وقضاتها ، وأعيانها وسراتها ، وقالوا له هؤلاء الرؤساء لا تحل طاعتهم، ولا تجوز إمارتهم، لأنهم فساق فجرة ، فاخلعهم عنا ، فقال لهم: كيف يجوز لي ذلك وقد عاهدتهم وارتبطت معهم على إبقائهم ؟ فقالوا له: إن كانوا عاهدوك فهم قد ناقضوك، وأرسلوا إلى الفنش أن يكونوا معه عليك، حتى يوقعوك بين يديه ، ويعود أمرهم إليه، فبادرْهمْ بخلعهم، ونحن بين يدي الله المحاسبون، فإن أذنبنا فنحن لا أنت المعاقبون، فإنك إن تركتهم وأنت قادر عليهم، أعادوا بقية بلاد المسلمين إلى الروم، وكنت أنت المحاسب بين يدي الله) تاريخ الأندلس، ص١٠٦- ١٠٧.

وإذا مـــا الهــــلال غــــاب بغـــيم — لم يكــن ذلــك المغيــب انكســافا

إنمــــــا أنـــــت درة للمعـــــــالي — ركـــب الــدهر فوقهـــا أصـــدافا

حجب البيت منك شخصاً كريماً — مثلمــا تحجــب الــدنان الســلافا

أنــت للفضــل كعبــة، ولــو أنـــي — كنت أستطيع لالتزمت الطوافا[١]

قال: وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذّ من غفلات الرقيب ، وأشهى من رشفات الحبيب ، وأدل على السماح ، من فجر على صباح.

ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح[٢] ويزيد[٣] بين يديه صبراً ، فقال في ذلك:

يقولـون صـبراً! لا سـبيل إلى الصـبر — سأبكي، وأبكي مـا تطـاول مـن عمـري

أفـتح لقـد فتحـت لـي بـاب رحمـة — كمـا بيزيـد، الله قـد زاد في أجـري

هـوى بكمـا المقـدار عـني، ولم أمـت — فـأدعى وفيـاً، قـد نكصـت إلى الغـدر

ولو عدتما لاخترتما العود في الثرى — إذا أنتمـــا أبصـــرتماني في الأســـر

أبـــا خالـــد أورثــــتني البــــث خالــــداً — أبــا نصــر مــذ ودعــت ودعــني نصــري[٤]

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد ، وهو محبوس ، بالنثر والنظم ، يتوجعون له ، ويذمون الزمان وأهله ، حيث مثله منكوب ، فمن ذلك ما قاله عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس[٥] ، وكتبه إليه يذكر مسيرهم عن إشبيلية إلى أغمات:

---

١) ينظر الأبيات: ابن الصيرفي، المختار من شعر شعراء الأندلس، ص٢١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٦١/٢٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢١٧/٤.

٢) وهو أبو نصر الفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون قتله المرابطون عند دخولهم إشبيلية سنة ٤٨٤هـ، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦٢/٢.

٣) هو أبو خالد يزيد الراضي بن المعتمد بن عباد ولاه أبوه الجزيرة الخضراء ثم نقله إلى رنده بعد دخول يوسف بن تاشفين إليها وبقي فيها حتى دخلها المرابطون بأمان إلا أنهم نقضوه وقتل صبراً في رمضان سنة ٤٨٤هـ، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٧٠/٢- ٧٥.

٤) ينظر القصيدة: ديوان المعتمد بن عباد، ص١٠٥- ١٠٧.

٥) ابن حمديس هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد الصقلي كان شاعرا جيد السبك وفد على بني عباد في إشبيلية ومدحهم كانت وفاته سنة ٥٢٧هـ. ابن بسام، الذخيرة، =

جـرى لـك جـد بـالكرام عثـور	**وجـار زمـان كنـت منـه تجـير**
لقـد أصـبحت بـيض الظبـى في غمودهـا	**إناثـاً لـترك الضـرب، وهـي ذكـور**
ولمـا رحلـتم بالنـدى في أكفكـم	**وقلقـل رضـوى مـنكم وثـبير**
رفعـت لسـاني بالقيامـة قـد أتـت	**ألا فـانظروا كيـف الجبـال تسـير**[1]

وقال شاعره ابن اللبانة في حادثته أيضاً:

تبكـي السـماء بـدمع رائـح غـادي	**علـى البهاليـل مـن أبنـاء عبـاد**
علـى الجبـال الـتي هـدت قوعـدها	**وكانـت الأرض منهـا تحـت أوتـاد**
عريسـة دخلتهـا النائبـات علـى	**أسـاود مـنهم فيهـا وآسـاد**
وكعبـة كانـت الآمـال تعمرهـا	**فـاليوم لا عـاكف فيهـا، ولا بـاد**[2]

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الأندلس ، وأخذ بلادهم ، جمع ملوكهم وسيرهم إلى بلاد الغرب ، وفرقهم فيها "إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً"[3].

ولما فرغ سير من إشبيلية سار إلى المرية فنازلها ، وكان صاحبها محمد بن معن ابن صمادح ، فقال لولده: ما دام المعتمد بإشبيلية فلا نبالي بالمرابطين.

فلما سمع بملكهم لها ، وما جرى للمعتمد ، مات في تلك الأيام غماً وكمداً ، فلما مات سار ولده الحاجب وأهله في مراكب ، ومعهم كل مالهم ، وقصدوا بلاد بني حماد ، فأحسنوا إليهم[4].

=٣٢٠/٧- ٣٥٩ ؛ ابن دحية، المطرب، ص٦٠ - ٦٢.

١) ينظر الأبيات: ابن بسام، الذخيرة، ٧٦/٣ ؛ ابن الصيرفي، المختار من شعر شعراء الأندلس، ص٣٠ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٦٢/٢٣.

٢) ينظر القصيدة: ابن بسام، ٨٠/٣- ٨١ ؛ ابن الصيرفي، المختار من شعر شعراء الأندلس، ص٢٧؛ عماد الدين الأصفهاني، خريدة القصر، ص١١٠ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٠٩- ١١٠؛ المقري، نفح الطيب، ٢١٤/٤.

٣) من الآية ٣٤ من سورة النمل.

٤) أورد ابن بسام روايتين بخصوص استيلاء المرابطين على المرية ووفاة المعتصم بن صمادح، الأولى ذهبت إلى أنه توفي عند دخولهم المدينة قال: (حدثني من لا أرد خبره عن أروى بعض مسان حظايا أبيه قالت: إني لعنده وهو يوصي بشأنه، وقد غلب على أكثر يده ولسانه، ومعسكر أمير=

وكان عمر بن الأفطس ، صاحب بطليوس ، ممن أعان سير على المعتمد ، فلما فتحت إشبيلية رجع ابن الأفطس إلى بلده ، فسار إليه سير ، وحاربه ، فغلبه ، وأخذ بلده منه ، وأخذه أسيراً هو وولده الفضل ، فقتلهما ، فقال عمر حين أرادوا قتله: قدموا ولدي قبلي للقتل ليكون في صحيفتي! فقتل ولده قبله ، وقتل هو بعده ، واحتوى سير على ذخائرهم وأموالهم[1].

ولم يترك من ملوك الأندلس سوى بني هود ، فإنه لم يقصد بلادهم ، وهي شرق الأندلس ، وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود ، وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم ، وكان قد أعد كل ما يحتاج إليه في الحصار ، وترك عنده ما يكفيه

=المسلمين يومئذ بحيث نعد خيماتهم، ونسمع اختلاط أصواتهم، إذ سمع وجبة من وجباتهم، فقال: لا إله إلا الله، نغص علينا كل شيء حتى الموت! قالت أروى: فدمعت عيني، فلا أنسى طرفا إلي يرفعه، وإنشاده إياي بصوت لا أكاد أسمعه:

ترفق بدمعك لا تفنه... فبين يديك بكاء طويل

أما الرواية الثانية فإنها ذهبت إلى أنه توفي قبل دخول المرابطين المرية وأنه ترك وصية لابنه قال فيها : (يا بني إن ابن عباد معنى السريرة، وشيخ هذه الجزيرة، فساعة يبلغك عنه شيء فأخف صوتك، وانج وليتك، فلما فار التنور، وبطلت تلك الأساطير، وسقط عليه بخبر ابن عباد الخبير، باع ذروة الملك، بصهوة الفلك، واعتاض من مناسمة الروح والريحان، بمزاحمة الشراع والسكان، ومن سماع نغم المزامير والأوتار، بالتصامم عن صخب تلك الأثباج والغمار. وخلى أهل المرية بينه وبين شأنه رعيا للذمام، ومكافأة عن سالف أياديه الجسام، وسخر له البحر فنجا ولم يعلقه شرك، ولا رجع عليه درك)الذخيرة ،٧٣٤/٢- ٧٣٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٨٣/٢- ٨٤ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١٩٦/٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ٤٤/٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٥/٢.

١) قال ابن الخطيب عن نهاية بني الأفطس: (ولمّا اشتدّ خوفه من أمير لمتونة، ورأى أنه أسوة ابن عباد في الخلع عن ملكه، وضيّقت الخيل على أطرافه وانتزعتها داخل طاغية الرّوم، وملّكه من مدينة الأشبونة رغبة في دفاعه عنه، فاستوحشت لذلك رعيته، وراسلت اللّمتونيين، واقتحمت عليه مدينة بطليوس، واعتصم بالقصبة، وخانه المحاربة، فدخلت عليه عنوة، وتقبّض عليه وعلى بنيه وعبيده، وتحصّلوا في ثقاف قائد الجيش اللّمتوني.، وبادر إعلام الأمير سير بن أبي بكر، فلحق بها. واستخرج ما كان عند المتوكل من المال والذّخيرة، وأزعجه إلى إشبيلية مع ابنين له، فلمّا تجاوز وبعد عن حضرته، أنزل وقيل له: تأهّب للموت، فسأل أن يقدّم ابناه يحتسبهما عند الله، فكان ذلك، وقتلا صبراً بين يديه، ثم ضرب عنقه، وذلك صدر سنة سبع وثمانين وأربعمائة) الإحاطة، ٣٢/٤

عدة سنين بمدينة روطة ، وكانت قلعة حصينة ، وكانت رعيته تخافه ، ولم يزل يهادي أمير المسلمين ، قبل أن يقصد بلاد الأندلس ويملكها ، ويواصله ، ويكثر مراسلته ، فرعى له ذلك ، حتى إنه أوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بني هود ، وقال: اتركهم بينك وبين العدو ، فإنهم شجعان[1].

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيّان

في هذه السنة جمع أذفونش عساكره ، وجموعه ، وغزا بلاد جيّان من الأندلس ، فلقيه المسلمون وقاتلوه ، واشتدت الحرب ، فكانت الهزيمة أولاً على المسلمين ، ثمّ إن الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج ، فهزموهم ، وأكثروا القتل فيهم ، ولم ينج إلا الأذفونش في نفر يسير ، وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع ، بعد الزلاقة ، وأكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم[2].

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

ذكر وفاة المعتمد بن عباد

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد ، الذي كان صاحب الأندلس ، مسجوناً بأغمات ، من بلد المغرب ، وقد ذكرنا كيف أخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، فبقي مسجوناً إلى الآن ، وتوفي ، وكان من محاسن الدنيا كرماً ، وعلماً ،

---

١) أشار ابن عذاري إلى أن ابن هود كتب إلى يوسف بن تاشفين (نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليكم منه ضرر ومنّا عينٌ تطرف وقد قنعنا بمسالمتكم فاقنعوا منا بما نعينكم به من نفيس الذخائر) البيان المغرب، ١٤٥/٤ ؛ وقال ابن الخطيب: (والمستعين هذا ممن لم يهجه أمير لمتونة ولا نازعه مما في يده، ولا تطرق لخلعه قبولاً منه للعهد ، واقراراً فيما بينه وبين العدو، لما تجره مضايقته من تصيير ما بيده إلى الروم، فكان يلاطفه، ووجه إليه ابن هود ولده عبد الملك فقام بحقه وصرفه مكرماً)أعمال الأعلام، ١٦٩/٢- ١٧٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٤٨/٢- ٢٤٩ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٧٠/٢٤ ؛ أبو الفدا ، المختصر، ٢٠٠/٢ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٥٣- ٥٤ وفيه نص رسالة يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله بن هود.

٢) لم يرد هذا الخبر في المصادر التي بين أيدينا ، فابن أبي زرع ذكر أنه في سنة ٤٨٥هـ ملك المرابطون دانية وشاطبة وبلنسية، روض القرطاس، ص١٥٦، ١٦٩.

وشجاعة ، ورئاسة تامة ، وأخباره مشهورة ، وآثاره مدونة[1].

وله أشعار حسنة ، فمنها ما قاله لما أخذ ملكه وحبس:

سلت علي يد الخطوب سيوفها ... فجذذن من جسدي الحصيف الأمتنا

ضربت بها أيدي الخطوب، وإنما ... ضربت رقاب الآملين بها المنى

يا آملي العادات من نفحاتنا ... كفوا، فإن الدهر كف أكفنا[2]

وله قصيدة يصف القيد في رجله:

تعطف في ساقي تعطف أرقم ... يساورها عضاً بأنياب ضيغم

وإني من كان الرجال بسيبه ... ومن سيفه في جنة وجهنم[3]

وقال في يوم عيد:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ... فساءك العيد في أغمات، مأسورا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً ... فردك الدهر منهياً، ومأمورا

من بات بعدك في ملك يسر به ... فإنما بات بالأحلام مسرورا[4]

وكان شاعره أبو بكر بن اللبانة يأتيه وهو مسجون ، فيمدحه لا لجدوى ينالها منه ، بل رعاية لحقه وإحسانه القديم إليه. فلما توفي أتاه ، فوقف على قبره ، يوم عيد ، والناس عند قبور أهليهم ، وأنشد بصوت عال:

ملك الملوك أسامع فأنادي ... أم قد عداك عن الجواب عوادي

لما خلت منك القصور، ولم تكن ... فيها، كما قد كنت في الأعياد

فمثلت في هذا الثرى لك خاضعاً ... وتخذتُ قبرك موضع الإنشاد[5]

---

١) ينظر عن بعض صفات ابن عباد: ابن بسام، الذخيرة، ٥٦/٣- ٨١ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٠٢؛ ابن الأبار، الحُلة السِّيراء، ٥٥/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٦٠/٢؛ المقري، نفح الطيب، ١٤٤/٥؛ السلاوي، الاستقصا، ٢٠/٤.

٢) ينظر القصيدة، ديوان المعتمد بن عباد، ص١١٥- ١١٦.

٣) م.ن، ص١١١.

٤) م.ن، ص١٠٠- ١٠١.

٥) ينظر القصيدة: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٣٠- ٣١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٦٤/٢٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٥٩/٤ ؛ عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص١٩١- ١٩٢.

وأخذ في إتمام القصيدة[١] ، فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون. ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الأمر ، فلنقف عند هذا[٢].

ذكر عدة حوادث

وفيها توفي... وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الأندلسي ، ولد قبل العشرين وأربعمائة ، وسمع الحديث ببلده ، ومصر ، والحجاز ، والعراق ، وهو مصنف الجمع بين الصحيحين ، وكان ثقة فاضلاً ، وتوفي في ذي الحجة ، ووقف كتبه فانتفع بها الناس[٣].

---

١) قال ابن خاقان في وصف هذه القصيدة: (وهي قصيدة أطال أنشادها ، وبنى بها اللواعج وشادها ، فانحشر الناس إليه وأحفلوا ، وبكوا لبكائه وأعولوا ، وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج، مديمين البكاء والعجيج، ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم، وأقرحوا مأقيهم بفيض شؤنهم، وهذه نهاية كل عيش، وغاية كل ملك وجيش، والأيام لا تدع حيا ، ولا تألوا كل نشر طيا ، تطرق رزاياها كل سمع، وتفرق مناياها كل جمع، وتصمي كل ذي أمر ونهي، وترمي كل مشيد بوهي)قلائد العقيان، ص٣١.

٢) تركت أخبار المعتمد ورميكيته أثراً كبيراً في النفوس، انعكس ذلك على الأدب عامة والأندلسي خاصة ، وقد أشار إلى ذلك المقري في نهاية كلامه عن أخبارهما بقوله: (وقد جمح بنا القلم في ترجمة المعتمد بن عباد بعض الجموح، وما ذاك إلا لما علمنا إن نفوس الأدباء إلى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح، وقد جعل الله تعالى له... رقة في القلوب، وخصوصاً بالمغرب فأن أخباره وأخبار الرميكية إلى الآن متداولة بينهم وأن فيها لأعظم عبرة)، نفح الطيب، ٢٨٢/٤- ٢٨٣.

٣) هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، من أهل جزيرة ميورقة ، وأصله من قرطبة ، روى عن أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري واختص به وصحبه ، وعن أبي العباس العذري، وأبي عمر بن عبد البر وغيرهم. ورحل إلى المشرق سنة ٤٨٤هـ فحج ولقي بمكة كريمة المروزية وغيرها. وسمع بإفريقية ومصر والشام والعراق، واستوطن بغداد ، ومن شيوخه فيها أبي بكر الخطيب البغدادي، وأبي نصر بن ماكولا ، والقاضي أبي بكر بن إسحاق وغيرهم، وُصِفَ بالنباهة والمعرفة والإتقان، والتدين والورع، له العديد من المصنفات منها الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم وكتاب علماء الأندلس، وتوفي ببغداد سنة ٤٨٨هـ، ينظر ترجمته: ابن بشكوال، الصلة، ص٥٣٠- ٥٣١ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٨٢/٤- ٢٨٤ ؛ الذهبي، سير، ١٥٧/١٤- ١٦٠.

ثم دخلت سنة خمسمائة

ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي

في هذه السنة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ملك الغرب والأندلس ، وكان حسن السيرة ، خيراً ، عادلاً ، يميل إلى أهل الدين والعلم ، ويكرمهم ، ويصدر عن رأيهم ، ولما ملك الأندلس ، على ما ذكرناه ، جمع الفقهاء وأحسن إليهم ، فقالوا له: ينبغي أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة ، فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله ، أمير المؤمنين ، رسولاً ومعه هدية كثيرة ، وكتب معه كتاباً يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج ، وما اعتمده من نصرة الإسلام ، ويطلب تقليداً بولاية البلاد ، فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد ، ولقب أمير المسلمين ، وسيرت إليه الخلع ، فسر بذلك سروراً كثيراً ، وهو الذي بنى مدينة مراكش للمرابطين ، وبقي على ملكه إلى سنة خمسمائة[1] ، فتوفي وملك بعده البلاد ولده علي بن يوسف ، وتلقب أيضاً أمير المسلمين ، فازداد في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم ، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ، ولان قلبه لها ، وظهر ذلك عليه[2].

وكان يوسف بن تاشفين حليماً ، كريماً ، ديناً ، خيراً ، يحب أهل العلم والدين ، ويحكمهم في بلاده ، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام ، فمن ذلك أن

---

١) ينظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١٢/٧- ١٢٠ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٣٦- ١٥٦ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٧٣/٢٩- ٧٩ ؛ الذهبي، سير، ٤٩٣/١٤- ٤٩٤ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤- ٣٠٦ ؛ الحلل الموشية، ص١٢- ٥٩.

٢) تولى علي بن يوسف بن تاشفين الدولة المرابطية في المغرب والأندلس سنة ٥٠٠هـ وتوفي سنة ٥٣٧هـ، كان رجلاً حليماً وقوراً صالحاً عدلاً منقاداً للحق والعلماء، تجبى إليه الأموال من البلاد، لم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه، وفي زمانه أظهر العمل بمذهب مالك ونبذ وراءه ما سواها، وكثُر ذلك حتّى نسي العلماء النَّظَر في الكتاب والسُّنَن، وقرَّر الفقهاء عنده تقبيح علم الكلام وكراهيته، وأنّه بِدْعة، حتّى استحكم ذلك في نفسه، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالوعيد على مَن وُجِد عنده شيءٌ من كُتُب الكلام، ولمّا دخَلَت كُتُب أبي حامد الغزّاليّ إلى المغرب، أمَرَ بإحراقها، وتوعَّد بالقتل من وجد عنده شيءٌ منها، ينظر: ابن خلكان،وفيات الأعيان، ١٢٣/٧- ١٢٤ ؛ الذهبي، سير، ٤٩٣/١٤- ٤٩٤ ؛ تاريخ الإسلام، ٦٧٢/١١ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢١٢/٢٢-٢١٣ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٥٧-١٦٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٤/٤-٤٥ ؛ أعمال الأعلام، ٢٢٣/٢-٢٢٤ ؛ الحلل الموشية، ص٦١- ٩٠.

ثلاثة نفر اجتمعوا ، فتمنى أحدهم ألف دينار يتّجر بها ، وتمنى الآخر عملاً يعمل فيه لأمير المسلمين ، وتمنى الآخر زوجته النفزاوية ، وكانت من أحسن النساء ، ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر ، فأحضرهم ، وأعطى متمني المال ألف دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للذي تمنى زوجته: يا جاهل! ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه؟ ثم أرسله إليها ، فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه كل يوم طعاماً واحداً ، ثم أحضرته وقالت له: ما أكلت هذه الأيام؟ قال: طعاماً واحداً ، فقالت: كل النساء شيء واحد. فأمرت له بمال وكسوة وأطلقته[1].

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

ذكر انهزام الفرنج بالأندلس

في هذه السنة خرج أذفونش الفرنجي ، صاحب طليطلة بالأندلس ، إلى بلاد الإسلام بها ، يطلب ملكها ، والاستيلاء عليها ، وجمع وحشد فأكثر ، وكان قد قوي طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فسمع أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الخبر ، فسار إليه في عساكره وجموعه ، فلقيه ، فاقتتلوا ، واشتد القتال ، وكان الظفر للمسلمين ، وانهزم الفرنج ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وأسر منهم بشر كثير ، وسبى منهم ، وغنم من أموالهم ما يخرج من الأحصاء ، فخرج الفرنج ، بعد ذلك ، وامتنعوا من قصد بلاده ، وذلّ أذفونش حينئذ وعلم أن في البلاد حامياً لها ، وذاباً عنها[2].

---

1) نقل السلاوي هذه القصة من ابن الأثير، الاستقصا، ٢/٢٣- ٢٤.

2) رواية ابن الأثير عن هذه المعركة غير دقيقة، والراجح أنه يشير هنا إلى معركة أقليش والتي وقعت في سنة ٥٠١هـ على رواية ابن الكردبوس وابن عذاري، وسنة ٥٠٢هـ حسب رواية ابن أبي زرع، ذلك أن تميم بن يوسف بن تاشفين كان والياً على غرناطة فخرج للغزو واتجه نحو قشتالة وحاصر حصن إقليش، فلما بلغ ذلك الفونسو السادس أراد أن يخرج بنفسه فأشارت عليه زوجته أن يرسل ابنه سانشو مكانه، لأن تميم ابن ملك المسلمين وسانشو ابن ملك الروم، فوقعت بينهم معركة كبيرة صمد لها قواد لمتونة فانهزم القشتاليون وقتل سانشو ابن الملك القشتالي، فاغتم الفونسو بقتل ولده وهلاك عسكره فمات كمداً بعد عشرين يوماً من الوقعة، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٤- ١١٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٤٩- ٥٠ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٦٠؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص٦٣- ٦٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٦١- ٦٥.

ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

ذكر عدة حوادث

وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الأندلسي، السرقسطي، وكان فقيهاً، فاضلاً، ورد العراق نحو سنة خمسمائة، وسار إلى خراسان، فسكن مرو الروذ[1]، فمات بها[2]، وله شعر حسن، فمنه:

ومهفهف يختال في أبراده	مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكري خده	فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت أحسب أن فعل توهمي	يقوى تعديه، فيجرح جارحي
لا غرو إن جرح التوهم خده	فالسحر يعمل في البعيد النازح[3]

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة

في هذه السنة، وقيل سنة أربع عشرة، كانت فتنة بني عسكر أمير المسلمين علي ابن يوسف وبين أهل قرطبة.

---

١) مرو الروذ، ومرو بالفارسية تعني الحجارة والروذ النهر، فكأنه مرو النهر، وهي مدينة بخراسان قرب مرو الشاهجان بها توفي المهلب بن أبي صفرة، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١١٢/٥.

٢) أشارت المصادر إلى أنه كان فقيهًا فاضلًا بارعًا لطيف الطبع مليح الشعر، ورد بغداد، فأقام بالنظامية مدة، وتوفي بمرو الروذ في حدود سنة ٥١٠هـ، السبكي، طبقات الشافعية، ١٣٩/٧ ؛ أبو الفدا، طبقات الشافعيين، ص٥٢٧ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٣٩/٧.

٣) هذه الأبيات ذكرها عماد الدين الأصفهاني ونسبها إلى عبد الله بن سارة الإشبيلي وقال: إنه توفي بالعراق بعد سنة خمسمائة، خريدة القصر، ص٣١٥ ؛ وأورد بعض منها ابن خاقان وقال: هي لأبي محمد بن سارة، قلائد العقيان، ص٢٥٩ ؛ ولعل ابن الأثير قد خلط بين الاثنين لأن كلاهما أندلسيان ويلقبان بأبي محمد وزارا المشرق ودخلا بغداد، ومما يرجح ذلك أن المصادر أعلاه التي ترجمت لأبي محمد الأندلسي عبد الله بن يحيى ذكرت له أبيات شعرية غير التي ذكرها ابن الأثير، إذ نسبت له قوله:

أبا شمس إني إن أتتك مدائحي	وهن لآل نظمت وقلائد
فلست بمن يبغي على الشعر رشوة	أبى ذاك لي جد كبير ووالد
وأني من قوم قديمًا ومحدثًا	تباع عليهم بالألوف القصائد

وسببها: أن أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن رواد ، فلما كان يوم الأضحى خرج الناس متفرجين ، فمد عبد من عبيد أبي بكر يده إلى امرأة فأمسكها ، فاستغاثت بالمسلمين ، فأغاثوها ، فوقع بين العبيد وبين أهل البلد فتنة عظيمة ، ودامت جميع النهار ، والحرب بينهم قائمة على ساق ، فأدركهم الليل ، فتفرقوا ، فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر ، فاجتمع إليه الفقهاء والأعيان ، فقالوا: المصلحة أن تقتل واحداً من العبيد الذين أثاروا الفتنة ، فأنكر ذلك ، وغضب منه ، وأصبح من الغد ، وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد ، فركب الفقهاء والأعيان والشبان من أهل البلد ، وقاتلوه فهزموه ، وتحصن بالقصر ، فحصروه ، وتسلقوا إليه ، فهرب منهم بعد مشقة وتعب ، فنهبوا القصر ، وأحرقوا جميع دور المرابطين ، ونهبوا أموالهم ، وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة.

واتصل الخبر بأمير المسلمين فكره ذلك واستعظمه ، وجمع العساكر من صنهاجة ، وزناتة ، والبربر ، وغيرهم ، فاجتمع له منهم جمع عظيم ، فعبر إليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وحصر مدينة قرطبة ، فقاتله أهلها قتال من يريد أن يحمي دمه وحريمه وماله ، فلما رأى أمير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم ، وسعوا في الصلح ، فأجابهم إلى ذلك على أن يغرم أهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من أموالهم ، واستقرت القاعدة على ذلك ، وعاد عن قتالهم[1].

---

١) جاءت رواية ابن الأثير حول سبب ثورة أهل قرطبة على المرابطين مغايرة لما ورد عند ابن الخطيب، فقد أشار الأخير إلى أنه (كان قدم عليها الأمير أبي يحيى بن روادة فحدث بينه وبين أهلها ما أوجب قيامهم عليه وحدثت بين أهلها وبين من كان بها من المرابطين فتنة كثيرة ونهبوا ديارهم وقصورهم فبلغ ذلك علي بن يوسف فجند الجنود وحشد صنهاجة وزناتة والمصامدة وأخلاط البربر وجاز إلى الأندلس في عسكر لم يجتمع مثله للمرابطين قبله، فاحتل بخارج قرطبة فغلقوا أبوابها ودروبوا مواضع من حاراتهم واستعدوا لقتاله، واستفتوا علماءهم فأفتوهم أنه متى عرض الحق وبين له السبب فيما جرى بين المرابطين وأهل قرطبة وإنه لم يكن بداءة منهم وإنما كان ذباً عن الحرم والدماء والأموال والبادي أظلم، فإن تمادى على نصر هواه وإتباع أغراض المفسدين، وجب القتال عن الحرم والدفع عن الحوزة حتى يراجع الله به، ولما طال مقامه عليها تردد إليه وجوه قرطبة وأعيانها، وذكروه بوصية أبيه أمير المسلمين أن يقبل من=

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما

في هذه السنة كان ابتداء أمر المهدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي، الحسني[1]، وقبيلته من المصامدة، تعرف بهرغة في جبل السوس، من بلاد المغرب، نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير، ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة إلى أن فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضاً.

وكان ابن تومرت قد رحل في شبيبته إلى بلاد الشرق في طلب العلم، وكان

=أحسن من أهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم، فوقع الاتفاق على أن يؤدوا له مالا عوضاً مما نهب للمرابطين، فرضي ورضوا) الحلل الموشية، ص٦٣ ؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٨٢- ٨٣.

١) اختلف المؤرخون في نسب محمد بن تومرت، فمنهم من أثبت له نسب عربي ومن آل البيت عليهم السلام ومنهم من نفى ذلك، ومن أثبت له نسبه العربي اختلفوا أيضاً في قائمة النسب فقيل: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقيل هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقيل هو محمد بن عبد الله بن وجليل بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، ابن القطان، نظم الجمان، ص٨٧- ٨٨ ؛ وذكر ابن أبي زرع أن ابن مطروح القيسي كان ينفي نسبه العربي ويقول هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة، روض القرطاس، ص١٧٢ ؛ وقال المراكشي: (ومحمد هذا رجل من أهل سوس، مولده بها بضَيْعة منها تعرف بـ إيجلي أن وارْغَن، وهو من قبيلة تسمى هَرْغَة، من قوم يعرفون بـ إيسَرِغينَنْ، وهم الشرفاء بلسان المصامدة، ولمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وجدت بخطه)المعجب، ص١٣٦ ؛ ينظر عن نسبه: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٦/٥ ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٩٨- ١٩٩ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١٧٨/٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٩٨/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٣٠١/٦ ؛ أما المؤرخون المحدثون فمنهم من شكك في نسبه العلوي ومنهم من أيد ذلك، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٥٨- ١٦٠ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص٢٨٤ ؛ الصلابي، دولة الموحدين، ص٧- ٩.

فقيهاً ، فاضلاً ، عالماً بالشريعة ، حافظاً للحديث ، عارفاً بأصولي الدين والفقه ، متحققاً بعلم العربية ، وكان ورعاً ، ناسكاً ، ووصل في سفره إلى العراق ، واجتمع بالغزالي[1] ، والكيا[2] ، واجتمع بأبي بكر الطرطوشي[3] بالإسكندرية ، وقيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك ، فقال له الغزالي: إن هذا لا يتمشى في هذه البلاد ، ولا يمكن وقوعه لأمثالنا.

كذا قال بعض مؤرخي المغرب ، والصحيح أنه لم يجتمع به[4] ، فحج من هناك

---

١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، نشأ بطوس ودرس بها ثم انتقل إلى نيسابور ودرس على أبي المعالي الجويني، والتقى بالوزير السلجوقي نظام الملك الذي فوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية سنة ٤٨٤هـ إلى سنة ٤٨٨هـ حيث قصد الحج وسلك طريق الزهد والانقطاع، وأقام بدمشق مدة ثم زار القدس ومصر ووصل الإسكندرية ويقال إنه من هناك عزم على السفر إلى المغرب للقاء يوسف بن تاشفين فبلغه وفاته فانصرف عن ذلك وعاد إلى وطنه طوس وعكف على التأليف، ويعد كتاب إحياء علوم الدين من أشهر كتبه، توفي بطوس سنة ٥٠٥هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢١٧/٤- ٢١٩ ؛ الذهبي، سير، ٢٦٧/١٤- ٢٧٨.

٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، الملقب عماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي، كان من أهل طبرستان، وخرج إلى نيسابور وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مدة، ثم خرج من نيسابور إلى بيهق ودرس بها مدة، ثم خرج إلى العراق وتولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفي بها سنة ٥٠٤هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٨٧/٣- ٢٨٩ ؛ الذهبي، سير، ٢٨٢/١٤.

٣) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي أصله من طرطوشة، ويعرف: بابن أبي وندقة، صحب أبا الوليد الباجي، ثم رحل إلى المشرق ودخل بغداد والبصرة وتفقه على أبي بكر الشاشي، ثم دخل الشام وبقي مدة ثم رحل إلى الإسكندرية وتوفي بها سنة ٥٢٠هـ، ابن بشكوال، الصلة، ص٤٤٩- ٤٥٠ ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ٣٧١/١.

٤) يشكك العديد من المؤرخين في لقاء المهدي بن تومرت بالإمام الغزالي، ينظر: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٢٣٢/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٣٠٢/٦ ؛ وعلق عنان على ذلك قائلاً: (ونحن نقف قليلا عند هذه الرواية، التي يرددها كثير من مؤرخي المشرق والمغرب، إذ متى وأين كان هذا اللقاء، وفي أي الظروف؟ لقد خرج ابن تومرت من وطنه في طلب العلم في سنة=

وعاد إلى المغرب ، ولما ركب البحر من الإسكندرية ، مغرباً ، غيّر المنكر في المركب ، وألزم من به بإقامة الصلاة ، وقراءة القرآن[1] ، حتى انتهى إلى المهدية[2] ، وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم[3] ، سنة خمس وخمسمائة ، فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت ، وليس له سوى ركوة ، وعصاً ، وتسامع به أهل البلد ، فقصدوه يقرءون عليه أنواع العلوم ، وكان إذا مر به منكر غيره وأزاله ، فلما كثر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء ،

=٥٠٠ أو ٥٠١ هـ، وقضى فترة في الأندلس، وفي المهدية، وفي الإسكندرية، ثم سافر لقضاء فريضة الحج، وقصد على أثر ذلك إلى بغداد، وإذن فيكون من المرجح أنه لم يصل إليها قبل سنة ٥٠٤ و ٥٠٥ هـ. وقد كان الإمام الغزالي ببغداد يضطلع بالتدريس في المدرسة النظامية بين سنتي ٤٨٤ و ٤٨٨ هـ. وفي سنة ٤٨٨ هـ غادر العاصمة العباسية، في رحلته التأملية الشهيرة التي استطالت حتى سنة ٤٩٩ هـ، والتي زار فيها دمشق وبيت المقدس والإسكندرية ومكة والمدينة. وإذن فيكون من المستحيل مادياً، أن يكون ابن تومرت الذي غادر وطنه لأول مرة في سنة ٥٠٠ هـ، قد استطاع أن يلتقي بالغزالي في بغداد أو غيرها من المدن التي زارها في خلال رحلته، ثم إنه ليس من المحتمل أن يكون هذا اللقاء قد وقع عند عودة الغزالي إلى بغداد. ذلك أنه لم يمكث بها سوى فترة يسيرة، ثم رحل منها إلى نيسابور حيث قام بالتدريس فيها استجابة لدعوة السلطان ملك شاه، ثم غادرها بعد قليل إلى مسقط رأسه طوس، وانقطع بها للعبادة والتأليف حتى توفي في جمادى الثانية سنة ٥٠٥ هـ ، ويتضح من ذلك جلياً بطلان قصة اللقاء بين ابن تومرت والإمام الغزالي من الناحية التاريخية)، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٦١.

١) ذكر المراكشي أنه (استمر على عادته في السفينة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن ألقاه أهل السفينة في البحر. فأقام أكثر من نصف يوم يجري في ماء السفينة لم يصبه شيء. فلما رأوا ذلك من أمره أنزلوا إليه من أخذه من البحر، وعظم في صدورهم، ولم يزالوا مكرمين له إلى أن نزل من بلاد المغرب)المعجب، ١٣٧.

٢) وهي مدينة بناها عبيد الله الشيعي وبينها وبين القيروان ٦٠ميلاً ويحيط بها البحر من جميع جهاتها إلا جانبها الغربي، مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١١٧.

٣) هو يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي أحد ملوك صنهاجة بإفريقية ولي سنة ٥٠١هـ وتوفي سنة ٥٠٩هـ، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢٦/٢- ٣٢٧ ؛ الذهبي، سير، ٣١٥/١٤ ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٨٨.

فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه ، وسأله الدعاء[1].

ورحل عن المدينة وأقام بالمنستير[2] مع جماعة من الصالحين ، مدة ، وسار إلى بجاية[3] ففعل فيها مثل ذلك ، فأخرج منها إلى قرية بالقرب منها اسمها ملالة ، فلقيه بها عبد المؤمن بن علي ، فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم ، والقيام بالأمر ، فسأله عن اسمه وقبيلته ، فأخبره أنه من قيس عيلان ، ثم من بني سليم ، فقال ابن تومرت : هذا الذي بشر به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين قال: "إن الله ينصر هذا الدين ، في آخر الزمان ، برجل من قيس" ، فقيل: من أي قيس؟ فقال: "من بني سليم"[4]. فاستبشر بعبد المؤمن وسرّ بلقائه ، وكان مولد عبد المؤمن

---

١) رواية المراكشي أنه عندما نزل(بجاية, فأظهر بها تدريس العلم والوعظ، واجتمع عليه الناس، ومالت إليه القلوب، فأمره صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عاديته، فخرج منها متوجهًا إلى المغرب) المعجب، ص١٣٧.

٢) المنستير وهو حصن عالي البناء يقع بالقرب من سوسة من بلاد إفريقية يسكنه جماعة من الصالحين المنقطعين للعبادة، مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١٢٠.

٣) بجاية، هي مدينة على ضفة البحر يحيط بها من الشرق والغرب والجنوب وهي من بناء المنصور بن حماد الصنهاجي، مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١٢٨- ١٣١.

٤) روى ابن عساكر: (...عن أم الدرداء قالت خرج أبو الدرداء يريد النبي(صلى الله عليه وسلم) فوجد جماعة من العرب يتفاخرون قال فاستأذنت فأذن لي رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فقال يا أبا الدرداء ما هذا اللجب الذي أسمع قال قلت يا رسول هذه العرب يتفاخرون فيما بيننا فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): يا أبا الدرداء إذا فاخرت ففاخر بقريش وإذا كاثرت فكاثر بتميم وإذا حاربت فحارب بقيس ألا إن وجوهها كنانة وأسنانها أسد وفرسانها قيس إن لله يا أبا الدرداء فرساناً في سمائه يقاتل بهم أعداءه وهم الملائكة وفرساناً في الأرض يقاتل بهم أعداءه وهم قيس يا أبا الدرداء آخر من يقاتل عن الإسلام حتى لا يبقى إلا ذكره ومن القرآن إلا رسمه لرجل من قيس قال قلت يا رسول من أي قيس قال من سليم) تاريخ دمشق، ٣٨٢/١٠ ؛ ذكره المتقي الهندي وقال الحديث (غريب جدا - عن أبي الدرداء، وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وقال عدّ: عامة أحاديثه مناكير) كنز العمال، ٨٩/١٢ ؛ ينظر أيضاً: السيوطي، جامع الأحاديث، ٢٦/٢٣.

في مدينة تاجرة[1] ، من أعمال تلمسان[2] ، وهو عائذ[3] ، قبيل من كومرة[4] ، نزلوا بذلك الإقليم سنة ثمانين ومائة[5].

---

١) قال ياقوت: تاجرة بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هنين من سواحل تلمسان، بها كان مولد عبد المؤمن بن علي صاحب المغرب، معجم البلدان، ٥/٢.

٢) تلمسان وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز، وهي قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة، البكري، المسالك والممالك، ٢٥٩/٢.

٣) عند ابن خلدون عابد أحد بيوتات قبيلة كومية، تاريخ، ١٦٦/٦.

٤) الصحيح كومية، فذكر ابن أبي زرع أن عبد المؤمن زناتي الأصل من كومية هنين من موضع يعرف بتاجرة على ثلاثة أميال من مرسى هنين، روض القرطاس، ص١٨٣ ؛ وعبد المؤمن نفسه ينكر أن يكون من كومية وقيل: (إنه كان يقول إذا ذكر كومية: لستُ منهم، وإنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نِزَار بن مَعَدِّ بن عَدْنان، ولكومة علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم، وهم الأخوال)المراكشي، المعجب، ص١٤٨ ؛ وعن قبيلة كومية قال المراكشي: (هي قبيلة كثيرة العدد جمة الشعوب، لم يكن لها في قديم الدهر ولا في حديثه ذكر في رياسة ولا حظ من نباهة، إنما كانوا أصحاب فلاحة ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب وسوى ذلك من سقط المتاع. فتبارك المعز المذل المعطي المانع! فأصبح القوم اليوم وليس فوقهم أحد ببلاد المغرب...)المعجب، ص٢٤٥ ؛ ويشكك ابن خلدون بنسب عبد المؤمن العربي قائلاً: (فأما انتسابهم في قيس عيلان فقد ذكرنا أنه غير صحيح. وفي أسماء هذا العمود من نسب عبد المؤمن ما يدلّ على أنه مصنوع، إذ هذه الأسماء ليست من أسماء البربر وإنما هي كما تراه كلها عربية والقوم كانوا من البرابرة معروفون بينهم، وانتساب صطفور إلى مطماط تخليط أيضا فإنّهما أخوان عند نسّابة البربر أجمع، وعبد المؤمن بلا شك منهم، والله أعلم بما سوى ذلك)، تاريخ، ١٦٦/٦.

٥) رواية المراكشي فيها شيء من الاختلاف قال فخرج من بجاية متوجهاً إلى المغرب: (فنزل بضيعة يقال لها ملالة، على فرسخ من بجاية، وبها لقيه عبد المؤمن بن علي، وهو إذ ذاك متوجه إلى المشرق في طلب العلم، فلما رآه محمد بن تومرت، عرفه بالعلامات التي كانت عنده. وكان ابن تومرت هذا أوحد عصره في علم خطّ الرَّمْل، مع أنه وقع بالمشرق على ملاحم من عمل المنجمين وجُفو من بعض خزائن خلفاء بني العباس، أوصله إلى ذلك كله فرط اعتنائه بهذا الشأن, وما كان يحدث به نفسه، وبلغني من طرق صحاح أنه لما نزل ملالة - الضيعة التي تقدم ذكرها - سُمع وهو يقول: ملالة! ملالة! يكررها على لسانه يتأمل أحرفها، وذلك لما كان يراه أن أمره يقوم من موضع في اسمه ميم ولامان، فكان - كما ذكرنا - إذا كررها يقول: ليست هي! ،وأقام بهذه الضيعة أشهرًا، وبها مسجد يعرف به... استدعى عبد المؤمن وخلا به، وسأله عن اسمه واسم أبيه ونسبه، فتسمى له وانتسب. وسأله عن مقصده فأخبره أنه راحل في طلب العلم إلى المشرق. فقال له ابن تومرت: أوَخَير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: شرف الدنيا والآخرة؛ تصحبني وتعينني على ما أنا بصدده، من إماتة المنكر وإحياء العلم وإخماد البدع.=

ولم يزل المهدي ملازماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه إلى أن وصل إلى مراكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه ، فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فكثر أتباعه ، وحسنت ظنون الناس فيه ، فبينما هو في بعض الأيام في طريقه ، إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ، ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة ، وهن مسفرات ، وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم عن وجوههن ، ويتلثم الرجال ، فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن ، وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن ، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها ، فرفع أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف[1] ، فأحضره ، وأحضر الفقهاء ليناظروه ، فأخذ يعظه ويخوفه ، فبكى أمير المسلمين ، وأمر أن يناظره الفقهاء ، فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله.

وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب[2] ، فقال: يا أمير المسلمين ، إن هذا والله لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما يريد إثارة فتنة ، والغلبة على بعض النواحي ، فاقتله وقلدني دمه. فلم يفعل ذلك ، فقال: إن لم تقتله فاحبسه ، وخلده في السجن ، وإلا أثار شراً لا يمكن تلافيه. فأراد حبسه ، فمنعه

=فأجابه عبد المؤمن إلى ما أراده) المعجب، ص١٣٧ ؛ ينظر أيضا: اليافعي، مرآة الجنان، ١٧٩/٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٧/٦ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٨١/٢.

١) أورد ابن خلدون حكاية توبيخ ابن تومرت لأخت أمير المسلمين علي بن يوسف بشكل مقتضب قال: ولقي ذات يوم(أخت علي بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملّثمين في زي نسائهم فوبخها ، ودخلت على أخيها باكية لما نالها من تقريعه) تاريخ، ٣٠٣/٦ ؛ينظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣١/١٢ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٨٢/٢.

٢) هو مالك بن يحيى بن وهيب بن أحمد بن عامر بن أيمن بن سعد الأزدي، من أهل إشبيلية؛ يكنى: أبا عبد الله، وكانت له رواية عن أبي القاسم الحسن بن عمر المروزي، وأبي عبد الله أحمد بن محمد الخولاني وغيرهما. وأجاز له حاتم بن محمد روايته، قال ابن بشكوال: لقيته بقرطبة وماشيْته وتوفي بمراكش في سنة ٥٢٥هـ، الصلة، ص٥٨٧ ؛، وقال الضبي: مالك بن يحيى بن وهيب فقيه حافظ مشهور حسن الخط اختصر كتاب التمهيد لأبي عبد البر اختصاراً أجاد فيه وسمه كتاب التبصير، ولم يذكر وفاته، بغية الملتمس، ص٤٦٤ ؛ ولعلهما اثنان، والراجح أن الذي التقى بابن تومرت هو الأول لأنه توفي في مراكش وكان معاصراً له.

رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان ، فأمر بإخراجه من مراكش[1] ، فسار إلى أغمات ، ولحق بالجبل ، فسار فيه ، حتى التحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة ، فأتوه ، واجتمعوا حوله[2].

---

١) أشار ابن خلدون إلى أنه لما ظهر عليهم خرج من مجلسه ونذر بالشر منهم فلحق من يومه بأغمات، تاريخ، ٣٠٣/٦.

٢) قال المراكشي: إن محمد بن تومرت لما دخل مراكش أحضر بين يدي أمير المسلمين علي بن يوسف فجمع (له الفقهاء للمناظرة؛ فلم يكن فيهم من يعرف ما يقول، حاشا رجل من أهل الأندلس اسمه مالك بن وُهَيْب كان قد شارك في جميع العلوم، إلا أنه كان لا يظهر إلا ما ينفُقُ في ذلك الزمان. وكانت لديه فنون من العلم، ... ولما سمع مالك هذا كلام محمد بن تومرت، استشعر حدة نفسه وذكاء خاطره واتساع عبارته، فأشار على أمير المسلمين بقتله، وقال: هذا رجل مفسد لا تُؤمَن غائلتُه ولا يسمع كلامه أحد إلا مال إليه، وإن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه شر كثير! فتوقف أمير المسلمين في قتله، وأبى ذلك عليه دينه. وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة، ...، إلا أنه كان ضعيفًا مستضعفًا، ... فلما يئس مالك مما أراده من قتل ابن تومرت، أشار عليه بسجنه حتى يموت، فقال أمير المسلمين: علام نأخذ رجلاً من المسلمين نسجنه ولم يتعين لنا عليه حق؟ وهل السجن إلا أخو القتل؟ ولكن نأمره أن يخرج عنا من البلد وليتوجه حيث شاء، فخرج هو وأصحابه متوجهًا إلى سُوس فنزل بموضع منها يعرف بـ تينمَل) المعجب، ص١٣٩- ١٤٠ ؛ أما ابن أبي زرع فقد ذكر تفاصيل ما دار من نقاش، قال: فلما أفحمهم قالوا لأمير المسلمين: إن بقي هذا في مراكش أفسد عليك الناس فأمره بالخروج (فخرج منها فبنى خيمة بالجبانة بين القبور بقرب المدينة وقعد بها ، فكان يأتيه بعض الطلبة فيقرأون عليه ويأخذون عنه حتى كثر عليه الجمع واجتمع عليه أتباعه وتلاميذه وتكاثر عليه الناس، وامتلأت قلوبهم له محبة ومهابة وتعظيماً، فأعلم الخاصة منهم بما قصده وما يريده، وأخذ يطعن في المرابطين ويقول: هم كفرة ومجسمون، وغزوهم واجب على كل من يعلم أن الله تعالى واحد في ملكه وأوجب من غزو الروم والمجوس، وتابعه على ذلك ما يزيد على ألف وخمسمائة، فرفع خبره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، وعرف أنه يطعن في دولته ويكفرهم، وأنه قد كثر أتباعه على مذهبه، فبعث اله فقال له: أيها الرجل اتق الله في نفسك، ألم أنهك عن عقد الجموع والأحزاب وأمرتك بالخروج عن المدينة، فقال قد امتثلت أمرك وخرجت عن المدينة إلى الجبانة، فبنيت خيمة بين الموتى واشتغلت بطلب الآخرة، فلا تسمع لأقوال المضلين، فأغلظ له أمير المسلمين بالقول وتوعده بالنكال وهمّ بالقيض عليه ، فعصمه الله منه، ليقضي الله أمراً كان مفعولا ، فأمره بالانصراف، فانصرف يريد خيمته، =

وتسامع به أهل تلك النواحي ، فوفدوا عليه ، وحضر أعيانهم بين يديه ، وجعل يعظهم ، ويذكرهم بأيام الله ، ويذكر لهم شرائع الإسلام ، وما غير منها ، وما حدث من الظلم والفساد ، وأنه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل ، بل الواجب قتالهم ، ومنعهم عما هم فيه ، فأقام على ذلك نحو سنة ، وتابعته هرغة قبيلته ، وسمى أتباعه الموحدين[1] ، وأعلمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بشر بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلاً ، وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى[2] ، فقام إليه عشرة رجال ، أحدهم عبد المؤمن ، فقالوا لا يوجد هذا إلا فيك فأنت المهدي ، فبايعوه على ذلك[3].

=فبينما هو في بعض الطريق إذ أغروا به أمير المسلمين وشرحوا له جليلة حاله وما يدعو إليه من إمامته وبيعته، فبدا له في أمره وعزم على قتله، فسمع بذلك بعض تلامذته فأتاه مسرعاً ووقف بالقرب من خيمته ونادى بأعلى صوته: (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) وكرر النداء ثلاث مرات ثم سكت ففطن المهدي لندائه، فخرج في الحين مسرعاً حتى بلغ تينمل) روض القرطاس، ص١٧٥- ١٧٦؛ ينظر أيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٨/٥- ٥٠ ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٢٣٣/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٦/١٢؛ الصلابي، دولة الموحدين، ص٢٦- ٢٨.

١) قال ابن خلدون إنه سمّى (أصحابه بالموحّدين تعريضا بلمتونة في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم) تاريخ، ٣٠٥/٦.

٢) ذكر ابن أبي زرع أنه لما وصل تينملل جمع أصحابه ودعا الناس إلى بيعته في الخامس عشر من رمضان سنة ٥١٥هـ، وأعلمهم أنه الإمام المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأت ظلماً وجوراً، روض القرطاس، ص١٧٦ ؛ وأشار ابن خلدون أنه لما كملت بيعته لقّبوه بالمهديّ وكان لقبه قبلها الإمام. وكان يُسمى أصحابه الطلبة، وأهل دعوته الموحّدين، تاريخ، ٣٠٤/٦ ؛ وينظر عن المهدوية عند ابن تومرت: الصلابي، دولة الموحدين، ص٤٧- ٥٥.

٣) أشار ابن الخطيب إلى أنه قال في خطيته: (الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا رسول الله، المبشر بالإمام المهدي، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا، كما ملئت جوراً وظلماً، يبعثه الله إلى نسخ الباطل بالحق وأن يلي مكان الجور العدل ،والمغرب الأقصى منبته وزمانه آخر الزمان، والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل، قال الإمام أبو يحيى بن اليسع سمعت الخليفة عبد المؤمن يقول: لما فرغ الإمام المهدي من كلامه هذا بادر إليه عشرة رجال من أتباعه والملازمين له كنت أنا واحداً منهم، فقلنا له يا=

فانتهى خبره إلى أمير المسلمين ، فجهز جيشاً من أصحابه وسيرهم إليه ، فلما قربوا من الجبل[1] الذي هو فيه قال لأصحابه: إن هؤلاء يريدونني ، وأخاف عليكم منهم ، فالرأي أن أخرج بنفسي إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم. فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة: هل تخاف شيئاً من السماء؟ فقال: لا ، بل من السماء تنصرون ، فقال ابن توفيان: فليأتنا كل من في الأرض. ووافقه جميع قبيلته ، فقال المهدي: أبشروا بالنصر بهذه الشرذمة ، وبعد قليل تستأصلون دولتهم ، وترثون أرضهم. فنزلوا من الجبل ، ولقوا جيش أمير المسلمين ، فهزموهم ، وأخذوا أسلابهم ، وقوي ظنهم في صدق المهدي ، حيث ظفروا كما ذكر لهم[2].

وأقبلت إليه أفواج القبائل ، من الحلل التي حوله ، شرقاً وغرباً ، وبايعوه ،

=سيدي هذه الصفة لا تكون إلا فيك فأنت هو المهدي فبايعناه في أثناء ذلك على ما بايع الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا يداً واحدة على القتال والدفاع فبايعوه أصحابه العشرة تحت شجرة خروب... وأصحابه العشرة هم: عبد المؤمن بن علي وعمر بن علي أزناق وإسماعيل بن مخلوف وأبو إبراهيم وإسماعيل بن موسى وأبو يحي أبو بكر بن تنجيت وأبو عبد الله بن سليمان بن عبد الله بن ملويات وأبو حفص بن عمر الهنتاني وأبو محمد عبد الله البشير)الحلل الموشية، ص٧٨- ٧٩ وذكر ابن الخطيب هنا تسعة منهم ؛ ينظر التفاصيل عن أعدادهم: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٣٤- ٣٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ١٧٤.

١) يسميه ابن القطان جبل إيجيليز، نظم الجمان، ص٧٨.

٢) أشار ابن أبي زرع إلى أن علي بن تاشفين لما علم بخروج ابن تومرت عليه أرسل إليه جيش الأحول كلثوم فهزمه الموحدون وقتل الأحول وطاردوا جيشه إلى مراكش وحاصروها إلا أنهم انسحبوا إلى معقلهم عندما تكاثرت عليهم جيوش لمتونة وذلك في شعبان من سنة ٥١٦هـ، روض القرطاس ، ص١٧٧- ١٧٨ ؛ أما ابن الخطيب فإنه ذكر أن ابن تاشفين لما لم يستطع أن يقبض على ابن تومرت أرسل إليه جيش بقيادة والي السوس أبي بكر اللمتوني فلم يقدر من مواجهة ابن تومرت لكثرة من معه، فأرسل إليه جيشاً آخر بقيادة أخيه أبي إسحاق إبراهيم فانهزم هو الآخر دون قتال، ولما سمع علي بن يوسف بذلك اغتم جهز جيشاً كبيراً جعل عليه سير اللمتوني فهزموه أيضاً وقتلوا كثيراً ممن معه، الحلل الموشية ، ٨٠- ٨١ ؛ ينظر أيضاً: ابن القطان، نظم الجمان، ص١٣٠- ١٣٣.

وأطاعته قبيلة هنتانة ، وهي من أقوى القبائل ، فأقبل عليهم ، واطمأن إليهم ، وأتاه رسل أهل تين ملل بطاعتهم ، وطلبوه إليهم ، فتوجه إلى جبل تين ملل واستوطنه[1] ، وألف لهم كتاباً في التوحيد ، وكتاباً في العقيدة ، ونهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض ، والاقتصار على القصير من الثياب ، القليل الثمن ، وهو يحرضهم على قتال عدوهم ، وإخراج الأشرار من بين أظهرهم[2].

وأقام بتين ملل وبنى له مسجداً خارج المدينة ، فكان يصلي فيه وجمع ممن معه عنده ، ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة ، فلما رأى كثرة أهل الجبل ، وحصانة المدينة ، خاف أن يرجعوا عنه ، فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ، ففعلوا ذلك عدة أيام ، ثم أمر أصحابه أن يقتلوهم ، فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ، ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر ، وسبى الحريم ونهب الأموال ، فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفاً ، وقسم المساكن والأرض بين أصحابه ، وبنى على المدينة سوراً ، وقلعة على رأس جبل عال[3].

---

١) ذكر ابن الخطيب(أن المهدي توجه إلى تينمال (تينمل أو تينملل) لما رأى من منعتها وحسن موضعها... وبنى على رأس الجبل سوراً وأفرد في قمته حصناً يكشف على ما وراء الجبل ولا يُعلم مدينة أحصن من تينمال لا يدخلها الفارس إلا من شرقها أو من غربها ، فأما غربها وهو الطريق إليها من مراكش بطريق أوسع ما فيه أن يمشي عليه الفارس وحده موسعاً وأضيقه أن ينزل على فرسه خوفاً من سقوطه ، وذلك شرقيها إلا إن الطريق مصنوعة في نفس الجبل تحت راكبها حافات وفوقه حافات وفيها مواضع مصنوعة باخشب إذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد ، ومسافاتها على هذه الصفة نحو مسيرة يوم...) الحلل الموشية ، ص٨٢- ٨٣ ؛ ينظر أيضاً عن تينمل: ابن القطان، نظم الجمان، ص١٤٠.

٢) قال ابن الخطيب: (وأول ما دبر به أمرهم أنه ألف لهم كتاباً سماه بالتوحيد بلسان البربرية وهو سبعة أحزاب عدة أيام الجمعة وأمره بقراءة حزب واحد منه كل يوم إثر صلاة الصبح بعد الفراغ من حزب القرآن، وهو يحتوي على معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والإيمان بما يجب لله تعالى ويستحيل عليه، وما يجب على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآخى بينهم فيه، وألف لهم كتاباً سماه بالقواعد وآخر سماه بالأمانة، هما موجودان بأيدي الناس لهذا العهد، دونهما بالعربي والبربري، وكان أفصح الناس في اللسان العربي والبربري) الحلل الموشية، ص٨٠ ؛ وينظر التفاصيل عن عقائد ابن تومرت: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ٢٠٥- ٢١٧؛ الصلابي، دولة الموحدين، ص٤٥- ٧٤.

٣) ينظر عن هذه الرواية: ابن القطان، نظم الجمان، ص١٣٩ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٨١/٢٤.

وفي جبل تين ملل أنهار جارية ، وأشجار ، وزروع ، والطريق إليه صعب ، فلا جبل أحصن منه[1] ، وقيل: إنه لما خاف أهل تين ملل نظر ، فرأى كثير من أولادهم شقراً زرقاً ، والذي يغلب على الآباء السمرة ، وكان لأمير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم ، ويغلب على ألوانهم الشقرة ، وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة ، ويأخذون ما لهم فيه من الأموال المقررة لهم من جهة السلطان ، فكانوا يسكنون بيوت أهله ، ويخرجون أصحابها منها ، فلما رأى المهدي أولادهم سألهم: مالي أراكم سمر الألوان ، وأرى أولادكم شقراً ، زرقاً؟ فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين ، فقبح الصبر على هذا ، وأزرى عليهم ، وعظم الأمر عندهم ، فقالوا له: فكيف الحيلة في الخلاص منهم ، وليس لنا بهم قوة؟ فقال: إذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد ، وتفرقوا في مساكنهم ، فليقم كل رجل منكم إلى نزيله فيقتله ، واحفظوا جبلكم ، فإنه لا يرام ولا يقدر عليه. فصبروا حتى حضر أولئك العبيد ، فقتلوهم على ما قرر لهم المهدي ، فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين ، فامتنعوا في الجبل ، وسدوا ما فيه من طريق يسلك إليهم ، فقويت نفس المهدي بذلك[2].

ثم إن أمير المسلمين أرسل إليهم جيشاً قوياً ، فحصروهم في الجبل ، وضيقوا عليهم ، ومنعوا عنهم الميرة ، فقلت عند أصحاب المهدي الأقوات ، حتى صار الخبز معدوماً عندهم ، وكان يطبخ لهم كل يوم من الحساء ما يكفيهم ، فكان قوت كل واحد منهم أن يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها ، فما علق عليها قنع به ذلك اليوم ، فاجتمع أعيان أهل تين ملل ، وأرادوا إصلاح الحال مع أمير المسلمين ، فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت ، وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الونشريشي[3] ، يظهر البله ،

---

١) ينظر عن حصانة جبل تينمل: ابن القطان، نظم الجمان، ص١٤٠ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٨٢- ٨٣.

٢) نقل ابن خلكان والنويري الرواية نفسها عن ابن الأثير، وفيات الأعيان، ٥١/٥ ؛ نهاية الأرب، ٢٨٢/٢٤- ٢٨٣.

٣) هو عبد الله بن محسن الونشريشي التحق بالمهدي بن تومرت عند رجوعه من رحلته من المشرق ومروره بجبال ونشريش، وكان أحد أصحابه العشرة الذين سارعوا إلى بيعته، وهو الذي تولى=

وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم ، وبزاقه يجري على صدره ، وهو كأنه معتوه ، ومع هذا فالمهدي يقربه ، ويكرمه ، ويقول: إن لله سراً في هذا الرجل سوف يظهر.

وكان الونشريشي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه ، فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدي من أهل الجبل ، خرج يوماً لصلاة الصبح ، فرأى إلى جانب محرابه إنساناً حسن الثياب ، طيب الريح ، فأظهر أنه لا يعرفه ، وقال: من هذا؟ فقال: أنا أبو عبد الله الونشريشي! فقال له المهدي: إن أمرك لعجب! ثم صلى ، فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا ، فقال: إن هذا الرجل يزعم أنه الونشريشي ، فانظروه ، وحققوا أمره. فلما أضاء النهار عرفوه ، فقال له المهدي: ما قصتك؟ قال: إنني أتاني الليلة ملك من السماء ، فغسل قلبي ، وعلمني الله القرآن ، والموطأ ، وغيره من العلوم والأحاديث. فبكى المهدي بحضرة الناس ، ثم قال له: نحن نمتحنك ، فقال: افعل.

وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل ، وكذلك الموطأ ، وغيره من كتب الفقه والأصول ، فعجب الناس من ذلك ، واستعظموه[1].

=عملية التمييز، وقتل في موقعة البحيرة مع المرابطين سنة ٥٢٤هـ، ينظر: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص١٩ هامش (١٤).

١) قال ابن خلكان: (وكان محمد قد صحب رجلاً يسمى عبد الله الونشريسي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام، فوافقه على ذلك أتم موافقة، وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقهاً، وكان جميلاً فصيحاً في لغة العرب وأهل المغرب، فتحدثا يوماً في كيفية الوصول إلى الأمر المطلوب، فقال محمد لعبد الله: أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس، لنتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه، فتصدق فيما نقوله، ففعل عبد الله ذلك... وتحقق محمد ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل، فعند ذلك استدعى الونشريسي المذكور وقال له: هذا أوان إظهار فضائلك دفعة واحدة. ليقوم لك مقام المعجزة لنستميل بك قلوب من لا يدخل في الطاعة، ثم اتفقنا على أنه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكنة في تلك المدة: إني رأيت البارحة في منامي وقد نزل بي ملكان من السماء وشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علماً وحكمة وقرآناً، فلما أصبح فعل ذلك، =

ثم قال لهم: إن الله تعالى قد أعطاني نوراً أعرف به أهل الجنة من أهل النار ، وآمركم أن تقتلوا أهل النار ، وتتركوا أهل الجنة ، وقد أنزل الله تعالى ملائكة إلى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي.

فسار المهدي ، والناس معه وهم يبكون ، إلى تلك البئر ، وصلى المهدي عند رأسها ، وقال: يا ملائكة الله ، إن أبا عبد الله الونشريشي قد زعم كيت وكيت ، فقال من بها: صدق! وكان قد وضع فيها رجالاً يشهدون بذلك ، فلما قيل ذلك من البئر ، قال المهدي: إن هذه مطهرة مقدسة قد نزل إليها الملائكة ، والمصلحة أن تطم لئلا يقع فيها نجاسة ، أو ما لا يجوز ، فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها[1] ، ثم نادى في أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان ، فحضروا للتمييز ، فكان الونشريشي يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته ، فيقول: هذا من أهل النار ، فيلقى من الجبل مقتولاً ، وإلى الشاب الغر ، ومن لا يخشى ، فيقول: هذا من أهل الجنة ، فيترك على يمينه ، فكان عدة القتلى سبعين ألفاً. فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمره.

هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز ، وسمعت منهم من يقول: إن ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد في أهل الجبل ، أحضر شيوخ القبائل ، وقال لهم: إنكم لا يصح لكم دين ، ولا يقوى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإخراج المفسد من بينكم ، فابحثوا عن كل ما عندكم من أهل الشر والفساد ، فانهوهم عن ذلك ، فإن انتهوا ، وإلا فاكتبوا أسماءهم وارفعوها إلي لأنظر في أمرهم. ففعلوا ذلك ، وكتبوا له أسماءهم من كل قبيلة ، ثم أمرهم بذلك مرة ثانية ، وثالثة ، ثم جمع المكتوبات فأخذه منها ما تكرر من الأسماء فأثبتها عنده ، ثم جمع الناس قاطبة ، ورفع الأسماء التي كتبها ، ودفعها إلى الونشريشي المعروف بالبشير ، وأمره أن يعرض القبائل ، ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال ، ومن

=وهو فصل يطول شرحه، فانقاد له كل صعب القياد، وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في النوم) وفيات الأعيان، ٤٨/٥، ٥٢ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، ٣٧٨/٤، ٣٩٧.

١) عمد محمد بن تومرت على القاء التراب في البئر وذلك لقتل أولئك الذين كانوا في البئر كي لا يفشوا سره، الصلابي، دولة الموحدين، ص٧٤.

عداهم في جهة اليمين ، ففعل ذلك ، وأمر أن يكتف من على شمال الونشريشي ، فكتفوا ، وقال: إن هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم ، وأمر كل قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم ، فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز[1].

ولما فرغ ابن تومرت من التمييز ، رأى أصحابه الباقين على نيات صادقة ، وقلوب متفقة على طاعته ، فجهز منهم جيشاً وسيرهم إلى جبال أغمات ، وبها جمع من المرابطين ، فقاتلوهم ، فانهزم أصحاب ابن تومرت ، وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشي ، وقتل منهم كثير ، وجرح عمر الهنتاتي ، وهو من أكبر أصحابه ، وسكن حسه ونبضه ، فقالوا: مات! فقال الونشريشي: أما إنه لم يمت ، ولا يموت حتى يملك البلاد. فبعد ساعة فتح عينيه ، وعادت قوته إليه ، فافتتنوا به ، وعادوا منهزمين إلى ابن تومرت ، فوعظهم ، وشكرهم على صبرهم[2].

ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا في أطراف بلاد المسلمين ، فإذا رأوا عسكراً

---

١) أشار ابن الأثير هنا إلى ما قام به محمد بن تومرت من عملية التمييز، أي تمييز الصالح من الطالح حسب رأيه، وهي تصفية جسدية بشعة أمر أحد أصحابة وهو أبو محمد البشير القيام بها وذلك لضمان ولاءهم المطلق له، قال ابن عذاري: (وفي سنة تسعة عشر وخمسمائة أمر المهدي بتمييز الموحدين ونودي في جبل المصامدة من هرغة وجنفيسة من كان مطيعاً لله ورسوله وللمهدي فليصل وكانوا يعرضون إلى أبي محمد البشير فيخرج قوماً على يمينه وقوماً على يساره، فكل من أخرجه على يمينه فيزعم أنه من أهل الجنة، وكل من أخرجه على يساره يزعم أنه من أهل النار، ولا يخرج على اليسار إلا من كان شاكاً في إن الإمام هو المهدي... وقتل منهم فيما ذكروا خمسة عشر ألفاً) البيان المغرب، ٦٨/٤- ٦٩ ؛ وأشار البيذق إليها بقوله: (فكان البشير يخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحدين، حتى امتاز الخبيث من الطيب، ورأى الناس الحق عياناً، وازداد الذين آمنوا ايماناً، وذاق الظالمون النار، فظنوا أنهم مواقعوها وما لهم عنها من محيص، وكان تمييز البشير للخلق من يوم الخميس إلى يوم الجمعة بعد أربعين يوماً، ...) أخبار المهدي بن تومرت، ص٣٩؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٤٦- ١٤٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥٣/٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٨٢/٢٤ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٨٩/٢.

٢) لم يذكر ابن الأثير تاريخ هذه الوقعة، ولكنه جعلها بعد عملية التمييز التي حدثت سنة ٥١٩هـ، كما إن البشير الونشريشي كان قد فُقِد في وقعة البحيرة سنة ٥٢٤هـ، وهذا يعني إن هذه المعركة كانت بين التاريخين أعلاه، ينظر الرواية: النويري، نهاية الأرب، ٢٨٦/٢٤.

تعلقوا بالجبل فأمنوا. وكان المهدي قد رتب أصحابه مراتب ، فالأولى يسمون أيت عشرة يعني أهل عشرة ، وأولهم عبد المؤمن ، ثم أبو حفص الهنتاتي ، وغيرهما ، وهم أشرف أصحابه ، وأهل الثقة عنده ، والسابقون إلى متابعته ، والثانية: أيت خمسين ، يعني أهل خمسين ، وهم دون تلك الطبقة ، وهم جماعة من رؤساء القبائل ، والثالثة: أيت سبعين ، يعني أهل سبعين ، وهم دون التي قبلها ، وسمي عامة أصحابه والداخلين في طاعته موحدين ، فإذا ذكر الموحدون في أخبارهم فإنما يعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده[1].

ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو إلى سنة أربع وعشرين ، فجهز المهدي جيشاً كثيفاً يبلغون أربعين ألفاً ، أكثرهم رجالة ، وجعل عليهم الونشريشي ، وسيّر معهم عبد المؤمن ، فنزلوا وساروا إلى مراكش فحصروها ، وضيقوا عليها ، وبها أمير المسلمين علي بن يوسف ، فبقي الحصار عليها عشرين يوماً ، فأرسل أمير المسلمين إلى متولي سجلماسة يأمره أن يحضر ومعه الجيوش ، فجمع جيشاً كثيراً وسار ، فلما قارب عسكر المهدي خرج أهل مراكش من غير الجهة التي أقبل منها ، فاقتتلوا ، واشتد

---

١) أشار المراكشي إلى ذلك قائلاً: (وصنف أصحابه طبقات، فجعل منهم العشرة، وهم المهاجرون الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته، وهم المسمون بـ الجماعة. وجعل منهم الخمسين، وهم الطبقة الثانية. وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة، بل هم من قبائل شتى، وكان يسميهم المؤمنين، ويقول لهم: ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم. وأنتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق, لا يضرهم من خذلهم, حتى يأتي أمر الله"، وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، ويقتل الدجال، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى ابن مريم، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة) المعجب، ص١٤١ ؛ وقال ابن الخطيب: وصنف أصحابه (فالصنف الأول أصحاب العشرة المتقدم ذكرهم، والصنف الثاني أهل الخمسين، والصنف الثالث أهل السبعين، والصنف الرابع الطلبة، والصنف الخامس الحفاظ، والصنف السادس أهل الدار، والصنف السابع أهل هرغة، والصنف الثامن أهل تينمال، والصنف التاسع أهل جيرموت، والصنف العاشر أهل جنفة، والصنف الحادي عشر أهل هنتاتة، والصنف الثاني عشر الجند، والصنف الثالث عشر الغزاة والرماة، ولكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها غيرهم، لا في سفر ولا في حضر، ولا ينزل كل صنف إلا في موضعه لا يتعداه فانضبط مراده...)الحلل الموشية، ص٧٩- ٨٠ ؛ ينظر أيضاً ببعض الاختلاف: ابن القطان، نظم الجمان، ص١٢٨ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٨٧/٢٤ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص٢٨٧.

القتال ، وكثر القتل في أصحاب المهدي ، فقتل الونشريشي أميرهم ، فاجتمعوا إلى عبد المؤمن وجعلوه أميراً عليهم.

ولم يزل القتال بينهم عامة النهار ، وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف ، الظهر والعصر ، والحرب قائمة ، ولم تصل بالمغرب قبل ذلك ، فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين ، وقوتهم ، أسندوا ظهورهم إلى بستان كبير هناك ، والبستان يسمى عندهم البحيرة ، فلهذا قيل وقعة البحيرة ، وعام البحيرة ، وصاروا يقاتلون من جهة واحدة إلى أن أدركهم الليل ، وقد قتل من المصامدة أكثرهم ، وحين قتل الونشريشي دفنه عبد المؤمن ، فطلبه المصامدة ، فلم يروه في القتلى ، فقالوا: رفعته الملائكة[1] ، ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى إلى الجبل[2].

ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن

لما سيّر الجيش إلى حصار مراكش مرض مرضاً شديداً ، فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه ، وسأل عن عبد المؤمن ، فقيل: هو سالم ، فقال: ما مات أحد ، الأمر قائم ، وهو الذي يفتح البلاد. ووصى أصحابه باتباعه ، وتقديمه ، وتسليم الأمر إليه ،

---

١) ذكر ابن القطان (وفي البحيرة فُقِد البشير، ولم يجده الموحدون ولا الملثمون حياً ولا ميتاً، فيقول الغلاة في أمره أنه رُفِع) نظم الجمان، ص١٦٥.

٢) في سنة ٥٢٤هـ أمر المهدي بن تومرت قواته بالتوجه إلى مراكش وأمّر عليهم عبد المؤمن بن علي (فلقيهم المرابطون قريبًا منها بموضع يدعى البحيرة، بجيش ضخم من سراة لمتونة، أميرهم الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين، فلما تراءى الجمعان أرسل إليهم المصامدة يدعونهم إلى ما أمرهم به ابن تومرت، فردوا عليهم أسوأ رد، وكتب عبد المؤمن إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بما عهد إليه محمد بن تومرت، فرد عليه أمير المسلمين يحذره عاقبة مفارقة الجماعة، ويذكره الله في سفك الدماء وإثارة الفتنة. فلم يردع ذلك عبد المؤمن، بل زاده طمعًا في المرابطين، وحقق عنده ضعفهم. فالتقت الفئتان، فانهزم المصامدة، وقتل منهم خلق كثير، ونجا عبد المؤمن في نفر من أصحابه. فلما جاء الخبر لابن تومرت قال: أليس قد نجا عبد المؤمن؟ قالوا: بلى. قال: لم يُفقد أحد)المراكشي، المعجب، ص١٤٤ ؛ ينظر عن معركة البحيرة أيضاً: البيذق، أخبار المهدي، ص ٣٩- ٤١ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٦٠- ١٦١ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٠٥/٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٣/٤- ٨٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٨٧/٢٤- ٢٨٨ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٨٤- ٨٦.

والانقياد له ، ولقبه أمير المؤمنين[1].

ثم مات المهدي ، وكان عمره إحدى وخمسين سنة ، وقيل: خمساً وخمسين سنة ، ومدة ولايته عشرين سنة ، وعاد عبد المؤمن إلى تين ملل ، وأقام بها يتألف القلوب ، ويحسن إلى الناس ، وكان جواداً مقداماً في الحروب ، ثابتاً في الهزاهز ، إلى أن دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، فتجهز وسار في جيش كثير ، وجعل يمشي مع الجبل إلى أن وصل إلى تادلة[2] ، فمانعه أهلها ، وقاتلوه ، فقهرهم ، وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى في الجبال يفتح ما امتنع عليه ، وأطاعته صنهاجة الجبل[3].

---

١) عن بيعة عبد المؤمن ذكر البيذق أن عبد المؤمن (صاح بالقبائل وضم الموحدين وجعل المجلس، فاستعمل ركائز وحال بين الرجال والنساء، ثم وعظ الناس وقال لهم في آخر كلامه: بقي عندكم عهد بيعة المهدي رضي الله عنه قالوا نعم، فقد تم وعظ عمر أصناك ثم سائر المشيخة رضي الله عنهم أجمعين، ثم قال لهم: إن المهدي قد توفي رضي الله عنه، فبكا الناس ثم قال لهم اسكتوا فسكتوا، فقال أبو إبراهيم وعمر أصناك وعبد الرحمن بن زكو ومحمد بن محمد لعبد المؤمن: أمدد يمينك نبايعك البيعة التي عقدناها مع الإمام المهدي فمد يده فبايعوه، ثم تبعهم سائر الناس حتى إلى الليل، وكانت البيعة ثلاثة أيام متوالية)، أخبار المهدي، ص٤٥- ٤٦ ؛ أما ابن القطان فإنه قال: (لما توفي رضي الله عنه كتم أصحابه وفاته، وما كان يعلمها إلا أهل الدار المسمون قبل، وهم خدمته وأخته شقيقته، ولقد كتمت ذلك عن زوجها، وأكابر أصحابه فبايعوا سيدنا ومولانا الخليفة الأول الإمام أمير المؤمنين في الحين بيعة السر... وقال الإمام رضي الله عنه عام البحيرة لما أصيب الموحدون: أسَلم عبد المؤمن ؟ قالوا: نعم، قال: فالأمر باق إلى قيام الساعة، فهذا وأمثاله من أقوال الإمام المهدي يدل على ما صدقه الوجود من إن الخلافة في عقبه...)نظم الجمان، ص١٧٠- ١٧١ ؛ وقال المراكشي: (إن ابن تومرت قبل موته بأيام يسيرة، استدعى هؤلاء المسمَّيْن بالجماعة، وأهل خمسين؛ وهم ـ كما ذكرنا ـ من قبائل مفترقة لا يجمعهم إلا اسم المصامدة؛ فلما حضروا بين يديه قام وكان متكئًا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله... وقد اخترنا لكم رجلًا منكم، وجعلناه أميرًا عليكم؛ هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله، من ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه، واختبرنا سريرته وعلانيته، فرأيناه في ذلك كله ثَبْتًا في دينه، متبصرًا في أمره، وإني لأرجو ألا يخلف الظن فيه. وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن)المعجب، ص١٤٦- ١٤٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٨٥؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص١٠٧.

٢) تادلة، قال ياقوت: من جبال البربر قرب تلمسان، معجم البلدان، ٢/٥.

٣) قال ابن أبي زرع أنه في الرابع والعشرين من سنة ٥٢٦هـ خرج عبد المؤمن بن علي في ثلاثين ألفاً من الموحدين حتى وصل تادلة فغنمها وسبى أهلها وانصرف ثم غزا بعدها بلاد درعة ففتحها، ثم غزا بلاد تيفز ففتحها، ثم غزا بلاد فازاز وبلاد غغياثة، ثم خرج في غزوته الطويلة في صفر=

وكان أمير المسلمين قد جعل ولي عهده ابنه سير ، فمات ، فأحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الأندلس ، وكان أميراً عليها ، فلما حضر عنده جعله ولي عهده سنة إحدى وثلاثين[1] ، وجعل معه جيشاً ، وصار يمشي في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال.

وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر ، وهو جبل عال مشرف ، وتاشفين في الوطأة ، وكان يخرج من الطائفتين قوم يترامون ويتطاردون ، ولم يكن بينهما لقاء ، ويسمى عام النواظر[2].

وفي سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن ، مع الجبل ، في الشعراء ، حتى انتهى إلى جبل كرناطة ، فنزل في أرض صلبة ، بين شجر ، ونزل تاشفين قبالته ، في الوطأة ، في أرض لا نبات فيها ، وكان الفصل شاتياً ، فتوالت الأمطار أياماً كثيرة لا

=سنة ٥٣٤هـ فلم يزل فيها يفتح البلاد ، إذ فتح بلاد تازة وجبال غياثة واستمرت الحروب إلى وفاة علي بن يوسف، روض القرطاس، ص١٧٧- ١٧٨ ؛ وذكر ابن القطان أن عبد المؤمن توجه إلى درعة وكان عليها والي المرابطين يحيى بن مريم الزجالي فضرب عنقه وأخذ زوجته ميمونة بنت ينتان وقتل منهم أكثر من عشرين ألفاً ، وبقيت ميمونة في الجبل حتى افتك بها رجال من الموحدين، نظم الجمان، ص٢٢٤- ٢٢٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن خلدون، تاريخ، ٣٠٦/٦ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩٠/٢٤ ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص١١٠.

١) ذكر ابن أبي زرع أن علي بن يوسف استدعى ابنه تاشفين من الأندلس وولاه عهده سنة ٥٣٣هـ، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٦٥؛ وقيل عن سبب موت سير أنه كان يركن للراحة فاقتحم عليه أخيه عمر ليلاً فضربه فمات، وقيل إن أم سير وتدعى قمر هي التي غارت بأخيه تاشفين لئلا يكبر على ابنها ويمتلك البلاد فكانت سبب عزله ووصوله ، ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٧/٤- ٩٨ ؛ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص٩٦.

٢) عام النواظر، لم يرد بهذا الاسم عند البيذق وإنما أشار إليه بعنوان (خروج الخليفة للغزو إلى المغرب) وجعل هذه الغزوة سنة ٥٣٦هـ، ويبدو أن ابن الأثير استقا معلوماته هنا من البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٥٢- ٥٣ ؛ أما النويري، نهاية الأرب، ٢٩٠/٢٤ وهو هنا ينقل عن ابن الأثير ؛ وذكر ابن القطان أنه في سنة ٥٣٢هـ التقى عبد المؤمن بن علي بقوات المرابطين في تلمسان وكانت بقيادة سير بن علي بن يوسف وتمكن من هزيمة القوات المرابطية، قال: عندها استدعى علي بن يوسف ابنه تاشفين إلى المغرب لمواجهة الموحدين، نظم الجمان، ص٢٥٣- ٢٥٦؛ وينظر عن النواظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص ٢٣٦- ٢٣٧ ؛ الصلابي، دولة الموحدين ، ص١٠٩.

تقلع ، فصارت الأرض التي فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل ، تسوخ فيها قوائم الخيل إلى صدورها ، ويعجز الرجل عن المشي فيها ، وتقطعت الطرق عنهم ، فأوقدوا رماحهم ، وقرابيس سروجهم ، وهلكوا جوعاً وبرداً وسوء حال[1].

وكان عبد المؤمن وأصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل ، لا يبالون بشيء ، والميرة متصلة إليهم ، وفي ذلك الوقت سيّر عبد المؤمن جيشاً إلى وجرة[2] من أعمال تلمسان ، ومقدمهم أبو عبد الله محمد بن رقو ، وهو من أيت خمسين ، فبلغ خبرهم إلى محمد بن يحيى بن فانوا ، متولي تلمسان ، فخرج في جيش من الملثمين ، فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر ، فهزمهم جيش عبد المؤمن ، وقتل محمد بن يحيى وكثير من أصحابه ، وغنموا ما معهم ورجعوا[3] ، فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه إلى غمارة ، فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة ، وأقام عندهم مدة.

وما برح يمشي في الجبال ، وتاشفين يحاذيه في الصحاري ، فلم يزل عبد المؤمن كذلك إلى سنة خمس وثلاثين[4] ، فتوفي أمير المسلمين علي بن يوسف بمراكش

---

١) ينظر الرواية عن معانات الطرفين بسبب الأحوال الجوية ، البيذق، أخبار المهدي بن تومرت ، ص٥٣ ؛ إلا أن رواية ابن الأثير كانت أوضح.

٢) لعل في رسمها تصحيف، قال البكري وَجدة وهي مدينة على الساحل بينها وبين تلمسان ثلاث مراحل ومنها الطريق الصادر من بلاد المشرق إلى سجلماسة ، المسالك والممالك، ٢٦٤/٢- ٢٦٥.

٣) ذكر ابن القطان أحداث سنة ٥٣٣هـ فيها شيء من الاختلاف عن ما ذكره ابن الأثير هنا ، فقال: إن عبد المؤمن بن على تحرك من تينمل ونزل بلد بني ملول في أراضي حاحة، فزحف تاشفين بن علي ومعه الربرتير فنزل في تاحكوط من حاحة، فزحف عبد المؤمن على بني ملول وقتل اعداداً كبيرة منهم وغنم ثم تحرك إلى قبيلة وجدزان ثم إلى بني سوار من منانة الجبل، ثم سار إلى فرجان فتبعه تاشفين وسد عليه الطريق فاقتتلوا فانهزم تاشفين وأصحابه، فجاءهم مدد من جزولة فتمكن منهم عبد المؤمن وغنم أموالهم وهزمهم، نظم الجمان، ص٢٦٣- ٢٦٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٦/٤.

٤) ذكر ابن عذاري أنه في سنة ٥٣٤هـ خرج تاشفين في عسكر من لمتونة وزناتة ومعه الربرتير في جمع من النصارى واستمرت الحرب بينهم شهرين رجع بعدها تاشفين إلى مراكش والموحدين إلى تينمل، وفي سنة ٥٣٥هـ خرج جيش المرابطين مع جمع من الروم وقائدهم والتقوا مع الموحدين بجبل جذميرة فانهزم المرابطون وجُرح قائد الروم، البيان المغرب، ٩٨/٤ ؛ ينظر أيضاً: البيذق، أخبار محمد بن تومرت، ص ٤٦- ٤٨ وأسماها غزاة تاككوطت متاع حاحة وغزاة أكظرور.

وملك بعده ابنه تاشفين ، فقوي طمع عبد المؤمن في البلاد ، إلا أنه لم ينزل الصحراء.

وفي سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن إلى تلمسان ، فنازلها ، وضرب خيامه في جبل بأعلاها ، ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد ، وكان بينهم مناوشة ، فبقوا كذلك إلى سنة تسع وثلاثين ، فرحل عبد المؤمن عنها إلى جبل تاجرة ، ووجه جيشاً مع عمر الهنتاتي إلى مدينة وهران ، فهاجمها بغتة ، وحصل هو وجيشه فيها ، فسمع بذلك تاشفين فسار إليها ، فخرج منها عمر ، ونزل تاشفين بظاهر وهران ، على البحر ، في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ، فجاءت ليلة سبع وعشرين منه ، وهي ليلة يعظمها أهل المغرب ، وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر ، وبأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون ، وهو موضع معظم عندهم ، فسار إليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفياً ، لم يعلم به إلا النفر الذين معه ، وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين ، فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاتي ، فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبد ، وأحاطوا به ، وملكوا الربوة ، فلما خاف تاشفين على نفسه أن يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه إلى جهة البحر ، فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك ، ورفعت جثته على خشبة ، وقتل كل من كان معه[1].

وقيل إن تاشفين قصد حصناً هناك على رابية ، وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار ، فاتفق أن عمر الهنتاتي ، مقدم عسكر عبد المؤمن ، سيّر سرية إلى ذلك الحصن ، يعلمهم بضعف من فيه ، ولم يعلموا أن تاشفين فيه ، فألقوا النار في بابه فاحترق ، فأراد تاشفين الهرب ، فركب فرسه ، فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور ، فسقط في النار ، فأخذ تاشفين ، فاعترف ، فأرادوا حمله إلى عبد المؤمن ، فمات في الحال لأن رقبته كانت قد اندقت ، فصلب[2] ، وقتل كل من معه ،

---

١) ينظر الرواية: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٤/٤.

٢) رواية البيذق مختلفة قليلاً عما ذكره ابن الأثير إذ قال: إن كلاً من المرابطين والموحدين لما حلوا بوهران وكان مع تاشفين اثنين من قادته وهما عبد الله بن أبي بكر بن ونكي ولأنكمار، فلما التقى الجمعان والكل منهم العين بالعين هؤلاء ناظرون لهؤلاء، هرب انكمار وونكي وتركا=

وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة. وملك بعده أخوه إسحاق بن علي بن يوسف[1].

ولما قتل تاشفين أرسل عمر إلى عبد المؤمن بالخبر، فجاء من تاجَرة في يومه بجميع عسكره، وتفرق عسكر أمير المسلمين، واحتمى بعضهم بمدينة وهران، فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف، وقتل فيها ما لا يحصى[2]. ثم سار إلى تلمسان، وهما مدينتان بينهما شوط فرس، إحداهما تاهرت[3]، وبها عسكر المسلمين، والأخرى أقادير[4]، وهي بناء قديم، فامتنعت أقادير، وغلقت أبوابها، وتأهب أهلها للقتال[5].

=تاشفين وحده، فلما رأى قائد الموحدين أبو حفص ذلك حصر تاشفين فتنح في حصن فأحرق أبو حفص باب الحصن فخرج تاشفين على فرس له يريد البحر فبينما هو سائر على فرسه إذا بحافة فتركته فرسه في تلك الحافة ومات وذلك في رمضان من سنة ٤٣٩هـ، أخبار المهدي بن تومرت، ص٥٩ ؛ وقال المراكشي: لما اشتد عليه الحصار خرج راكبًا فرسًا شهباء، عليه سلاحه، فاقتحم البحر حتى هلك. ويقال: إنهم أخرجوه من البحر وصلبوه ثم أحرقوه، المعجب، ص١٥١ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٤/٤ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٨٧.

1) لما قتل أمير المرابطين تاشفين بن علي بويع ولده إبراهيم إذ كان أبوه ولاه عهده سنة ٥٣٨هـ، فخرج عليه عمّه إسحاق بن علي ودعا لنفسه، وانقسم المرابطون على أنفسهم في الوقت الذي كانت فيه القوات الموحدية تزحف نحو فاس، وكان إبراهيم شاباً صغيراً، استمر لسنتين حتى أطاح به الموحدون وبدولته، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٩٧/٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٢٥٥.
2) قال ابن عذاري: لما قتل تاشفين لجأ من سلم من الوقعة إلى حصن وهران فحاصرهم الموحدون لمدة شهرين فقطعوا عنهم الماء فأصابهم العطش ومات العديد منهم بسببه، فلما جهدهم العطش خرجوا طالبين الماء أمر عبد المؤمن بقتلهم فاستؤصلوا عن آخرهم، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٢.
3) وهي من مدن المغرب الأوسط وهي على سفح جبل يسمى قرقل ولها نهر كبير يأتيها من الغرب، مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١٧٨.
4) وهي إحدى مدن تلمسان، قال ياقوت: تلمسان (بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسوّرتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطّها الملثّمون ملوك المغرب، واسمها تافرزت (تاهرت)، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أقادير، يسكنها الرعية، فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر) معجم البلدان، ٤٤/٢.
5) ذكر ابن أبي زرع أن الموحدون بعد وهران زحفوا نحو تلمسان فملكوها في صفر من سنة من سنة ٥٤٠هـ ففرّ عنها لمتونة إلى أكدير (أقادير عند ابن الأثير)فحوصوا بها إلى سنة ٥٤٤هـ حيث دخلوها عنوة، روض القرطاس، ص١٨٨.

وأما تاهرت ، فكان فيها يحيى بن الصحراوية ، فهرب منها بعسكره إلى مدينة فاس ، وجاء عبد المؤمن إليها ، فدخلها لما فرّ منها العسكر ، ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة ، فلم يقبل منهم ذلك ، وقتل أكثرهم ، ودخلها عسكره ، ورتب أمرها ، ورحل عنها [1] ، وجعل على أقادير جيشاً يحصرها ، وسار إلى مدينة فاس سنة أربعين فنزل على جبل مطل عليها ، وحصرها تسعة أشهر ، وفيها يحيى بن الصحراوية ، وعسكره الذين فروا من تلمسان ، فلما طال مقام عبد المؤمن عمد إلى نهر يدخل البلد فسكره بالأخشاب والتراب وغير ذلك ، فمنعه من دخول البلد ، وصار بحيرة تسير فيها السفن ، ثم هدم السكر ، فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد ، وكل ما يجاور النهر من البلد ، وأراد عبد المؤمن أن يدخل البلد ، فقاتله أهله خارج السور ، فتعذر عليه ما قدره من دخوله.

وكان بفاس عبد الله بن خيار الجيّاني عاملاً عليها وعلى جميع أعمالها ، فاتفق هو وجماعة من أعيان البلد ، وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الأمان لأهل فاس ، فأجابهم إليه ، ففتحوا له باباً من أبوبها ، فدخلها عسكره ، وهرب يحيى بن الصحراوية ، وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة ، وسار إلى طنجة ، ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس ، وأمر فنودي في أهلها: من ترك عنده سلاحاً وعدة قتال حل دمه ، فحمل كل من في البلد ما عندهم من سلاح إليه ، فأخذه منهم [2].

---

١) قال ابن عذاري: إن أهل تاجررت (تاهرت) فروا منها ولم يبق فيها سوى العامة من الحضر والسوقة فلما أقبل عليهم عبد المؤمن خرج جماعة في نحو ستين رجلاً من أعيانهم، فلقيهم القائد الموحدي يصلاتن الزناتي فأفناهم وقتلهم عن آخرهم، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن خلدون، تاريخ، ٣٠٩/٦ وأسماها تاكرارت ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩٤/٢٤.

٢) ذكر ابن عذاري أن الموحدين تمكنوا من دخول مدينة فاس بعد حصار دام سبعة أشهر وذلك بعد اختلاف مشرفها الجياني مع القائد يحيى بن الصحراوي، فكتب الجياني إلى الموحدين سراً أن يفتح لهم الأبواب، فلم يشعر الصحراوي إلا والموحين داخل المدينة ففر إلى طنجة ومنها إلى الأندلس، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٤ ؛ أما ابن أبي زرع فانه أشار إلى أن عبد المؤمن عندما حصر مدينة فاس قطع عنها النهر الداخل إليها فحصر الماء مدة حتى أصبح كالبحيرة ثم أرسل الماء دفعة واحدة فهدم السور وهدم ما يزيد على ألفي دار منها كما هلك الكثيرين غرقاً فدخلها وقتل من بها من المرابطين، روض القرطاس، ص١٨٩ ؛ ينظر أيضاً:=

ثم رجع إلى مكناسة ، ففعل بأهلها مثل ذلك ، وقتل من بها من الفرسان والأجناد.

وأما العسكر الذي كان على تلمسان فإنهم قاتلوا أهلها ، ونصبوا المجانيق ، وأبراج الخشب ، وزحفوا بالدبابات ، وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان ، فدام الحصار نحو سنة ، فلما اشتد الأمر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين أصحاب عبد المؤمن ، بغير علم الفقيه عثمان ، وأدخلوهم البلد ، فلم يشعر أهله إلا والسيف يأخذهم ، فقتل أكثر أهله ، وسبيت الذرية والحريم ، ونهب من الأموال ما لا يحصى ، ومن الجوهر ما لا تحد قيمته ، ومن لم يقتل بيع بأوكس الأثمان ، وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل ، وقيل: إن عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان ، وسار منها إلى فاس[1] ، والله أعلم.

وسيّر عبد المؤمن سرية إلى مكناسة ، فحصروها مدة ، ثم سلمها إليهم أهلها بالأمان فوفوا لهم[2].

وسار عبد المؤمن من فاس إلى مدينة سلا[3] ففتحها[4] ، وحضر عنده جماعة

=البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٦٠- ٦٣ وقد ذكر تفاصيل مهمة وكان هو شاهد عيان؛ أما ابن الأثير فقد جمع بين الروايتين وجعلهما سبباً لدخول الموحدين المدينة.

١) لم يشر البيذق إلى فتح تلمسان، وأشار إليها بصورة عابرة، إذ ذكر أنه بعد مقتل تافشين قلع عبد المؤمن من تلمسان يريد فاس، أخبار المهدي بن تومرت، ص٦٠ ؛ كما اختصر ابن عذاري رواية فتح تلمسان بالقول: إن عبد المؤمن لما قرب منها خرج إليه الطلبة والأعيان والصبيان يرغبون في العفو عنهم فجردهم الموحدون من أثوابهم وقتل خلقاً منهم، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٣ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٨٨ قال وكان دخول الموحدين تلمسان في صفر من سنة ٥٤٠هـ.

٢) أشار ابن أبي زرع إلى أن مكناسة استمرت عصية على الموحدين سبع سنوات حتى دخلوها سنة ٥٤٣هـ عنوة وخربت المدينة وقتل أكثر رجالها وسبيت أموالهم، روض القرطاس، ص١٩١.

٣) وهي مدينة بالمغرب بينها وبين البحر يوم وليلة ويقابلها في بر الأندلس وادي شلب، مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، ص١٤٠- ١٤١.

٤) قال ابن عذاري: إن عبد المؤمن وهو في طريقه إلى مراكش مرّ على مدينة سلا فامتنع أهلها منه فحصرها ، فاتصل بهم رجل من أهلها يسمى يبورك وابنيه فصنعوا لهم السلالم فصعدوا السور ودخلوا المدينة فهرب أناس من أهلها في حلق الوادي فرجع عليهم البحر فغرقوا ، وكان فتحها=

من أعيان سبتة ، فدخلوا في طاعته ، فأجابهم إلى بذل الأمان ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين[1].

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش

لما فرغ عبد المؤمن من فاس ، وتلك النواحي ،سار إلى مراكش ، وهي كرسي مملكة الملثمين ، وهي من أكبر المدن وأعظمها ، وكان صاحبها حينئذ إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، وهو صبي ، فنازلها ، وكان نزوله عليها سنة إحدى وأربعين ، فضرب خيامه في غربيها على جبل صغير ، وبنى عليه مدينة له ولعسكره ، وبنى بها جامعاً وبنى له بناء عالياً يشرف منه على المدينة ، ويرى أحوال أهلها ، وأحوال المقاتلين من أصحابه ، وقاتلها قتالاً كثيراً ، وأقام عليها أحد عشر شهراً ، فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد ، واشتد الجوع على أهله ، وتعذرت الأقوات عندهم.

ثم زحف إليهم يوماً ، وجعل لهم كميناً ، وقال لهم: إذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا ، وجلس هو بأعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال ، وتقدم عسكره ، وقاتلوا ، وصبروا ، ثم إنهم انهزموا لأهل مراكش ليتبعوهم إلى الكمين الذي لهم ، فتبعهم الملثمون إلى أن وصلوا إلى مدينة عبد المؤمن ، فهدموا أكثر سورها ، وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين ، فقال لهم: اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد ، فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم ، ورجع المصامدة المنهزمون إلى الملثمين فقتلوهم كيف شاءوا ، وعادت الهزيمة على الملثمين ، فمات في زحمة الأبواب ما لا يحصيه إلا الله سبحانه.

وكان شيوخ الملثمين يدبرون دولة إسحاق بن علي بن يوسف لصغر سنة ، فاتفق أن إنساناً من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمناً وأطلعه على عوراتهم وضعفهم ، فقوي الطمع فيهم ، واشتد عليهم البلاء ، ونصب عليهم المنجنيقات والأبراج ، وفنيت أقواتهم ، وأكلوا دوابهم ، ومات من العامة بالجوع

=في السابع من ذي الحجة سنة ٥٤٠هـ، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٥ ؛

١) جعل ابن عذاري طاعة أهل سبتة للموحدين سنة ٥٤٠هـ، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٤.

ما يزيد على مائة ألف إنسان ، فأنتن البلد من ريح الموتى.

وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم ، فجاءوا إليهم نجدة ، فلما طال عليهم الأمر راسلوا عبد المؤمن يسألون الأمان ، فأجابهم إليه ، ففتحوا له باباً من أبواب البلد يقال له باب أغمات ، فدخلت عساكره بالسيف ، وملكوا المدينة عنوة ، وقتلوا من وجدوا ، ووصلوا إلى دار أمير المسلمين ، فأخرجوا الأمير إسحاق وجميع من معه من أمراء المرابطين ، فقتلوا ، وجعل إسحاق يرتعد رغبة في البقاء ، ويدعو لعبد المؤمن ويبكي ، فقام إليه الأمير سير بن الحاج ، وكان إلى جانبه مكتوفاً ، فبزق في وجهه ، وقال: تبكي على أبيك وأمك؟ اصبر صبر الرجال ، فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين. فقام الموحدون إليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه ، وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة ، وقدم إسحاق ، على صغر سنه ، فضربت عنقه سنة اثنتين وأربعين ، وآخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم ، وكانت مدة ملكهم سبعين سنة ، وولي منهم أربعة: يوسف وعلي وتاشفين وإسحاق.

ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها ، واستوطنها واستقر ملكه. ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها ، فلما كان بعد سبعة أيام أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها ، فخرجوا ، فأراد أصحابه المصامدة قتلهم ، فمنعهم ، وقال: هؤلاء صناع ، وأهل الأسواق من ننتفع به ، فتركوا ، وأمر بإخراج القتلى من البلد ، فأخرجوهم ، وبنى بالقصر جامعاً كبيراً ، وزخرفه فأحسن عمله ، وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[1].

ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد ، وارتكب بسجنه على الحالة

---

1) لا تختلف رواية ابن الأثير عن فتح الموحدين لمراكش عما ذكرته المصادر التي بين أيدينا ، ينظر: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٦٣- ٦٦ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٣٩/٣ قال ودام حصارها أحد عشر شهراً وكان فتحها أوائل سنة ٥٤١هـ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧- ٤٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٨٩ وقد أورد الرواية بصورة مختصرة ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٩٦/٢٤- ٢٩٨ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص١٠٢- ١٠٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ٣١٠/٦.

المذكورة أقبح مركب[1] ، فلا جرم سلط الله عليه في عقابه من أربى في الأخذ عليه وزاد ، فتبارك الحي الدائم الملك ، الذي لا يزول ملكه ، وهذه سنة الدنيا ، فأف لها ، ثم أف ، نسأل الله أن يختم أعمالنا بالحسنى ، ويجعل خير أيامنا يوم نلقاه بمحمد وآله.

ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة[2]

في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين إلى دكالة ، فاجتمع إليه قبائلها ، وصاروا يغيرون على أعمال مراكش ، وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم ، فلما كثر ذلك منهم سار إليهم سنة أربع وأربعين ، فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم إلى ساحل البحر في مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس ، وكانوا موصوفين بالشجاعة.

وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر ، وكان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر والحزونة ، فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلكه ، فمن الاتفاق الحسن له أنه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء ، فانحل عليهم ما قدروه ، وفارقوا ذلك الموضع ، فأخذهم السيف ، فدخلوا البحر ، فقتل أكثرهم ، وغنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم ، وسبيت نساؤهم وذراريهم ، فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة ، وعاد عبد المؤمن إلى مراكش مظفراً منصوراً ، وثبت ملكه ، وخافه الناس في جميع المغرب ، وأذعنوا له بالطاعة[3].

---

١) على عكس ما ذكر ابن الأثير أعلاه أشار المراكشي إلى أنه (بعد دخول عبد المؤمن - رحمه الله- مراكش، طلب قبر أمير المسلمين، وبحث عنه عبد المؤمن أشد البحث، فأخفاه الله وستره بعد وفاته كما ستره في أيام حياته، وتلك عادة الله الحسنى مع الصالحين المصلحين) المعجب، ص١٥٢.

٢) وهم إحدى بطون قبيلة مصمودة وديارهم من عدوة أم ربيع إلى مراكش، ابن خلدون، تاريخ، ٢٧٤/٦.

٣) لم يذكر ابن عذاري هذه الوقعة، وذكرها ابن الخطيب كما وردت عند ابن الأثير، الحلل الموشية، ص١١١ ؛ أما البيذق فإنه ذكر خروج دكالة على عبد المؤمن مع العديد من القبائل قال: وخرج علينا ثائر في كزولة يسمى عمر الخياط وانضم إليهم قبائل من وكراكة=

ذكر حصر مدينة كتندة[1]

في هذه السنة ، يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وخرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس ، يقال له ابن ردمير[2] ، فسار حتى انتهى إلى كتندة ، وهي بالقرب من مرسية ، في شرق الأندلس ، فحصرها ، وضيّق على أهلها ، وكان أمير المسلمين علي ابن يوسف حينئذ بقرطبة ، ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد المتطوعة ، فسيّرهم إلى ابن ردمير ، فالتقوا واقتتلوا أشد القتال ، وهزمهم ابن أردمير هزيمة منكرة ، وكثر القتل في المسلمين ، وكان فيمن قتل أبو عبد الله بن الفراء[3] ، قاضي المرية ، وكان من العلماء العاملين ، والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء[4].

=وهزميرة وهكسورة ودكالة، واتفقوا مع القائد المرابطي يحيى بن الصحراوي الذي كان قد فرّ إلى الأندلس، فرجع وانحازت إليه برغواطة، فاجتمعوا حوله، فلما سمع عبد المؤمن سير إليهم الجيوش فدخل تادلا ثم سلا ومكناسة ثم طنجة وأعادهم إلى طاعنه بعد أن سحق معارضيه، رجع بعدها إلى مراكش، ومنها توجه إلى دكالة ومعهم يحيى بن الصحراوي فهرب ومعه شيوخ دكالة إلى الصحراء وبدد عبد المؤمن شمل دكالة وساق غنائمهم وباع نساءهم وذلك سنة ٥٤٣هـ، أخبار المهدي بن تومرت، ص٦٧، ٦٩.

١) قتندة ويقال كتندة، وهي بلدة من حيز دورقة من عمل سرقسطة وعلى ستين ميلاً منها، العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٣ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٦/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٦٠/٤، أزهار الرياض، ١٥٣/٣ ؛ وكُتنده (بالضم ثم الفتح وسكون النون)قرية من قرى مرسية شرق الأندلس، ابن سعيد، المغرب، ٢٦٤/٢. .

٢) وهو الكونت ريمون البرجوني الذي تزوج من ابنة الفونسو السادس واعتلى عرش أراغون باسم الفونسو الأول المحارب سنة ٤٩٨هـ وتوفي سنة ٥٢٨هـ، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٤٧٨- ٤٩١.

٣) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكرياء المعروف بابن الفراء، من أهل المرية وقاضيها، روى عن أبي العباس العذري، وعن القاضي أبي عبد الله بن المرابط، وأبي محمد العسال وغيرهم. وكان رجلاً صالحاً ديناً متواضعاً، واستقضى ببلده واستشهد بقتندة في ربيع الأول سنة ٥١٤هـ. ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص٥٤٢.

٤) بعد أن تمكن الفونسو المحارب من دخول سرقسطة سنة ٥١٢هـ أخذت تتهاوى أمامه قواعد الثغر الأعلى، عندها عمل الوالي المرابطي إبراهيم بن يوسف بن تاشفين على حشد قواته والتصدي لطموحات الملك النصراني، فسار بقواته شمالاً وإلتقى بقوات الفونسو عند بلدة=

ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة

ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالأندلس

في هذه السنة عظم شأن ابن ردمير الفرنجي بالأندلس ، واستطال على المسلمين ، فخرج في عساكر كثيرة من الفرنج ، وجاس في بلاد الإسلام ، وخاضها ، حتى وصل إلى قريب قرطبة ، وأكثر النهب والسبي والقتل ، فاجتمع المسلمون في جيش عظيم زائد الحد في الكثرة ، وقصدوه ، فلم يكن له بهم طاقة ، فتحصن منهم في حصن منيع له اسمه أرنيسول[١] ، فحصروه ، وكبسهم ليلاً ، فانهزم المسلمون ، وكثر القتل فيهم ، وعاد إلى بلاده[٢].

=كتندة وذلك في ربيع الثاني من سنة ٥١٤هـ فكانت معركة عنيفة هُزم فيها المسلمون وقتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألف، ولم يقتل فيها من العسكر أحد، وممن حضرها الشيخ أبو علي الصدفي، وقرينه في الفضل أبو عبد الله ابن الفراء خرجا غازيين، فكانا ممن فقد فيها، ينظر: ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص٨، ٥٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠٨/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٨٥/٣٥ ؛ المقري، نفح الطيب، ٩١/٢- ٩٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٠٣- ١٠٤.

١) ذكره ابن الخطيب باسم فحص الرّنيسول وهو موضع جنوبي غرناطة، الإحاطة، ٢٣/١ وهامش رقم (٦).

٢) أورد ابن الخطيب تفاصيل مهمة عن غزوة الفونسو المحارب واختراقه بلاد المسلمين ووصوله إلى المجاز وألقى باللائمة على المعاهدين النصارى الذين راسلوه، فقال: (لمّا تحرّكت لعدو الله الطّاغية ابن رذمير ريح الظّهور، على عهد الدولة المرابطيّة، قبل أن يخضد الله شوكته على إفراغة بما هو مشهور، أملت المعاهدة من النصارى لهذه الكورة إدراك الثّرّة، وأطمعت في المملكة، فخاطبوا ابن رذمير من هذه الأقطار، وتوالت عليه كتبهم وتواترت رسلهم، ملحّة بالاستدعاء مطمعة في دخول غرناطة، فلمّا أبطأ عنهم، وجّهوا إليه زماماً يشتمل على اثني عشر ألفاً من أنجاد مقاتليهم... واستفزّوه بأوصاف غرناطة، وما لها من الفضائل على سائر البلاد وبفحصها الأفيح، وكثرة فوائدها من القمح والشّعير، والكتّان، وكثرة المرافق، من الحرير والكروم، والزيتون، وأنواع الفواكه، وكثرة العيون والأنهار... فرموا حتى أصابوا غربه، فانتخب وأحشد، وتحرّك أول شعبان من عام خمسة عشر وخمسمائة وقد أخفى مذهبه، وكتم أربه، فوافى بلنسية، ثم إلى مرسية، ثم إلى بيرة، ثم اجتاز بالمنصورة ثم انحدر إلى برشانة، ثم تلوّم إلى وادي ناطلة. ثم تحرّك إلى بسطة، ثم إلى وادي آش، فنزل بالقرية المعروفة بالقصر وصافح المدينة بالحرب، ولم يحل بطائل، فأقام عليها شهراً... لمّا أنذروا بغرضه، وتحرّك من وادي آش فنزل بقرية دجمة، وصلّى الناس بغرناطة صلاة الخوف، يوم عيد النّحر من هذه=

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج حصن روطة من بلاد الأندلس

في هذه السنة اصطلح المستنصر بالله بن هود والسليطين الفرنجي[1] صاحب

=السنة في الأسلحة والأبّهة، وبعيد الظهر من غده، ظهرت أخبية الرّوم بالقيل شرق المدينة، وتوالى الحرب على فرسخين منها، وقد أجلى السّواد، وتزاحم الناس بالمدينة، وتوالى الجليد، وأظلّت الأمطار. وأقام العدو بمحلّته بضع عشرة ليلة لم تسرح له سارحة، إلّا أنّ المعاهدة تجلب له الأقوات ثم أقلع وقد ارتفع طعمه عن المدينة، لأربع بقين من ذي الحجة عام عشرين، بعد أن تفرّغ مستدعيه إليها، وكبيره يعرف بابن القلّاس، فاحتجّوا ببطئه وتلوّمه حتى تلاحقت الجيوش، وأنهم قد وقعوا مع المسلمين في الهلكة، فرحل عن قرية مرسانة إلى بيش، ومن الغد إلى السكة من أحواز قلعة يحصب ثم اتصل إلى لدوبيانة، ونكب إلى قبرة واللسّانة، والجيوش المسلمة في أذياله ،وأقام بقبرة أياماً، ثم تحرّك إلى بلاي والعساكر في أذياله، وشيجة في فحص الرّنيسول مكافحة في أثنائها، مناوشة، وظهورا عليه. لمّا جنّ الليل، أمر أميرهم برفع خبائه من وهدة كان فيها إلى نجدة، فساءت الظنون، واختلّ الأمر، ففرّ الناس وأسلموا، وتهيّب العدو المحلّة، فلم يدخلها إلّا بعد هدأة من الليل واستولى عليها. وتحرّك بعد الغد منها إلى جهة الساحل فشقّ العمامة الآمنة من الإقليم والشّارّات، فيقول بعض شيوخ تلك الجهة: إنه اجتاز بوادي شلوبانية المطلّ الحافّات، والمتحصّن المجاز، وقال بلغته: أيّ قبر هذا لو ألفينا من يصبّ علينا التراب! ثم عرّج يمنة حتى انتهى إلى بلّش، وأنشأ بها جفناً صغيرا يصيد له حوتاً، أكل منه كأنه نذر كان عليه، وفّى به، أو حديث أراد أن يخلّد عنه، ثم عاد إلى غرناطة، فاضطرب بها محلته بقرية دُكَر، على ثلاثة فراسخ منها قبلة، ثم انتقل بعد ذلك بيومين إلى قرية همدان، وبرز بالكتب جاعَزِسْطة من المدينة، وكان بينه وبين عساكر المسلمين مواقعة عظيمة... انتقل بعد يومين إلى المرج مضيّقاً عليه والخيل تحرجه، فنزل بعين أطسة، والجيوش محدقة به، وهو في نهاية من كمال التّعبئة، وأخذ الحذر، بحيث لا تصاب فيه فرصة، ثم تحرّك على البراجلات، إلى اللقوق، إلى وادي آش، وقد أصيب كثير من حاميته، وطوى المراحل إلى الشرق، فاجتاز إلى مرسية، إلى جوف شاطبة، والعساكر في كل ذلك تطأ أذياله، والتّناوش يتخطّر به، والوباء يسرع إليه، حتى لحق بلاده، وهو ينظر إلى قفاه، مخترماً، مفلولاً من غير حرب، يكاد الموت يستأصل محلّته وجملته) الإحاطة، ٢٢/١- ٢٤ ؛ كما ذكر ابن الخطيب الرواية أعلاه في الحلل الموشية، ص٦٦- ٧٠ ؛ وذكر ابن عذاري الرواية بدون تفاصيل، البيان المغرب، ٣١٠/١ ؛ وينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠٧/٣٥، ٣١١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٠٨- ١١٢.

١) هو الفونسو ريمونديس وتسميه الرواية العربية أذفنش بن رمند وبالسليطين أي الملك الصغير الذي حكم قشتالة وساد معظم أسبانيا النصرانية للمدة من سنة ٥٢٠- ٥٥٢هـ، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٤٩٥- ٤٩٨، ٥١٤ ؛ أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ١٩٧/١- ١٨٢.

طليطلة من بلاد الأندلس مدة عشر سنين. وكان السليطين قد أدمن غزو بلاد المستنصر وقتاله ، حتى ضعف المستنصر عن مقاومته لقلة جنوده وكثرة الفرنج ، فرأى أن يصالحه مدة يستريح فيها هو وجنوده ، ويعتدون للمعاودة ، فترددت الرسل بينهم ، فاستقر الصلح على أن يسلم المستنصر إلى السليطين حصن روطة من الأندلس ، وهو من أمنع الحصون وأعظمها ، فاستقرت القاعدة واصطلحوا وتسلم منه الفرنج الحصن ، وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله أحد[1].

---

١) أوردت المصادر تفاصيل أخرى حول هذه الحادثة ، ذلك أنه لما سقطت سرقسطة بيد المرابطين سنة ٥٠٣هـ، وكانت مقر ملك بني هود ، انتقل عماد الدولة عبد الملك بن أحمد بن هود إلى قلعة روطة المنيعة الواقعة على بعد ٣٥ كم من سرقسطة وهناك تحالف مع الفونسو المحارب ملك أراغون ووضع نفسه تحت حمايته خشية من نقمة المرابطين، وعندما توفي سنة ٥٢٤هـ خلفه ابنه أبو جعفر أحمد بن عبد الملك الملقب بسيف الدولة المستنصر بالله وكذلك المستعين بالله واستمر بمحالفة الفونسو المحارب، فلما سطع نجم الفونسو السليطين ملك قشتالة وليون رأى فيه سيف الدولة حليفاً أفضل فذهب إلى طليطلة وعقد تحالفاً معه بأن يتنازل له عن حصن روطة على أن ينضوي تحت لوائه مقابل حصون في طليطلة ومناطق أخرى غرب الأندلس، بيد أن الملك النصراني لم يجد من يقبل بسيف الدولة مما اضطره للبقاء في بعض أملاكه بطليطلة ويعلق الذهبي على ذلك بقوله (وبئس للظالمين بدلا)، وبقي في طليطلة بضعة أعوام إلى قامت ثورة في قرطبة في أواخر أيام المرابطين سنة ٥٣٩هـ فاستدعوا سيف الدولة بن هود ليتولى إمارة قرطبة وعندما حلّ لم يمض أيام قلائل حتى ثار عليه القرطبيون ففرّ ناجياً بنفسه إلى جيان، ولم يلبث بها هي الأخرى إلا يسيراً حتى استدعاه أهل غرناطة فتوجه إليها مع ثلة من جنده بعضهم من النصارى فالتقى بالجيش المرابطي وهُزمَ وقتل العديد من جنده ولم يُفلح في دخولها فرجع إلى قاعدته جيّان، وفي سنة ٥٤٠هـ قامت ثورة بمرسية فتوجه إليها سيف الدولة بن هود في جماد الآخرة وبقي فيها حتى هاجمها النصارى في شعبان من نفس السنة فهزم المسلمون هزيمة شنيعة قتل فيها ابن هود ، ينظر التفاصيل: ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٢٩- ٢٣٠ ويجعلها في سنة ٥٢٧هـ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٤٨/٢- ٢٥٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٣٨/٢- ٤٣٩ قال قتله النصارى في معركة السلك ذوو البيوت ؛ الذهبي، سير، ٤٤٨/١٤- ٤٤٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٣/٢- ١٧٥.

ذكر حصر ابن ردمير مدينة أفراغة[1] وهزيمته وموته

وفي هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجي مدينة أفراغة من شرق الأندلس ، وكان الأمير يوسف بن تاشفين بن علي بن يوسف بمدينة قرطبة ، فجهز الزبير بن عمرو اللمتوني والي قرطبة ومعه ألفا فارس وسيّر معه ميرة كثيرة إلى أفراغة.

وكان يحيى بن غانية ، الأمير المشهور ، أمير مرسية وبلنسية من شرق الأندلس ووالي أمرها لأمير المسلمين علي بن يوسف ، فتجهز في خمس مائة فارس ، وكان عبد الله بن عياض صاحب مدينة لاردة ، فتجهز في مائتي فارس ، فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتى أشرفوا على مدينة أفراغة ، وجعل الزبير الميرة أمامه وابن غانية أمام الميرة ، وابن عياض أمام غانية ، وكان شجاعاً بطلاً وكذلك جميع من معه.

وكان ابن ردمير في اثني عشر ألف فارس ، فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين ، فقال لأصحابه: اخرجوا وخذوا هذه الهدية التي أرسلها المسلمون إليكم ، وأدركه العجب ، ونفذ قطعة كبيرة من جيشه. فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم ، ورد بعضهم على بعض ، وقتل فيهم ، والتحم القتال ، وجاء ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعها مدلين بكثرتهم وشجاعتهم ، فحمل ابن غانية وابن عياض في صدورهم واستحر الأمر بينهم وعظم القتال فكثر القتل في الفرنج ، وخرج في الحال أهل أفراغة ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم ، إلى خيام الفرنج ، فاشتغل الرجال بقتل من وجدوا في المخيم ، واشتغل النساء بالنهب ، فحمل جميع ما في المخيم إلى المدينة من قوت وعدد وآلات وسلاح وغير ذلك.

وبينما المسلمون والفرنج في القتال إذ وصل إليهم الزبير في عسكره فانهزم ابن ردمير وولى هارباً واستولى القتل على جميع عسكره فلم يسلم منهم إلا القليل ، ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطة ، فلما رأى ما قتل من أصحابه مات مفجوعاً بعد

---

١) أفراغة، قال الحميري: (مدينة بغربي لاردة من الأندلس بينهما ثمانية عشر ميلاً، وهي على نهر الزيتون حسنة البناء لها حصن منيع لا يرام وبساتين كثيرة لا نظير لها)صفة، ص٢٤ ؛ ينظر أيضا: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٧ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٣/٢.

عشرين يوماً من الهزيمة ، وكان أشد ملوك الفرنج بأساً ، وأكثرهم تجرداً لحرب المسلمين ، وأعظمهم صبراً ، كان ينام على طارقته بغير وطاء ، وقيل له: هلا تسريت من بنات أكابر المسلمين اللاتي سبيت؟ فقال: الرجل المحارب ينبغي أن يعاشر الرجال لا النساء ، وأراح الله منه وكفى المسلمين شره(١).

---

١) وردت عند ابن القطان تفاصيل لا تقل عن التي أوردها ابن الأثير ولكنها تختلف عنها في بعض الشيء إذ ذكر الأخير أعداد جيش المسلمين، قال ابن القطان: (ومن أغرب ما كان سنة تسع وعشرين هزيمة الطاغية ابن رذمير – لعنه الله تعالى – مدينة إفراغة من الثغر المصاقب لبلاد الفرنجة، وذلك أن اللعين لما تغلب على الثغر الأعلى: مدينة سرقسطة وذواتها، ومدينة تطيلة وذواتها، وقلعة أيوب وذواتها، وسواها، وخزم عساكر لمتونة وقهرهم في مواطن كثيرة رأى ذلك البرشلوني مضاهيهم في الثغر الأعلى، فاشرأب في التغلب على ما يجاوره من البلاد: لاردة وإفراغة وغيرهما، ونظر لمتونة إلى ذلك فخافوا أن ينفتق عليهم فتفقاً آخر من البرشلوني، فصالحوا البرشلوني باثني عشر ألف دينار يؤدونها له في كل سنة صلحاً عن هذا الثغر الذي يصاقبه، ويستريحون من شره ولا يكابدون حربين، وذلك عن أمر علي بن يوسف، ولم يخف عن اللعين ابن رمذمير هذا التدبير، فآسفه وغاضبه وقال: هؤلاء الفعال الصناع يؤدون الأتاوة للصانع الفاعل، ولو أعطوني أنا درهمً واحداً لأخذته، ويعلم أني قهرتهم وغلبتهم، وحلف بأيمان مغلظة عنده: لأنزلن على تلك البلاد التي يؤدون عليها الجزية، فأصيرها في ملكي، وأقطع منفعتها عن الفاعل، الصانع البرشلوني، حتى يعلم أهل الأرض أني قهرتهم في كل وجه. فجهز جيشه ونزل على مدينة إفراغة، لما كانت أمنع تلك المدن وأحصنها، وأهلها أسْد ذلك الصقع، فنازلها وأقسم بجميع أيمانه لا يقلع عنها حتى يستحوذ عليها. وكان القائد ببلنسية يدر بن ورقاء، والقائد بمرسية يحيى بن علي بن غانية، فلما مات يدر جمع علي بن يوسف عمله إلى ابن غانية فسكن مدينة بلنسية، واجتمع عليه عسكرها، ولما طاول ابن رذمير حصار مدينة إفراغة وضاقت بهم الأمور كتبوا إلى يحيى بن غانية يشكون إليه ويرغبون إليه في إدخال القوت عندهم، فما بقي لهم من القوت إلا اليسير: وان أنت لم تفعل خضعنا لابن رذمير وأعطيناه المقادة. فلما قرأ كتابهم نظر لهم في الميرة، واستجاش وأرضخ العطاء لأهل عسكره، وأخبرهم أنه باق على لقاء عده ابن رذمير، وأعتق بعض أمائه وعبيده، وكتب وصيته، فقال له بعض خاصته: تغزو بهذا العسكر وليس للمسلمين بالأندلس عسكراً سواه ؟ فكيف تلقى علي بن يوسف بعد اليوم وقد انهزمت ؟ قال: فليصنع بي ما شاء، إلا أن فتح الله للمسلمين في هذا الغزو. وقصد قصده وكان اللعين ابن رذمير مثل الثواء والإقامة على مدينة إفراغة، ونشب في يمينه التي خرجت منه، وكان قد جاءه بعض الرهبان من داخل إفراغة وقال له: أنا أدعو عليهم فينهدم حصنهم، وتدخل عليهم عنوة، وصح ذلك عند ابن رذمير، وجاء هذا الراهب إلى قرب سور إفراغة، فصعد ربوة من الربى، ونظر السور، وكان خبر الراهب قد سمع به أهل إفراغة، فلما رأوه قائماً على الربوة لم يشكوا في خبره أنه هو، وكان عندهم منجنيق قوي، فصوبوه إلى تلك الربوة وغرض الراهب=

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

ذكر عدة حوادث

وفيها توفي تاشفين بن علي بن يوسف صاحب الغرب ، وكانت ولايته تزيد على أربع سنين[1] ، وولي بعده أخوه ، وضعف أمر الملثمين ، وقوي عبد المؤمن ، وقد ذكرنا ذلك سنة أربع عشرة وخمسمائة.

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

ذكر عدة حوادث

وفيها ملك الفرنج ، لعنهم الله ، مدينة شنترين ، وباجة ، وماردة ، وأشبونة ، وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الأندلس ، وكانت للمسلمين ، فاختلفوا ، فطمع العدو ، وأخذ هذه المدن وقوي بها قوة تمكن معها وتيقن ملك سائر البلاد الإسلامية

=ووضعوا في كتفه حجراً كبيراً ، ورموه في غرض الراهب وهو في دعائه على المسلمين يجد جده، فأصابه حجر المنجنيق على هذه الحالة ، فذهب بنصفه وبقي نصفه في موضعه. وقد كان اللعين ابن رذمير تهيأ للدخول، وعسكره واقف بإزائه بإزاء الراهب، فلما رأى ذلك هاله وانصرف إلى موضع محلته مهين النفس خائب الأمل، ثم ما زال أمره مختلاً، وأهل إفراغة يدبرون الحيل عليه، وهو يدبرها أيضاً عليهم، إلى وقت وافت عساكر المسلمين، فلما نظر أهل إفراغة إلى مجيئها ، وخرج ابن رذمير من معسكره إليهم، فتحوا باب مدينتهم وخرجوا إلى محلته، فنهبوا جميع ما كان فيها من الطعام والأدم، وأدخلوه مدينتهم، ولقي اللعين ابن رذمير المسلمين وموقناً بالظفر والغلبة على عادته، فانقلب عليه الأمر، وكانت الدائرة عليه، فأهلكه الله وجنوده، وقتلهم المسلمين أبرح قتل... وفرّ اللعين ابن رذمير في شرذمة قليلة جداً ، ولحق بمدينة سرقسطة وآله العقل مخبول الذهن، واستحذى للمسلمين الذين فيها ، وألان لهم القول، ثم خرج منها إلى وشقة فأقام بها مختبلاً أشهر قليلة، وحان أجله)نظم الجمان، ص٢٤٣- ٢٤٨ ؛ ينظر أيضاً: الحميري، صفة، ص٢٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١/٣٦- ٤٢ وروايته مشابهة لرواية ابن الأثير ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٢٠- ١٢٤.

١) تولى تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين حكم الدولة المرابطية بعد وفاة أبيه في رجب وقيل رمضان سنة ٥٣٧هـ وقتله الموحدون في وهران في رمضان سنة ٥٣٩هـ وعلى هذا فإن مدة حكمه سنتين وليس أربعة كما أشار ابن الأثير أعلاه، ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٦٥- ١٦٦ قال وكانت مدة حكمه سنتين اثنين وشهراً ونصف شهر؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢،٣٩٣- ٣٩٧.

بالأندلس ، فخيب الله ظنه وكان ما نذكره[1].

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

ذكر استيلاء عبد المؤمن على جزيرة الأندلس

في هذه السنة سيّر عبد المؤمن جيشاً إلى جزيرة الأندلس ، فملكوا ما فيها من بلاد الإسلام. وسبب ذلك أن عبد المؤمن لما كان يحاصر مراكش جاء إليه جماعة من أعيان الأندلس منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين[2] ، ومعهم مكتوب

---

١) لم نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى هذه الحملة في هذه السنة، ولكن بعض الدراسات الحديثة أشارت إلى أنه في سنة ٥٤٢هـ سقطت كل من أشبونة (لشبونة) وشنترين، إذ أن الفونسو هنريكيز استغل حالة الاضطراب التي شهدتها الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عهد الموحدين فقام بالزحف على مدن الغرب الأندلسي فاستولى على مدينة شنترين ثم ضرب حصاراً على أشبونة وقد أبدى أهل المدينة مقاومة شديدة إذ كانت المساعدات تصل إليهم من البحر، وكان لعدم امتلاكه أسطول بحري سهل وصول الامدادت وأطال أمد الحصار، وفي تلك الأثناء مرت مائتي سفينة صليبية تحمل مقاتلين من انكلترا وهولندا نحو فلسطين، فقام الفونسو بالتفاوض معهم من أجل مساعدته في اقتحام أشبونة ووعدهم بحصة من الغنائم وأطمعهم بما ينالونه من الثواب في مقاتلة المسلمين، فالجهاد ضد المسلمين هو واحد سواء في فلسطين أم في الأندلس، عندها استجابوا لطلبه وضيقوا الحصار على المسلمين من جهة البحر، وأمام نقص الأقوات وشدة الحصار وحالة اليأس من وصول إمدادات اضطر سكان المدينة إلى التسليم بأنفسهم على أن يتركوا أموالهم وأسلحتهم بعد حصار دام أربعة أشهر، وقد اختلفت تلك المصادر في تاريخ ذلك، فجعلها البعض في سنة ٥٤٢هـ ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٦١ ؛ عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ص٥٤٨ ؛ أشباخ تاريخ الأندلس، ٢٣٦/١ ؛ العلياوي، الحملات الصليبية، ص١٢٩ ؛ الدرويش والعلياوي، لشبونة في العصر الإسلامي، مجلة دراسات تاريخية، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة، العدد الرابع ٢٠٠٨م، ص١٣- ١٤ ؛ فيما ذكر البعض إن ذلك حدث سنة ٥٤٣هـ، طه، دراسات أندلسية، ص١٩٠ ؛ فيما ذهب **Paiter** إلى أن ذلك حدث سنة ٥٤٨هـ، **Hidtory of the middle ages , P 194.**

٢) هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن حمدين دخل جده الأندلس مع طالعة بلج واستقروا في باغة، وقد ولي قضاء قرطبة سنة ٥٢٩هـ ثم عزل عنها، وتولاها مرة ثانية سنة ٥٣٦هـ واستمر إلى سنة ٥٣٩هـ عندما ثار أهل قرطبة على واليهم المرابطي وخلعوا المرابطين ونصبوا عليهم ابن حمدين وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين، ثم نافسه على الزعامة سيف الدولة بن هود إلا أنه لم يستطع ضبطها فغادرها ورجع إليها ابن حمدين وبقي بها أقل من سنة فهاجمه القائد المرابطي يحيى بن غانية الذي تمكن من طرده منها فلجأ ابن حمدين إلى غرب الأندلس واستنجد بالنصارى إلا أن=

يتضمن بيعة أهل البلاد التي هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم في زمرة أصحابه الموحدين ، وإقامتهم لأمره ، فقبل عبد المؤمن ذلك منهم ، وشكرهم عليه ، وطيب قلوبهم ، وطلبوا منه النصرة على الفرنج ، فجهز جيشاً كثيفاً وسيّره معهم ، وعمّر أسطولاً وسيّره في البحر ، فسار الأسطول إلى الأندلس ، وقصدوا مدينة إشبيلية ،وصعدوا في نهرها ، وبها جيش من الملثمين ، فحصروها براً وبحراً وملكوها عنوة ، وقتل فيها جماعة وأمن الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد ، وكان لعبد المؤمن من بها[1].

=أمره لم يتم وكانت انتصارات الموحدين في المغرب عمّت الأندلس، عندها عبر البحر إلى المغرب في أوائل سنة ٥٤١هـ والتقى بعبد المؤمن وهو محاصر مدينة مراكش وحثه على دخول الأندلس ثم رجع واستقر بمالقة حتى وفاته سنة ٥٤٨هـ، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢/ ٢١٨، ٢٥٥- ٢٥٧ ؛ التكملة، ٢٣٥/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠٢/٣٧- ٣٠٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٣١٢- ٣١٤.

١) أشار ابن خلدون إلى (أنه اتصل بالملثمين مقتل تاشفين بن عليّ، ومنازلة الموحّدين مدينة فاس. وكان علي بن عيسى بن ميمون قائد أسطولهم قد نزع طاعة لمتونة وانتزى بجزيرة قادس، فلحق بعبد المؤمن بمكانه من حصار فاس، ودخل في دعوته وخطب له بجامع فاس أوّل خطبة خطبت لهم بالأندلس عام أربعين وخمسمائة. وبعث أحمد بن قيسي صاحب مرتلّة ومقيم الدعوة بالأندلس أبا بكر بن حبيس رسولا إلى عبد المؤمن فلقيه على تلمسان وأدّى كتاب صاحبه فأنكر ما تضمّنه من النعت بالمهديّ، ولم يجاوب. وكان سدّراتي بن وزير صاحب بطليوس وباجة وغرب الأندلس قد تغلّب على أحمد ابن قيسي هذا، وغلبه على مرتلة فأجاز أحمد بن قيسي البحر إلى عبد المؤمن من بعد فتح مراكش لمداخلة عليّ بن عيسى بن ميمون ونزل بسبتة، فجهّزه يوسف بن مخلوف، ولحق بعبد المؤمن، ورغّبه في ملك الأندلس، وأغراه بالملثّمين فبعث معه عساكر الموحّدين لنظر براز بن محمد المسوقي الناظر إلى عبد المؤمن من جملة تاشفين، وعقد له على حروب من بها من لمتونة والثّوار وأمدّه بعسكر آخر لنظر موسى بن سعيد، وبعده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح الصنهاجي، ولمّا أجازوا إلى الأندلس نازلوا بالغمر بن عزرون من الثّوار بشريش، وكانت له مع ولده. ثم قصدوا لبلة وبها من الثّوار يوسف بن أحمد البطروجي فأعطاهم الطاعة، ثم قصدوا مرتلة، وهي تحت الطاعة لتوحيد صاحبها أحمد بن قيسي. ثم قصدوا شلّب فافتتحوها، وأمكنوا منها ابن قيسي. ثم نهضوا إلى باجة وبطليوس فأطاعهم صاحب سدراتي بن وزير. ثم برز في عسكر الموحّدين إلى مرتلة حتى انصرم فصل الشتاء فخرج إلى منازلة إشبيليّة فأطاعه أهل طلياطلة وحصن القصر، واجتمع إليه سائر الثّوار وحاصروا إشبيليّة برّا وبحرا إلى أن افتتحوها في شعبان من سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وفرّ الملثمون بها إلى قرمونة وقتل من أدرك منهم. وأتى القتل على عبد الله بن القاضي أبي بكر بن العربيّ في هيعة تلك الدخلة من غير قصد. وكتبوا بالفتح إلى عبد المؤمن=

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج المرية وغيرها من بلاد الأندلس

في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، حصر الفرنج مدينة المرية من الأندلس ، وضيقوا عليها براً وبحراً ، فملكوها عنوة ، وأكثروا القتل بها والنهب[1] ، وملكوا أيضاً مدينة بياسة وولاية جيّان ، وكلها بالأندلس[2] ، ثم استعادها المسلمون بعد ذلك منهم ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدناً من الأندلس

في هذه السنة ملك الفرنج بالأندلس مدينة طرطوشة ، وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وأفراغة ، ولم يبق للمسلمين في تلك الجهات شيء إلا واستولى الفرنج على جميعه لاختلاف المسلمين بينهم ، وبقي بأيديهم إلى الآن[3].

=بن عليّ. وقدم عليه وفودهم بمراكش يقدمهم القاضي أبو بكر فتقبّل طاعتهم وانصرفوا) تاريخ، ٣١٣ـ٣١٢/٦ ؛وذكر ابن أبي زرع الرواية مختصرة قال:في سنة ٥٤٠هـ (فتحت مدينة إشبيلية، وملكها الموحدون وخطب بها لعبد المؤمن بن علي، وفيها فتحت مدينة مالقة...) روض القرطاس، ص١٨٩؛ وينظر عن الوفد الأندلسي إلى عبد المؤمن بن علي: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٣ـ٣٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ٣٢٥ـ٣٢٨.

١) كان سقوط مدينة المرية بأيدي النصارى عن طريق حملة صليبية باركتها البابوية اشترك فيها إضافة إلى الفونسو السابع ملك قشتالة، قوات من جنوا وبيزا وأراغون ونافار وفرنسا، وكانوا جميعاً بقيادة الفونسو السابع ملك قشتالة الذين حاصروا المدينة براً وبحراً ولمدة ثلاثة أشهر وتمكنوا من اقتحامها ونكلوا بأهلها وساقوا أعداداً كبيرة منهم أسرى إلا أن ذلك لم يدم طويلاً إذ تمكن الموحدون من استرجاعها بعد عشر سنوات، ينظر: ابن الأبار، التكملة، ٢٠٧/٤ ؛ الحميري، صفة، ص١٨٤ ؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٤٧٠؛ المقري، نفح الطيب، ٤٦٢/٤ ؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص١٣١- ١٣٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥٠٨.

٢) ينظر: المراكشي، المعجب، ص١٥٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥٠٤ ؛أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٢٣٣/١- ٢٣٥.

٣) عندما استولى الصليبيون على المرية شجعهم ذلك على غزو طرطوشة الواقعة على حدود مملكة برشلونة وأراغون، وقد ساعدهم في الاستيلاء عليها صداقتهم مع أمير شرق الأندلس آنذاك محمد بن سعد بن مردنيش، فهاجموا المدينة بقيادة رامون برنجير الرابع ملك برشلونة تساعده=

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة

ذكر حصر الفرنج قرطبة ورحيلهم عنها

في هذه السنة سار السليطين ، وهو الأذوفونش ، وهو ملك طليطلة وأعمالها ، وهو من ملوك الجلالقة ، نوع من الفرنج ، في أربعين ألف فارس إلى مدينة قرطبة ، فحصرها ، وهي في ضعف وغلاء ، فبلغ الخبر إلى عبد المؤمن وهو في مراكش ، فجهز عسكراً كثيراً ، وجعل مقدمهم أبا زكرياء يحيى بن يرموز ونفذهم إلى قرطبة ، فلما قربوا منها لم يقدروا أن يلقوا عسكر السليطين في الوطاء وأرادوا الاجتماع بأهل قرطبة ليمنعوها لخطر العاقبة بعد القتال ، فسلكوا الجبال الوعرة والمضايق المتشعبة ، فساروا نحو خمسة وعشرين يوماً في الوعر في مسافة أربعة أيام في السهل ، فوصلوا إلى جبل مطل على قرطبة ، فلما رآهم السليطين وتحقق أمرهم رحل عن قرطبة.

وكان فيها القائد أبو الغمر السائب من ولد القائد ابن غلبون ، وهو من أبطال أهل الأندلس وأمرائها فلما رحل الفرنج خرج منها لوقته وصعد إلى ابن يرموز ، وقال له: انزلوا عاجلاً وادخلوا البلد ؛ ففعلوا ، وباتوا فيها ، فلما أصبحوا من الغد رأوا عسكر السليطين على رأس الجبل الذي كان فيه عسكر عبد المؤمن ، فقال لهم أبو الغمر: هذا الذي خفته عليكم لأني علمت أن السليطين ما أقلع إلا طالباً لكم ، فإن من الموضع الذي كان فيه إلى الجبل طريقاً سهلة ، ولو لحقكم هناك لنال مراده منكم ومن قرطبة ، فلما رأى السليطين أنهم قد فاتوه علم أنه لم يبق له طمع في قرطبة ، فرحل عائداً إلى بلاده ، وكان حصره لقرطبة ثلاثة أشهر ، والله أعلم[1].

= ذلك من البحر أساطيل بيزا وجنوا وبمباركة البابا فضربوا عليها الحصار لمدة ستة أشهر دون أن تصلهم أي امدادات أو مساعدات مما اضطرهم إلى الاستسلام في شعبان من سنة ٥٤٣هـ، ثم قام رامون بالتعاون مع الصليبين بمهاجمة مدينة لاردة واستولوا عليها سنة ٥٤٤هـ، ثم سقطت على اثر ذلك كل من أفراغة ومكناسة، ينظر عن سقوط هذه المدن: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٣٧ وقال: إن إفراغة سقطت بيد الإفرنج سنة ٥٤٣هـ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٤٦/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢١٠/٤ ؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص١١٤، ١٢٠ ؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص١٣٣- ١٣٤ ؛ العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص٢١١- ٢١٤.

١) نقل النويري الرواية نفسها عن ابن الأثير، نهاية الأرب، ٢٠١/٢٤- ٢٠٢ ؛ أما ابن خلدون فقال: (وانتهز الطاغية فرصته في قرطبة فزحف إليها ودفع الموحّدون بأشبيليّة أبا الغمر بن عزرون لحمايتها، ووصل إليه مدد يوسف البطروجي من لبلة وبلغ الخبر عبد المؤمن فبعث إليها=

ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة

ذكر حصر غرناطة والمرية من بلاد الأندلس

في هذه السنة سيّر عبد المؤمن جيشاً كثيفاً ، نحو عشرين ألف فارس ، إلى الأندلس مع أبي حفص عمر بن أبي يحيى الهنتاتي[1] ، وسيّر معهم نساءهم ، فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السود ، ليس معهن غير الخدم ، ومتى قرب منهن رجل ضرب بالسياط.

فلما قطعوا الخليج ساروا إلى غرناطة وبها جمع المرابطون ، فحصرها عمر وعسكره ، وضيقوا عليها ، فجاء إليه أحمد بن ملحان[2] ، صاحب مدينة آش وأعمالها ، بجماعته ، ووحدوا ، وصاروا معه ، وأتاهم إبراهيم ابن همشك[3] صهر ابن مردنيش[4] ، صاحب

=عسكرا من الموحدين...)تاريخ، ٣١٥/٦ ؛ وقد أشار أشباخ إلى حصار الفونسو السابع (السليطين) لقرطبة سنة ٥٤٥هـ ولكن بشكل مقتضب، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٢٣٩/١ ؛ والغريب أن عنان الذي يعد كتابه الأوسع عن تاريخ الأندلس إلى الآن لم يشر إلى هذه الحادثة التي تميز بذكرها ابن الأثير.

١) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي أحد أصحاب محمد بن تومرت العشرة وإليه ينتسب الحفصيين في تونس، وكانت وفاته سنة ٥٧١هـ .ابن خلدون، تاريخ، ٥٠٧/٧.

٢) هو أحمد بن محمد بن ملحان الطائي قام في واي آش على مقربة من غرناطة فاستولى على القصبة وحصنها، ودعا لنفسه، وتلقب بالمتأيد بالله، وتغلب على بعض القواعد القريبة، مثل بَسْطة وضمها إلى إمارته، واستطال عهده عدة أعوام، ولما قام محمد بن سعد بن مردنيش بثورته في شرقي الأندلس، وزحف على أملاكه تعاونه فرقة من النصارى، فلما رأى ابن ملحان أنه لا طاقة له به أعلن طاعته للموحدين، وعبر إلى مراكش وبقي بها حتى وفاته، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٣٧/٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٣٢٠.

٣) هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك أسلم جده على يد أحد ملوك بني هود، وعندما اضطربت الأحوال في أواخر عهد المرابطين اتصل بأمير شرق الأندلس محمد بن مردنيش وصاهره على ابنته، وقاد الجيوش معه وكان شجاعاً شديداً حاد البأس، وفي سنة ٥٥٦هـ دخل غرناطة وهزم الموحدين في معركة مرج الرقاد ومثل بهم، ثم إن علاقته ساءت بابن مردنيش بعد أن طلق ابنته انضم ابن همشك إلى الموحدين نكاية بصهره واستمر في ولائه لهم حتى وفاته بعد سنة ٥٧١هـ، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٣٦- ٢٣٧ ؛الإحاطة، ١٥١/١- ١٥٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٣٦٨.

٤) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، ذكر ابن الأبار أن=

جيّان ، وأصحابه ، ووحدوا ، وصاروا أيضاً معه ، فكثر جيشه ، وحرضوه على المسارعة إلى ابن مردنيش ، ملك بلاد شرق الأندلس ، ليبغته بالحصار قبل أن يتجهز.

فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه ، فأرسل إلى ملك برشلونة ، من بلاد الفرنج ، يخبره ، ويستنجده ، ويستحثه على الوصول إليه ، فسار إليه الفرنجي في عشرة آلاف فارس ، وسار عسكر عبد المؤمن ، فوصلوا إلى حمة بلقوارة ، وبينها وبين مرسية ، التي هي مقر ابن مردنيش مرحلة ، فسمعوا بوصول الفرنج ، فرجع وحصر مدينة المرية ، وهي للفرنج ، عدة شهور ، فاشتد الغلاء بالعسكر ، وعدمت الأقوات ، فرحلوا عنها وعادوا إلى إشبيلية فأقاموا بها[1].

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

ذكر البيعة لمحمد بن عبد المؤمن بولاية عهد أبيه[2]

في هذه السنة أمر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمد بولاية عهده ، وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر هنتاتي أن يلي عمر الأمر بعد عبد المؤمن ؛ فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر أولاده أحب أن ينقل الملك إليهم ، فأحضر أمراء

=ابن مردنيش جذامي، وأشار ابن حزم إلى أن بعض بطون جذام سكنت الأندلس، وينفي فرانثيسكو كوديرا نسبه العربي ويرجح أنه يعود إلى الجالية البيزنطية التي كانت في الأندلس قبل الفتح، وقد تمكن من بسط نفوذه على شرق الأندلس وحاول الوصول إلى غرناطة إلا أنه اصطدم بالموحدين الذين هزموه عدة مرات، فلما أحسّ في نفسه الضعف صالح خليفة الموحدين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزوج ابنته صفية إلى يعقوب بن يوسف الموحدي، وزوج ابنته الثانية زائدة إلى يوسف بن عبد المؤمن، وتوفي سنة ٥٦٧هـ، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢١ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٣٢/٢ وهامش (١) ص٢٣٣ ؛ وعن الحروب بين ابن مردنيش والموحدين ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالإمامة، ص١٨٧- ١٩٦ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٧٧ ؛ ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص٢٤٩ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٧٠/٢- ٧٤.

١) يكاد ابن الأثير ينفرد بذكر ما جرى بين الموحدين وابن مردنيش في غرناطة والمرية ؛ وذكر أشباخ الرواية نفسها ولم يشر إلى مصدره، والراجح أنه اعتمد على رواية ابن الأثير أعلاه، ينظر: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٢٤٠/١.

٢) جعل ابن أبي زرع خبر بيعة عبد المؤمن العهد لابنه وتوزيع البلاد على أولاده سنة ٤٤٩هـ، روض القرطاس، ص١٩٤.

العرب من هلال وزعبة وعبدي وغيرهم إليه ووصلهم وأحسن إليهم ، ووضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن ، ويقولوا له: نريد أن نجعل لنا ولي عهد من ولدك يرجع الناس إليه بعدك ، ففعلوا ذلك ، فلم يجبهم إكراماً لعمر هنتاتي لعلو منزلته في الموحدين ، وقال لهم: إن الأمر لأبي حفص عمر ؛ فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه ، فحضر عند عبد المؤمن وأجاب إلى خلع نفسه ، فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد ، وكتب إلى جميع بلاده بذلك ، وخطب له فيها جميعها ، فأخرج عبد المؤمن من الأموال في ذلك اليوم شيئاً كثيراً[1].

ذكر استعمال عبد المؤمن أولاده على البلاد

في هذه السنة استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد ، فاستعمل ولده أبا محمد عبد الله على بجاية وأعمالها ؛ واستعمل ابنه أبا الحسن علياً على فاس وأعمالها ، واستعمل ابنه أبا حفص عمر على مدينة تلمسان وأعمالها ، وولى ابنه أبا سعيد سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة ؛ وكذلك غيرهم[2].

ولقد سلك في استعمالهم طريقاً عجيباً ، وذلك أنه كان قد استعمل على البلاد

---

١) رواية ابن الأثير هذه في نقل عبد المؤمن السلطة في الدولة الموحدية إلى أولاده، أي جعلها وراثية، كانت متميزة، إذ ذكر أن عبد المؤمن تآمر على عمر بن يحيى الهنتاتي ودسّ إلى بعض الموالين له ليشيروا عليه ذلك، لم يذكر الرواية البيذق وابن أبي زرع ، أخبار المهدي بن تومرت، ٧٦- ٧٧ ؛ روض القرطاس، ص١٩٤- ١٩٥ ؛ فيما أشار ابن الخطيب أن أشياخ الموحدين هم من أشاروا عليه بتقديم أولاده، إذ قال: (... وقد كان ظهر له حين ذلك ثلاثة عشر من أولاده كلهم حفاظ خطاطون قد كملت بهم الصفات التي رباهم عليها وتخلصوا بالخصال الحميدة فأشار عليه أشياخ الموحدين بتقديمهم، وقالوا له: يا أمير المؤمنين أبناؤك أولى بالتقديم فأظهر الامتناع ولم يزالوا به حتى ولاهم الأعمال جعل كل واحد منهم على إقليم وقدم أبناء المشيخة تحت أيديهم...)الحلل الموشية، ص١١٤ ؛ ينظر أيضاً التفاصيل عن ذلك: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ٣٣٨- ٣٣٩.

٢) قال البيذق في سنة ٥٤٨هـ: أعطى للسيد أبي عبد الله محمد بجاية، وولى عمر تلمسان، وأعطى إشبيلية ليوسف، وولى أبا سعيد غرناطة، وولى علياً فاس، وولى أبا الربيع تادلة، وولى ولده أبا زيد السوس ... أخبار المهدي بن تومرت، ص٧٦- ٧٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٥٠ ويجعلها سنة ٥٤٨هـ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٩٤- ١٩٥ ويجعلها سنة ٥٤٩هـ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص١١٤- ١١٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٣١٦/٦ وجعل ذلك سنة ٥٤٧هـ.

شيوخ الموحدين المشهورين من أصحاب المهدي محمد بن تومرت ، وكان يَتَعذرُ عليه أن يعزلهم ، فأخذ أولادهم ، وتركهم عنده يشتغلون في العلوم ، فلما مهروا فيها وصاروا يُقتدى بهم قال لآبائهم: إني أريد أن تكونوا عندي أستعين بكم على ما أنا بصدده ، ويكون أولادكم في الأعمال لأنهم علماء فقهاء ؛ فأجابوا إلى ذلك وهم فرحون مسرورون ، فولى أولادهم ثم وضع عليهم بعضهم ممن يَعْتمدُ عليه ، فقال لهم: إني أرى أمراً عظيماً قد فعلتموه ؛ فارقتم فيه الحزم والأدب. فقالوا وما هو؟ فقال: أولادكم في الأعمال وأولاد أمير المؤمنين ليس لهم منها شيء مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة ، وأني أخاف أن ينظر في هذا فتسقط منزلتكم عنده ؛ فعلموا صدق القائل ، فحضروا عند عبد المؤمن وقالوا: نحب أن تستعمل على البلاد السادة أولادك. فقال لا أفعل ؛ فلم يزالوا به حتى فعل ذلك بسؤالهم[1].

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

ذكر ملك المسلمين مدينة المرية وانقراض دولة الملثمين بالأندلس

في هذه السنة انقرضت دولة الملثمين بالأندلس ، وملك أصحاب عبد المؤمن المرية من الفرنج.

وسبب ذلك أن عبد المؤمن لما استعمل ابنه أبا سعيد علي على الجزيرة الخضراء ومالقة عبر أبو سعيد البحر إلى مالقة ، واتخذها داراً ، وكاتبه ميمون بن بدر اللمتوني ، صاحب غرناطة ، أن يوحد ويسلم إليه غرناطة ، فقبل أبو سعيد ذلك منه وتسلم غرناطة ، فسار ميمون إلى مالقة بأهله وولده ، فتلقاه أبو سعيد ، وأكرمه ، ووجهه إلى مراكش ، فأقبل عليه عبد المؤمن وانقرضت دولة الملثمين[2] ولم يبق لهم

---

1) ذِكْرِ ابن الأثير لهذه الرواية بصيغة اتهامه وأنها من تدبيره، فيما تعرضها المصادر الأخرى على أشياخ الموحدين هم فرضوا عليه ذلك ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٤٩- ٥٠ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص١١٤.

2) ذكر ابن عذاري في حوادث سنة ٥٥٠هـ أن ميمون بن يدر اللمتوني والي غرناطة المرابطي لما رأى امتداد سلطان الموحدين في الأندلس وسيطرتهم على إشبيلية وقرطبة ومناطق من غرب الأندلس شعر بحراجة موقفه فخاطب الموحدين راغباً في الصلح، فوافق عبد المؤمن على ذلك فأمر ابنه أبا=

إلا جزيرة ميورقة مع(حمو بن غانية)[1].

فلما ملك أبو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار إلى مدينة المرية ، وهي بأيدي الفرنج ، أخذوها من المسلمين سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، فلما نازلها وافاه الأسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين ، فحصروا المرية براً وبحراً ، وجاء الفرنج إلى حصنها ، فحصرهم فيها ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها ، وبنى أبو سعيد سوراً على الجبل المذكور إلى البحر ، وعمل عليه خندقاً ، فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج محصورين بهذا السور والخندق ، ولا يمكن من ينجدهما أن يصل إليهما ، فجمع الأذفونش ملك الفرنج بالأندلس ، والمعروف بالسليطين ، وفي اثني عشر ألف فارس من الفرنج ، ومعه محمد بن سعد بن مردنيش في ستة آلاف فارس من المسلمين ، وراموا الوصول إلى مدينة المرية ودفع المسلمين عنها ، فلم يطيقوا ذلك ، فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين ، فمات السليطين في عوده قبل أن يصل إلى طليطلة.

وتمادى الحصار على المرية ثلاثة أشهر ، فضاقت الميرة ، وقلت الأقوات على الفرنج ، فطلبوا الأمان ليسلموا الحصن ، فأجابهم أبو سعيد إليه وأمنهم ، وتسلم الحصن ، ورحل الفرنج في البحر عائدين إلى بلادهم فكان ملكهم المرية عشر سنين[2].

=سعيد وقائد الأسطول عبد الله بن سليمان أن يتوجها إلى غرناطة، فتلقاهما ميمون بن يدر وبقية الملثمين وقال لهما: ادخلوها بتحية وسلام، وخرج ومن معه من المرابطين إلى العدوة حيث اسكنهم عبد المؤمن وأجزل لهم العطاء، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٥٥ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٩٦ وجعل ذلك سنة ٥٠١هـ.

١) الصحيح محمد بن غانية، ينظر: المراكشي، المعجب، ص١٩٦.

٢) ذكر ابن عذاري في حوادث سنة ٥٥٠هـ، أنه لما استقر أبو سعيد بن عبد المؤمن في غرناطة (بعث عسكره إلى المرية، ليتطلع أحوال النصارى فنهض العسكر وكمن على مقربة منها إلى نصف النهار ثم خرج وأغاروا على باب المرية وقتلوا من النصارى عدداً كثيراً ورجعوا من غارتهم إلى حصن برجة فبادر أهل الحصن للقاء الموحدين وقالوا لهم: إن النصارى بقصبة المرية في عدد قليل فنزلوا برجة وخاطبوا السيد بأغرناطة بمقالة أهل برجة ونصحهم فاحتفل السيد في الاحتشاد وجمع الأجناد ونهض أهل غرناطة فوصل المرية ونازلها ونصب المجانيق عليها=

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار عبد المؤمن ، صاحب المغرب ، إلى جبل طارق ، وهو على ساحل الخليج مما يلي الأندلس ، فعبر المجاز إليه ، وبنى عليه مدينة حصينة ، وأقام بها عدة شهور ، وعاد إلى مراكش[1].

=فاستغاث الكفرة الذين في القصبة بغويهم أذفونش فوصلهم بعسكره الذميم ووصل معه حليفة ابن مردنيش معيناً له. فلم يجدوا سبيلاً للقصبة ولا للدخول عليهم، فنزلوا على بعد وعلى حال خزي لا يقدر لهم على شيء. وكان في جملة عسكر الموحدين أحمد بن ملحان الثائر بوادي آش مع من وصل من الثوار المجاورين لغرناطة معيناً برجاله وفرسانه فجرى بينه وبين أبي محمد بن سليمان منازعة فأنف من ذلك وارتد إلى ابن مردنيش والى أذفونش ولحق بعسكرهما ولما عجز أذفونش وابن مردنيش عن نصر النصارى أقلعا وافترقا ولم يجتمعا أبداً ولا ارتفقا ورجع أذفونش خاسراً فعظم عليه الأمر ومات في السنة المؤرخة وخاطب السيد أبو سعيد أباه بذلك فأمر أن يتوجه أبو جعفر الوزير صحبة السيد أبي يعقوب يوسف ابن الخليفة إلى الأندلس، ويسير إلى المرية ، وينزل النصارى من قصبتها على الأمان فكان ذلك)البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٥٥- ٥٦ ؛ وأشار المقري إلى أن ابن مردنيش ندم على مساندته للنصارى، قال: (... ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه في قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى، فارتحل، فقال النصارى : ما رحل ابن مردنيش إلا وقد جاءهم مدد ، فاصطلحوا ، ودخل الموحدون المدينة ، وقد خربت وضعفت...) نفح الطيب، ٤/٤٦٣ ؛ ينظر أيضاً عن فتح الموحدين للمرية : النويري، نهاية الأرب، ٢٤/٣٠٩- ٣١٠ وجعلها سنة ٥٥٢هـ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/١٢٨- ١٢٩، ١٣٤ وجعلها سنة ٥٥٢هـ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٦/٣١٧ وجعل ذلك سنة ٥٥٠هـ .

1) ذكر ابن أبي صاحب الصلاة أن الخليفة عبد المؤمن بن علي أمر ببناء مدينة عند جبل طارق في التاسع من ربيع الأول من سنة ٥٥٥هـ ينزل فيها عند اجتيازه إلى الأندلس، وأن الأمر موجه إلى ابنه أبي سعيد عثمان والي غرناطة، وأنه جاز إلى الأندلس في ذي القعدة من سنة ٥٥٥هـ وبقي في مدينة الفتح التي بُنيت له حتى ربيع الأول من سنة ٥٥٦هـ، تاريخ المن بالإمامة، ص١٢٩- ١٣٦ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٦٩، ٧٠، ٧٣ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٩٩ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص١١٨- ١١٩.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

ذكر أخذ ابن مردنيش غرناطة من عبد المؤمن وعودها إليه

في هذه السنة أرسل أهل غرناطة من بلاد الأندلس ، وهي لعبد المؤمن ، إلى الأمير إبراهيم ابن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه إليهم ليسلموا إليه البلد ؛ وكان قد وحّد ، وصار من أصحاب عبد المؤمن ، وفي طاعته ، وممن يحرضه على قتل ابن مردنيش. ففارق طاعة عبد المؤمن وعاد إلى موافقة ابن مردنيش. فامتنعوا بحصنها[1] ، فبلغ الخبر أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة ، فجمع الجيش الذي كان عنده وتوجه إلى غرناطة لنصرة من فيها من أصحابهم ، فعلم بذلك إبراهيم بن همشك ، فاستنجد ابن مردنيش ، ملك البلاد بشرق الأندلس ، فأرسل إليه ألفي فارس من أنجاد أصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه ، فاجتمعوا بضواحي غرناطة ، فالتقوا هم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول أبي سعيد إليهم ، فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن ، وقدم أبو سعيد ، واقتتلوا أيضاً ، فانهزم كثير من أصحابه ، وثبت معه طائفة من الأعيان والفرسان المشهورين ، والرجالة الأجلاد ، حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ أبو سعيد ولحق بمالقة[2].

---

١) عن سبب مفارقة ابن همشك وغدره ، ذكر ابن أبي صاحب الصلاة وابن عذاري أن ابن همشك عندما طرده الموحدون من قرمونة لجأ إلى جيّان ومنها راسل أنصاره بغرناطة ليمكنوه منها ، وقد انتهز فرصة غياب واليها أبو سعيد بن عبد المؤمن ، فتم له ما أراد بمساعدة اليهود ، ثم راسل ابن مردنيش الذي كان بمرسية يستدعيه ، فأقبل إليها بمن معه من النصارى ، فحصروا من بها من أتباع الموحدين وسيطروا على البلد ، تاريخ المن بالإمامة ، ص١٨٢- ١٨٣ ؛ البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص٧٤- ٧٥ ؛ وذكر ابن الخطيب أنه في (سنة ست وخمسين وخمسمائة ، في جمادى الأولى منها ، قصد إبراهيم بن همشك بجمعه مدينة غرناطة ، وداخل طائفة من ناسها ، وقد تشاغل الموحّدون بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم بالمغرب ، وتوجّه الوالي بغرناطة السيد أبي سعيد إلى العدوة ، فاقتحمها ليلا واعتصم الموحّدون بقصبتها ، فأجاز بهم بأنواع الحرب ، ونصب عليهم المجانيق ، ورمى فيها من ظفر به منهم وقتلهم بأنواع من القتل...)الإحاطة ، ١٥٤/١ ؛ أما ابن خلدون فذكر أن ابن همشك دخل مدينة غرناطة وعلا ليلا بمداخلة من بعض أهلها ، واستولى عليها وانحصر الموحّدون بقصبتها دون أن يشير إلى اليهود ، تاريخ ، ٣١٩/٦

٢) تعرف المعركة التي انهزم فيها الموحدون أمام ابن مردنيش وحلفائه بمعركة مرج الرقاد ، =

وسمع عبد المؤمن الخبر ، وكان قد سار إلى مدينة سلا ، فسيّر إليهم في الحال ابنه أبا يعقوب يوسف في عشرين ألف مقاتل ، فيهم جماعة من شيوخ الموحدين ، فجدوا المسير ، فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه إلى غرناطة ليعين ابن همشك ، فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير ، فنزل ابن مردنيش في الشريعة بظاهرها ، ونزل العسكر الذي كان أمدّ به ابن همشك أولاً وهم ألفا فارس ، بظاهر القلعة الحمراء ، ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء بمن معه ، ووصل عسكر عبد المؤمن إلى جبل قريب من غرناطة ، فأقاموا في سفحه أياماً ثم سيروا سرية أربعة آلاف فارس ، فبيتوا العسكر الذي بظاهر القلعة الحمراء ، وقاتلوهم من جهاتهم ، فما لحقوا يركبون ، فقتلوهم عن آخرهم.

وأقبل عسكر عبد المؤمن بجملته ، فنزلوا بضواحي غرناطة ، فعلم ابن مردنيش وابن همشك أنهم لا طاقة لهم بهم ، ففروا في الليلة الثانية ، ولحقوا ببلادهم ، واستولى الموحدون على غرناطة في باقي السنة المذكورة ، وعاد عبد المؤمن من مدينة سلا إلى مراكش[1].

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

ذكر وفاة عبد المؤمن وولاية ابنه يوسف

في هذه السنة ، في العشرين من جمادى الآخرة[2] ، توفي عبد المؤمن بن علي ، صاحب بلاد المغرب ، وإفريقية ، والأندلس ، وكان قد سار من مراكش إلى سلا ، فمرض بها ومات.

=ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، ص١٨٧- ١٨٨.

١) ينظر التفاصيل: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص١٨١- ١٩٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٧٤- ٧٧ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٥٤/١- ١٤٤ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٣١٩/٦ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٤٢/١- ٣٤٣.

٢) في رواية أخرى: توفي في العاشر من جماد الآخرة من هذه السنة، ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٢٢٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٧٩ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٣٩/٢ ؛ وذهب المراكشي إلى أنه توفي في السابع والعشرين من جماد الآخرة من هذه السنة، المعجب، ص١٧٣.

ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين من أصحابه ، وقال لهم: قد جربت ابني محمداً ، فلم أره يصلح لهذا الأمر ، وإنما يصلح له ابني يوسف ، وهو أولى بها ، فقدموه لها ، ووصاهم بها ، وبايعوه ودعي بأمير المؤمنين[1] ، وكتموا موت عبد المؤمن ، وحُمل من سلا في محفة بصورة أنه مريض إلى أن وصل إلى مراكش.

وكان ابنه أبو حفص في تلك المدة حاجباً لأبيه ، فبقي مع أخيه على مثل حاله مع أبيه يخرج فيقول للناس: أمير المؤمنين أمر بكذا ، ويوسف لم يقعد مقعد أبيه إلى أن كملت المبايعة له في جميع البلاد ، واستقرت قواعد الأمور له ، ثم أظهر موت أبيه عبد المؤمن[2] ، فكانت ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة وشهوراً ، وكان عاقلاً ، حازماً ، سديد الرأي ، حسن السياسة للأمور ، كثير البذل للأموال ، إلا أنه كان كثير السفك لدماء المسلمين على الذنب الصغير[3].

وكان يعظم أمر الدين ويقويه ، ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلاة ، ومن رؤي وقت الصلاة غير مصل قتل ، وجمع الناس على مذهب مالك في الفروع ، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري[4] في الأصول ، وكان الغالب على مجلسه أهل العلم

---

١) أشار المراكشي إلى أن سبب عزل عبد المؤمن ابنه أبا محمد من ولاية العهد وتولية أبا يعقوب يوسف هو لبدور منه (أمور لا تصلح معها الخلافة، من إدمان شرب الخمر، واختلال الرأي، وكثرة الطيش، وجبن النفس. ويقال: إنه مع هذا كان به ضَرْبٌ من الجُذام، فالله أعلم) المعجب، ص١٧٣.

٢) ذكر المراكشي أنه بعد موت عبد المؤمن بن علي ولي ابنه محمد ولكن أمره لم يتم، قال: (لما مات عبد المؤمن، اضطرب أمر محمد هذا واخْتُلف عليه اختلافًا كثيراً؛ فكانت ولايته إلى أن خلع خمسة وأربعين يومًا، واتفقوا على خلعه في شعبان من هذه السنة، وكان الذي سعى في خلعه - مع ما قدمنا من استحقاقه لذلك- أخواه يوسف, وعمر)المعجب، ص١٧٣ ؛وذهب إلى ذلك أيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٣٩/٣ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤٢/١٥ ؛ أما رواية ابن عذاري فقال: أنه (بويع في الليلة التي توفي فيها أبوه بتقديم أخيه أبي حفص شقيقه إليه في ولايته وخلع ابنه محمد الآخر فرضي بخلعه وتسليم الأمر لأخيه) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٨٣ ؛ وقال ابن خلدون: أنه لما توفي (عبد المؤمن أخذ البيعة على الناس السيد أبو حفص لأخيه أبي يعقوب باتفاق من الموحّدين كافة) تاريخ، ٣١٩/٦.

٣) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٣٩/٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣١٨/٢٤- ٣١٩.

٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، مؤسس=

والدين ، المرجع إليهم ، والكلام معهم ولهم[1].

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

ذكر الرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مردنيش

كان محمد بن سعد بن مردنيش ، ملك شرق الأندلس ، قد اتفق هو والفرنج ، وامتنع على عبد المؤمن وابنه بعده ، فاستفحل أمره ، لا سيما بعد وفاة عبد المؤمن ، فلما كان هذه السنة جهز إليه يوسف بن عبد المؤمن العساكر الكثيرة مع أخيه عمر ابن عبد المؤمن ، فجاسوا بلاده وخربوها ، وأخذوا مدينتين من بلاده ، وأخافوا عساكر جنوده ، وأقاموا ببلاده مدة يتنقلون فيها ويجبون الأموال[2].

=مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم، وتوفي ببغداد سنة ٤٢٤هـ، وله العديد من المصنفات منها: إمامة الصدّيق ، والرد على المجسمة ، ومقالات الإسلاميين ، والإبانة عن أصول الديانة ، ورسالة في الإيمان ، وغيرها ، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ٣٤٦/١١ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٨٤/٣- ٢٨٦؛ الزركلي، الأعلام، ٢٦٣/٤.

١) قال ابن أبي زرع: كان (عالماً بالجدل، فقيهاً في علم الأصول، حافظاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، متقن الرواية، مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية، إماماً في النحو واللغة والأدب والقراءات، ذاكراً للتاريخ وأيام الناس، حسن السيرة، نافذ الرأي، ذا حزم وسياسة وشجاعة واقدام في الحرب وفي مهمات الأمور، سري الهمة، ميمون النقيبة، منصوراً مؤيداً، لم يقصد بلداً إلا فتحه، ولا عدواً إلا هزمه، ...) روض القرطاس، ص٢٠٣- ٢٠٤.

٢) بعد وفاة عبد المؤمن بن علي قويت شوكة ابن مردنيش وتمكن بمساعدة النصارى من السيطرة على مناطق واسعة من شرق الأندلس وأخذ يهدد باجتياح قرطبة فاستنفر الموحدون قواتهم والتقوا معه في معركة فحص الجلاب سنة ٥٦٠هـ التي هُزم فيها ومزقت قواته وارتد إلى مرسية فكانت هذه الهزيمة بداية انحلال سلطانه، ومما زاد في ذلك انشقاق حليفه القوي وصهره إبراهيم بن همشك بسبب طلاق ابن مردنيش زوجته بنت إبراهيم بن همشك الذي راسل الموحدين وانضم إلى صفوفهم ضد حليفه الأول ابن مردنيش وكان ذلك سنة ٥٦٤هـ، فأخذ الأخير يشن الغارات على مناطق نفوذ ابن همشك الذي استصرخ بدوره حلفاؤه الجدد الموحدين، ثم ذهب بنفسه إلى مراكش وقابل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وحثه على تقديم العون له ضد ابن مردنيش، عندها وجه عبد المؤمن أخواه أبا حفص عمر وأبا سعيد عثمان وعدد من أشياخ الموحدين وانضم إليهم حليفهم إبراهيم بن همشك الذي كان يدلهم على الطرق والمسالك التي يتواجد فيها أنصار ابن مردنيش، فقد توجهوا=

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

ذكر وفاة ابن مردنيش وملك يعقوب بن عبد المؤمن بلاده

في هذه السنة توفي الأمير محمد بن سعد بن مردنيش[1] ، صاحب البلاد بشرق الأندلس ، وهي: مرسية وبلنسية وغيرهما ، ووصى أولاده أن يقصدوا بعد موته الأمير

=نحو قرطبة ومنها إلى مدينة قيطاجة الواقعة شرقي جيّان ثم دخلوا لورقة بعد حصار شديد أدى إلى استسلام حاميها ثم اتجهت القوات الموحدية إلى المعقل الرئيس لابن مردنيش وهو مدينة مرسية ، وعلى الرغم من عدم تمكن الجيش الموحدي من دخولها بسبب مقاومة ابن مردنيش إلا أنهم أخضعوا العديد من المدن والحصون القريبة منها ، وأصبح مسألة دخولهم مرسية مجرد وقت، ينظر:عن تطورات الأحداث هذه: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٢٧٥- ٢٨٠، ٤١٣- ٤١٥، ٤٢٣- ٤٣٢ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٨٣- ١٨٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٣٦- ٢٣٧ ؛ الإحاطة، ١/١٥٥، ٢/٧٣ ابن خلدون، تاريخ، ٦/٣١٨- ٣١٩، ٣٢١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٨- ٥١.

١) اختلفت الروايات حول وفاة محمد بن سعد بن مردنيش، فابن أبي صاحب الصلاة أشار إلى أنه لما طال الحصار على ابن مردنيش في مرسية دخل معظم أصحابه في طاعة الموحدين منهم أخوه أبو الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش، اعتل واختل ذهنه وحضرت منيته، فتوفي في العاشر من رجب سنة ٥٦٧هـ، تاريخ المن بالإمامة، ص٥- ٥- ٥٠٦ ؛ وذكر المراكشي إلى أن ابن مردنيش عندما حاصرته القوات الموحدية في مرسية مات فيها حتف أنفه أثناء الحصار، المعجب، ص١٨٤ ؛ وذهب إلى هذه الرواية أيضاً ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٢٢ ؛ وابن خلدون، تاريخ، ٦/٣٢٢ ؛ أما ابن خلكان فقال: إنه لما خرج الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف إلى الأندلس سنة ٥٦٦هـ ومعه مائة ألف من العرب والموحدين (فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الأندلس: مرسية وما انضاف إليها ، وحمل على قلبه فمرض مرضاً شديداً ومات، وقيل إن أمّه سقته السم، لأنه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته، فنصحته وأغلظت عليه في القول فتهددها وخافت بطشه، فعملت عليه فقتلته بالسم. وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة)وفيات الأعيان، ٧/١٣١ ؛ وذكر ابن الخطيب (... أن الأمير محمد بن سعد لما يئس من نفسه، وعلم بتصيير ملكه إلى الموحدين، أشهد على نفسه بإيصاء يوسف بن عبد المؤمن على ولده وأهله ورغب منه في قبول ذلك، وجلب إليه ولده بعد موته، فرق لهذا القصد الأمير أبو يعقوب واهتز لرعي هذه الوسيلة، فتزوج ابنة أبي عبد الله بن سعد وخلط أهله بنفسه وأورثهم ذلك ملك البلاد الشرقية زمناً غير يسير، وكان أعرس ببنت ابن سعد ليلة السبت الخامس لربيع الأول من سنة سبعين وخمسمائة وولع بها وتغلبت عليه حتى كان الناس يضربون المثل بحب الخليفة بالزرقاء المردنيشية، واتفق لقومها من البخت بسببها ما لم يتفق لثائر...) أعمال الأعلام، ٢/٢٤٠- ٢٤١.

أبا يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ، صاحب المغرب والأندلس ، وتسلموا البلاد وتدخلوا في طاعته ، فلما مات قصدوا يعقوب ، وكان قد اجتاز إلى الأندلس في مائة ألف مقاتل قبل موت ابن مردنيش ، فحين رآهم (أبو) يوسف فرح بهم ، وسره قدومهم عليه ، وتسلم بلادهم وتزوج أختهم(1) ، وأكرمهم ، وعظم أمرهم ، ووصلهم بالأموال الجزيلة ، وأقاموا معه(2).

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس(3)

في هذه السنة جمع أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عساكره وسار من إشبيلية

---

1) وهي صفية بنت محمد بن سعد بن مردنيش تزوجت يعقوب بن يوسف الموحدي، قال ابن أبي زرع: كان زواجه منها سنة ٥٧٠هـ وصنع لها مهرجاناً يقصر اللسان عن وصفه، فولدت له ابنه المأمون ، روض القرطاس، ص ٢١٢ ، ٢٤٩؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٣٥.

2) رواية المراكشي كانت أكثر تفصيلاً، قال: لما مات ابن مردنيش (سُترت وفاته إلى أن ورد أخوه يوسف بن سعد، الملقب بالرئيس، من بلنسية؛ وكان والياً عليها من جهة أخيه محمد؛ فاجتمع رأيه ورأي أكابر ولد محمد بن سعد - بعد أن أتهَمُوا وأنجدوا وأخذوا في كل وجه من وجوه الحيل على أن يلقوا أيديهم في يد أمير المؤمنين أبي يعقوب، ويسلموا إليه البلاد، ففعلوا ذلك. وقيل: إن أبا عبد الله محمد بن سعد حين حضرته الوفاة، جمع بنيه - وكان له من الولد على علمي ثمانية ذكور، وهم: هلال - يكنى: أبا القمر، وهو أكبر ولده وإليه أوصى- وغانم، والزبير، وعزيز، ونصير، وبدر، وأرقم، وعسكر، وأصاغر لا علم لي بأسمائهم، وبنات تزوج إحداهن أمير المؤمنين أبو يعقوب، وتزوج الأخرى أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب بن يوسف- فكان فيما أوصاهم به أن قال: يا بَنِيَّ، إني أرى أمر هؤلاء القوم قد انتشر، وأتباعهم قد كثروا، ودخلت البلاد في طاعتهم؛ وإني أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم ؛ فسلموا إليهم الأمر اختيارًا منكم، تحظوا بذلك عندهم، قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم؛ وقد سمعتم ما فعلوا بالبلاد التي دخولها عنوة! ففعلوا ما أمرهم به؛ فالله أعلم أي الأمرين كان)المعجب، ص١٨٤ ؛ وقال ابن خلكان: (ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده، وقيل إخوته، إلى الأمير يوسف بن عبد المؤمن وهو بإشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم وقيل لأخيهم، فأحسن إليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم، وأصبحوا عنده في أعز مكان)وفيات الأعيان، ١٣١/٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٥٠٦- ٥٠٩.

3) أشارت المصادر الأندلسية إلى أن غزوة وبذه الأولى أيام يعقوب الموحدي كانت سنة ٥٦٧هـ، ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٥٢٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٢٣.

إلى الغزو ، فقصد بلاد الفرنج ، ونزل على مدينة وبذة [1] ، وهي بالقرب من طليطلة شرقاً منها ، وحصرها ، واجتمعت الفرنج على ابن الأذفونش ملك طليطلة في جمع كثير ، فلم يقدروا على لقاء المسلمين.

فاتفق أن الغلاء اشتد على المسلمين ، وعدمت الأقوات عندهم ، وهم في جمع كثير ، فاضطروا إلى مفارقة بلاد الفرنج ، فعادوا إلى إشبيلية[2].

وأقام أبو يعقوب بها إلى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وهو في ذلك يجهز العساكر ويسيرها إلى غزو بلاد الفرنج في كل وقت ،فكان فيها عدة وقائع وغزوات ظهر فيها من العرب من الشجاعة مالا يوصف ، وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج ، فلا يبرز إليه أحد[3] ، ثم عاد أبو يعقوب إلى مراكش.

---

١) وبذة قال الحميري: (مدينة بالأندلس، وهي حصن على واد بقرب أقليش، وعلى وادي وبذة قرية يقال لها بنتيج أهلها نصارى ينعقد ماؤها في الإناء فيصير حجراً أصفر، وكذلك أين ما جرى، وينعقد على أسنان أهلها، وتشملهم علة الحصى)صفة، ص١٩٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ)ص٣٦، المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ) ص٣٦٢، و(تحقيق الحجي فترة الحكم المستنصر)ص١٥٠ وقال: إنه حصن من عمل شنت بريّة كان فيه بنو موسى بن ذي النون ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٦٩/٢؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة ، ٣١/٥.

٢) ينظر عن هذه الغزوة: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٥٢٣- ٥٥٢ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٨٤- ١٨٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٢٣- ١٢٤ ؛ ووصف عنان فشل حملة يعقوب الموحدي على وبذة بقوله: (كشفت غزوة وبذة، عما كان يسود الجيوش الموحدية من التفكك، وانعدام التناسق بين مختلف العناصر التي تتكون منها. وقد كان العرب الذين يرافقون الجيش الموحدي يحملون أكبر قسط من تبعة هذا التفكك، فقد رأيناهم يضنون بتعاونهم، ويحجمون عن القتال في الساعات الحرجة، وكان هذا الإحجام من جانب العرب يشل حركة الجيش الموحدي، وينال من مقدرته وقواه المعنوية. أضف إلى ذلك ما كشفته هذه الحملة من سوء تنظيم تموين الجيش الموحدي، وما ترتب على ذلك من ندرة الأقوات والعلوفات، وما كان يصيب الجند من جراء ذلك من الضيق والحرمان وانهيار القوي المعنوية) دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٨٥.

٣) رواية ابن الأثير هنا فيها الكثير من الضبابية وغير دقيقة، فقد أشارت المصادر إلى أنه في أعقاب غزوة وبذة حدثت عدة مواجهات بين الموحدين والنصارى أحرز فيها الموحدون النصر منها: أنه في سنة ٥٦٨هـ هاجمت قوات قشتالة بقيادة القومس الأحدب (كما يسميه ابن عذاري، وأسماه ابن أبي زرع سانشو خيمينو المعروف بأبي بردعة)مناطق واسعة من بلاد المسلمين شرقاً وغرباً وجاز نهر الوادي الكبير ووصل إلى أستجة وكان يريد إشبيلية التي يقيم فيها الخليفة الموحدي يعقوب، فأرسل إليه=

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب

في هذه السنة سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى بلاد الأندلس ، وجاز البحر إليها في جمع عظيم من عساكر المغرب ، فإنه جمع وحشد الفارس والراجل ؛ فلما عبر الخليج قصد غربي البلاد ، فحصر مدينة شنترين ، وهي للفرنج ، شهراً ، فأصابه بها مرض فمات منه في ربيع الأول ، وحمل في تابوت إلى مدينة إشبيلية من الأندلس[1].

=أخويه أبي زكريا وأبي سعيد فتمكنا من هزيمته وقتله وأسر أعداداً كبيرة منهم وغنيمة أمولهم، ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٥٥٧- ٥٦٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ١٢٤- ١٢٦ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١٢ ؛ كما أرسل الموحدون حملة أخرى إلى مدينة بطليوس قوامها أربعة آلاف من الأندلسيين والعرب والموحدين فوصلت إلى أحواز مدينة طلبيرة غربي طليطلة وعادت محملة بالغنائم، وقد أجبرت تلك الانتصارات ملك قشتالة الفونسو الثامن وملك البرتغال إلى مهادنة الخليفة الموحدي فوافق على ذلك، ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٥٦٥- ٥٦٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٨٩- ٩٠.

١) رواية ابن الأثير هذه تخالف رواية مؤرخي المغرب والأندلس حول وفاة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف: ذلك أن الخليفة عزم على الجهاد في الأندلس وحشد لذلك جيشاً كبيراً من قبائل العرب والبربر والموحدين ينيف عدده على المائة ألف، توجه به إلى مدينة شنترين البرتغالية التي كان ملكها الفونسو هنريكيز يشن الغارات منها على مناطق غرب الأندلس وأحواز إشبيلية، وفي ربيع الأول من سنة ٥٨٠هـ حاصر الجيش الموحدي مدينة شنترين وأخذ بالتقدم نحو أرباضها ويقتلع حصونها، وكانت القوات البرتغالية النصرانية ترتد أمامه، وفي ذلك الأثناء حدثت مفاجئة مذهلة، إذ أنه أمر ابنه أبا إسحاق أن يقوم بمهاجمة مدينة لشبونة بمن معه من أهالي الأندلس وأن يكون ذلك نهاراً، فأساء فهم أمره وظن أنه يأمره بالرحيل، فنادى على الجيش بالرحيل ليلاً، وعند الصباح وجد أبو يعقوب أن أغلب الجيش قد رحل عنه، فانتهز البرتغاليون الفرصة وهجموا عليه وتمكنوا من جرحه إلا أنه تمكن من الانسحاب بعدما فقد العديد من أتباعه ثم لم يلبث أن توفي متأثراً بجراحه، وصور المراكشي نهاية الخليفة بقوله: (وبات الناس يعبرون الليل كله وأمير المؤمنين لا علم له ذلك؛ فلما رأى الروم عبور العساكر وبلغهم من جهة عيونهم الذين بالعسكر ما عزم عليه أبو يعقوب والمسلمون من الرحيل، ورأوا انفضاض الأجناد وافتراق أكثر الجموع، خرجوا منتهزين للفرصة التي أمكنتهم، في خيل كثيفة؛ فحملوا على من يليهم من الناس، فانهزموا أمامهم، حتى بلغوا الخباء الذي فيه أمير المؤمنين أبو يعقوب؛ فقتل على باب الخباء من أعيان الجند خلق كثير، أكثرهم من أعيان الأندلس؛ وخلص إلى أبي يعقوب فطعن تحت سرته طعنة, مات منها بعد أيام يسيرة)المعجب، ص١٨٩- ١٩٠ ؛ وقال ابن عذاري عن ذلك المشهد: (... ولما عرف الخليفة بدنو الروم من ساقته=

وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة وشهراً ، ومات عن غير وصية بالملك لأحد من أولاده[1] ، فاتفق رأي قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تمليك ولده أبي يوسف

=وباجترائهم على الافتراس بأكناف ساحته، أمر بضرب الطبول وإشراع الألوية، فأقبلوا لأصوات الطبول مهطعين، ودفع من كان بجناحي الساقة على من وجدوا من الروم منبسطين... وأمر بتفريق الجموع ورجوع كل واحد منهم إلى قبيلته... ثم أمر بالرحيل وخرج على مطيته مضطجعاً على فراشه وتمادى القفول وضعفه يتزايد والأطباء حاضرون ابن زهر وابن مقبل وابن قاسم ملازمون له حتى جازوا وادي تاجة وضعف على الجلوس على الدابة فصنع له سرير ورواق عليه يحجبه من الهواء... فذكر أنه تفقد بعد أميال فوجد قد توفي... وقيل أن السبب في وفاته كان من سهم أصابه وهو في خباءه)البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٦٤- ١٦٥ ؛ وأشار ابن أبي زرع بتفصيل أكثر قال: (...فارتحلوا وأمير المؤمنين مقيم بمكانه لا علم له بذلك، فلما أصبح وصلى الصبح وأضاء النهار ولم يجد حوله أحداً من أهل محلته إلا اليسير من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله، وقواد الأندلس لأنهم كانوا يمشون أمام ساقته وحلف محلته من أجل من يتخلف منهم من الضعفاء، فلما أطلعت الشمس وتطلع النصارى المحصورون من سور المدينة على المحلة وقد أقلعت وارتحلت ولم يبق حول المدينة غير أمير المؤمنين وعبده وحشمه وأهل دائرته وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتحوا أبواب المدينة وخرج جميع من فيها خرجة منكرة وهم ينادون الراي الراي أي اقصدوا السلطان، فضربوا في محلة العبيد إلى أن وصلوا أخبية أمير المؤمنين فمزقوها واقتحموا عليه فيها، فقاتلهم بسيفه حتى قتل من رجاله ستة رجال، وطعنوه طعنات نافذات، وقتل ثلاث من جواريه كنّ قد انصببن عليه حتى طعن ووقع بالأرض، فتصايح الناس والفرسان والعبيد والأجناد والموحدون وقواد الأندلس وتراجع المسلمون، فقاتلوهم عليه حتى أقلعوهم عن الخباء بالسيف...)روض القرطاس، ص٢١٤- ٢١٥ ؛ أما ابن خلدون فإنه ذكر الروايتين بقوله: (ثم أقلع عنها واستمرّ الناس يوم إقلاعه، وخرج النصارى من الحصن فوجدوا الخليفة في غير أهبة ولا استعداد، فأبلى في الجهاد هو ومن حضره، وانصرفوا بعد جولة شديدة. وهلك في ذلك اليوم الخليفة، يُقال من سهم أصابه في حومة القتال، وقيل من مرض طرقه عفا الله عنه) تاريخ، ٣٢٥/٦ ؛ ينظر التفاصيل عن غزوة شنترين: المراكشي، المعجب، ص١٨٨- ١٩١ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٥/٧- ١٣٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٥٩- ١٦٤ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١٣- ٢١٥ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٨/٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٧٩/٤.

١) على عكس ما ذهب إليه ابن الأثير، فقد ذكر المراكشي أن ابنه بويع له في حياة أبيه وبأمره، المعجب، ص١٩٢ ؛ وقال ابن خلكان: وكان قد استخلف ولده أبا يوسف يعقوب بن يوسف، وفيات الأعيان، ١٣٢/٧ ؛ وذكر ابن أبي زرع أنه بويع له في اليوم التالي من وفاة والده في التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ بيعة خاصة، وتأخرت البيعة العامة بسبب كتم وفاة والده إلى الثاني من جماد الأولى من سنة ٥٨٠هـ، روض القرطاس، ص٢١٦- ٢١٧.

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن[1] فملكوه من الوقت الذي مات فيه أبوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدو؛ فقام في ذلك أحسن قيام ، وأقام راية الجهاد ، وأحسن السيرة في الناس. وكان ديناً مقيماً للحدود في الخاص والعام ، فاستقامت له الدولة وانقادت إليه بأسرها مع سعة أقطارها ، ورتب ثغور الأندلس وشحنها بالرجال ، ورتب المقاتلة في سائر بلادها ، وأصلح أحوالها وعاد إلى مراكش.

وكان أبوه يوسف حسن السيرة ، وكان طريقه ألين من طريق أبيه مع الناس ، يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم ، وهم أهل خدمته وخاصته . وأحبه الناس ومالوا إليه ، وأطاعه من البلاد ما امتنع على أبيه ، وسلك في جباية الأموال ما كان أبوه يأخذه ، ولم يتعده إلى غيره ، واستقامت له البلاد بحسن فعله مع أهلها ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي ، رحمه الله تعالى[2].

ذكر ملك الملثمين بجاية
وعودها إلى أولاد عبد المؤمن

في هذه السنة في شعبان ، خرج علي بن إسحاق المعروف بابن غانية وهو من أعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب ، وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة ، إلى بجاية فملكها ، وسبب ذلك أنه لما سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمّر أسطوله فكان

---

١) هو يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي حكم الدولة الموحدية للمدة من سنة ٥٨٠هـ حتى وفاته سنة ٥٩٥هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٧- ١٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٧٠- ١٧١ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١٦- ٢١٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٣٩/٢ ؛ الحلل الموشية، ص١٢١- ١٢٢ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٥/٢٩- ١١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٥١/١٢ - ١١٦٠.

٢) قال ابن الخطيب في صفته: (كان فاضلاً كاملاً عدلاً ورعاً جزلاً، حافظاً للقرآن بشرحه، عالماً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، خطئه وصحيحه، آية الموحّدين في الإعطاء والمواساة ، راغباً في العمارة، مثابراً على الجهاد ، مشيعاً للعدل. أصلح العدوة وأمّنها ، وأنس شاردها ، وحصّن جزيرة الأندلس ببعوثه لها ، فقمعوا عاصيها ، وافترعوا بالفتح أقاصيها ، وأحسن لأجنادها ، وأمدّهم من الخيل بالمبين من أعدادها ،)الإحاطة ، ٢٠٧/٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٣٤/٧ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٠٥- ٢٠٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٦٤- ١٦٥.

عشرين قطعة وسار في جموعه فأرسى في ساحل بجاية ، وخرجت خيله ورجاله من الشواني فكانوا نحو مائتي فارس من الملثمين وأربعة آلاف راجل ، فدخل مدينة بجاية بغير قتال لأنه اتفق أن واليها سار عنها قبل ذلك بأيام إلى مراكش ولم يترك فيها جيشاً ولا ممانعاً لعدم عدو يحفظها منه ، فجاء الملثم ولم يكن في حسابهم أنه يحدث نفسه بذلك ، فأرسى بها ووافقه جماعة من بقايا الدولة بين حماد وصاروا معه فكثر جمعه بهم وقويت نفسه ، فسمع خبره والي بجاية فعاد من طريقه ومعه من الموحدين ثلثمائة فارس ، فجمع من العرب والقبائل الذين في تلك الجهات نحو ألف فارس ، فسمع بهم الملثم وبقربهم منه ، فخرج إليهم وقد صار معه قدر ألف فارس ، وتواقفوا ساعة فانضاف جميع الجموع التي كانت مع والي بجاية إلى الملثم ، فانهزم حينئذ والي بجاية ومن معه من الموحدين وساروا إلى مراكش ، وعاد الملثم إلى بجاية فجمع جيشه وخرج إلى أعمال بجاية فأطاعه جميعهم إلا قسنطينة الهوى[1] فحصرها إلى أن جاء جيش من الموحدين من مراكش في صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة في البر والبحر وكان بها يحيى وعبد الله أخوا علي بن إسحق الملثم ، فخرجا منها هاربين ولحقا بأخيهما فرحل عن قسنطينة وسار إلى إفريقية.

وكان سبب إرسال الجيش من مراكش أن والي بجاية وصل إلى يعقوب بن يوسف صاحب المغرب وعرفه ما جرى ببجاية واستيلاء الملثمين عليها وخوفه عاقبة التواني فجهز العساكر في البر عشرين ألف فارس وجهز الأسطول في البحر في خلق كثير واستعادوها[2].

---

١) قسنطينة وصفها الإدريسي قال: بجاية (ومنها في الشرق إلى مدينة قسنطينة الهواء ثمانية عشر ميلاً ويصل بينهما جبل والطريق به ومدينة القسنطينة عامرة وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب وتشارك في الحرث والادخار والحنطة تقيم بها في مطامرها مائة سنة لا تفسد والعسل بها كثير وكذلك السمن يتجهز به منها إلى سائر البلاد ومدينة القسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الاستدارة لا يتوصل إليه من مكان إلا من جهة باب في غربيها ليس بكثير السعة) نزهة المشتاق، ٢٦٥/١ ؛ ينظر أيضاً :مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار، ص١٦٥ـ١٦٦.

٢) ذكر المراكشي بداية بني غانية وسبب دخولهم بجاية بقوله: (... أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وجه إلى الأندلس برجلين - اسم أحدهما يحيى، والآخر محمد - ابني علي، من قبيلة=

=مسوفة، يعرفان بـ ابني غانية، وهي أمهما. فأما يحيى منهما، وهو الأكبر، فكان حسنة من حسنات الدهر، اجتمع له من المناقب ما افترق في كثير من الناس؛ فمنها أنه كان رجلاً صالحًا شديد الخوف لله - عز وجل- والتعظيم له والاحترام للصالحين؛ هذا مع علو قدم في الفقه واتساع رواية للحديث. وكان مع هذا شجاعًا فارسًا، إذا ركب عد وحده بخمسمائة فارس. وكان علي بن يوسف يعده للعظائم ويستدفع به المهمات، وأصلح الله على يديه كثيرًا من جزيرة الأندلس، ودفع به عن المسلمين غير مرة مكاره قد كانت نزلت بهم. كان أمير المسلمين ولاه مدينة بلنسية، ثم عزله عنها وولاه قرطبة؛ فلم يزل بها واليًا إلى أن مات... وكان أخوه محمد واليًا من قبله على بعض أعمال قرطبة، فلما مات اضطرب أمر محمد هذا، وبقي يجول في بلاد الأندلس والفتنة تتزيَّد، ودعوة المصامدة تنتشر. فلما اشتد خوف محمد هذا أتى مدينة دانية فعبر منها إلى جزيرة ميورقة في حشمه وأهل بيته، فملكها والجزيرتين اللتين حولها: مُنُرقة، ويابسة. ويقال: إن أمير المسلمين علي بن يوسف نفاه إليها على طريق السجن بها، ... فاستقل محمد بمملكة هذه الجزر، وضبطها لنفسه، وأقام فيها جاريًا على أمر لمتونة الأول: يدعو لبني العباس. وكان له من الولد: عبد الله، وإسحاق، والزبير، وطلحة؛ وبنات. فعهد في حياته إلى أكبر ولده، عبد الله؛ فنفس ذلك عليه أخوه إسحاق، ودخل عليه في جماعة من الجند وعبيد له فقتله - قيل: في حياة أبيه، وقيل: بعد وفاته- وتوفي عبد الله المذكور... بالملك بجزيرة ميورقة من فَلِّ لمتونة وبقاياهم؛ فكان يحسن إليهم ويصلهم حسب طاقته.وأقبل على الغزو، وصرف عنايته إليه؛ فلم يكن له هم غيره؛ فكان له في كل سنة سفرتان إلى بلاد الروم، يغنم ويسبي وينكي في العدو أشد نكاية، إلى أن امتلأت أيدي أصحابه أموالاً؛ فقوي بذلك أمره، وتشبه بالملوك. ولم يزل هذه حاله إلى أن توفي في سنة ٧٩، وفي أولها وفي آخر أيام أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن.وكان يراسل الموحدين ويهاديهم ويهادنهم ويختصهم من كل ما يسبي ويغنم بنفيسه وجيده؛ يشغلهم بذلك عنه، مع احتقارهم لأمر تلك الجزيرة، وقلة التفاتهم إليها. فلما كان في شهور سنة ٥٧٨ والوا إليه الكتب يدعونه إلى الدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المنابر، ويتوعدونه على ترك ذلك؛ فوعدهم ذلك واستشار وجوه أصحابه، فاختلفوا عليه؛ فمن مشير عليه بالامتناع بمكانه، وحاض له على الدخول فيما دعوه إليه؛ فلما رأى اختلافهم أرجأ الأمر إلى أن ينظر... وخرج إلى بلاد الروم غازيًا، فاستشهد - رحمه الله- هناك... قام بالأمر من بعده ابنه علي بعهد أبيه إليه، وخرج بأسطول ميورقة إلى العدوة، وقصد مدينة بجاية حين راسله جماعة من أعيانها - على ما يقال- يدعونه إلى أن يملكوه، ولولا ذلك لم يجسر على الخروج. ومما جرأه أيضًا كون الموحدين بالأندلس، وسماعه خبر موت أبي يعقوب واشتغالهم ببيعة أبي يوسف، وظن أن الأمر سيضطرب وأن الخلاف سينشأ، فكان هذا أيضًا مما أعانه على الخروج. ولولا هذه الأسباب التي ذكرنا لم يجسر على الخروج... فقصد ساحل بجاية فنزل به، فقاتله أهلها قتالًا غير كثير، ثم دخلها؛ وكان دخوله إياها ـ كما ذكرنا. يوم الاثنين لست خلون من شعبان من السنة المذكورة) المعجب، ص١٩٥- ١٩٨ ؛ ينظر أيضاً عن مهاجمة ابن غانية لبجاية: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٧٥- ١٧٩ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٢٨/٢٤- ٣٢٩ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٥٢/٦- ٢٥٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص١٤٨- ١٥٤.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

ذكر ملك الملثمين والعرب إفريقية وعودها إلى الموحدين

قد ذكرنا سنة ثمانين ملك علي بن إسحق الملثم بجاية ، وإرسال يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن ، صاحب المغرب ، العساكر واستعادتها ، فسار علي إلى إفريقية ، فلما وصل إليها اجتمع سليم[1] ورياح[2] ومن هناك من العرب ، وانضاف إليهم الترك الذين كانوا قد دخلوا من مصر مع قراقوش[3] ، وقد تقدم ذكر وصوله إليها ، ودخل أيضاً من أتراك مصر مملوك لتقي الدين ابن أخي صلاح الدين ، اسمه بوزابة ، فكثر جمعهم ، وقويت شوكتهم ، فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغاً كثيراً ، وكلهم كاره لدولة الموحدين ، واتبعوا جميعهم علي بن إسحاق الملثم ، لأنه من بيت المملكة والرياسة القديمة ، وانقادوا إليه ، ولقبوه بأمير المسلمين ، وقصدوا بلاد إفريقية فملكوها جميعها شرقاً وغرباً إلا مدينتي تونس والمهدية ، فإن الموحدين أقاموا بهما ، وحفظوهما على خوف وضيق شدة ، وانضاف إلى المفسد الملثم كل مفسد في تلك الأرض ، ومن يريد الفتنة والنهب والفساد والشر ، فخربوا البلاد والحصون والقرى ، وهتكوا الحرم ، وقطعوا الأشجار.

وكان الوالي على إفريقية حينئذ عبد الواحد بن عبد الله الهنتاتي[4] وهو بمدينة تونس ، فأرسل إلى ملك المغرب يعقوب وهو بمراكش يعلمه الحال ، وقصد الملثم جزيرة باشرا ، وهي بقرب تونس ، تشتمل على قرى كثيرة ، فنازلها وأحاط بها ، فطلب أهلها منه الأمان ، فأمنهم ، فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من

---

١) وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس ومساكنهم ببرقة مما يلي المغرب ومما يلي مصر، القلقشندي، نهاية الأرب، ص٢٩٥.

٢) بنو رياح بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة ومساكنهم بنواحي قسنطينة والمسيلة والزاب، القلقشندي، نهاية الأرب، ص٢٦٧.

٣) هو شرف الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين الأيوبي خرج من مصر إلى المغرب ومعه ثلة من الجند الأتراك لما رأى اختلاف صلاح الدين مع نور الدين، فخرج إلى طرابلس سنة ٥٦٨هـ وانضم إليه مجموعة من العرب هناك ثم زحف إلى إفريقية وملك مناطق واسعة منها إلى أن اصطدم بالموحدين الذين هزموه في آخر الأمر، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٣/٩ ؛ المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ٢١٢/١.

٤) هو أبو محمد عبد الواحد بن عبد الله المعروف بوامجور قال ابن الأبار: كان شهماً صارماً سفاكاً للدماء نكب بعد محاصرة قفصة من قبل ابن غانية سنة ٥٨٣هـ ومات مسخوطاً عليه في طريقه من بجاية إلى المغرب، الحلة السيراء، ٢٧٦/٢.

الأموال والدواب والغلات ، وسلبوا الناس حتى أخذوا ثيابهم ، وامتدت الأيدي إلى النساء والصبيان ، وتركوهم هلكى ، فقصدوا مدينة تونس ، فأما الأقوياء فكانوا يخدمون ويعملون ما يقوم بقوتهم ، وأما الضعفاء فكانوا يستعطون ويسألون الناس ؛ ودخل عليهم فصل الشتاء ، فأهلكهم البرد ووقع فيهم الوباء ، فأحصي الموتى منهم فكانوا اثنتي عشر ألفاً ، هذا من موضع واحد ، فما الظن بالباقي؟.

ولما استولى الملثم على إفريقية قطع خطبة أولاد عبد المؤمن وخطب للإمام الناصر لدين الله الخليفة العباسي[1] ، وأرسل إليه يطلب الخلع والأعلام السود. وقصد في سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فحصرها ، فأخرج أهلها الموحدين من عساكر ولد عبد المؤمن وسلموها إلى الملثم ، فرتب فيها جنداً من الملثمين والأتراك ، وحصنها بالرجال مع حصانتها في البناء.

وأما يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فإنه لما وصله الخبر اختار من عساكره عشرين ألف فارس من الموحدين ، وقصد قلة العسكر لقلة القوت في البلاد ، ولما جرى فيها من التخريب والأذى ، وسار في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فوصل إلى مدينة تونس ، وأرسل ستة آلاف فارس مع ابن أخيه ، فساروا إلى علي ابن إسحق الملثم ليقاتلوه ، وكان بقفصة ، فوافوه ، وكان مع الموحدين جماعة من الترك ، فخامروا عليهم ، فانهزم الموحدون ، وقتل جماعة من مقدميهم ، وكان ذلك في ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين.

فلما بلغ يعقوب الخبر أقام بمدينة تونس إلى نصف رجب من السنة ، ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثم والأتراك ، فوصل إليهم ، فالتقوا بالقرب من مدينة قابس ، واقتتلوا ، فانهزم الملثم ومن معه ، فأكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفنونهم ، فلم ينج منهم إلا القليل فقصدوا البر ، ورجع يعقوب من يومه إلى قابس[2] ففتحها وأخذ منها أهل قراقوش وأولاده وحملهم إلى مراكش ، وتوجه إلى مدينة

---

[1] هو أبو العباس أحمد بن المستضيء بالله تولى الخلافة العباسية سنة ٥٧٥هـ وتوفي سنة ٦٢٢هـ، ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٣٠- ٥٤٠.

[2] قابس وهي مدينة إلى الغرب من طرابلس بينهما أربعة مراحل وبينها وبين القيروان خمسة مراحل وهي على البحر المالح، اليعقوبي، البلدان، ص١٨٥.

قفصة[1] فحصرها ثلاثة أشهر ، وقطع أشجارها ، وخرب ما حولها ، فأرسل إليه الترك الذين فيها يطلبون الأمان لأنفسهم ولأهل البلد ، فأجابهم إلى ذلك ، وخرج الأتراك منها سالمين ، وسيّر الأتراك إلى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم في العدو ، وتسلم يعقوب البلد وقتل من فيه من الملثمين ، وهدم أسواره ، وترك المدينة مثل قرية ، وظهر ما أنذر به المهدي بن تومرت ، فإنه قال إنها تخرب أسوارها وتقطع أشجارها ، وقد تقدم ذلك[2] ؛ فلما فرغ يعقوب من أمر قفصة واستقامت إفريقية عاد إلى مراكش ، وكان وصوله إليها سنة أربع وثمانين وخمسمائة[3].

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة شلب[4] وعودها إلى المسلمين

في هذه السنة[5] ملك ابن الرنك[6] ، وهو من ملوك الفرنج ، غرب بلاد

١) قفصة إحدى مدن إفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، البكري، المسالك والممالك، ٧٠٧/٢.
٢) ينظر حوادث سنة ٥٥٤هـ في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير.
٣) ينظر التفاصيل أيضاً: الملك المنصور، مضمار الحقائق، ص٦٨ - ٧٢ ؛ المراكشي، المغرب، ص١٩٩- ٢٠٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٨٥- ١٨٧ ؛ ١٨٨- ١٩٧ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦١/٤٠- ٦٣ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٢٥٥/٦- ٢٥٧.
٤) شلب، وصفها الحميري بالقول: (من بلاد الأندلس، وهي قاعدة كورة اكشونبة، وهي بقبلي مدينة باجة، ولها بسائط فسيحة وبطائح عريضة، ولها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه، وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب يتضوع منه روائح العود عليها سور حصين، ولها جنات وغلات، وشرب أهلها من واديها الجاري إليها من جهة جنوبها وعليه أرحاء البلد، والبحر منها في الغرب على ثلاثة أميال ولها مرسى في الوادي وبها الإنشاء، والعود بجبالها كثير يحمل منها إلى كل الجهات.والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة بديعة البناء مرتبة الأسواق وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر، وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم، وأهل بوادي هذه البلدة في غاية من الكرم لا يجاريهم فيه أحد، ومن شلب إلى بطليوس ثلاثة مراحل.)صفة، ١٠٦- ١٠٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٣٨١/١ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص١٠٠- ١٠٢ ؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٢٢ وأسماها شليب قال وأهلها موصوفون بالأدب وبهم يضرب المثل.
٥) جعل ابن عذاري هجوم ابن الرنك على شلب سنة ٥٨٥هـ، وأن المنصور الموحدي خرج لاستردادها سنة ٥٨٦هـ ، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٠١، ٢٠٣.
٦) وهو الفونسو هنريكيز الذي تسميه المصادر الإسلامية ابن الرنك أحد ملوك مملكة البرتغال=

الأندلس ، مدينة شلب وهي من كبار مدن المسلمين بالأندلس ، واستولى عليها[1] ، فوصل الخبر بذلك إلى الأمير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، صاحب الغرب والأندلس ، فتجهز في العساكر الكثيرة وسار إلى الأندلس ، وعبر المجاز ، وسيّر طائفة كثيرة من عسكره في البحر ، ونازلها وحصرها ، وقاتل من بها قتالاً شديداً ، حتى ذلوا وسألوا الأمان فأمنهم وسلموا البلد وعادوا إلى بلادهم[2].

=النصرانية تولى الحكم فيها للمدة بين سنة ٥٥٣هـ إلى سنة ٥٨١هـ، وعليه فإن الذي غزا مدينة شلب في هذه السنة ليس ابن الرنك (الرنق) وإنما ابنه سانشو الأول الذي حكم للمدة من سنة ٥٨١هـ إلى سنة ٦٠٨هـ، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٦١٠ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٨٢.

١) أشار ابن عذاري في حوادث سنة ٥٨٥هـ إلى غلبة ملك البرتغال ابن الرنك على شلب بمساعدة حملة صليبية كانت متوجهة إلى بيت المقدس، قال: (... وكان من موافقة قدر الله وصول جملة من القراقير الرومية مجتازين على عادتهم إلى بيت المقدس مذ انتزع من أهل ملتهم فيصلون أبداً في كل سنة ليزيلوا عن أعناقهم بزعمهم عهداً في أديانهم ويخرجوا عن عهد ما شرط عليهم ونفذ إليهم مع رهبانهم فعلقت الأنواء القراقير المذكورة بجهة أشبونة فألقى الكافر ابن الرنك مادة لعونه على كفره، وجيشاً ميسراً لما دبره من ختله وغدره، ووجد منهم قبولاً لجهاد المسلمين فأحدقوا بشلب من كل الجهات وبالغوا في حصارها إلى أن تملكوها... وأخرجوا أهلها... بعد اشرافهم على الهلاك من الظمأ والجوع وعدم الهجوع وكان حافظها حينئذٍ عيسى بن أبي حفص بن علي لم تحنكه التجارب ولا ابتلي بسد الثغور فاستولى عليه الجزع ولفه الهلع ودخل في غمار المؤمنين وسلموا في أنفسهم وخرجوا مسلوبين...) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٠١- ٢٠٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢١٩ ؛ المراكشي، المعجب، ص٢٠٤ ويسمي ملك البرتغال بطرو بن الريق ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٥١/١٢.

٢) نص ابن الأثير هنا فيه الكثير من العموم وعدم الدقة، إذ أن المنصور الموحدي لم يستطيع أن يستعيد شلب إلا بعد عامين بذل خلالها جهود مضنية، ذلك أنه لما سمع بسقوط شلب بيد النصارى عبر إلى الأندلس في جيش كبير في محرم من سنة ٥٨٦هـ واتجه صوب قرطبة ووجه قسم من قواته بقيادة السيد يعقوب بن أبي حفص والي إشبيلية لمحاصرة شلب واتجه الجيش من هناك ورافقتها تحركات سفن الأسطول الموحدي أمام السواحل الموحدية وضربوا حصار حول المدينة، ثم خرج المنصور من قرطبة بعد أن ميّز قواته واتجه غرباً صوب أراضي مملكة البرتغال لكي يخفف ضغط النصارى على القوات الموحدية المحاصرة لشلب، فوصل إلى شمال مدينة شنترين وحاصر مدينة طومار، إلا أنه لم يستمر طويلاً في حصارها إذ أمر برفع الحصار والارتداد إلى إشبيلية فوصلها في جماد الآخرة من سنة ٥٨٦هـ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٠٣- ٢٠٧ ؛ ويعلق عنان على ارتداد المنصور الموحدي إلى إشبيلية دون أن يتمكن من تحقيق أهدافه بقوله: (ونستطيع أن نقول إن غزوة المنصور لأراضي البرتغال لم=

وسيّر جيشاً من الموحدين ومعهم جمع من العرب إلى بلاد الفرنج ، ففتحوا أربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك بأربعين سنة ، وفتكوا في الفرنج ، فخافهم ملك طليطلة من الفرنج ، وأرسل يطلب الصلح ، فصالحه خمس سنين ، وعاد أبو يوسف إلى مراكش[1] ، وامتنع من هذه الهدنة طائفة من الفرنج لم يرضوها ولا أمكنهم إظهار الخلاف ، فبقوا متوقفين حتى دخلت سنة تسعين وخمسمائة ، فتحركوا. وسنذكر خبرهم هناك ، إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس

في هذه السنة ، في شعبان ، غزا أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ، صاحب بلاد المغرب والأندلس ، بلاد الفرنج بالأندلس.

وسبب ذلك[2] أن ألفنش ملك الفرنج بها ، ومقر ملكه مدينة طليطلة ، كتب

=تسفر عن نتائج ذي شأن، وأنها كانت بالعكس غزوة فاشلة، فلم تؤخذ طومار، ولم تُسترد شلب، وهي غاية الغزو الأولى. ونستطيع أيضاً أن نلاحظ مرة أخرى أن اختلال شئون التموين في الجيوش الموحدية، كان دائماً في مقدمة أسباب فشلها في تحقيق أغراضها العسكرية. على أننا نستطيع أن نلاحظ في نفس الوقت، أن ما تذرع به المنصور من الحزم في تنظيم الارتداد في الوقت المناسب، كان كفيلا بسلامة الجيش الموحدي، وعدم تعرضه لكارثة أخرى، من طراز كارثة شنترين) دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص ١٧٨ ؛ أما شلب فقد أشار ابن عذاري إلى أن المنصور الموحدي توجه إليها في جماد الآخرة من سنة ٥٨٧هـ فتمكن من فتحها وطرد البرتغاليين منها بعد احتلالهم لها زهاء عامين، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢١٢ ؛ وذكر ابن أبي زرع أن المنصور الموحدي فتح في غزوته هذه قصر أبي دانس وباجة ويابرة وحصل على خمسة عشر ألف سبية وثلاثة آلاف أسير، روض القرطاس، ص٢١٩ ؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ١٨٦- ١٨٨.

1) قال ابن خلكان: (وفي سنة ست وثمانين بلغه أن الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب جزيرة الأندلس، فتجهز إليها بنفسه وحاصرها وأخذها، وأنفذ في الوقت جيشاً من الموحدين ومعه جماعة من العرب، ففتحوا أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة، وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح، فصالحه خمس سنين وعاد إلى مراكش) وفيات الأعيان، ٤/٧ ؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص١٧٦ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٨٤.

2) ذكر المراكشي سببها أنه: (لما كان في سنة ٩٠ انتقض ما بينه وبين الأدفنش - لعنه الله- =

إلى يعقوب كتاباً نسخته: باسمك اللهم فاطر السموات والأرض ؛ أما بعد أيها الأمير ، فإنه لا يخفى على كل ذي عقل لازب ، ولا ذي لب وذكاء ثاقب ، أنك أمير الملة الحنيفية ، كما أنا أمير الملة النصرانية ، وأنك من لا يخفى عليه ما هم عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل ، وإهمال الرعية ، واشتمالهم على الراحات ، وأنا أسومهم الخسف وأخلي الديار ، وأسبي الذراري ، وأمثل بالكهول ، وأقتل الشباب ، ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم ، وقد أمكنتك يد القدرة ، وأنتم تعتقدون أن الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، والآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفاً ، فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم(١) ، ونحن الآن نقاتل عدداً منكم بواحد منا ، ولا تقدرون دفاعاً ، ولا تستطيعون امتناعاً.

=من العهد؛ فخرجت خيل الأدفنش تدوس البلاد وتجوس خلالها؛ إلى أن كثر عَيْثها بالأندلس) المعجب، صص٢٠٦ ؛ أما ابن عذاري فأشار أنه لما كان سنة ٥٩٠هـ ورد كتاب انبساط العرب بإفريقية فقرر التوجه إليهم، فعندما وصل إلى رباط الفتح قدمت عليه كتب أهل الأندلس وولاتها بأن ملك قشتالة بعث إليهم (لينذرهم ويحذرهم، وقد كان وجه رسله إلى عقد المهادنة وأظهر بعده المكيدة... واغتر الكافر وتأنى بإشاعة الحركة إلى إفريقية فجمع اللعين أنجاده وأقماطة وقواده وضرب لهم ميقاتاً ارتبطوا عليه في شن الغارات، فضربوا بلاد المسلمين شرقاً وغرباً وعمت الفرقة العادية الواصلة إلى إشبيلية جميع جهاتها، وانتشرت على أنظارها وجنباتها، فوردت هذه الأنباء الشنيعة والأحوال الفظيعة على المنصور وهو على قدم الحركة... فأمر المنصور ولاة إفريقية بمدود الأموال وكتبه الكافية إلى الكتائب والأبطال، وصرف وجهه من مكناسة إلى بلاد الأندلس...)البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢١٧ ؛ وقال ابن خلكان: اتفق أن المنصور مرض مرضاً شديداً حتى آيس منه أطباؤه (فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والأطراف. وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس، واقتضى الحال تفرقه جيوش الأمير يعقوب شرقاً وغرباً، واشتغلوا بالمدافعة والممانعة، فكثر طمع الأذفونش في البلاد...) وفيات الأعيان، ٥/٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٢٠ ؛ الحميري، صفة، ص١٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص١٩٧.

١) يشير هنا إلى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) سورة الأنفال.

ثم حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال ، وأشرفت على ربوة القتال ، وتمطل نفسك عاماً بعد عام ، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، ولا أدري الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما أنزل عليك.

ثم حكي لي عنك أنك لا تجد سبيلاً للحرب لعلك ما يسوغ لك التقحم فيها ، فها أنا أقول لك ما فيه الراحة ، وأعتذر عنك ، ولك أن توافيني بالعهود والمواثيق والأيمان أن تتوجه بجملة من عندك في المراكب والشواني ، وأجوز إليك بجملتي وأبارزك في أعز الأماكن عندك ، فإن كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت إليك ، وهدية مثلت بين يديك ، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك ، واستحققت إمارة الملتين ، والتقدم على الفئتين ، والله يسهل الإرادة ، ويوفق السعادة بمنه لا ربّ غيره ، ولا خير إلا خيره[1].

---

١) أورد الرسالة كل من ابن خلكان وابن أبي زرع، وذكر ابن خلكان بعض التفاصيل لم ترد عند ابن الأثير أعلاه ولا عند ابن أبي زرع، قال: (وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف بابن الفخار، وهي: باسمك اللهم فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أما بعد فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملة الحنيفية كما أني أمير الملة النصرانية، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية، وإخلادهم إلى الراحة، وأنا أسومهم بحكم القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة، وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً، وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك عاماً بعد عام، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك، ثم قيل لي إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً لعلةٍ لا يسوغ لك التقحم معها، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان، وترسل إليّ جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات، وأجوز بجملتي إليك، وأقاتلك في أعز الأماكن لديك، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك، واستحقيت إمارة الملتين والحكم على البرين، والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإرادة، لا رب غيره ولا خير إلا خيره، إن شاء الله تعالى)، وفيات الأعيان، ٦/٧- ٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ٢٢٠- ٢٢١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٣٢/٢٤- ٣٣٣ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٣٦٣/٣ ؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص١١٥- ١١٦ ؛ السلاوي، الاستقصا، ١٨٦/٢.

فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب في أعلاه هذه الآية: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)(النمل ٣٧)[١] ، وأعاده إليه ، وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز إلى الأندلس[٢].

وقيل: كان سبب عبوره إلى الأندلس أن يعقوب لما قاتل الفرنج سنة ست وثمانين وصالحهم ، بقي طائفة من الفرنج لم ترض الصلح ، كما ذكرناه ، فلما كان الآن جمعت تلك الطائفة جمعاً من الفرنج ، وخرجوا إلى بلاد الإسلام ، فقتلوا وسبوا وغنموا وأسروا ، وعاثوا فيها عيثاً شديداً ، فانتهى ذلك إلى يعقوب ، فجمع العساكر ، وعبر المجاز إلى الأندلس في جيش يضيق عنه الفضاء ، فسمعت الفرنج بذلك ، فجمعت قاصيهم ودانيهم ، وأقبلوا إليه مجدين على قتاله ، واثقين بالظفر لكثرتهم ، فالتقوا ، تاسع شعبان ، شمالي قرطبة عند قلعة رياح ، بمكان يعرف بمرج الحديد[٣] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الدائرة أولاً على المسلمين ، ثم عادت على الفرنج ،

---

١) قال ابن خلكان: (فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ). (النمل: ٣٧)، الجواب ما ترى لا ما تسمع:

ولا كتب إلا المشرفية عنده... ولا رسل إلا الخميس العرمرم

قلت: وهذا البيت للمتنبي). وفيات الأعيان، ٦/٧- ٧ ؛ وقال ابن أبي زرع: (فلما قرأ المنصور الكتاب أخذته غيرة الإسلام، ثم أمر بقراءته على الموحدين، والعرب، وقبائل زناتة، والمصامدة، وسائر الأجناد، فقرئ عليهم، فكلهم أنف منه ونعر، وعزم على الجهاد، واستعد للسفر، ثم دعا المنصور بولده وولي عهده، فدفع إليه الكتاب وأمره أن يرد على اللعين بالجواب، فقرأه ثم مزقه وكتب على ظهره، مقال الله العظيم: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)، الجواب ما ترا لا ما تسمع، واستشهد ببيت المتنبي:

ولا كتب إلا المشرفية عنده... ولا رسل إلا الخميس العرمرم

ورما بالكتاب إلى أبيه، فسر والده بالتوقيع العجيب، الذي لا يصدر مثله إلا عن عاقل أريب، ثم صرف الرسول بالكتاب) روض القرطاس ، ٢٢١.

٢) قال عنان: (على أنه يبدو من نص هذا الخطاب، ومن تحدثه عن تواكل رؤساء الأندلس، وإخلادهم إلى الراحة ، أنه يمكن بطريقة أرجح نسبته إلى ألفونسو السادس ملك قشتالة، وأنه كان موجهاً إلى يوسف بن تاشفين، وليس إلى الخليفة الموحدي)دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص١٩٨.

٣) أسماه المراكشي فحص الحديد، المعجب، ص٢٠٦.

فانهزموا أقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)التوبة ٤٠.

وكان عدد من قتل من الفرنج مائة ألف وستة وأربعين ألفاً[١] ، وأسر ثلاثة عشر ألفاً[٢] ، وغنم المسلمون منهم شيئاً عظيماً ، فمن الخيام مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً ، ومن الخيل ستة وأربعون ألفاً ، ومن البغال مائة ألف ، ومن الحمير مائة ألف[٣]. وكان يعقوب قد نادى في عسكره: من غنم شيئاً فهو له سوى السلاح ؛ وأحصى ما حمل إليه منه ، فكان زيادة على سبعين ألف لبس ، وقتل من المسلمين نحو عشرين ألفاً[٤].

ولما انهزم الفرنج اتبعهم أبو يوسف ، فرآهم قد أخذوا قلعة رياح ، وساروا عنها من

---

١) ذكر ابن عذاري أن عدد قتلى النصارى بلغ زهاء ٣٠ ألفاً، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٢١ ؛ وإلى ذلك ذهب الحميري وابن الخطيب وابن خلدون، صفة، ص١٣ ؛ أعمال الأعلام، ٢٣٩/٢ ؛ تاريخ، ٣٣٠/٦ ؛ فيما قال ابن أبي زرع أنه قتل من الكفرة ألوف لا تعد ولا تحصى، روض القرطاس، ص٢٢٨.

٢) ذكر ابن عذاري أن عدد حصراء الأرك خمسة آلاف بين صغير وكبير ذكر وأنثى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٢٠ ؛ وإلى ذلك ذهب الحميري، صفة، ص١٣ ؛ وقال ابن أبي زرع: إن عدد الأسرى ٢٤ ألفاً فامتن عليهم وأطلقهم بعد ما ملكهم ليكون له بذلك الامتنان يداً عليا عليهم، فعز ذلك على الموحدين وعلى جميع المسلمين، وحسبت له تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك، قال: ولما حضرت المنصور الموحدي الوفاة قال: ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي إلا على ثلاث: ادخال العرب من إفريقية إلى بلاد المغرب لأني أعلم أنهم أصل فساده، والثانية رباط الفتح انفقت فيه من بيت المال وهو صعيد لا يعمر، والثالثة اطلاقي أسارى الأراك، ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم، روض القرطاس، ص٢٢٨، ٢٣٠ ؛ وذكر الذهبي: أن يعقوب صاحب المغرب عندما هزم الفنش (فخرجت والدة الفنش وحريمه وبكين بين يدي يعقوب فرق لهن ومن عليهن) العبر، ١٠٥/٣ ؛ وأشار المقري إلى أن المنصور عندما حاصر طليطلة (فخرجت إليه والدة الأذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه، وسألنه إبقاء البلد عليهن، فرقّ لهن ومنّ عليهن بها ، ووهب لهن من الأموال والجواهر ما جلّ، وردّهنّ مكرماتٍ، وعفا بعد القدرة) نفح الطيب، ٤٤٣/١.

٣) قال المقري: (وكان عدّة من قتل من الفرنج - فيما قيل - مائة ألف وستّة وأربعين ألفاً، وعدّة الأسارى ثلاثين ألفاً، وعدّة الخيام مائة ألف وستّة وخمسين ألف خيمة، والخيل ثماني ألفاً، والبغال مائة ألف، والحمير أربعمائة ألف، جاء بها الكفّر لحمل أثقالهم لأنّهم لا إبل لهم، وأمّا الجواهر والأموال فلا تحصى، وبيع الأسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، والفرس بخمسة دراهم، والحمار بدرهم) نفح الطيب، ٤٤٣/١.

٤) ذكر ابن عذاري أنه قتل من المسلمين نحو خمسمائة، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٢٠ ؛ وإلى ذلك ذهب ايضاً الحميري، صفة، ص١٣.

الرعب والخوف ، فملكها ، وجعل فيها والياً ، وجنداً يحفظونها ،وعاد إلى مدينة إشبيلية[1].

وأما ألفنش ، فإنه لما انهزم حلق رأسه ، ونكس صليبه ، وركب حماراً ، وأقسم أن لا يركب فرساً ولا بغلاً حتى تنصر النصرانية ، فجمع جموعاً عظيمة ، وبلغ الخبر بذلك إلى يعقوب ، فأرسل إلى بلاد الغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير إكراه ، فأتاه من المتطوعة والمرتزقين جمع عظيم ، فالتقوا في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة ، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال والسلاح والدواب وغيرها ، وتوجه إلى مدينة طليلطة فحصرها ، وقاتلها قتالاً شديداً ، وقطع أشجارها ، وشن الغارة على ما حولها من البلاد ، وفتح فيها عدة حصون ، فقتل رجالها ، وسبى حريمها ، وخرب دورها ، وهدم أسوارها ، فضعفت النصرانية حينئذ ، وعظم أمر الإسلام بالأندلس ، وعاد يعقوب إلى إشبيلية فأقام بها[2].

فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها إلى بلاد الفرنج ، وذلوا ، واجتمع

---

١) ينظر عن معركة الأرك: المراكشي، المعجب، ص٢٠٦- ٢٠٧ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/٧- ٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢١٧- ٢٢٢ ؛ الحميري، صفة، ص١٢- ١٣ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٢٠- ٢٢٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠٥٦/١٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٣٢/٢٤- ٣٣٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤/١٣ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٣٦٣/٣- ٣٦٤ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٣٢٠/٦- ٣٣٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٤٣/١ ؛ السلاوي، الاستقصا، ١٨٧/٢- ١٩٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص١٩٧ - ٢١٤.

٢) لم يشر ابن عذاري وابن أبي زرع إلى ما عمله الفونسو الثامن بنفسه وما أظهر من أسى وقسمه على نفسه أن ينصر النصرانية، واكتفوا بالقول: إن المنصور الموحدي في سنة ٥٩٢هـ خرج بغزوة أسماها ابن عذاري بسنة طليطلة، وقال ابن أبي زرع: (فيها خرج أمير المؤمنين إلى غزوته الثالثة ففتح قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وجبل سليمان وأقليج وكثيراً من أحواز طليطلة، ونزل على طليطلة وبها الفونسو فحاصره بها وضيق عليه وقطع ثمارها وحرق أرباضها، وهتكها ونصب عليها المجانيق، ثم ارتحل عنها إلى مدينة طلمنكة، فدخلها عنوة بالسيف فلم يحي أحد من رجالها، وسبا نساءها وغنم أموالها، وحرقها وهدم أسوارها وتركها قاعاً صفصفا، ورجع إلى إشبيلية بعد أن فتح الحصون الكثيرة...)روض القرطاس، ص٢٢٩ ؛ ينظر أيضاً: المراكشي، المعجب، ص٢٠٧ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٨/٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٩٢- ٢٩٤ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٣٥/٢٤ ؛ السلاوي، الاستقصا، ١٩٢/٢ ؛ وأشار أشباخ إلى أن ارتداد المنصور الموحدي عن طليطلة بعد أن حاصرها لمدة عشرة أيام كان بسبب تصميم الفونسو الثامن في الدفاع عنها وهو ما جعل محاولات اقتحامها لم تسفر عن النجاح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ٨٩/٢.

ملوكها ، وأرسلوا يطلبون الصلح ، فأجابهم إليه بعد أن كان عازماً على الامتناع مريداً لملازمة الجهاد إلى أن يفرغ منهم ، فأتاه خبر علي بن إسحق الملثم الميورقي أنه فعل بإفريقية ما نذكره من الأفاعيل الشنيعة ، فترك عزمه[1] ، وصالحهم مدة خمس سنين ، وعاد إلى مراكش آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة[2].

ذكر فعلة الملثم بإفريقية

لما عبر أبو يوسف يعقوب ، صاحب المغرب ، إلى الأندلس ، كما ذكرنا ، وأقام مجاهداً ثلاث سنين ، انقطعت أخباره عن إفريقية ، فقوي طمع علي بن إسحق الملثم الميورقي ، وكان بالبرية مع العرب ، فعاود قصد إفريقية ، فانبث جنوده في البلاد فخربوها ، وأكثروا الفساد فيها ، فمحيت آثار تلك البلاد وتغيرت ، وصارت خالية من الأنيس ، خاوية على عروشها.

وأراد المسير إلى بجاية ومحاصرتها لاشتغال يعقوب بالجهاد ، وأظهر أنه إذا استولى على بجاية سار إلى المغرب ؛ فوصل الخبر إلى يعقوب بذلك ، فصالح الفرنج على ما ذكرناه ، وعاد إلى مراكش عازماً على قصده ، وإخراجه من البلاد[3] ، كما

---

١) أشار الذهبي أنه (ولولا ابن غانية الملثم وهيجه ببلاد المغرب لافتتح يعقوب عدة مدائن)العبر، ١٠٥/٣.

٢) أشار ابن عذاري إلى أن المنصور الموحدي خرج في هذه السنة من إشبيلية لغزو أراضي مملكة قشتالة فوصل قرطبة ثم توجه إلى طلبيرة مخترقاً جبال الشارات عندها أرسل إليه الفونسو الثامن ملك قشتالة يطلب الصلح فصرف رسله دون جواب، وتحول إلى حصن مجريط الذي كان يرابط فيه ملك قشتالة وملك أراغون إلا إنهما انسحبا منه، فحاصره المنصور، ثم ارتد عنه بعد أن أبدى القشتاليون مقاومة شديدة فيه، فتوجه إلى وادي الحجارة فانتسف زروعها وخرب العديد من القرى ثم رجع إلى إشبيلية ، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٢٦- ٢٢٧ ؛ أما المراكشي فقد أشار إلى أن المنصور الموحدي (عاد في السنة الثالثة أيضًا ، وتوغل بلاد الروم، ووصل إلى مواضع لم يصل إليها ملك من ملوك المسلمين قط ؛ ورجع إلى مدينة إشبيلية، فأرسل الأدفنش إليه - لعنه الله- يسأله المهادنة، فهادنه إلى عشر سنين، فعبر البحر بعد أن أصلح الجزيرة ورتب فيها من يقوم بحمايتها ، وقصد مدينة مراكش، وذلك في سنة ٥٩٤) المعجب، ص٢٠٧ ؛ ولم تشر المصادر أعلاه إلى رواية ابن الأثير بأن رجوع المنصور الموحدي إلى مراكش هو بسبب ما فعله ابن غانية بإفريقية.

٣)أشار ابن خلكان إلى ذلك بشيء من التفصيل قال: إن المنصور الموحدي (رجع إلى إشبيلية وأقام إلى أثناء سنة ثلاث وتسعين، فعاد إلى بلاد الفرنج مرة ثالثة وفعل فيها كفعله المتقدم، فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فأرسلوا إليه يلتمسون منه الصلح، فأجابهم إلى ذلك لما اتصل به من أخبار علي بن إسحاق الميورقي، المقدم ذكره في هذه=

فعل سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة

ذكر وفاة يعقوب بن يوسف وولاية ابنه محمد

في هذه السنة ، ثامن عشر ربيع الآخر ، وقيل جمادى الأولى[1] ، توفي أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، صاحب المغرب والأندلس ، بمدينة سلا ، وكان قد سار إليها من مراكش ، وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا ، وسماها المهدية[2] ، من أحسن البلاد وأنزهها ، فسار إلهيا يشاهدها ، فتوفي بها ؛ وكانت ولايته خمس عشرة سنة ، وكان ذا جهاد للعدو ، ودين ، وحسن سيرة[3] ، وكان يتظاهر

=الترجمة، فإنه كان قد خرج على بلاد إفريقية وخرب أكثر بلادها وتوجه نحو الغرب، وسولت له نفسه النزول على بجاية لما علمه من اشتغال الأمير يعقوب بجزيرة الأندلس والجهاد فيها وتأخره عن بلاد المغرب مدة ثلاث سنين. فأوقع الصلح بينه وبين ملوك الأندلس جميعاً على ما اختاره لمدة خمس سنين، ثم عاد إلى مراكش في أواخر سنة ثلاث وتسعين ولما وصل إليها أمر باتخاذ الأحواض والروايا وآلات السفر للتوجه إلى بلاد إفريفية، فاجتمع إليه مشايخ الموحدين وقالوا له: يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالأندلس، فمنا من له خمس سنين ومنا من له ثلاث سنين وغير ذلك، فتتعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة في أول سنة خمس وتسعين، فأجابهم إلى سؤالهم)وفيات الأعيان، ٩/٧ ؛ أما المراكشي فقال: إن المنصور الموحدي بعد عودته إلى مراكش: (فبلغني عن غير واحد أنه صرح للموحدين بالرحلة إلى المشرق، وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع، ويقول: نحن - إن شاء الله- مطهروها؛ ولم يزل هذا عزمه إلى أن مات - رحمه الله- في صدر سنة ٥٩٥)المعجب، ص٢٠٧ ؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٣/٤٣ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥٠٣/٦.

١) ذكر ابن عذاري أن المنصور الموحدي توفي في الثاني عشر من ربيع الأول من سنة ٥٩٥هـ، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٣٤ ؛ وقال ابن خلكان: (توفي في غرة جمادى الأولى، وقيل في شهر ربيع الآخر في سابع عشره، وقيل في غرة صفر، سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمراكش) وفيات الأعيان، ١٠/٧ ؛ وقال ابن أبي زرع: توفي المنصور في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ، روض القرطاس، ص٢٣٠ ؛ وقال ابن الخطيب: إنه توفي في ربيع الأول من سنة ٥٩٥هـ، الحلل الموشية، ص١٢٢ ؛ أعمال الأعلام، ٢٣٩/٢.

٢) ينظر عنها: ياقوت، معجم البلدان، ٢٢٩/٥ ؛ وأسماها ابن خلكان رباط الفتح، قال: (وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة، سماها رباط الفتح على هيئة الإسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحصينه، وبناها على البحر المحيط الذي هناك، وهي على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي)وفيات الأعيان، ٩/٧.

٣) قال ابن خلكان: (كان ملكاً جواداً عادلاً متمسكاً بالشرع المطهر، يأمر بالمعروف وينهى=

بمذهب الظاهرية ، وأعرض عن مذهب مالك[1] ، فعظم أمر الظاهرية في أيامه ، وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية [2] منسوبون إلى أبي محمد بن حزم ، رئيس الظاهرية ، إلا أنهم مغمورون بالمالكية. ففي أيامه ظهروا وانتشروا ، ثم في آخر أيامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال إليهم ، ولما مات قام ابنه أبو عبد الله محمد بالملك بعده ، وكان أبوه قد ولاه عهده في حياته[3] ، فاستقام الملك له وأطاعه الناس ، وجهز جمعاً من العرب وسيّرهم إلى الأندلس احتياطاً من الفرنج[4].

=عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ويصلي بالناس الصلوات الخمس، ويلبس الصوف، ويقف للمرأة وللضعيف ويأخذ لهم بالحق. وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به) وفيات الأعيان، ١٠/٧ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٢٣٠- ٢٣١.

١) ذكر المراكشي ذلك بشيء من التفصيل، قال: (وفي أيامه انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- والقرآن، ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدوَّنة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار. وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة. وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها، على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة...وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث. وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، إلا أنهما لم يظهراه، وأظهره يعقوب هذا)المعجب، ص٢٠٣- ٢٠٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ١٨٧/٢٧ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٣٩/٢٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٠٢/٣.

٢) الحزمية نسبة إلى الفقيه أبي مُحمَّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي كان يَقُول بمذهب الظَّاهريَّة فِي الفقه وله خلق كثير ينتسبون إِليه بالأندلس يُقال لهُم الحزمية ويقَال إن أَبَا عبد الله الْحميدِي كان يمِيل إِلى مذهبه، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ٣٦٣/١.

٣) قال المراكشي: إن أباه ولاه العهد سنة ٥٨٦هـ وكان عمره آنذاك عشر سنين، المعجب، ص٢٢٦ ؛ وقال ابن أبي زرع: إن المنصور لما رجع من غزوة الأرك إلى مراكش أخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر لدين الله، روض القرطاس، ص٢٣٠ ؛ أما ابن عذاري فأشار إلى أن المنصور عقد البيعة لابنه بعد عودته من غزوة شلب سنة ٥٨٧هـ، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢١٣.

٤) أشار المراكشي إلى أن(أول شيء شرع فيه تجهيز الجيوش إلى إفريقية؛ وذلك أن يحيى بن إسحاق بن غانية... كان استولى على أكثر بلادها أيام اشتغل الموحدون عنه بغزو الروم...) المعجب، ص٢٣٠.

مصادر ومراجع التحقيق

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)

١- إعتاب الكتاب، حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر، ط١، مطبوعات مجمع مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م.

٢- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣ - معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية ،مصر، ٢٠٠٠م

ابن الأثير ،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٥ - الكامل في التاريخ، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م ؛ وط١، دار الكتب العلمية، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي، بيروت، ١٩٨٧م ؛و ط١، دار الكتاب العربي، تحقيق عمر عبد السلام تدميري، بيروت، ١٩٩٧م.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ/٩٣٥م)

٦ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عنى بتصحيحه هلموت ريتر، ط٣، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (المانيا)، ١٩٨٠ م

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)

٧- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٩٦١م.

ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)

٨- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ/١١٨٢م)

٩ - الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥ م.

١٠- المستغيثين بالله تعالى عند المهمّات والحاجات، دراسة وتحقيق مانويلا مارين، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي ، ١٩٩١ م.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني، (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

١١- الفرق بين الفرق، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)

١٢- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م

١٣- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

١٤- أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١م.

ابن تغري بردى، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

١٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

١٦- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

١٧- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م

ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب السلمي (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)

١٨- كتاب التاريخ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨م)

١٩- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار و محمد علي البجاوي، بيروت ١٩٦٤م.

الحجي، عبد الرحمن علي.

٢٠- أندلسيات، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٩م.

٢١- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١٠- ١٤٩١م)ط١، بغداد، ١٩٧٦م.

حسن، حسن إبراهيم

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)

٢٢- التذكرة الحمدونية، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ.

الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)

٢٣- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط ١، بيروت ٢٠٠٤م.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م)

٢٤- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٥- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشرها وصححها وعلق حواشيها إ- ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)

٢٦- قلائد العقيان، مصر، ١٨٦٦م.

٢٧- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابك، ط١، دار عمار - مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م .

ابن الخراط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)

٢٨- اختصار اقتباس الأنوار، تقديم و تحقيق ايميليومولينا و خافينتو بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي، مدريد ١٩٩٠م.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد، الغرناطي الأندلسي، (ت ٧٧٦هـ/١٣٤٧م)

٢٩- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٣٠- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، عنى بتصحيحه السيد البشير الفورتي، ط١، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن علي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
٣١- تاريخ ابن خلدون، المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م
خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ / ٨٥٤م)
٣٢- تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه مصطفى نجيب وحكمت مكشلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
ابن دحية، عمر بن دحية الكلبي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)
٣٣- المطرب من أشعار أهل المُغرب، قدم له و ضبطه صلاح الدين الهواري، المطبعة العصرية، ط١، بيروت ٢٠٠٨م.
الدرويش، جاسم ياسين
٣٤- أعلام نساء الأندلس، ط١، البصرة، ٢٠١٠م.
الدرويش والعلياوي، جاسم ياسين وحسين جبار
٣٥- لشبونة في العصر الإسلامي(٩٧- ٥٤٢هـ)، مجلة دراسات تاريخية، العدد الرابع، ٢٠٠٨م.
الدوري، تقي الدين عارف
٣٦- صقلية، علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح حتى الغزو النورماندي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.
ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني(ت ١٠٩٢هـ/ ١٦٨٠م)
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٦م.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ١٣٤٧م)
٣٧- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق بشار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م
٣٨- سير أعلام النبلاء، ط١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م)
٣٩- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م)
٤٠- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت كان حيا سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)

٤١- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٢م.
الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
٤٢- الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)
٤٣- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
السراج القاري، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م)
٤٤- مصارع العشاق، دار صادر، بيروت.
السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.
٤٥- تأريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.
٤٦- تاريخ المغرب العربي، الموصل، ١٩٨٨م.
ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)
٤٧- الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م
ابن سعيد، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
٤٨- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف – القاهرة، ١٩٥٥م.
السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م)
٤٩- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.
ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)
٥٠- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠م.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ /١٥٠٥م)
٥١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان، صيدا.
٥٢- تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، ط٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.
٥٣- طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

شلبي، محمود
٥٤- حياة طارق بن زياد، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)
٥٥- الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.
الشيباني، أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ/٨٢١م)(منسوب).
٥٦- شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠١ م
شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)
٥٧- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
٥٨- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ٢٠٠٠م.
الصلابي، محمد محمد علي
٥٩- فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ٢٠٠٦ م.
٦٠- دولة الموحدين، دار البيذق للنشر، عمان.
ابن الصيرفي، علي بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)
٦١- المختار من شعر شعراء الأندلس، تحقيق عبد الرزاق حسين، ط١، دار البشير، عمان ١٩٨٥ م.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)
٦٢- تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ.
طه، عبد الواحد ذنون.
٦٣- دراسات أندلسية ط١، الموصل، ١٩٨٦م.
٦٤- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠م.
عارف تامر
٦٥- المعز لدين الله، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.
العبادي، أحمد مختار
٦٦- في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة، بيروت.

عاشور، سعيد عبد الفتاح

٦٧- أوربا في العصور الوسطى، ط٩، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة)ط١، دار الثقافة – بيروت، ١٩٦٠ م.

٦٨- تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين)ط٢ ،دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٧٦م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)

٦٩- تاريخ دمشق، تحقيق مرو بن غرامة العمروي ،دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م .

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)

٧٠- فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.

ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت٧١٢هـ/ ١٣١٢م)

٧١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان وإ- ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م، حـ ٢. جـ٣، تحقيق إ- ليفي بروفنسال، بيروت، د. ت. ج٤، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧م ، والقسم الخاص بالموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.

ابن عسكر، أبو عبد الله بن عسكر (ت ٦٣٦هـ/١٢٢٨م)، وابن خميس، أبو بكر بن خميس (ت بعد ٦٣٩هـ /١٢٤١م)

٧٢- مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

العلياوي، حسين جبار مجيتل

٧٣- البشكنس دراسة تاريخية في أحوالهم العامة في الأندلس حتى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١١م.

٧٤- الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

٧٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٩٨٦م .

عماد الدين الأصفهاني الكاتب، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

٧٦- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب الأندلس)، تحقيق آذرتاش

آذرنوش، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.
العمايرة، محمد نايف جريوان
٧٧- مراحل سقوط الثغور الأندلسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٨٩م.
عنان، محمد عبد الله.
٧٨- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
٧٩- دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)
٨٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب.
ابن غالب، محمد بن أيوب (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)
٨٠- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة، ١٩٥٦م.
ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)
٨٢- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
٨٣- المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية، مصر.
ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)
٨٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.
ابن الفرضي ،أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي(ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)
٨٥- تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٧م.
ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
٨٦- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)
٨٧- الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ.
ابن القطان، حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي (ت٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)

٨٨- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، ط٢، دار الغرب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)
٨٩- إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط١، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤٢٤ هـ
القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
٩٠- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، ١٩٨٠ م.
ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)
٩١- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.
ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
٩٢- البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
٩٣- طبقات الشافعيين، تحقيق أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٣م.
الكندي، محمد بن يوسف (ت٣٥٠هـ /٩٦١م)
٩٤- ولاة مصر، تحقيق حسين نصار، دار صادر، بيروت.
المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
٩٥- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق صلاح الدين الهوار ي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ،٢٠٠٦م.
المصري، جميل عبد الله محمد
٩٥- الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.
المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)
٩٦- ديوان المعتمد بن عباد، جمعه وحققه أحمد أحمد بدوي . و حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م.
المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
٩٧- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩ م.
المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
٩٨- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال و محمد

حلمي، ط١، لجنة احياء التراث، القاهرة.
الملك المنصور، محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه، الأيوبي، (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)
٩٩- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة.
مؤلف مجهول(ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
١٠٠- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
مؤلف مجهول (ت القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي)
١٠١- كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
مؤلف مجهول (كان حياً ٧١٢هـ /١٣١٢م)
١٠٢- مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، دار أبي رقراق للطباعة، الرباط، ٢٠٠٥م.
مؤنس، حسين
١٠٣- فجر الأندلس، ط١، دار المناهل، بيروت، ٢٠٠٢م.
نصر الله، سعدون
١٠٤- تاريخ العرب السياسي في الأندلس ،ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.
نور الدين اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد (ت ١١٠٢هـ/١٥٩٣م)
زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق د محمد حجي، د محمد الأخضر، ط١، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٨١ م
النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري(ت٧٣٣هـ /١٣٣٢م)
١٠٥- نهاية الإرب في معرفة فنون الأدب، ط١، دار الكتب، القاهرة، ١٤٢٣هـ .
ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ /١٣٤٨م(
١٠٦- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م
اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)
١٠٧- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٩٧ م
ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
١٠٨- الأندلس من معجم البلدان، ط١ ،حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، البصرة ٢٠١٢م.

١٠٩- معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م.
١١٠- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت٢٨٤هـ / ٩٩٤م)
١١١- البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت ١٩٨٨م.